



مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبحان

للغافل



عليه  
صباح  
الرمضان

www. **Ghaemiyeh** .com  
www. **Ghaemiyeh** .org  
www. **Ghaemiyeh** .net  
www. **Ghaemiyeh** .ir

مكتبة دار الفکر  
بیتنا حُبُّك وَالمشقة وَالتقوية



بیتنا حُبُّك وَالمشقة وَالتقوية

بیتنا حُبُّك وَالمشقة وَالتقوية

# التَّوْحِيدُ

## فِي الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ

وَالْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ  
بیتنا حُبُّك وَالمشقة وَالتقوية

بیتنا حُبُّك وَالمشقة وَالتقوية

بیتنا حُبُّك وَالمشقة وَالتقوية

بیتنا حُبُّك وَالمشقة وَالتقوية

بیتنا حُبُّك وَالمشقة وَالتقوية

بیتنا حُبُّك وَالمشقة وَالتقوية

بیتنا حُبُّك وَالمشقة وَالتقوية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التوحيد فى المشهد الحسينى و انعكاسه على خارطة مسؤوليات العصر الراهن

كاتب:

محمد السند

نشرت فى الطباعة:

سعيد بن جبير

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

# الفهرس

٥	الفهرس
١٧	التوحيد فى المشهد الحسينى و انعكاسه على خارطة مسؤوليات العصر الراهن
١٧	اشاره
١٧	اشاره
١٩	مقدمه الطبعه الثانيه
٢٣	مقدمه الطبعه الأولى
٢٥	المقدمه المقرر
٣١	تمهيد
٣٥	القسم الاول: التوحيد فى المشهد الحسينى
٣٥	اشاره
٣٧	القضاء والقدر فى المشهد الحسينى
٣٧	المدخل:
٤١	الفصل الأؤل : البداء الأعظم
٤١	اشاره
٤٣	البداء الأعظم
٤٧	نتائج مهمه فى الجبر والاختيار
٤٩	جدليه العلاقه بين الإبرام والبداء
٥١	قوم يونس:
٥٥	الفصل التانى: حتميه القضاء والقدر فى مفهوم النهضه الحسينيه
٥٥	اشاره
٥٧	حتميه القضاء والقدر فى مفهوم النهضه الحسينيه
٥٨	حتميه البداء:
٥٩	البدايه ولبله القدر:
٦٢	صور البداء فى القضيه الحسينيه

- ٦٥ ..... إحصان التقدير وإحكام التدبير
- ٦٥ ..... أديب الله:
- ٦٦ ..... أديبى ربى:
- ٦٧ ..... سعه البداء فى سلوك النبى صلى الله عليه وآله وسلم:
- ٦٩ ..... الحُسين أُمّه .....
- ٦٩ ..... مطمئننه بقدرک .....
- ٧١ ..... إئها شقشقه: .....
- ٧٥ ..... ضابطه جعفریه فى القضاء والقدر .....
- ٧٧ ..... حرب بارده لا تُنافى حتمیه القضاء .....
- ٧٧ ..... اشاره .....
- ٧٨ ..... عبر ودروس من حياه الإمام عليه السلام: .....
- ٨٥ ..... تناسب التقدير بين الإنسان الصغير والكبير .....
- ٨٧ ..... مُهذَّب خائف رغم حتمیه النصر .....
- ٨٧ ..... اشاره .....
- ٨٧ ..... المُهذَّب الخائف: .....
- ٩٠ ..... شجاعه التدبير لا تنافى الحذر .....
- ٩٠ ..... اشاره .....
- ٩٢ ..... خفاء التدبير بلا خفاء للمدبر: .....
- ٩٥ ..... كمال التدبير اليقظه والحذر .....
- ٩٥ ..... أحلاس البيوت: .....
- ٩٧ ..... الفصل الثالث: لا حسم سابق ولا حتم فى التدايعات بدون إمكانیه البداء .....
- ٩٧ ..... اشاره .....
- ٩٩ ..... لا حسم سابق ولا حتم فى التدايعات بدون إمكانیه البداء .....
- ١٠١ ..... التفاؤل فى ميزان القضاء والقدر .....
- ١٠١ ..... تفاءلوا بالخير: .....
- ١٠٢ ..... تدبير الخير لمستقبل الأُمّه: .....

- ١٠٦----- قعه النشاط مَعَ حتميه الشهاده
- ١٠٦----- تفاؤل الحسين عليه السّلام: .....
- ١٠٨----- التفاؤل المعاكس - المذموم - .....
- ١١٠----- معالم أُخرى للأمل في تدبيره عليه السلام .....
- ١١٠----- الإغراق في لطافه وإتقان التدبير: .....
- ١١٣----- تدبيره - صلى الله عليه وآله وسلم - الخير لأمته: .....
- ١١٤----- المبالغه في المداراه مَعَ قمه الحذر واليقضه: .....
- ١١٤----- لنت لهم: .....
- ١١٦----- الانفتاح التفاعلى مَعَ المُجتمَع مَعَ الحفاظ عَلى سريه الحقائق الخطيره: .....
- ١١٦----- أعداء ما جهلوا: .....
- ١١٨----- تبدل الهزيمه إلى نصر: .....
- ١٢٢----- تدبير عظيم في ظرف عسير .....
- ١٢٢----- المضائق: .....
- ١٢٤----- مضائق عسيره ومواطن خطيره: .....
- ١٢٧----- يوم حُنين: .....
- ١٢٩----- المَعْلَمُ الجبرى مِنْ جديد .....
- ١٢٩----- غَلَّت أيديهم: .....
- ١٣٢----- المسلك الجبرى أنواع وأنماط: .....
- ١٣٢----- الجبريه الصوفيه: .....
- ١٣٣----- المنطق الحسينى يحاكم الجبريه: .....
- ١٣٤----- مراتب النجاح فى الابتلاء الإلهى: .....
- ١٣٧----- النشاط والحركه الحسينيه: .....
- ١٣٩----- النشاط والحركه اليونسيه: .....
- ١٤١----- شجاعه إداره الأزمات وإمامه الأُمّه .....
- ١٤١----- شُجاعه التدبير: .....
- ١٤٢----- الغصه والفرصه: .....

١٤٥	حتميه عدم النصر لا تُنافى إمكانيةه الفتح
١٤٥	شهادته الفتح:
١٤٧	فتح الحسين أم حسين الفتح
١٥١	القسم الثاني: خارطة مسؤوليات العصر الراهن
١٥١	إشاره
١٥٣	الفصل الأول: خارطة المسؤوليات في النشاط الوظيفي الديني السياسي والإجتماعي
١٥٣	إشاره
١٥٥	سبعه قواعد منهجيه و خاتمه
١٥٧	مقدمه:
١٥٨	القاعده الأولى: (كُنْ جَلْسًا) والأحلاس في البيوت
١٥٨	- كُنْ جَلْسًا مِنْ أَحْلَاسِ بَيْتِكَ -
١٦٠	المعاني اللغويه للحلس:
١٦٢	نتائج مُهمّه مِنْ معنى الحلس:
١٦٣	ما هُوَ معنى (البيت) الذي وَرَدَ فِي الروايه:
١٦٩	موسى عليه السلام حلس البيوت
١٧١	فهم جديد لمعنى (حين) التي وردت في الزياره
١٧١	القضيه الحينيه ...
١٧١	الوسطيه في ميزان العمل
١٧١	الدور المنتقد لتوازن سفينه المؤمنين والمسلمين عن الغرق المتطرف
١٧٢	الوسطيه في قوام العمل حين عجز الأمم
١٧٢	المعادل الموضوعي
١٧٢	... العامل المشترك الأكبر
١٧٢	الوسطيه بمعنى (بيضة القبان):
١٧٣	أيها المؤمن:
١٧٣	قاعده:الصبر والتصبر
١٧٥	القاعده الثانيه: إعداد القوه

- وأعدوا.. ١٧٥
- القاعدة الثالثة : طلب العلم ونشره - ١٨١
- القاعدة الرابعة:كلكم راع - ١٨٢
- القاعدة الخامسة: - التقيه الذكيه - وترقيه تنامى الحس الأمنى - ١٨٤
- مقدمه: ١٨٤
- الإعداد الأمنى: ١٨٥
- التقيه والكتمان حارس الإعداد: ١٨٦
- تقيه الكتمان مراتب ودرجات: ١٩٠
- التقيه من الجهلاء أشد من الأعداء ١٩٢
- المذيع جاحد: ١٩٤
- الكتمان والإذاعه .... المذيع سرنا كقاتلنا عمداً: ١٩٦
- الجندي الخفي - المجهول - ١٩٩
- يكتنم إيمانه: ١٩٩
- أصحاب الكهف: ٢٠١
- قاعده أخرى (تقيه الاصطناع) ملازمه لقاعده (التقيه الذكيه): ٢٠٣
- الخضر عليه السلام والتقيه الذكيه: ٢٠٤
- المنهج أهم وأولى: ٢٠٥
- خفاء أم إختفاء: ٢٠٦
- (التقيه الذكيه) عند الإمام الصادق عليه السلام: ٢٠٧
- (التقيه الذكيه) فى سلوك إبراهيم عليه السلام: ٢٠٨
- القرآن يكشف عن أربع مهام سرية لأهل الكهف(عليهم السلام): ٢٠٩
- أسرار (التقيه التدبيريه) فى سورة الكهف: ٢١٠
- برنامج أمنى للإمام الصادق عليه السلام ٢١٣
- كيف يتعامل الإمام مع من يكشف الأسرار: ٢١٣
- دور المؤمن فى الحكومه الخفيه أعظم ٢١٧
- أطروحه جديده فى معنى الظهور بعد الغيبه ٢١٧

- ٢١٧ ..... دوله الخفاء وخفاء الدوله
- ٢١٧ ..... دوله الغيبه وغيبه الدوله
- ٢٢٤ ..... القاعده السادسه: المرونه والمناوره فى المسير والمسار
- ٢٢٤ ..... سعه الحكمه فى سيره تدبير وإداره الأُمور
- ٢٣١ ..... جدليه العلاقه بين البرغماتيه والمبدأيه
- ٢٣١ ..... جدليه الثابت والمتغير:
- ٢٣١ ..... تغيير الواقع بين الإفراط والتفريط:
- ٢٣١ ..... جدليه حفظ النظام الثابت والإصلاح المتغير:
- ٢٣١ ..... المناوره بين الواقعيه الراهنه والقيم الشعاريه:
- ٢٣٢ ..... الثابت النظامى والمتغير الإصلاحي:
- ٢٣٣ ..... للبيت رب يحميه:
- ٢٣٤ ..... دروس فى مناوره عبدالمطلب عَلَيهِ السَّلام:
- ٢٣٤ ..... مناوره حسينيّه فى قوالب زينبيه
- ٢٣٤ ..... مناوره ومران الخيارات والأساليب فى النهضه الحسينيه فى موكب السبى ...
- ٢٣٤ ..... اشاره
- ٢٣٩ ..... همزه الوصل:
- ٢٣٩ ..... هَلُ الوسيله ثابتة أم مُتغيره:
- ٢٤١ ..... تصريف الكلام:
- ٢٤١ ..... وينتصر عَلَي عليه السَّلام:
- ٢٤٢ ..... متانه الدّين وسماحه الشَّريعه:
- ٢٤٣ ..... الصلح خير -
- ٢٤٣ ..... اشاره
- ٢٤٤ ..... تعدد الخيارات:
- ٢٤٤ ..... تعدد السيناريو:
- ٢٤٥ ..... تصريف الكلام
- ٢٤٥ ..... اشاره

- ٢٤٥ ..... تغيير اللفظ لا يعنى تبدل المعنى:
- ٢٤٨ ..... الغايه لا تبرر الوسيله
- ٢٤٨ ..... اشاره
- ٢٤٨ ..... الوسيله لا تصحح الغايه:
- ٢٥٠ ..... المحججه الصحيحه مراتب:
- ٢٥١ ..... قاعده أخرى: للوفاء مواطن
- ٢٥٣ ..... هلُ الحقيقه مُطلقه أم نسبيه ؟
- ٢٥٥ ..... القاعده السابعه: ضروره توازن القوى مع العدو
- ٢٥٧ ..... خاتمه نقيسه فى تخادم العلوم
- ٢٥٧ ..... نظريه ترابط وتعاون وتخادم العلوم
- ٢٦١ ..... الفصل الثانى: خارطه المسؤوليات فى النشاط الوظيفى الدينى للمؤمنين تجاه حركات الإنحراف الدينى
- ٢٦١ ..... اشاره
- ٢٦٣ ..... السفينائى بين الحتم والبداء
- ٢٦٣ ..... مقدمه:
- ٢٦٥ ..... تمهيد
- ٢٦٨ ..... قبل البدء: قاعده علويه بصياغه رضويه
- ٢٦٨ ..... قاعده منهجيه فى المنهج:
- ٢٧٠ ..... مسالك الانتظار:
- ٢٧٣ ..... الشجره الملعونه:
- ٢٧٣ ..... اشاره
- ٢٧٥ ..... خطوره المنهج:
- ٢٧٥ ..... اشاره
- ٢٧٥ ..... النقطة الأولى: (الشجره الخبيثه):
- ٢٧٥ ..... النقطة الثَّانيه: (لا يذكرون الله):
- ٢٧٥ ..... النقطة الثَّالثه: (بنو أميّه نهج وسلوك):
- ٢٧٦ ..... النقطة الرَّابعه: (سعد الخير):

- ٢٧٦ ..... النقطة الخامسة: (اللَعْن للمؤسسين أشد):
- ٢٧٨ ..... النقطة السادسة: (أخطر المناهج):
- ٢٧٨ ..... النقطة السابعة: (إسلام وأصنام):
- ٢٧٨ ..... النقطة الثامنة: (بنى العباس):
- ٢٨٠ ..... من هو السفيناني
- ٢٨٠ ..... اشاره
- ٢٨٤ ..... حادثه مُثيره:
- ٢٨٨ ..... معالم مشروع السفيناني
- ٢٩١ ..... السفيناني ويأجوج ومأجوج
- ٢٩٨ ..... الرجعه قُبيل الظهور
- ٢٩٨ ..... هي محور أدوار مسرح أحداث الظهور
- ٣٠٣ ..... السفيناني بين المحتوم والموقوف
- ٣٠٣ ..... اشاره
- ٣٠٦ ..... دروس تربويه في البداء:
- ٣٠٩ ..... البداء وإخفاق مشروع السفيناني
- ٣٠٩ ..... روايات البداء بلسان البشاره:
- ٣١١ ..... رجفه الشام:
- ٣١٢ ..... روايات (البداء) بلسان أئمة السفيناني نقمه للمؤمنين:
- ٣١٣ ..... الإعلام المزيف للسفيناني:
- ٣١٦ ..... الخسف عنوان للبداء في حركة السفيناني:
- ٣١٩ ..... الوظيفة الأولى للمؤمنين هي المقاومة
- ٣٢٩ ..... البداء في خاتمه السفيناني
- ٣٣١ ..... أمرهم (عليه السلام) بالوجوب العيني والتعيني لتصدى شيعه العراق بالخصوص للسفيناني بقوه وحزم
- ٣٣٣ ..... الشُعب كُلتها ضد السفيناني
- ٣٣٦ ..... الرايات المناهضة لمشروع السفيناني
- ٣٣٦ ..... القيام بالمسؤوليه:

٣٣٨	الرايات الممهّده للشّيفاني
٣٣٨	اشاره
٣٣٩	الشّيفاني:
٣٣٩	حكومه بنى العباس:
٣٤١	شخصيات فى مسرح الظهور
٣٤١	نفاق الإيمان - البترية -
٣٤٢	علّى طرفى نقيض:
٣٤٤	الغايه من استعراض روايات سنه الظهور
٣٤٩	دور المؤمن فى عصر الفتن وخصوصاً فتنه الشّيفاني
٣٤٩	اشاره
٣٥٣	مقاطع مختاره:
٣٥٤	خلاصه الفصل الثانى
٣٥٩	الفصل الثالث: خارطة المسؤوليات فى النشاط الوظيفى الدينى العسكرى للمؤمنين ووظيفه تقديس وحمايه المقدسات
٣٥٩	اشاره
٣٦١	قواعد أساسيه فى مراتب الجهاد الدفاعى
٣٦١	وظيفه تقديس المقدسات:
٣٦٣	مُقدّمه
٣٦٤	الجهاد الدفاعى
٣٦٤	قواعد أساسيه فى مراتب الاجتهاد الدفاعى:
٣٦٤	اشاره
٣٦٤	القسم الأوّل:الدّفاع الوقائى الرادع عنّ عدوان المعتدى:
٣٦٤	القسم التّانى: الدّفاع العلاجى:
٣٦٥	القسم التّالث: الدّفاع الاقتصاصى:
٣٦٨	القسم الرّابع: الجهاد الدفاعى الاستباقى:
٣٧٠	قواعد لا محيص عنها فى الدّفاع عنّ المقدسات
٣٧٠	اشاره

- نظام تعدد مراتب الدِّفاع طولياً متعاكس مَعَ قاعده الرفق المرن: ٣٧٠
- القسم الخامس: الجهاد الاقتصادي في الدِّفاعِ عن المقدسات: ٣٧١
- القسم السادس: الجاد الدفاعي الاستباقي عن المقدسات: ٣٧٢
- القسم السابع: الجهاد الاقتصادي تعصباً لأهل البيت عليهم السلام ٣٧٢
- أهميه ذات المعصوم كركن من أركان الدِّين: ٣٧٣
- بيت المقدس قُدس لوجود الأنبياء فيه: ٣٧٧
- المعصوم عليه السَّلام من مقدسات الدِّين ٣٨٠
- سب المعصوم (عليه السلام) ارتداد عن الدِّين كما عن جماعة من الأصحاب: ٣٨٢
- تعطيل الحدود يؤثر في التكوين والتشريع: ٣٨٣
- موقف زينب العقيله عليها السَّلام من وجوب الثَّار: ٣٨٤
- استمرار برنامج الثَّار والثوره: ٣٨٧
- ما وَرَدَ في الإذن بلُّ والحثُّ على الأخذ بثَّار الحسين عليه السَّلام: ٣٨٨
- طلب الثَّار لآل مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وسلم: ٣٩٠
- القسم الثامن: الجهاد الموساتي: ٣٩١
- اشاره ٣٩١
- أولاً: التغيرات الثبوتية - الماهوية - : ٣٩٣
- ثانياً: التغيرات الإثباتية: ٣٩٣
- أعظم المواساه مواساه أبي الفضل عليه السلام: ٣٩٤
- المقدسات ركن الدين ٣٩٨
- جهاد بلا دم: ٣٩٨
- سلاح السَّلام لا الاستسلام: ٣٩٩
- الدفاع عن المقدسات واجب من أصول الاعتقاد ٤٠١
- وليس من مستحبات الشريعة: ٤٠١
- اشاره ٤٠١
- بِسَارَةٍ وَنَدَارَةٍ: ٤٠٤
- ركنيه الأراضى المقدسه ٤٠٤

- الأرض المُقدَّسه: ..... ٤٠٦
- نتائج مهمه من الآيات المتقدمه - ..... ٤٠٩
- اشاره ..... ٤٠٩
- الدِّفاع عَنُ المُقدَّسات بتعظيم باب حطه: ..... ٤١١
- منهجيه تربويه يرسمها رسول الله(صلى الله عليه و آله): ..... ٤١٣
- كيف تقدسهم ..... ٤١٥
- العناصر الكليه لخرطه مسؤوليات العصر الراهن ..... ٤٢٥
- اشاره ..... ٤٢٥
- قاعده:إعداد القوه: ..... ٤٢٥
- قاعده: (كلكم راغ) وعموم المسؤوليه على الجميع: ..... ٤٢٦
- قاعده: الصبر لايعنى الجمود: ..... ٤٢٦
- قاعده: للوفاء مواطن: ..... ٤٢٦
- قاعده:ضروره توازن القوى مع العدو: ..... ٤٢٧
- المعصوم لنا قدوه: ..... ٤٢٧
- مقاطع مختاره ..... ٤٢٩
- اشاره ..... ٤٢٩
- عقيدته البداء أهم مقومات النشاط الدينى و السياسى و الاجتماعى للأئمه عليهم السلام. .... ٤٣٣
- الإيمان بالبداء فى النتائج و التداعيات المترتبه على الحدث ..... ٤٣٦
- التفاؤل رجاء بسعه البداء ..... ٤٣٧
- الفتح الحسينى ..... ٤٣٨
- فى معنى المجلس ..... ٤٤٠
- قاعده إعداد القوه ..... ٤٤٢
- برنامج التقيّه الأمتيه و الإعداد الخفى (الذكى) ..... ٤٤٢
- الحذر أنواع و مراتب ..... ٤٤٣
- جدليته حفظ النظام الثابت و الإصلاح المتغير ..... ٤٤٤
- الوسطيه فى المسير و المسار ..... ٤٤٦

- ٤٤٦ ..... معنى نسبيته الحقيقه
- ٤٤٧ ..... الوفاء مع أهل الغدر غدر عند الله
- ٤٤٧ ..... نظريه تخدام القواعد
- ٤٤٧ ..... اشاره
- ٤٤٨ ..... المعنى الصحيح لمفهوم الانتظار
- ٤٥٢ ..... إرهابات الظهور
- ٤٥٢ ..... الرايات المناهضة لمشروع السفيناني
- ٤٥٢ ..... (القيام بالمسؤوليه)
- ٤٥٣ ..... الرايات المهده للسفيناني
- ٤٥٣ ..... الشيصباني
- ٤٥٣ ..... حكومه بنى العباس
- ٤٥٤ ..... السفيناني و داعش و بأجوجو مأجوج وجوه لعمله واحده
- ٤٥٦ ..... شخصيات فى مسرح الظهور نفاق الإيمان (البترية)
- ٤٥٦ ..... على طرفى نقيض
- ٤٦١ ..... الجهاد الدفاعى
- ٤٦١ ..... اشاره
- ٤٦٦ ..... ركنيه الأراضى المقدسه
- ٤٦٩ ..... باب حطه
- ٤٧٠ ..... كيف نقدهم
- ٤٧٤ ..... أخيرا هذا الكتاب
- ٤٨٣ ..... فهرس الكتاب
- ٥٠٦ ..... تعريف مركز

## التوحيد في المشهد الحسيني و انعكاسه على خارطة مسؤوليات العصر الراهن

### اشاره

سرشناسه : سند، محمد، ١٣٤٠-

عنوان و نام پديدآور : التوحيد في المشهد الحسيني و انعكاسه على خارطة مسؤوليات العصر الراهن /محمد سند.

مشخصات نشر : قم: سعيدبن جبير، ١٣٨٤، = ٢٠٠٥م، = ١٤٢٦ق.

مشخصات ظاهري : ٤٨٠ص.

يادداشت : عربي.

موضوع : احاديث شيعه -- قرن ٤ق.

موضوع : توحيد -- احاديث

رده بندي كنگره : BP١٢٩/الف ٢ت ٩٠٢١٧ ١٣٩٥

رده بندي ديويي : ٢٩٧/٢١٢

ص : ١

### اشاره



تعد النهضه الحسينيه من أهم المنعطفات التاريخيه التي أحييت الدين الإسلامى فى مرحله حساسه و خطيره كادت تودى بأهم أسسه و معالمه الإلهيه ، لأن الله تعالى يابى إلما أن يتم نوره من خلال النهضه العظيمه و التضحيه الكبيره التي قام بها الإمام الحسين عليه السلام، مع ثله من خيريه أصحابه.

فهى نهضه إصلاحيه، تربويه، علميه، توعويه، فكريه، عقائديه، معرفيه، سياسيه، اجتماعيه...استطاعت أن تغيّر الكثير من مجريات التاريخ و مختلف الأحداث، و بقيت حيّه طرّيه حيويه مدى الدهور و القرون، و ستبقى كذلك، لأنها متوافره على جميع المقومات الإيجابيه للخلود.

هكذا نهضه حريه بالبحث و التنقيب و الدراسه و التحقيق، بشكل منهجى تخصصى يتناول مجمل الأبعاد و الاثار و التأثيرات لهذه النهضه القدسيه.

من هذا المنطلق، و لأجل تحقيق هذه الأهداف بأفضل وجه قامت الأمامه العامه للعتبه الحسينيه المقدسه بإنشاء مؤسسه وارث الأنبياء للدراسات التخصصيه فى النهضه الحسينيه، لكى تغطّى أكبر مساحه من القضايا المتعلقة بالنهضه الحسينيه المباركه.

و قد قامت المؤسسه بالعمل الدؤوب على تأسيس مجموعه من الأقسام و المشاريع الحسينيه التخصصيه، منها:

١- قسم التحقيق، و العمل فيه جار على تحقيق موسوعه حول التراث المكتوب عن الإمام الحسين عليه السلام و نهضته المباركه، ما يشمل المقاتل و التاريخ و السيره و غيرها، و سواء التي كانت بكتاب مستقل أو ضمن كتاب. و كذا العمل جار في هذا القسم على متابعه المخطوطات الحسينيه التي لم تطبع إلى الان، لجمعها و تحقيقها، ثم طباعتها و نشرها.

٢- قسم التأليف، و العمل فيه جار على تأليف كتب حول الموضوعات الحسينيه المهمه التي لم يتم تناولها بالبحث و التنقيب أو التي لم تعط حقها من ذلك، كما و يتم استقبال الكتب الحسينيه المؤلفه خارج المركز و متابعتها علميا و فنيا من قبل اللجنه العلميه، و بعد إجراء التعديلات و الإصلاحات اللازمه يتم طباعتها و نشرها.

٣- مجلّه الأصلاح الحسنی، و هي مجلّه فصلیه متخصصه فی النهضه الحسينيه، تهتم بنشر معالم و افاق الفكر الحسيني، و تسليط الضوء على تاريخ النهضه المباركه و تراثها، و كذلك إبراز الجوانب الإنسانيه و الاجتماعيه و الفقيهيه و الأدبيه في تلك النهضه المباركه.

٤- قسم ردّ الشبهات، و يتم فيه جمع الشبهات المشاره حول الإمام الحسين عليه السلام كلمات الإمام الحسين عليه السلام في مختلف العلوم و فروع المعرفه، ثم تبويبها حسب التخصصات العلميه، و وضعها بين يدي ذوي الاختصاص، ليستخرجوا لنا نظريات علميه واضحه تمازج بين كلمات الإمام الحسين عليه السلام و الواقع العلمی.

٥- قسم دائره معارف الإمام الحسين عليه السلام، و هي موسوعه تشتمل على كل ما

٦- يرتبط بالنهضة الحسينيه من أحداث و وقائع و مفاهيم و رؤى و أسماء أعلام أماكن و كتب و غير ذلك من الأمور، مرتبه حسب حروف الألف باء، كما هو معمول به فى دوائر المعارف و الموسوعات، و على شكل مقالات علميه رصينه تراعى فيها كل شروط مقاله العلميه، و مكتوبه بلغه عصريه و بأسلوب سلس و مقروء.

٧- قسم الرسائل الجامعيه، و العمل فيه جار على إحصاء الرسائل الجامعيه التى كتبت حول النهضأ الحسينيه و متابعتها من قبل لجنه علميه متخصصه، لرفع النواقص العلميه و تهيئتها للطباعه و النشر. كما و يتم إعداد موضوعات حسينيه تصلح لكتابه رسائل و أصاريح جامعيه تكون بمتناول طلاب الدراسات العليا.

٨- قسم الترجمة، و العمل فيه جار على ترجمه التراث الحسيني باللغات الأخرى إلى اللغه العربيه.

٩- قسم الرصد، و يتم فيه رصد جميع القضايا الحسينيه المطروحه فى الفضائيات و المواقع الإلكترونيه و الكتب و المجالات و غيرها، مما يعطى رؤيه واضحه حول أهم الأمور المرتبطه بالقضيه الحسينيه بمختلف أبعادها، و هذا بدوره يكون مؤثراً جداً فى رسم السياسات العامه للمؤسسه، و رفد بقيه الأقسام فيها، و كذا بقيه المؤسسات و المراكز العلميه بمختلف المعلومات.

١٠- قسم الندوات، و يتم من خلاله إقامه ندوات علميه تخصصيه فى النهضه الحسينيه، يحضرها الباحثون و المحققون و ذوو الاختصاص.

١١- قسم المكتبه الحسينيه التخصصيه، حيث قامت المؤسسه بإنشاء مكتبه حسينيه تخصصيه تجمع التراث الحسيني المطبوع.

و هناك مشاريع أخرى سيتم العمل عليها قريباً إن شاء الله تعالى.

التوحيد هو أساس العقيدة الإلهية و ركنها الحصين، و عليه تبني جميع الأصول الأخرى، و منه تتفرع تفاصيل المعتقد، لذلك فإنّ البحث عن التوحيد و في التوحيد يعتبر بحثاً محوريا و مفصليا للعقيدة الإلهية، و قد حاز أهم المراتب التحقيقية العلميه في مجمل مفاصل العقيدة.

ثم إنّ التوحيد تاره يبحث كعقيدته نظريه لها ارتباط وثيق بحياه الإنسان، و أخرى يبحث كظاهرة حياتيه يعيشها الفرد المؤمن، و إذا أردنا أن نسلط الضوء على النوع الثاني نجد أنّ حياه المعصوم هي أفضل بيان و أتمّ مظهر لعقيدته التوحيد، من هنا جاء هذا الكتاب عزيزي القارى لبيان مظاهر التوحيد بتمامها و أتمّها في حياه شخصيه ورثت تمام صفات الأنبياء و المرسلين، فكانت المظهر الأبرز لتوحيد الله تعالى.

و قد احتوى هذا الكتاب على مظاهر توحيديه عديده مع تحليلات علميه و ربط دقيق و عميق بين مفاصل الحياه التي تحكمها العقيدة و المنطق و البرهان، و قد حاز هذا الكتاب على قبول واسع من مختلف شرائح المجتمع العلميه و الثقافيه، ممّا أدى إلى نفاذه من الأسواق في فتره قياسيه، فكان لا بد من إعادة طبعه في حلّه جديده، ليكون بمتناول يد الباحثين و المحققين.

نسأل الله تعالى أن يبارك لنا في أعمالنا إنّهُ سميع مجيب.

اللجنه العلميه في

مؤسسه وارث الأنبياء.

للدراستات التخصصيه في النهضه الحسينيه.

العلم والقراءة والكتابة بالقلم، قواعد المجدد، ومفاتيح التنزيل، وديباجه الوحي، ومشرق القرآن الكريم، بها يقوم الدين، و تدوّن الشرائع، و تحيي الأمم، و تبنى الحضارات، و يكتب التاريخ، و يرسم الحاضر والمستقبل، و بها تمتاز المجتمعات، و تختلف الثقافات، و يوزن الإنسان، و يتفاضل الناس، و يزهو و يفتخر بعضهم على البعض الآخر.

في ضوء هذه القيم و المبادئ السامية، و من منطلق الشعور بالمسؤولية، و بالتوكل على الله تبارك و تعاليه بذلت الأمانة العامه للعبه الحسينيه المقدّسه جهودا كبيره و اهتمامات واسعه لدعم الحركه العلميه و الفكرية و الثقافيه، و تطوير جوانب الكتابه و التأليف و التحقيق و المطالعته، و ذلك عن طريق الاهتمام بالشؤون الفكرية، و افتتاح المؤسسات و مراكز الدراسات العلميه، و بناء المكتبات التخصصيه، و التواصل مع الأساتذه و العلماء و المفكرين، و تشجيع النخب و الكفاءات و الطاقات القادره على بناء صروح العلم و المعرفة.

و تعد مؤسسه وارث الأنبياء للدراسات التخصصيه في النهضه الحسينيه في النجف الأشرف و قم المقدسه، امتدادا لتلك الجهود المباركه، و قد عملت منذ تأسيسها و بأقسامها و وحداتها المتنوّعه على إثراء الواقع العلمى و الفكرى، و ذلك من خلال تدوين البحوث، و تأليف الكتب و تحقيقها و نشرها، و إصدار المجلات و التخصصه، و المشاركه الفاعله مع شبكه التواصل العالميه، و إعداد الكوادر العلميه القادره على مواصله المسيره.

و من تلك الأمور المهمه التي تصدّت مؤسستنا المباركه للقيام بها و تفعيلها بشكل واسع في إطار وحده التأليف و التحقيق - هي الاهتمام بنشر - التراث العلمى و التناج الفكرى و الكتابات التخصصياً للعلماء و المحققين و الباحثين، و ذلك بهدف فسح المجال و فتح الأبواب و النوافذ أمام قراء الفكر، و طلاب العلم و الحقيقه.

و من تلك التناجات العلميه القيمه، هذا السفر المائل بين يديك عزيزى القارى، و هو كتاب (التوحيد فى المشهد الحسينى) و هو عبارأه عن بحوث لسماحه الفقيه المحقق آيه الله الشيخ محمد السند (دامت بركاته) بقلم الشيخ رافد الزبيدى.

و يعتبر هذا العمل من الأعمال المهمه فى الأوساط العلميه، حيث تناول أبعادا معرفيه عميقه فيما يرتبط بعقيدته التوحيد من خلال المشهد الحسينى، كاشفاً بذلك زوايا جديده لهذه النهضه المباركه. و تعدّ هذه الرؤيه و هذه الرؤيه و هذه القراءه فريده من نوعها حيث قامت على تحليل الحركه الحسينيه تحليلاً - كلامياً فى سياق التوحيد، و المقصود من التوحيد جميع مظاهره التى تتجلى فى مجمل العقائد الإلهيه. و سيلمس هذا المعنى القارى بوضوح إذا ما طالع الكتاب مطالعه فاحصه و دقيقه.

و فى الختام تمنى دوام التوفيق لجميع خدمه الإمام الحسين عليه السلام و خدمه القضيه الحسينيه، و نسأل الله تعالى أن يبارك لنا فى أعمالنا إنه سميع مجيب.

اللجنه العلميه فى

مؤسسه وارث الأنبياء.

للدراستات التخصصيه فى النهضه الحسينيه.

ص: ٨

الكثير كتب عن الإمام الحسين، والكثير قرأ الملحمة الحسينيه، ومن الطبيعي أن تتفاوت القراءات، لتفاوت الأفهام، ومن الاعتيادي أن نجد الكثير من القراءات الغيبه للحركه الحسينيه، كما لا نعدم وجود الكثير من القراءات السطحيه الساذجه، في مقابل ذلك نجد القليل من القراءات العقائديه الصحيحه لحركه سيد الشهداء، التي تتجاوز السطح وتغور في العمق الفكري والتحليلي، وأقل من ذلك القراءات التوحيديه لمسرح عاشوراء.

ولعل من باب الحمل على الصحه - لمن وقف على السطح ولم يتجاوزه - هو أنه توهم أن سبر الأغوار معرفياً في واقعه كربلاء، يكون من الاجتهاد مقابل النص - أي نص الحسين؛ لأنه عليه السلام صرح بسبب الخروج أمام الاستفهامات المتنوعه، وأسباب اصطحاب النساء والأطفال وغيرها، وما دام قد صرح فلماذا التحليل والتعليل، فالقضيه تعبديه؟!.

والناظر الفطن يرى ذلك أيضاً، ولكنه لا يختصر الفتح المحمدي على يد الحسين بذلك البعد الواحد، فنجد أن مثل شيخنا الأستاذ المحقق محمد السند يرى أن بعض تلك الأجوبه تُبين بعض زوايا الحقيقه لا كلها، تتناسب مع مستوى إدراك السامع، ومن هنا أفاض شيخنا الأستاذ في أهميه الرؤيه التوحيديه، والقراءه المنظوميه لواقعه كربلاء، بتحليل الحركه الحسينيه من خلال قراءتها قراءه كلاميه في سياق التوحيد، وهي تشكّل قراءه توحيديه

مُبتكره فيتناول واقعه كربلاء وحرکه الحسين (عليه السلام).

والتوحيد المقصود في هذا البحث، ليس التوحيد كيفما اتفق، بل هو التوحيد الذي يشكّل رأس الهرم للمعارف الدينيه عموماً، ابتداءً من أصول الدين مروراً بالفضائل الأخلاقيه وانتهاءً بفروع الدين - وهذا بحثٌ ذاته يحتاج إلى شرح ليس هذا محله -

ولذا فإنه قد يستغرب القارئ الكريم لأنه عندما ينظر إلى عنوان الكتاب وهو (التوحيد في المشهد الحسيني) يتصور أن الحديث سيكون عن معاني التوحيد، وأن الحسين من خلال قتاله وشهادته وحيد الله، وبذلك ينبغي أن تكون العناوين تحمل عنوان التوحيد أو ما هو قريب من هذا المعنى، وإذا بالقارئ يجد نفسه أمام مفردات وعناوين - كأنها - لا صلة لها بعنوان الكتاب لأن عنوان الكتاب هو (التوحيد في المشهد الحسيني) وعناوين بحث الكتاب تتحدث عن البداء، ولكن بعد القراءة والتأمل سيرى أن الإيمان بالبداء هو مظهر من مظاهر التوحيد بل من أعظمها لأن الحديث الشريف يقول: «ما عبَدَ الله بشيء مثل البداء»<sup>(١)</sup>، وكذلك «ما عَظُمَ الله بمثل البداء»<sup>(٢)</sup>.

فإذن البداء عبوديه وتوحيد عملي واعتقادي، ثم أنه قد يبدو استغراب آخر وهو أن عناوين البحوث الرئيسيه تتحدث عن البداء بينما نجد العناوين الفرعيه تتحدث عن القضاء والقدر والجبر والتفويض والحتميه والتدبير

ص: ١٠

١- (١) الكافي: ج ١٤٧: ١؛ التوحيد: ٣٣٣.

٢- (٢) المصدر السابق نفسه.

واليقظة والحذر والمسؤولية والتفأول ...، فما هو الربط والجامع لهذه العناوين؟ فنقول:

إنَّه بالنظر البسيط وللوهله الأولى، يمكن أن يكون هناك تفرُّق وتفكك في هذه العناوين أمَّا بالدقَّة لیس هناك تفرُّق، بل هناك كمال الألفه، فإنَّ مثل التفأول وإن كان عنواناً أخلاقياً ومعنى باطنياً إلا أنه ينطوي على حسن الظن بالله والتوكُّل عليه، فيمكن أن يرتبط بالبحث من جهتين؛ وهما أن هذا المعنى الباطنى الأخلاقى، يمكن أن يكون عملاً ظاهرياً بدنياً وبالتالي يمكن أن يرتبط (التفأول) بعناوين توحيدية عديده منها التوكُّل الاعتقادى والعملى الصحيح، ومن جهة بمعنى وحقيقه التدبُّر الصحيح الذى يرتبط بحقيقه الإيمان والإرادة لدى الفرد، وهذا يتصل بمعنى الجبر والاختيار.

وبالتالى يرتسم بارتسامها معنى القضاء والقدر والبداء وتشكل منها أطر التوحيد الصحيح، كذلك (التوكُّل) فإنَّ نفس معنى التوكُّل بعنوانه الأخلاقى له حقيقه عليا وهى الإيمان بحسن التدبير وسعه القضاء والقدر الإلهيين، وله حقيقه أعلى وهى السعه الوجودية التى هى معنى البداء والبداء الأعظم الذى هو مظهر لحقيقه التوحيد الأعظم.

وعلى هذا يمكن للقارئ اللبيب أن يرجع كلَّ العناوين لجذورها العقائديه ولحقائقها التوحيدية، سواء كانت متمازجه أو منفصله، ومن سرِّ وأسرار هذه البحوث المعرفيه التى بينها أهل البيت (عليهم السلام) (ونحن نعيش على فتات موائدهم)، أنها لو دُمجت بعضها مع البعض الآخر سوف تصل بها إلى التوحيد ولو حللت التوحيد لوصلت إلى كلِّ المعانى العقائديه والأخلاقية -

قوس صعود ونزول يبدأ بنقطه ويرجع إلى نفس النقطة التي بدأ منها - .

وهذه نُكَّته وسرّ توحيدى لم يكن ليظهر لولا بيانات أهل البيت (عليهم السلام) مِنْ الوحي، ويمكن للناس أن يفهموا وينهلوا منه، إذا أحسنوا شكر النعم - شكراً عملياً - وأعظمها وأجلاها هي نعمه الولايه، قال تعالى - عَلَيَّ لسان يوسف (عليه السلام) - ( ذَلِكْ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَ عَلَى النَّاسِ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ) ١، وجدير بهذه الرؤيه أن يقرأ سيد الشهداء (عليه السلام) في منجزه مِنْ خلالها.

ثم قد يبدو هناك أستغراب ثالث :

وهو ما علاقه التوحيد في المشهد الحسينى الذى هو عنوان هذا البحث بعنوان السفينانى بين الحتم والبداء وعنوان قواعد منهجيه فى النشاط... وعنوان قواعد الجهاد الدفاعى، والعلاقه :

أن التوحيد فى المشهد الحسينى الذى هو البحث الأم - المحورى (المركزى) - يتحدث عن مراتب البداء فى مشهد الطف، وهذا البحث له كامل الصله مع بحث السفينانى بين الحتم والبداء لوجود عنصر البداء المشترك بينهما .

كما أن عنوان قواعد منهجيه فى النشاط الدينى والسياسى والاجتماعى هى قواعد تمنهج نشاط المؤمنين وخصوصاً فى الظرف الراهن - زمن غيبه الأمام (عج) -

وبالتالى هى لها علاقه ببحث السفينانى باعتبار أنها تبرمج وتنظم عمل المؤمنين فى كيفيه

مواجهه حركات الانحراف - التي منها حركة السفيناني -، كما أن قواعد الجهاد الدفاعي، تبين نشاط المؤمنين في الجانب العسكري في كيفية مواجهه حركات الانحراف - عسكرياً - أذا وجدت مبررات الجهاد العسكري .

فأذن قواعد النشاط المؤمنين الوظيفي الديني السياسي والاجتماعي والعسكري لها أبعاد في مواجهه حركات الانحراف والفتن وخصوصاً فتنه السفيناني وكل هذه البحوث الثلاثة محورها مشهد الطف؛ لان التوحيد في المشهد الحسيني عنوان كلي مهيمن يمنهج كل نشاطات المؤمنين بشكل نظم منظومي هيمنى ترابطى .

وهنا أمور مهمه تتصل بمنهج البحث ينبغي بيانها للقارئ الكريم وحاصلها:

أولاً: إنَّ الميخ الأساس لهذا البحث هو جواب سؤال مفاده: إنَّ الحسين (عليه السلام) كان يعلم بقتله، ومع ذلك نراه - كأنه - يتصرف على عكس ما يعلم، حيث قاتل قتال الموعود بالنصر ودبر إداره الأحداث تدبير المتطلع للنصر القريب، وليس الموعود بالقتل، وكانت الأجوبه قد توزعت على شكل مباحث.

ثانياً: إنَّ هذا البحث عبارته عن خمس محاضرات ألقاها سماحه الأستاذ المحقق آية الله الشيخ محمد السند في مجلس

درسه المبارك في الصحن الحيدري الشريف في مسجد عمران بن شاهين ابتداءً من ٢٥ ذي الحجة لسنة ١٤٣٣هـ - لغايه ٢٩ منه فبدأ تدوين البحث في محرم لسنة ١٤٣٤ وتمّ الانتهاء منه في ربيع الآخر لسنة ١٤٣٥هـ، وقد شكّلت المحاضرة الأولى منه مدخلاً للبحث.

ثالثاً: إنّ هذا البحث تقارير مباشرة لما أفاده الشيخ الأستاذ في مجلس درسه، وكان تبييض هذه التقارير يستدعي إعادته صياغه لمفردات البحث تقديماً وتأخيراً ونحوها، ضروره الاختلاف بين الدرس الملقى والبحث المكتوب، مضافاً إلى إحالته النصوص إلى مصادرها.

وأيضاً نتيجة المراجعة المستمرة مع سماحه الأستاذ المحقق (دام ظله) تمّ إضافته العديد من الأفكار والموضوعات إلى البحث الأساس.

ولا أنسى أن أتقدّم بالشكر لأستاذي (دام ظله) الذي منحني من وقته وجهده، وأيضاً أشكر كل من ساعدني في إخراج هذا الكتاب.

هذا وابتهل إلى العليّ القدير أن أكون قد وفّقت في تقرير دروس شيخنا الأستاذ بالمستوى اللائق في بيان أفكاره، وإيصالها إلى القارئ الكريم مصونه عن كلّ لبس، وأن يعفو عن زلاتي وأخطائي، بحق محمد وآل محمد.

والحمد لله رب العالمين بدءاً وختاماً.

بحث التوحيد في المشهد الحسيني كان منبثقاً ومتولداً من سؤال عن السبب الذي ولد النشاط المتزايد للأمام الحسين (عليه السلام) في معركة الطف.

وهناك ثلاثة أجوبه عباره عن فصول ثلاثة تدور حول الإجابة عن السؤال - كل جواب في مبحث - .

وجميع الأجوبه - الثلاثة - تشير إلى سبب واحد هو الذي ولد ذلك النشاط وهو (البداء)، ولكن الأجوبه اختلفت في مستوياتها تبعاً لاختلاف مستويات البداء، فالجواب الأول - الذي في الفصل الأول - يشير إلى أن سبب النشاط المتزايد هو البداء الأعظم، لأنَّ القتل لسيد الشهداء (عليه السلام)، وأن كان محتوماً، إلا أنَّ ذلك الحتم هو لما دون من العوالم كلوح القضاء والقدر، أما عالم المشيئه فهو عالم أوسع يمكن من خلاله حدوث البداء المعروف ولذا أسميناه بالبداء الأعظم .

أما الجواب الثاني - الذي في الفصل الثاني - فقد فسر سبب النشاط الحسيني بالبداء، ولكن ليس البداء الأعظم، بل البداء في تفاصيل الواقعه - الجزئيه - وتم توضيح الجواب من خلال شواهد من حياه المعصومين (عليهم السلام)، فقد كان فعل رسول الله (صلى الله عليه و آله) مع أصحابه وأعدائه في أحيان كثيره بلحاظ سعيه لحصول البداء في مرتبته الجزئيه، فقد كان يفعل ذلك مع الكفار والمنافقين وكان يربى أصحابه على ذلك، وهو أدب إلهي وتربيته إلهيه قبل أن تكون تربيته

نبويه، كما حصل في فعل الله مع إبليس، وهكذا كان فعل أمير المؤمنين (عليه السلام) في حروبه - في مقارعتة للأبطال - وفي صبره حين غُصبت منه الخلافة.

كذلك تتضح الإجابة أكثر في نشاط الأمام الصادق (عليه السلام) فقد رسم لنا ضوابط في المعرفه الثاقبه بالقضاء والقدر، وقد تم من خلال ذلك معرفه أين تكمن موقعيه النشاط وأين هي موقعيه الرضا والصبر، وأين ومتى يكون الإلحاح في الدعاء ومتى يكون الرضا والسكون .

أيضاً يمكن تفسير النشاط الحسيني من خلال سلوك الأمام الغائب (عج)، بل وفي سلوك أنصاره ووزراءه - لكن بشكل معاكس لأنهم موعودون بالنصر وليس بالقتل -، وكيف أنهم خائنون رغم حتميه النصر وأن شجاعتهم لاتنافى حذرهم، وأن شجاعتهم شجاعه تدبير لا - شجاعه على المستوى الفردي، بل أن الأمر يصل إلى أهميه ذلك التدبير في حياه المؤمن حين يأمره المعصوم (عليه السلام) أن يكون من أحلاس البيوت، فيظهر أن معنى الحلس هو كمال اليقظه والحذر مع الثبات في بيت المنهج والعقيده وبذلك نترجم فلسفه النشاط الحسيني في مشهد الطف من زاويه وجهه أخرى تختلف عن الأولى .

وبعد أن يتم توضيح الجواب الثاني تصل النوبه إلى الجواب الثالث، حيث لم يفسر النشاط الحسيني بالبداء الأعظم، ولم يفسره بالبداء في تفاصيل الواقعه، بل فسره بالبداء في النتائج، حيث كان نشاطه - بهذا التفسير - لرسم أفضل النتائج الغير محسومه ولا محتومه .

وفي هذا الجواب يتم استعراض نشاط المعصومين (عليهم السلام) مع أصحابهم بحثاً عن أفضل النتائج التي لا حسم ولا حتم فيها، ويتم استعراض القاعده

النبويه العظيمه (تفاءلوا بالخير تجدوه)، وهى قاعده عظيمه وواضحه فى سلوك المعصومين (عليهم السلام)، بل هى عظيمه النتائج فى حياه كل الناس لو أحسنوا فهمها وتطبيقها، وكيف أنّها تصنع المعجزات فى حياه الأفراد والأمم .

ثم نعرض بعد ذلك على المضايق التى مرت فى الإسلام، والتى لولا- تدبير النّبى (صلى الله عليه وآله) والوصى (عليه السلام) والأوصياء الاثنى عشر (عليهم السلام) لما بقى للإسلام أسم ولا رسم، وكيف أنّهما حرصا بتدبير استنفارى متواصل رغم وعد الله بالنصر لهما ولدين الإسلام وأن الله سيظهره على الين كله .

كذلك فى الجواب الثالث بيان توضيحي للمعلم الجبرى اليهودى وللمعلم التفويضى، وكيف أنّ التوحيد فى مشهد الطف كشف زيف كلا- المنهجين، ثم كيف حول الهزيمه إلى نصر والغصه إلى فرصه، وكيف تحقق له النصر فى الابتلاء الإلهى بنجاحه فى مراتب الابتلاء الإلهى، ثم فى آخر البحث تسليط الضوء على الفتح الحسينى .



(مباحث فى العقيدته)

وفيه ثلاثه فصول:

الفصل الاول: البداء الاعظم

الفصل الثانى: حتميه القضاء والقدر فى مفهوم النهضه الحسينيه

الفصل الثالث: لاحسم سابق ولاحتم فى التداعيات بدون امكانيه البداء

ص: ١٩



المدخل:

انفتحت مباحث هذا الكتاب عن سؤال عن مشهد من مشاهد عاشوراء، والسؤال هو:

إننا نرى المعصوم سواء سيد الأنبياء (صلى الله عليه وآله) أو أهل بيته (عليهم السلام) يتفاعل مع الحدث وكأنه ليس هناك من أمر محتوم، بل يسعى وكأن النتيجة غير محسومه وغير محتومه، فيما تشير الأدلة إلى أن الله أطلعهم على ما كان وما يكون من الأحداث التي تجري عليهم، فنجد أن فعلهم كأنه فعل من لم يعلم أو يرجو غير ما علم.

ولذا يُقال إن الله لا يُطلع الناس على مصائرهم؛ لأنه يؤدي بهم إلى الجمود والشلل أمّا بسبب الإياس لأنهم - بحسب الاطلاع المُشار إليه - سوف ينتهون إلى جهنم، أو بسبب الفرح والبطر لأنهم سوف يذهبون إلى الجنة.

القرآن الكريم يخبرنا عن بعض الأنبياء مثل (نوح أو يونس أو غيرهم) (عليهم السلام)، أنه أصابهم فتور نسبي بسيط في التدبير وهو ما يُسمى (ترك الأولى)، وليس هو من المعصية التي يرتكبها الناس، وذلك بسبب العلم بما سيكون، فيونس (عليه السلام) ترك الأولى، حيث كان الأولى أن لا يفعل ذلك رغم أنه لم يرتكب محرماً، كان الأولى أن لا يترك قومه بعيداً أن علم وأخبر بوقوع

العذاب عليهم، كذلك نوح بَعِيدٌ أَنْ أَخْبِرَهُ اللَّهُ بِنَجَاتِهِ هُوَ وَأَهْلُهُ أَخَذَ يَطْلُبُ مِنَ اللَّهِ نَجَاهُ ابْنَهُ، قَالَ تَعَالَى: (وَ نَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ) (١).

أَيُّ أَنْ وَعْدَكَ حَقًّا لَا- ريب فيه وأنت وعدتني بنجاه أهلي، وأن ابني من أهلي، فلماذا لا- ينجو؟ فأتاه الجواب: (إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ) (٢) (فَلَا تَسْتَلِنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ) (٣).

أما أهل البيت (عليهم السلام)، فالأمر مُخْتَلَفٌ تماماً، فنلاحظ سلوكاً معرفياً سطره سيد الشهداء من خلال الطّف، تأخذ منه الأفراد والمُجتمعات والدول مفهوماً توحيدياً، وهكذا كل المعصومين (عليهم السلام) فهذه سيّد الأوصياء في كلّ حرّكاته وفي كلّ حروبه، ولو نظرت في معركة الجمل - مثلاً - كَانَ يُقَاتِلُ مِنْ جِهَةِ الْحَيْطَةِ وَالْحَذَرِ قِتَالَ مَنْ لَا يَقِينُ لَهُ بِالنَّصْرِ رَغْمَ يَقِينِهِ بِالنَّصْرِ.

والأمر أوضح بكثير في سيره سيّد الأنبياء حيث كَانَ يُجَاهِدُ وَيُكَابِدُ مُنْذُ بَدَأَ الدَّعْوَةَ إِلَى رَحِيلَةِ الْمُبَارَكِ، رَغْمَ الْبَشَارَاتِ الْكَثِيرَةِ الْكَثِيرَةِ بِالنَّصْرِ، كَمَا نَقَرْنَا - فِي زيارته - : «السَّلَامُ عَلَى الْمَنْصُورِ الْمُؤَيَّدِ...» (٤).

بَلْ هُوَ مَوْعُودٌ بِالْفَتْحِ وَإِظْهَارِ الدِّينِ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، قَالَ تَعَالَى: (لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) (٥) مَعَ ذَلِكَ نَرَاهُ يُجَاهِدُ وَيُكَابِدُ، وَكَأَنَّهُ لَمْ يَخْبِرْ

ص: ٢٢

١- (١) سورة هود: الآية ٤٥.

٢- (٢) سورة هود: الآية ٤٦.

٣- (٣) نفس الآية السابقة.

٤- (٤) المزار: ٢٠٦.

٥- (٥) سورة التوبة: الآية ٣٣.

بشيء، فهل هذا تصنع وتمظهر، أم ماذا؟

الجواب: إنَّ النشاط والحركة الدؤوبه الَّتِي أبداها الحسين (عليه السلام) في معركة الطف، والَّتِي أُخبر فيها مِنْ قِبَل جده رسول الله (صلى الله عليه و آله)، بأنَّه مقتول في هذه المعركة يعود إلى أمور عديده، يمكن أن نجعلها أجوبه تفسيريه لنشاطه اللامتناهي وحيويه تحرّكه عنفوانياً، ومثابرتة المتوقّده (عليه السلام)، والسطور القادمه تتكفّل عرض هذه الأجوبه.

ص: ٢٣



## الفصل الأول : البداء الأعظم

اشاره

ص: ٢٥



إنَّ الإيمانَ بالبداةِ الأعظمِ فى أصلِ الشهادةِ وأصلِ الحدثِ والواقعةِ والنقطةِ المركزيَّةِ وحسنِ الظَّنِّ بسعةِ رحمتهِ اللهُ، هُوَ الذى وُلِدَ النشاطُ اللامتناهَى للحسينِ عليه السلامُ فى عرصه كربلاءَ، فالإيمانُ بالبداةِ الأعظمِ مولدٌ ومُفجِّرٌ لعنفوانِ الرجاءِ وتدفعُ الأملَ بالخيرِ.

وهذه معرفة بالغه وقراءه نيره للتوكل بالله تعالى والرجاء لرحمته تفوق الإيمان بالقضاء والقدر.

وهذا الجواب إجمالى، ولا بدَّ من بسط الكلام بشكل تفصيلى ولكن قبل البسط، لا بدَّ من بيان لمعنى البداء.

البداة فى اللُّغة (١): «بدا الشىء بدواً وبداءً أى ظهر ظهوراً بيّناً، قال تعالى: (وَ بَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ) (٢)».

والبداة فى الاصطلاح عِدَّة معانى منها هُوَ ظهور الشىء من الله تعالى لمن يشاء من خلقه بَعْدَ إخفائه عنهم، أى أبدى الله تعالى شأن أو حكم

ص: ٢٧

---

١- (١) المفردات، مادّه (بدا): ٤٥.

٢- (٢) سورة الزمر: الآيه ٤٧.

تبعاً لمصلحه العبد، ومنها البدء معنى يساوق النسخ، فالبدء نسخ تكويني.

وومنها البدء بحسب ما نرى هُوَ السعه الوجوديه، قال الله تعالى: (وَ كَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا) (١)، وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ سَعَةِ قُدْرَتِهِ وَعِلْمِهِ وَرَحْمَتِهِ وَأَفْضَالِهِ.

فعن أمير المؤمنين (عليه السلام) أَنَّهُ قَالَ: لَوْلَا آيَةٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ لِأَخْبَرْتَكُمْ بِمَا كَانَ وَبِمَا يَكُونُ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهِيَ هَذِهِ الْآيَةُ: (يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) (٢)(٣).

وهناك آيات كثيرة تشير إلى أنواع ومراتب البدء لأن بعضها يتحدث عن بدء الخلق، قال تعالى: (أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَ لَمْ يَكُ شَيْئًا) (٤)، وكذلك قوله تعالى: (وَ هُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ) (٥)، ويقول: (بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) (٦)، ويقول عَزَّ وَجَلَّ: (وَ بَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ) (٧). وَهُوَ نَوْعٌ بَدَأَ لِأَنَّ مُطْلَقَ الْمَخْلُوقِ أَوْ الْإِنْسَانَ أَوْ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَمْ تَكُ ثُمَّ كَانَتْ، وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: (يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ) (٨). فَهِيَ الْبَدَاءُ فِي الزِّيَادَةِ فَإِنَّ هُنَاكَ خَلْقَ وَاللَّهُ يَبْدُو لَهُ فِي زِيَادَتِهِ.

ص: ٢٨

١- (١) سورة النساء: الآية ١٣٠.

٢- (٢) سورة الرعد: الآية ٣٩.

٣- (٣) الاحتجاج: ج ٢٥٨ : ١؛ بحار الأنوار: ج ٩٧ : ٤.

٤- (٤) سورة مريم: الآية ٦٧.

٥- (٥) سورة الروم: الآية ٢٧.

٦- (٦) سورة البقرة: الآية ١١٧.

٧- (٧) سورة سجده: الآية ٧.

٨- (٨) فاطر: الآية ١.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَ آخِرُونَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ) (١)، فَإِنَّ الإِرْجَاءَ نَوْعٌ مِنَ الْبِدَاءِ وَمَرْتَبَةٌ مِنْهُ مُخْتَلِفَةٌ عَنِ الْمَرَاتِبِ الْآخَرَى، فَهِيَ لَيْسَ فِي بَدْءِ الْخَلْقِ وَلَا فِي الزِّيَادَةِ فِي الْخَلْقِ، بَلْ هِيَ فِي الإِرْجَاءِ لِأَمْرِ اللَّهِ فَإِمَّا أَنْ يُعَذِّبَهُمْ أَوْ يُعْفُو عَنْهُمْ، وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَ مَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَ لَا يُنْقَصُ مِنْ عُمْرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ) (٢). فَهُوَ لِأَجْلِ بَيَانِ أَنَّ زِيَادَةَ عُمْرٍ أَوْ نَقْصَانَهُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِكِتَابٍ وَإِنَّ أَمْرَ الْكِتَابِ بِيَدِهِ تَعَالَى إِنْ شَاءَ زَادَ فِي الْكِتَابِ عُمْرَهُ فَيَزِيدُ فِي الْوَاقِعِ الْخَارِجِيِّ أَوْ نَقَصَ فِي الْكِتَابِ فَيَنْقُصُ (٣).

وَقَدْ أُشِيرَ إِلَى بَيَانِ ارْتِبَاطِ هَذِهِ الْآيَاتِ بِالْبِدَاءِ فِي حَدِيثِ سَلِيمَانَ الْمَرْوَزِيِّ مَعَ الْإِمَامِ الرِّضَا (عَلَيْهِ السَّلَامُ): قَالَ سَلِيمَانُ: لِأَنَّهُ قَدْ فَرِغَ مِنَ الْأَمْرِ فَلَيْسَ يَزِيدُ فِيهِ شَيْئًا.

قَالَ الرِّضَا (عَلَيْهِ السَّلَامُ): هَذَا قَوْلُ الْيَهُودِ فَكَيْفَ قَالَ تَعَالَى: (ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) (٤).

قَالَ سَلِيمَانُ: إِنَّمَا عَنِي بِذَلِكَ إِنَّهُ قَادِرٌ عَلَيْهِ.

قَالَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): أَفَيْعِدُ مَا لَا يَفِي بِهِ، فَكَيْفَ؟

قَالَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): (يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ) وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ (يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) وَقَدْ فَرِغَ مِنَ الْأَمْرِ فَلَمْ يَجِدْ جَوَابًا (٥).

وَلَعَلَّهُ يَكُونُ هُنَاكَ اسْتِغْرَابٌ مِنَ التَّعْرِيفِ الَّذِي قَدَّمْنَاهُ، فَإِنَّ الْآيَةَ الَّتِي

ص: ٢٩

١- (١) سورة فاطر: الآية ١.

٢- (٢) سورة التوبة: الآية ١٠٦.

٣- (٣) وهذه الآيات في معنى البداء مقتبسه من مناظره الإمام مع سليمان (متكلم خراسان) حيث سأله عن آيات البداء فأورد هذه الآيات السبع مبيناً من خلالها إن البداء أنواع ومراتب.

٤- (٤) سورة فاطر: الآية ١١.

٥- (٥) عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج ١٩٩: ١؛ بحار الأنوار: ج ٣٣٦: ١٠.

تذكر في تعريف البداء - بحسب نصّ الروايات (١) - هي: (يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) (٢).

فإنّ معنى السعه لم يتّضح من بيان الآيه، فهل تعريفنا مُخالف لبيان الآيه ومفاد الروايات، أم ماذا؟

فنقول: ليس هناك مخالفه، كما أنّ كلّ روايه ليست في معرض بيان التعريف الكامل للبداء، بل لتوضيح زاويه وجهه من جهات البداء الذى خصّ في روايات أخرى بأعظم وصف، ففي صحيح زوّاره عن أحدهما (عليهما السلام): «ما عبّد الله بشيء مثل البداء» (٣). وفي صحيح هشام بن سالم عن أبي عبد الله (عليه السلام): «ما عبّظم الله بمثل البداء» (٤).

ويظهر ممّا تقدّم أنّ للبداء - بحسب الآيات والروايات - جهات وزوايا عديده يمكن أن يُعرف بها، وهي تُشير للسعه الوجوديه، قال تعالى: (وَ السَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ) (٥).

فالوجود الواسع يهيمن على الوجود الضيق، والوجود الأوسع يهيمن على الواسع وهكذا، كلّ واقعيه تغرق ما هو دونها من الواقعيات فيها، فإذا كان حكم من الأحكام التكوينيّه تولّد تبعاً لموضوعه فإذا جاء الموضوع الأعلى

ص: ٣٠

١- (١) الكافي: ج ١٤٦: ١؛ فقه الرضا: ٤٥.

٢- (٢) سوره الرعد: الآيه ٣٩.

٣- (٣) الكافي: ج ١٤٧: ١؛ التوحيد: ٣٣٣.

٤- (٤) المصدر السابق.

٥- (٥) سوره الذاريات: الآيه ٤٧.

هيمن على الأدنى وكان حكمه هو النافذ وزال الحكم الأول.

إذن الإيمان بالبداء الأعظم واحتمال التغيير، هو الذي ولد النشاط اللامتناهي للإمام الحسين (عليه السلام)، حيث إنه يتوقع حدوث البداء في كل لحظه وفي كل آن، فكل شيء واقع تحت سلطه وهيمنه الباري القدير الواسع اللامتناهي، يمكن أن يتغير كل شيء في (كن فيكون)، كما في الروايه عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: «ما بدا لله بداء كما بدا له في إسماعيل أبي إذ أمر أباه بذبحه، ثم فداه بذبح عظيم» (١).

فليس هناك قانون حتمي فوق سلطان الله وهيمنته ولو كان هو عالم القضاء والقدر، وليس هناك قدره حتميه تفوق قدره الله، ولا حاكم على الله بل هو أحكم الحاكمين، قال تعالى: (أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ) (٢).

### نتائج مهمه في الجبر والاختيار

يترتب على هذا الجواب بالصياغه المذكوره عدّه نتائج مهمه:

(١) إعلان رفض كامل للمعلم الجبري - وهو معلم يهودي - حيث رفضه القرآن بعيد بينه بقوله تعالى: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ) (٣).

(٢) إن القلم لم يجف ولن يجف، وأن القدره واسعه وليست ضيقه.

(٣) إن الله تعالى غير مسلوب القدره، والاعتقاد بالبداء، هو اعتقاد

ص: ٣١

١- (١) التوحيد: ٣٣٦؛ بحار الأنوار: ج ١٠٩ : ٤

٢- (٢) سورة التين: الآية ٨.

٣- (٣) سورة المائدة: الآية ٤٦.

(٤) إنَّ نشاط الحسين (عليه السلام) عبارته عن رجاء، وتعطيل شيء من النشاط يعنى تعطيلاً لعنوان الرجاء، فلا بُدَّ أن يبقى مع بقاء عنوان الخوف بموازاته كموازته بين الخوف والرجاء - كما نصت الروايات - .

(٥) النشاط الحسيني يشير إلى العبادة الحقيقيه العمليّه، فيكون السكون والبرود شرك بالله، نَعَمْ هُوَ شَرِكٌ خَفِيٌّ وَلَيْسَ بِجَلِيٍّ.

(٦) الحسين (عليه السلام) لم يتجاوز قانون الأسباب والمسببات من خلال نشاطه وحركته الدؤوبه فى الطّف، بل كَانَ يَرْجُو بِمُكَابِدِهِ التَّدْبِيرَ وَالتَّوَكَّلَ سَبَباً فَوْقَ الْأَسْبَابِ وَسَبَباً مُسَبَّباً مِنْ قَبْلِ مُسَبِّبِ الْأَسْبَابِ.

(٧) الحسين (عليه السلام) ينطق بفعله وسيرته ويرسم بتفاعله لنا، مبدأ الأمر بين الأمرين، ويُريد بيان إنَّ المؤمن بين دعامتى الخوف والرجاء والرغبه والرهبه بين الأمان واللا أمان، بين الحتم واللاحتم، لا أمان ولا لا أمان، بل أمر بين أمرين.

(٨) منهاج كربلاء يرفض المسلك الجبرى الذى يُحدِّد ويُقيِّد قدره الله، وَمِنْ الْمُؤَلَّفَاتِ لِلنَّظَرِ أَنَّ الْقَائِلَ إِنَّ كُلَّ الْأُمُورِ وَالْمُمَارَسَاتِ تَحْتَ سُلْطَانِ وَهَيْمَنِ اللَّهِ، قَدْ وَقَعَ فِي الْجَبْرِ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ، عِنْدَمَا تَصَوَّرُ عَدَمَ التَّغْيِيرِ وَعَدَمَ الْبَدَاءِ.

(٩) منهاج كربلاء يرفض التوجّه الجبرى فى كلمات قالها ابن عربى فى فصوصه - وإنَّ كُنَّا لَا نُرِيدُ تَقْيِيمَ الْأَشْخَاصِ بِقَدْرِ تَقْيِيمِ الْمَنَاجِحِ - لِأَنَّهُ فِي كَثِيرٍ مِنْ تَصَوُّرَاتِهِ لِلْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ الْإِلَهِيِّ يُرِيدُ أَنْ يَصَوِّرَ لَنَا أَنَّ مُحَاوَلَةَ نَسْبِهِ إِلَى شَيْءٍ لِغَيْرِ اللَّهِ هُوَ شُرْكٌ وَفِرَاقٌ مِنْهُ، مِنْ الشَّرِكِ - حَسَبَ تَصَوُّرِهِ - وَذَهَاباً لِلتَّوْحِيدِ

الخالص وقع في محذور الجبر من حيث لا يشعر وهو منطق (يد الله مغلوله) وهو أعظم محاذير الجبر، وليس كما يُظن أن أعظم محاذيره إلقاء العبد.

(١٠) منهاجه (عليه السلام) القول باختياريه العبد التي هي في طول قُدره واختياريه الله وتحت هيمنه الله، فيكون القول باختياريه المخلوق ضمن القدره الإلهيه أعظم توحيداً من نفي ذلك.

(١١) إنَّ مسأله الأمر بين الأمرين ليست مُختصه بأفعال المخلوقين، بل هي قاعده ونظام وجودي في كُُلِّ علاقته بين الخالق والمخلوق، وفي كُُلِّ وجوده وشؤوناته وجوده المُتَّصله بخالقه هي أمر بين أمرين، وهذا هو دين التوحيد الخالص الذي رسمه لنا أهل البيت (عليهم السلام).

### جدلية العلاقة بين الإبرام والبداء

عَنْ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وآله) في وصاياه لعلي (عليه السلام): «الصدقة تردُّ القضاء الذي قد أُبرم إبراماً» (١)، والبرم كما يقول الراغب الأصفهاني: «الإبرام إحكام الأمر، قال تعالى: (أَمْ أُبْرِمُوا أَمْراً فَإِنَّا مُبْرِمُونَ) (٢) وأصله من إبرام الحبل وهو ترديد فتله قال الشاعر: «علَى كُلِّ حالٍ مِنْ سحيلٍ ومبرمٍ» والبريم المُبرم أي المفتول فتلاً مُحكماً» (٣).

وعَنْ حماد بن عثمان، قال: سمعته يقول: «إنَّ الدُّعاء يرد القضاء

ص: ٣٣

١- (١) مَنْ لا يحضره الفقيه: ج ٤، ٣٦٨؛ مستطرفات السرائر، لابن إدريس: ٦٢٠.

٢- (٢) سورة الزُّخرف: الآية ٧٩.

٣- (٣) المفردات، مادّه (برم): ٤٩.

وينقضه كما ينقض السلوك وقد أبرم إبراماً»(١).

كذلك عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَنَانَ، قَالَ: سَمِعْتُ الْإِمَامَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، يَقُولُ: «الدُّعَاءُ يَرُدُّ الْقَضَاءَ بَعْدَمَا أُبْرِمَ إِبْرَامًا، فَكَثُرَ مِنَ الدُّعَاءِ، فَإِنَّهُ مِفْتَاحُ كُلِّ رَحْمَةٍ، وَنَجَاحُ كُلِّ حَاجَةٍ، وَلَا يُنَالُ مَا عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا بِالْدُّعَاءِ، وَإِنَّهُ لَيْسَ بَابٌ يَكْثُرُ قَرَعُهُ إِلَّا يَوْشِكُ أَنْ يُفْتَحَ لَصَاحِبِهِ»(٢).

وأيضاً عن الإمام أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «إِنَّ الدُّعَاءَ يَرُدُّ الْقَضَاءَ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ لِيَأْتِيَ الذَّنْبَ فَيَحْرَمُ بِهِ الرِّزْقَ»(٣).

وَوَرَدَ فِي الدُّعَاءِ بَعْدَ زِيَارَةِ الْإِمَامِ الرِّضَا (عَلَيْهِ السَّلَامُ): «أَسْأَلُكَ بِالقُدْرَةِ النَافِذَةِ فِي جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ وَقَضَائِكَ الْمُبْرَمِ الَّذِي تَحْجِبُهُ بِأَيْسَرِ الدُّعَاءِ»(٤).

فإذن الإبرام هو الإحكام، وإبرام القضاء يعني إحكامه، من الله إحكاماً، فهل يتصور زواله وتبدله والبداء فيه؟! هذه الروايات تقول، نعم، حتى القضاء المبرم إبراماً وليس فقط المبرم، يمكن البداء فيه.

هكذا كان يعيش أهل البيت في علاقاتهم مع الله، ليس في الأوقات العصيبة فقط، بل في كل أوقاتهم يعيشون حاله الأمر بين الأمرين، وحاله التوازن بين الخوف والرجاء.

وَمِنْ الْأَمْثَلَةِ الَّتِي تُذَكِّرُ فِي هَذَا الْمَجَالِ قِصَّةَ قَوْمِ يُونُسَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، قَالَ تَعَالَى: (فَلَوْ لَا كَانَتْ قُوَّةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ

ص: ٣٤

١- (١) الكافي: ج ٤٧٠ : ٢.

٢- (٢) الكافي: ج ٤٧٠ : ٢.

٣- (٣) بحار الأنوار: ج ٥٥ : ٩٩.

٤- (٤) شرح نهج البلاغة : ج ٣١٩ : ٢٠.

فَالآيَه تَبَيَّنَ أَنَّ أَقْوَامَ الْأَنْبِيَاءِ الْعُصَاهِ مِنْ كُلِّ الْقُرَى بَعِيدَ عَصِيَانِهِمْ لِأَنْبِيَانِهِمْ وَعَدَمَ اسْتِجَابَتِهِمْ لِدَعْوَةِ الْأَنْبِيَاءِ قَدْ تَدْرَكَهُمْ لِحِظَاتِ الْإِيمَانِ وَلَكِنَّ الْقُرْآنَ يَقُولُ إِنَّ إِيْمَانَهُمْ لَا يَنْفَعُ، لِمَاذَا؟ لِأَنَّهُ بَعْدَ فَوَاتِ الْأَوَانِ (بَعْدَ أَنْ عَايَنُوا نَزُولَ الْعَذَابِ)، مَعَ يَأْسِهِمْ وَعَصِيَانِهِمْ، إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لِمَا آمَنُوا كَشَفَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاهِ الدُّنْيَا.

### قوم يونس:

فِي تَفْسِيرِ (عَلَى بْنِ إِبْرَاهِيمَ) أَبِي عَنِّ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ عَنِّ جَمِيلٍ، قَالَ: قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): «مَا رَدَّ اللَّهُ الْعَذَابَ إِلَّا عَن قَوْمِ يُونُسَ، وَكَأَنِّي يُونُسَ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَيَأْبُونَ ذَلِكَ، فَهَمَّ أَنْ يَدْعُو عَلَيْهِمْ وَكَأَنَّ فِيهِمْ رَجُلَانِ عَابِدَ وَعَالِمٍ، وَكَانَ اسْمُ أَحَدِهِمَا مَلِيخَا وَالْآخَرُ رَوْبِيلٌ، فَكَانَ الْعَابِدُ يَشِيرُ عَلَى يُونُسَ بِالِدَعَاءِ، وَكَانَ الْعَالِمُ يَنْهَاهُ، وَيَقُولُ: لَا تَدْعُ عَلَيْهِمْ فَإِنَّ اللَّهَ يَسْتَجِيبُ لَكَ وَلَا يَحِبُّ هَلَاكَ عِبَادِهِ، فَقبل قول العابد ولم يقبل قول العالم، فدعا عليهم، فأوحى الله إليهم: يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فِي سَنَةِ كَذَا وَكَذَا. فَلَمَّا قَرَبَ الْوَقْتَ خَرَجَ يُونُسَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) مَعَ الْعَابِدِ وَبَقِيَ الْعَالِمُ فِيهَا، فَلَمَّا كَانَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ نَزَلَ الْعَذَابُ، فَقَالَ الْعَالِمُ لَهُمْ: يَا قَوْمَ افْزَعُوا إِلَى اللَّهِ فَلَعَلَّهُ يَرْحَمُكُمْ فَيُرْدِي الْعَذَابَ عَنْكُمْ، فَقَالُوا: كَيْفَ نَفْعَلُ؟ قَالَ: اخْرُجُوا إِلَى الْمَفَازَةِ وَفَرِّقُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَالْأَوْلَادِ وَبَيْنَ الْإِبِلِ وَأَوْلَادِهَا وَبَيْنَ الْبَقَرِ وَأَوْلَادِهَا وَبَيْنَ الْغَنَمِ وَأَوْلَادِهَا ثُمَّ أَبْكُوا وَادْعُوا، فَذَهَبُوا وَفَعَلُوا ذَلِكَ وَضَجُّوا وَبَكَوْا، فَرَحَمَهُمُ اللَّهُ وَصَرَفَ ذَلِكَ عَنْهُمْ

ص: ٣٥

وقطعا الروايه حين تقول العابد يشير على يونس بالدعاء عليهم لا يعنى ان النبي (صلى الله عليه و آله) كان له مشوره فيها يخص امر الوحي، بل النبي يتصرف بحسب وحى السماء، وبحسب ما أعطى من صلاحيات - لو صح التعبير - وأما دعاءه على قومه فهذا أمر طبيعي جداً كما دعا كثير من الأنبياء على أقوامهم بالهلاك عندما استحقوا المجازاه بالعناد واللجاج، نعم هو (عليه السلام) ترك الأولى الذي هو الصبر أكثر، ولذلك يوصى القرآن نبينا (صلى الله عليه و آله): (وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ) (٢).

وهنا روايه تُبين أن البداء بالرحمه الإلهيه شمل قوم النبي (صلى الله عليه و آله) كما شمل قوم يونس (عليه السلام)، عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر (عليه السلام) فى قوله: (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها)، قال: الناسخ ما حول وما ينسها مثل الغيب الذى لم يكن بعد كقوله: (يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) قال: فيفعل الله ما يشاء ويحول ما يشاء مثل قوم يونس إذ بدا له فرحمهم، ومثل قوله: (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ) ، قال: أدركتهم رحمتهم»(٣).

إذن العذاب رُفِعَ عَنْ قوم يونس وقد أبرم إبراماً حيث أظلمهم قريباً منهم لأنهم تضرعوا ودعوا ربهم دعاء المضطر، والله يجب المضطر إذا دعاء ويكشف السوء، فهم كانوا فى موقف المتفائل برحمه الله غير اليائس، وهو إيمان

١- (١) تفسير القمى: ج ٣١٧: ١.

٢- (٢) سورة القلم: الآية ٤٨.

٣- (٣) تفسير العياشى: ج ٥٥: ١؛ بحار الأنوار: ج ١١٦: ٤.

عظيم بعظمه تدابير الله، وبالتالي هُوَ إيمان بعظمه الله؛ لأنَّ التعظيم خُلق عظيم ينحدر عَن عقيدته صحيحه، وعظمه ذلك إِنَّهم عندما نظروا مُقدِّمات العذاب، وقد تحقَّقت أجزاء منها وإنَّ المُخبر بالعذاب صادق؛ لأنَّه نبي مِن الأنبياء مَعَ ذلك ظنَّوا أَنَّ الله أعظم مِن ذلك وَمِن الأسباب الطبيعيه.



## الفصل الثّاني: حتميه القضاء والقدر في مفهوم النهضه الحسينيه

اشاره

ص: ٣٩



إنَّ الحسم والحتم في أصل الواقع والحدث والتقدير الكُلِّي والعنوان الكُلِّي لما يحدث، لا- يعنى الحسم والحتم في العنوان الجزئي؛ أي في التفاصيل الجزئية لملازمات الحدث والواقع، فيمكن الحركة والحراك والنشاط في صياغه وقوع التفاصيل للحدث، بنحو تقلل من نتائج خساره، وتصاعد أرقام الفتح والكيفيات الإيجابية في الظروف المحيطه بالواقع، وبذلك يتصاعد عنفوان النشاط والحراك والرجاء ويرقى تفاؤل الخير بتصاعد الأمل، وهذه معرفه عميقه وقراءه ثاقبه لمعنى التوكُّل بالله تعالى والرجاء لرحمته تفوق الإيمان بالقضاء والقدر.

وهذا الجواب (الثاني) يحتاج إلى بيان وهو:

إنَّه لا بدَّ أن نعرف معنى الحتمية والحتم، فالحتمية تعنى فيما تعنيه إنَّ الإنسان لیس له إرادته في رسم مصيره، إنَّما أمره محتوم ومكتوب منذ الأزل، وقد جرى القلم بما كان وما يكون فلا تغیر ولا تبدل، فقد جف القلم.

ولهذا الاتجاه مدارس كثيره وحقيقه هذا الاتجاه قديماً وحديثاً ترجع إلى المسلك الجبرى، ولعلَّ بعض الاتجاهات الصوفيه وقعت من حيث تشعر أو لا تشعر في عقيدتها بالإرادته الإلهيه في مسلك الحتمية الجبرى، وهم يتصورون

أنه من المراتب العاليه للتوحيد.

مقابل هذا المسلك الجبرى مسلك آخر على الضد تماماً، وهو مسلك الإراده المطلقه للإنسان وأن الإنسان بيده كل شيء، وأن إرادته الإنسان كفيله بتغيير وجه الأحداث وتغيير مجرى التاريخ، وليس من إرادته فوق إرادته الإنسان، وهذا المسلك هو المنتشر اليوم عند ما يُعرف بالحدائث، فأهل الحدائث والعلمانيون يرون الأصالة للإنسان ولا يرون فوق الإنسان أو الواقع المنظور شيئاً آخر، وهذه هي النظره التفويضييه التي ترى أن كل شيء تحت إرادته الإنسان ومفوض له كل شيء.

### حتميه البداء:

بين الحتميه الجبريه من جهه، والتفويضييه من جهه أخرى، هناك حقيقه أخرى، ونظره ثالثه، وهي حتميه البداء وبدائيه الحتم - وهنا نُكته لطيفه ينبغى الالتفات إليها - فحتميه البداء لا ترى حتماً وحسماً في شيء، إلا للبداء فيكون كل شيء خاضع لحتميه البداء فلا حتميه إلا له، أو قل - بعبارة أخرى - إن الحتميات تنصهر في الحتميه الكبرى (حتميه البداء)، الحتم الأصغر يدوب في الحتم الأكبر للبداء - لا جبر ولا تفويض لكن أمر بين أمرين - .

وهذا الجواب - الثاني - يختلف عن الجواب الأول، ذلك لأن الجواب الأول يرى البداء في الأمر الكلي، وهذا الجواب ناظر للبداء في الأمر الجزئي، فمفاده أنه مع التنزل عن الجواب الأول واعتبار الحتم في القضية الحسينيه بعنوانها الكلي، فلا يوجب ولا يستدعى ذلك الحسم والحتم في الأمر الجزئي - وبعبارة - إذا كان هناك حتم في الأمر إجمالاً فليس هناك حتم في الأمر تفصيلاً وتعييناً لمصاديقه.

منّ المعلوم لدى جميع المسلمين، وكما صرّح القرآن الكريم بذلك أكثر من مرّه أنّ ليله القدر، ليله يكتب فيها للإنسان ما يجرى عليه فى سنته، قال تعالى: (فيها يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) (١).

منّ جهه أخرى وَرَدَ أنّ هُناك بعض القضايا المُهمّه المفصليّه تكتب على الإنسان فى ليله الخامس عشر من شعبان - ليله ولاده الإمام الثّانى عشر (عج) -، كما أنّ هُناك روايات تشير إلى أنّ بعض الأمور تكتب فى ليالى الجمعات، بل وفى كُلِّ ليله، فهل هُناك تنافى أو تدافع بين هذه الأمور الأربعة...؟

وفى مقام الجواب نقول: لیس هُناك منّ تدافع أو تنافٍ، بل أنّ هُناك تناسباً بين هذه الموارد فإنّ الأمر ينزل فى ليله القدر كُلياً - جملياً - ثمّ يفصل فى ليالى الجمعات أو فى كُلِّ ليله، وهَذَا شبيه بما تقدّم من أنّ الأمر إذا كَانَ حتمياً من حيثه الكُلِّى فليس منّ اللازم حتميته من حيثه الجزئى، فلو طبقنا ذَلِكَ على قضيه الإمام الحسين (عليه السلام) وافترضنا أنّ قتله كَانَ مُحْكَمًا أو حتمياً لا يتغير ولا بداء فيه، فهَذَا لا يعنى أنّ القتل فى عرصه كربلاء مكان محتوم، ولا يعنى أنّ العاشر أيضاً زمن محتوم للقتل فيمكن فيه البداء أيضاً، ولو تنزلنا وَقُلْنَا أنّ قتله فى الزمان والمكان المُعَيَّن أيضاً منّ المحتوم الذى لا بداء فيه، فإنّهُ فى أىّ ساعه منّ ساعات النَّهار غير محتوم وكيفيه القتل غير محتومه بنحو لا-بداء فيها، ما هُوَ العدد الذى يبقى معه؟ كم يقتل منهم؟ ما هى أسماءهم؟ ما هُوَ عدد السبايا؟ ما هُوَ دورهم؟ كُلُّ ذلك غير محتوم.

ص: ٤٣

كذلك الله عَزَّ وَجَلَّ أَحْكَمَ فِي لَيْلِهِ الْقَدْرَ ثُمَّ فَصَّلَ فِي اللَّيَالِي الْأُخْرَى، فَيَكُونُ الْإِحْكَامُ الْكَلِّيَّ عَيْنَ التَّفْصِيلِ الْجَزْئِيِّ رَغْمَ إِمْكَانِ الْبَدَاءِ فِي الْجَزْئِيِّ، فَلَا تَدَافِعُ. وَالْقُرْآنُ الْكَرِيمُ يَصِفُ نَفْسَهُ بِقَوْلِهِ: (كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَبِيرٍ) (١).

وَهَذَا مَا يَتَّضِحُ بِجَلَاءٍ مِنْ خِلَالِ مَنَازِرِهِ لِلْإِمَامِ الرِّضَا (عَلَيْهِ السَّلَامُ) مَعَ سَلِيمَانَ الْمَرْوُزِيِّ (مَتَكَلَّمَ خِرَاسَانَ) وَهِيَ مَنَازِرُهُ طَوِيلَةٌ جَدًّا أوردنا منها موضع الفائدة المتصلة بالمقام: -

«ثُمَّ التفت إلى سليمان، فقال: أحسبك ضاهيت اليهود في هذا الباب.

قال: أعوذ بالله من ذلك، وما قالت اليهود؟

قال: قالت اليهود: (يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ) يعنون: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ فَرَّغَ مِنَ الْأَمْرِ فَلَيْسَ يَحْدُثُ شَيْئًا، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: (غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَ لُعِنُوا بِمَا قَالُوا) وَلَقَدْ سَمِعْتُ قَوْمًا سَأَلُوا أَبِي مُوسَى بْنَ جَعْفَرٍ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عَنِ الْبَدَاءِ، فَقَالَ: «وَمَا يَنْكُرُ النَّاسُ مِنَ الْبَدَاءِ وَأَنْ يَقِفَ اللَّهُ قَوْمًا يَرْجِيهِمْ لِأَمْرِهِ» (٢).

وكذلك في: قال: سليمان: ألا تخبرني عن (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) فِي أَيِّ شَيْءٍ أَنْزَلْتَ؟.

قال الرضا(عليه السلام): «يا سليمان ليله القدر يُقَدَّرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا مَا يَكُونُ مِنَ السَّنَةِ إِلَى السَّنَةِ مِنْ حَيَاةٍ أَوْ مَوْتٍ أَوْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ أَوْ رِزْقٍ، فَمَا قَدْرُهُ فِي تِلْكَ السَّنَةِ فَهُوَ مِنَ الْمَحْتَمِ» (٣).

ص: ٤٤

١- (١) سورة هود: الآية ١.

٢- (٢) التوحيد: ٤٤١؛ عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ج ١٧٩: ١.

٣- (٣) عيون أخبار الرضا: ج ١٧٩: ١؛ بحار الأنوار: ج ٣٢٩: ١٠ - ٣٣٨.

وَمِنَ الْمَعْلُومِ إِنَّ الْحَتْمَ هُنَا لَيْسَ الْحَتْمَ الْمُطْلَقَ وَإِلَّا كَانَ كَقَوْلِ الْيَهُودِ، فَإِنَّ اللَّهَ فِيهَا - لِيْلَهُ الْقَدْرُ - الْبَدَاءُ مِنْ قَبْلِ مَا هُوَ فَوْقَهَا، كَمَا فِي الرَّوَايَةِ الْآتِيَةِ.

عَنْ حَمْرَانَ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عَنْ: (يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) .

فَقَالَ: يَا حَمْرَانُ: «إِنَّهُ إِذَا كَانَ لِيْلَهُ الْقَدْرُ وَنَزَلَتِ الْمَلَائِكَةُ الْكِتَابَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَكْتُبُونَ مَا يُقْضَى فِي تِلْكَ السَّنَةِ مِنْ أَمْرٍ، فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُقَدِّمَ شَيْئًا أَوْ يُؤَخِّرَهُ أَوْ يَنْقُصَ مِنْهُ أَوْ يَزِيدَ أَمْرَ الْمَلِكِ فَمَحَا مَا يَشَاءُ ثُمَّ أَثَبَّتَ الَّذِي أَرَادَ.

قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: عِنْدَ ذَلِكَ فَكُلُّ شَيْءٍ فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ فِي كِتَابٍ؟

قَالَ: نَعَمْ.

فَقُلْتُ: فَيَكُونُ كَذَا وَكَذَا ثُمَّ كَذَا وَكَذَا حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى آخِرِهِ.

قَالَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): نَعَمْ.

قُلْتُ: فَأَيُّ شَيْءٍ يَكُونُ بِيَدِهِ - بَعْدَهُ - ؟

قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، ثُمَّ يَحْدُثُ اللَّهُ أَيْضًا مَا شَاءَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى» (١).

وَهَذِهِ الرَّوَايَةُ تَفْسِّرُ الرَّوَايَةَ السَّابِقَةَ الَّتِي قَالَتْ: إِنَّ مَا قَدَرَ فِي لِيْلِهِ الْقَدْرُ، هُوَ مِنْ الْمَحْتَمِ.

فَإِذَنْ الْحُكْمُ الْكُلِّيُّ (الْفَوْقَانِي) يَنْزِلُ فِي لِيْلِهِ الْقَدْرُ، وَفِي دَاخِلِ هَذَا الْحُكْمِ أَوْ الْأَمْرِ الْمُحْكَمِ كَلِمَاتٌ أَقْلٌ إِحْكَامًا تَنْزِلُ كُلُّ لِيْلِهِ جَمْعَهُ - مَثَلًا -، ثُمَّ فِي كُلِّ لِيْلِهِ تَفَاصِيلٌ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ، فَالْجَزْئِي اللَّيْلِيُّ - لَوْ صَحَّ التَّعْبِيرُ - يَنْضَوِي تَحْتَ الْكُلِّيِّ الْأَسْبُوعِيِّ، وَالْكُلِّيُّ الْأَسْبُوعِيُّ يَنْضَوِي - يَطْوِي - فِي الْمُحْكَمِ الْأَكْبَرِ الَّذِي هُوَ لِيْلَهُ الْقَدْرُ، لِأَنَّ الْكُلِّيَّ الَّذِي يَكْتُبُ عَلَى الْإِنْسَانِ فِي كُلِّ لِيْلِهِ جَمْعَهُ، هُوَ كَلِيٌّ مِنْ جِهَةِ مَا هُوَ تَحْتَهُ - أَيُّ مَا يَكْتُبُ فِي اللَّيَالِي الْأُخْرَى -، وَلَكِنَّهُ جَزْئِيٌّ وَلَيْسَ كَلِيًّا وَمُفْصَلًا وَلَيْسَ مُحْكَمًا، مِنْ حَيْثُ الْكُلِّيُّ الْفَوْقَانِي الْأَكْبَرُ الَّذِي هُوَ فِي لِيْلِهِ الْقَدْرُ.

ص: ٤٥

١- (١) تفسير العياشي: ج ٣١٦: ٢؛ بحار الأنوار: ج ١١٩: ٤.

يمكن تصوّر اجتماع الحتم الكُلّي مَعَ البداء الجزئي في القضية الحسينيه بعدّه تصورات:

التصوّر الأوّل: أن يكون اجتماع الحتم والحسم بالقتل لسيد الشهداء (عليه السلام)، مَعَ عدم الحتم والحسم في المكان (مكان القتل) هَيْلٌ هُوَ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَوْ فِي الْمَدِينَةِ أَوْ فِي الْيَمَنِ أَوْ فِي الصَّحْرَاءِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، فَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ الْحَتْمَ وَالْحَسْمَ بِالْأَمْرِ الْكُلِّيِّ، إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ مِنْ حَسْمٍ وَحْتَمٍ فِي اخْتِيَارِ الْمَكَانِ الْمُنَاسِبِ الَّذِي يَحَقِّقُ لِسَيِّدِ الشَّهَدَاءِ الْفَتْحَ.

التصوّر الثاني: أن يكون الحتم والحسم في الأمر الكُلّي، وَهُوَ الْقَتْلُ وَكَذَلِكَ فِي الْمَكَانِ وَهُوَ كَرْبَلَاءَ، وَلَكِنْ لَيْسَ هُنَاكَ حَسْمٌ وَحْتَمٌ فِي الزَّمَانِ، فَالزَّمَانُ الْمُنَاسِبُ يَخْتَارُهُ سَيِّدُ الشَّهَدَاءِ لِتَحَقُّقِ أَعْلَى الْمَكَاسِبِ الْمُسْتَقْبَلِيَةِ، وَهَذَا الْمَسْتَوَى مِنْ الْبَدَاءِ ذَكَرْتَهُ مِضَامِينَ رَوَايَاتٍ عَدِيدَةٍ مِنْهَا، عَنْ أَبِي حَمَزَةَ الثَّمَالِيِّ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): إِنَّ عَلِيًّا (عَلَيْهِ السَّلَامُ) كَانَ يَقُولُ: إِلَى السَّبْعِينَ بَلَاءً وَكَانَ يَقُولُ: بَعْدَ الْبَلَاءِ رِخَاءٌ «وَقَدْ مَضَتْ السَّبْعُونَ وَلَمْ نَرِ رِخَاءً!».

فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): «يَا ثَابِتُ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَانَ وَقَّتَ هَذَا الْأَمْرَ فِي السَّبْعِينَ، فَلَمَّا قَتَلَ الْحُسَيْنَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَيَّ أَهْلَ الْأَرْضِ فَأَخَّرَهُ إِلَى أَرْبَعِينَ وَمِائَةٍ سَنَةٍ فَحَدَّثْنَاكُمْ فَأَذَعْتُمُ الْحَدِيثَ وَكَشَفْتُمْ قِنَاعَ السَّرِّ فَأَخَّرَهُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ وَقْتًا عِنْدَنَا: (يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) .

قال أبو حمزه:

وقلت ذلك لأبي عبدالله (عليه السلام) فقال: قد كان ذاك» (١).

التصور الثالث: الحتم والحسم في الأمر الكُلِّي وَهُوَ القتل، وافترض أمراً آخرأ وَهُوَ الحسم والحتم أيضاً في الزمان والمكان، ولكن ليس هناك حسم وحتم في الكيفية، فهناك قتله فاضحه لبنى أميّه وهناك قتله خفيّه لا- يتعرّف عليها ولا- يتفاعل معها أحد، هناك قتله حارّه وهناك قتله بارده ليس فيها إثارة وتحريك للضمائر، فالحسين (عليه السلام) يختار القتل الحارّه الفاضحه لبنى أميّه فالبداء في الكيفية بحسب هذه الصورة.

التصور الرابع: الحتم والحسم إذا كان في القتل وفي مكانه وكونه في أرض كرب وبلاء، وإذا كان في زمانه المُعَيَّن، فلا حسم ولا حتم في الأسلوب والطريقة، فهناك أسلوب يؤدّي بنتيجته إلى إضعاف بنى أميّه شيئاً فشيئاً، وهناك قتله لا تضعفهم ولا تُبين زيفهم.

أيضاً يمكن أن نتصور البداء فيمن يقاتل الحسين ومن يقتل معه، فعن أبي عبدالله (عليه السلام) أنه سُئِلَ عَنْ قول الله عَزَّ وَجَلَّ: (ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ) (٢) فلم يدخلوها ودخلها الأبناء أو قال: أبناء الأبناء» (٣). فهذه الروايه تصوّر لنا أنّ البداء لم يكن في الأمر الكُلِّي، وَهُوَ دخول الأرض المُقدسه، بل

ص: ٤٧

١- (١) الغيبه للطوسى: ٤٢٨؛ بحار الأنوار: ج ١١٤ : ٤ ح ٣٩.

٢- (٢) تفسير العياشى: ج ٢٢٠ : ٢؛ بحار الأنوار: ج ١٢١ : ٤.

٣- (٣) تفسير العياشى: ٣٠٣؛ بحار الأنوار: ج ٢٥٦ : ٥.

كَانَ فِي الْجَزَائِي وَهُوَ الْأَفْرَادِ الدَّاخِلُونَ.

وَهُنَاكَ صُورٌ أُخْرَى، يُمْكِنُ أَنْ تُتَصَوَّرَ لِلْبَدَاءِ الْجَزَائِي الْمُجْتَمِعِ مَعَ الْحْتَمِ الْكُلِّي نَتْرَكُهَا - اِخْتِصَارًا - لِلْقَارِئِ اللَّيِّبِ.

ص: ٤٨

## أديب الله:

بَعْدَ أَنْ بَيَّنَّا الْجَوَابَ الثَّانِيَّ أَوْ الْإِحْتِمَالَ الثَّانِيَّ لِنَشَاطِ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، فِي عَرَصِهِ كَرِبَاءً لَا بَدَّ بِشَيْءٍ مِنْ بَسْطِ الْكَلَامِ، بَيَانِ بَعْضِ الْمَفْرَدَاتِ الْحَيَاتِيَّةِ، الَّتِي كَانَتْ يَمَارِسُهَا الْمَعْصُومُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، ابْتِدَاءً مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، وَوَصُولًا إِلَى إِمَامِ الزَّمَانِ (عَج) وَخُلَصَ أَصْحَابِهِ وَأَنْصَارِهِ، حَتَّى تَتَضَحَّ الْفِكْرُ فِي الْجَوَابِ الثَّانِيَّ أَكْثَرَ، وَحَتَّى يَتَبَيَّنَ لَنَا كَيْفَ أَنَّ الْمَعْصُومَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، كَانَتْ فِي كَثِيرٍ أَحْيَانَهُ مَعَ وجودِ الْحَتْمِيَّةِ فِي الْأَمْرِ الْكُلِّيِّ كَانَتْ يَسْعَى لِحَصُولِ التَّغْيِيرِ فِي الْأَمْرِ الْجَزْئِيِّ.

فَإِنَّ النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) يَصِفُ نَفْسَهُ بِقَوْلِهِ: «أَدْبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي» (١). وَكَذَلِكَ يَقُولُ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): «أَنَا أَدِيبُ اللَّهِ وَعَلَيَّ أَدِيبِي» (٢). وَهَذَا الْقَوْلُ مِنْهُ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يُوَدَّبْ فَاطِمَةَ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) كَيْفَ وَهِيَ بَضْعَتُهُ وَرُوحُهُ وَهِيَ تَلْمِيزَةُ النَّبِيِّ الْأُولَى، وَأَدِيبَةُ النَّبِيِّ كَمَا هُوَ وَاضِحٌ مِنْ سِيرَةِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَسُنَّتِهِ، بَلْ وَمِنْ آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، قَالَ تَعَالَى: (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) (٣).

ص: ٤٩

١- (١) الطبرسي: ج ٨٧: ١؛ كنز العمال: ج ٦: ١١.

٢- (٢) مكارم الأخلاق: ١٨؛ البحار: ٢٣١: ١٦.

٣- (٣) سورة الجمعة: الآية ٢.

فعلني (عليه السلام) التلميذ الأول للمعلم الأول الذي علم الناس، بل وحتى الملائكة والمخلوقات الأخرى، وعلى (عليه السلام) هو المعلم الثاني، وفاطمه (عليها السلام)، تلميذه أولى ومعلمه ثانيه، وهكذا كل سلسله المعصومين (عليهم السلام) صالح بعقد صالح وصادق بعقد صادق، ومن الواضح أن تأديب النبي (صلى الله عليه وآله) لعلي وفاطمه (عليهما السلام)، أو أحد المعصومين للمعصوم الآخر ليس من قبيل التأديبات الخلقية المعروفة من حسن الخلق؛ لأن هذه أدنى درجات التأديب، بل التأديب هو على مستوى الظاهر والباطن، بل كل طبقات الباطن بما لا يمكن إدراكه، ولذلك المؤدب يصف خلق الأديب في الكتاب الكريم: (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) (١).

### أدبني ربي:

وإذا وصف القرآن العظيم شيء بأنه عظيم، فيا ترى ما هي عظمته...؟ (٢)، وقوله (صلى الله عليه وآله): «أنا أديب الله» (٣) فيه إشارة إلى حديث آخر، وهو قوله (صلى الله عليه وآله): «تخلقوا بأخلاق الله» (٤)، فالله جل جلاله منظومه من الخلق العالی العظيم في مقام فعله لا ذاته، وكان أعظم من طبقها وسار عليها هو النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام)، فالقرآن الكريم يكشف لنا شيئاً من تلك المنظومه الخلقية والتأديبية الإلهية

ص: ٥٠

- ١- (١) سورة القلم: الآية ٤.
- ٢- (٢) من الواضح إننا نتكلم عن المعصوم بلا تفصيل واستدلال بين باعتبار أن هذه الأمور تعد من المسلمات من جهة ومن جهة أخرى نحن لا نريد الإطالة التي تخرج بنا عن المراد.
- ٣- (٣) ميران الحكمة: ج ٦٣: ١.
- ٤- (٤) بحار الأنوار: ج ١٢٩: ٥٨.

اللامتناهيه فى العديده من الآيات، قال تعالى: (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ) (١)، فالآيه القرآنيه ترسم لنا صورته أمر الله بالسجود لآدم (عليه السلام)، وسجود الملائكه وامتناع إبليس عن السجود، ومن الواضح الجلى أن الله تبارك وتعالى يعلم بسجود الملائكه وامتناع إبليس، ولكن (لا قصاص قبل الجريمه)، فالله (لا ولن) يطرد إبليس من رحمته قبل صدور العصيان، وإن كان يعلم بصدور العصيان، وهذا أصل عظيم وقاعده أساسيه ومن مُحكمات المنظومه الخلقيه التأديبيه الإلهيه فى تعامل البعض مع البعض الآخر.

### سعه البداء فى سلوك النبى صلى الله عليه وآله وسلم:

وهذا الأصل الذى هو أحد بنود المنظومه الإلهيه الخلقيه التأديبيه طُبِّقه النبى (صلى الله عليه وآله) بشكل عجيب وغريب، وبصبر لا-مُتناهى، حيث كان يتعامل مع من يعلم بأنه مُنافق أو فاسق أو فى قلبه مرض، يتعامل معه بشكل اعتيادى، ويصبر على أفعاله، ويعطى الفرصه والفرصه والأمل فى رحمه الله ويطمع الآخرين - حتى الكافر والمنافق - فى رحمه الله الواسعه، حتى مع علمه أن هذا من أهل النار لأنه يُريد أن يُقلل - لا أقل - من درجته التسافليه.

والشواهد على هذا المسلك النبوى والتربيه المستمره منه (صلى الله عليه وآله) لأصحابه على معرفه البداء والتسليم المُطلق لأمر الله كثيره منها، حادثه صلح الحديبيه، قال تعالى: (لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ

ص: ٥١

فَتَحًّا قَرِيبًا) (١).

فإنَّ الله أرى رسوله (صلى الله عليه و آله) فى الرؤيا دخول المسجد الحرام، ولكن بدا الله فى ذلك وَهَذَا الْبَدَاءُ فى الزمن حيث اتَّفَقَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه و آله) مَعَ قَرِيشَ، أن يرجع فى عامه الذى جاء فيه عَلَى أن يعود فى عام قَابِلٍ، والقصه موجوده فى مصادر كثيره أوردنا منها الفكره المطلوبه مِنْ شاء فليراجع (٢).

وفى مناظره للإمام الرضا (عليه السلام) مَعَ سليمان المروزى - وهى مناظره طويله جداً - يُسَلِّطُ الإمام الضوء بشاهد آخر عَلَى سعه الرحمه بالبداء فى الأُمَّه.

قال سليمان: هل رويت فيه مِنْ شىء عَن آبَائِكَ؟

قال: «نَعَمْ، رويت عَن أَبِي عَن أَبِي عبد الله (عليه السلام)، إِنَّه قال: إِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ علمين علماً مخزوناً مكنوناً لا يعلمه إِلَّا هُوَ مِنْ ذَلِكَ يكون البداء وعلماً علمه ملائكته ورسوله فالعلماء مِنْ أهل بيت نبينا يعلمونه

قال صلوات الله عليه: قول الله عَزَّ وَجَلَّ لَنبِيهِ (صلى الله عليه و آله): (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ) (٣) أراد هلاكهم ثُمَّ بدا الله تعالى فقال: (وَ ذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ) (٤)، (٥).

ص: ٥٢

١- (١) سورة الفتح: الآيه ٢٧.

٢- (٢) التبيان الطوسى: ج ٣٣٠: ٩؛ مجمع البيان للطبرسى ج ١٨٠٩، سيره ابن هشام: ج ٣٣: ٣، مغازى ابن الواقدى: ج ٦٠٦: ٢ و ٦٠٩.

٣- (٣) سورة الذاريات: الآيه ٥٤.

٤- (٤) سورة الذاريات: الآيه ٥٥.

٥- (٥) التوحيد: ٤٤١؛ عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج ١٧٩: ١؛ بحار الأنوار: ج ٣٢٩: ١٠.

وخلقه العظيم يتجلى أكثر حينما كان (صلى الله عليه وآله) يمرّ بصعوبه أو ضائقه أو يُصاب بألم لحادثه مُعَيَّنَه لا يصبّ جام غضبه على الآخرين ولا يخلط الأوراق، بل ولا يبدو منه أقل التآثر وكأن شيئاً لم يكن - فكلُّ شيء عنده بمُقَدَّر -، بل على العكس يُبدي الاستبشار برحمه الله أكثر من الحال الاعتيادي.

## الحسين أمّه

القرآن يُشير لحقيقه وهي أنّ إبراهيم (عليه السلام) كان أمّه، ويمكن انتزاع معانٍ عديده من هذا المعنى (أمومه وأمميّه إبراهيم (عليه السلام) منها كونه إنسان لكلّ الناس وأمّه لكلّ الأمم، قال تعالى: (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَ لَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (١)(٢).

## مطمئنّه بقدر ك

إنّ الأئمه (عليهم السلام) خير الخلق على الإطلاق بعيد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فهم بالتالي خير من كلّ الأنبياء والمرسلين، وهم كذلك خير من جدّهم إبراهيم (عليه السلام)، فإذا كان إبراهيم أمّه، فعليّ (عليه السلام) أمّه، وإذا كانت أفعال إبراهيم (عليه السلام) أمّه، كذلك أفعال عليّ (عليه السلام) أمّه، إذا كانت شجاعه إبراهيم (عليه السلام) أمّه كذلك شجاعه عليّ (عليه السلام)، فإنّ شجاعته ليست كشجاعه الشُّجعان الآخرين، بل أنّ شجاعته أمّه - شجاعه توحيديه - عندما قاتل وقتل الأبطال وناجز الشُّجعان، ولذلك هو تاره يُعبّر أنّه ما قلعت باب خبير بقوه بشرية بل بقوه ربانيه، وتاره يتأخّر عن قتل ابن عبد ود لأنّه بصق في وجهه فلم يرد أن يقتله غضباً لنفسه، بل غضباً لربه، فإنّ يده (عليه السلام) لا تتحرك غضباً لنفسه، في تلك الظروف العصيّه، وفي ذلك

ص: ٥٣

١- (١) سورة النحل: الآية ١٢٠

٢- (٢) سورة النحل: الآية ١٢٠.

الموقف الرهيب الذى ينسى الإنسان المؤمن كلَّ شيء، وهُوَ موقف قُدْرته وهيمنه وسيطرته مِنْ جِهته وموقف سرور، وتعجل بالخير وإدخال السرور عَلَى قلوب المؤمنين، بلْ وَحَتَّى الملائكة والملائعِ الأعلَى مِنْ جِهته أُخرى.

ولنا أَنْ نتصوّر كيف كَان المُسْلِمون يُراقبون الموقف ويتعجّلون على (عليه السلام) فى قتل ابن ودّ كى يخرجوا مِنْ المضيق الصعب الذى امتحنوا فيه.

وكأَنَّ على (عليه السلام) يجيبهم: كلا وألف كلا، إِنّى قانت لربى، ولم أَكُ مِنْ المشركين شاكراً لأنعمه، أَجْتبَانِي وَهَدَانِي إِلَى صرَاطِ مستقيم، لا أَقتل إِلَّا له وحده جَلَّ جَلَالُهُ.

كَأَنَّ (عليه السلام) أُمّه فى تحمّله المسؤولىه، وفى حرّكته، يحمل الإنسانيه وهمومها بين جنبيه حين يقاتل، وحين يأكل ويشرب، حين ينام، وحين تولّى زمام الحُكومه الظاهريه، فالذهب والفضه اللذان تقاتلت عليهما الشعوب والأُمم، وأزهقت فيهما النفوس يسميهما (صفراء وبيضاء)؟! «يا صفراء ويا بيضاء غرّى غيرى»<sup>(١)</sup>، بلْ قال ذلك للدُنيا بأجمعها: «لَا حَانَ حِينُكَ، هِنَهَات! غُرّى غَيْرِي، لَا حَاجَةَ لِي فِيكَ، قَدْ طَلَّقْتُكَ ثَلَاثًا لَا رَجْعَةَ فِيهَا»<sup>(٢)</sup>.

وَمِنْ طريف ما يُقال مِنْ الكلام أَنَّ الصبى رُبَّمَا يُطلق كلمه صفراء وبيضاء، لو رأى دراهم الفضه ودنانير الذهب؛ لأنّه لا يعرف قيمه ومنفعه

ص: ٥٤

١- (١) الأملَى: ٣٥٧؛ الغارات، لإبراهيم بن مُحَمَّد الثقفى: ج ١٧٩: ١؛ روضه الواعظين: ١١٧.

٢- (٢) نهج البلاغه: ج ١٧: ٤؛ شرح الأخبار: ج ٢، ٣٩٢؛ كتر الفوائد: ٢٧٠.

الذهب والفضة؛ لأنَّه جاهل بهما، أمَّا عليٌّ فَهُوَ مُتجاهل لهما - وليس جاهل بهما - أو بالأحرى مُتعالٍ عليهما، ولذلك سماهما بذلك الأسم.

وهكذا الحسين (عليه السلام) - كَانَ أُمَّه قَانِتاً لله حنيفاً ولم يكُ مِنَ المشركين - فلم تبدو منه التفاتة للدُّنيا، ولم يظهر منه قيد شعره مِنْ فتور، فقد طلق الدُّنيا كجده وأبيه وأمه وأخيه، وأيضاً طلق الهزيمة والتراجع والضعف والخنوع والذلة، فإنَّ عدوه لم يترك له خياراً فقد «ركز بين اثنتين - كما يصف ذلك الحسين (عليه السلام) - بين السُّلَّة والذُّلَّة، وهيَّات مِّنَا الذُّلَّة» (١). بل لنا العزَّة لأنَّها لله ولرسوله وللمؤمنين، الحسين (عليه السلام) قال هيَّات مِّنَا الذُّلَّة، ولم يقل إنِّي اخترت الموت، لأنَّ الموت وإنَّ كَانَ هُوَ الخيار الوحيد الذي جُعِلَ مِنْ قِبَل العدو، ولكن الحسين (عليه السلام) حتَّى هَذَا الخيار الوحيد كَانَ لا يختاره بكيفيه الذُّلَّة، بل يختار العِزَّة في كيفيه وقوعه، يختار أبواب الرحمة الإلهيه الواسعه العديده.

### إنَّها شقشقه:

وَرَدَ في الأثر أَنَّ النَّبِيَّ مُحَمَّدَ (صلى الله عليه و آله) - في قوله لعليٍّ (عليه السلام) - قال: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعِ الشَّدِيدِ مِنْ يَمَلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ» (٢). أَيْ إِنَّ الْإِنْسَانَ يُسَمَّى شَدِيداً إِذَا مَلَكَ أَعْصَابَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ وَلَيْسَ الشَّدِيدُ هُوَ مِنْ يَصْرَعُ الْأَبْطَالَ وَيَنَاشِ الدُّوْبَانَ،

ص: ٥٥

١- (١) مثير الأحزان: ٤٠؛ اللهوف: ٥٩.

٢- (٢) الموطأ: ج ٢، ٩٠٦؛ الديباج على مُسَلِّم: ج ١١٩: ٣.

وَمِنْ الْمَوَاقِفِ الْوَاضِحَةِ وَالْجَلِيَّةِ لِامْتِلَاكِ عَلِيٍّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ حِينَ بَصَقَ فِي وَجْهِهِ الْمُبَارَكِ ابْنَ عَبْدِ وَدِّ الْعَامِرِيِّ، فَتَرَكَهُ بَرَهَةً مِنَ الزَّمَنِ حَتَّى سَكَتَ عَنْ أَمِيرِنَا الْغَضَبِ فَقَتَلَهُ اللَّهُ.

لكن الموقف الآخر الأصعب والأكثر غموضاً هو حين غضبت منه الخلافة، لأنه ملك نفسه لسنين طويلة وعديده لا يطيقها ولا يتحملها لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل، حيث رأى تراثه نهياً، وهو البطل الصرغام الذي لا يشق له غبار.

وتعال معي لنراه كيف يصف حاله، في الخطبه المعروفه بالشقشقيه، قال (عليه السلام): «أما والله لقد تَقَمَّصَهَا ابن أبي قحافه أخو تيم، وإنه ليَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا الْقُطْبُ مِنَ الرَّحَا، يَنْجِدِرُ عَنِّي السَّيْلُ، وَلَا يَزْقِي إِلَيَّ الطَّيْرُ، فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْبًا، وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحًا، وَطَفِقْتُ أُرْتِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدِ جَدَاءٍ، أَوْ أَضْبِرَ عَلَى طَخِيهِ عَمِيَاءٍ، يَهْرُمُ فِيهَا الْكَبِيرُ، وَيَشْتَبِ فِيهَا الصَّغِيرُ، وَيَكْدُحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ. فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَى، فَصَبْرْتُ وَفِي الْعَيْنِ قَدِي، وَفِي الْحَلْقِ شَجَا، أرى تراثينها، ... فَصَبْرْتُ عَلَى طُولِ الْمُدَّةِ وَشِدَّةِ الْمِخْنَةِ» (١).

والخطبه أوضح من أن نعلق عليها فهنا الإمام يبين جانب الصبر، ويبين كيف مسك أعصابه، وصبر مع طول المدة وليس فقط ذلك، بل صبر على ما أحدث بعيد رسول الله (صلى الله عليه وآله) من تحريف للدين، فهنا تظهر الشده مع قوه وشده الغضب كى يتسنى له حسن المعالجه والإداره لدفع سلبيات الحدث، والقدره على إداره الأزمات ممّا كان يديرها فى زمن رسول الله (صلى الله عليه وآله) معه (صلى الله عليه وآله)، شعاره

ص: ٥٦

عمق التدبير وحسنه وشعار الطرف الآخر الهزيمه، والشواهد كثيره، عَلَى همه الطرف الأوّل ونكوص الطرف الآخر، حيث نُقل: «أَنَّ عثمان جاء بَعْدَ هزيمته مِنْ أحد بثلاثه أيامٍ مِنَ الواقعه، فقال له رسول الله (صلى الله عليه و آله): لَقَدْ ذهبت فيها عريضه!»(١)، فالشجاعه فى إداره الأزمات وأخذ زمام المُبادره فى حلّ المُعضلات ينبئ عَنْ عمق وثبات اليقين وشده الرجاء لرحمه الله.

وهكذا كَانَ الحسين (عليه السلام) - كَانَ شديداً -، حَيْثُ لَمْ يعرف الزمان أزمه أو شده، أشد مِنْ يوم عاشوراء، فى المقابل لَمْ تظهر قُوّه وبساله وشده مِنْ شديد كالحسين (عليه السلام)، لَمْ تظهر منه مُجرّد فكره فى التراجع، أو الانسحاب أو التفهقر أو اليأس مِنْ روح الله، ولذلك هُوَ لَمْ يختر الموت فراراً مِنْ ثقل المسؤليه، بل اختار الابتعاد مِنْ الهزيمه، حَيْثُ قال: «إِنَّ الدعى ابن الدعى قد رُكز بين اثنتين بين السله والذله وهيّات مِّنَا الذله»(٢)، فَهُوَ يبتغى العزه، لأنّ العزه لله ولرسوله وللمؤمنين - كما ذكر القرآن - .

الحسين (عليه السلام) اختار العزه وابتعدت عَنْه الذله، ومنطقه إذا كَانَ الموت وسبى العيال والقتل والمثله، الّتى لَمْ يقتل ولم يمثل لأحد فيها مِنْ قبلى ولا مِنْ بعدى فيه العزه، وفيه (هيّات مِّنَا الذله)، فأنا اختاره.

وَبَعْدَ أَنْ أسس شعار (هيّات مِّنَا الذله) طلب الموت الذى هُوَ حياه، حَيْثُ قال (عليه السلام): «إِنّى لا أرى الموت إلّا سعادته والحياه مَعَ الظالمين إلّا برماً»(٣).

ص: ٥٧

١- (١) الإرشاد: ٨٤.

٢- (٢) الاحتجاج: ج ٢، ٢٥؛ اللهوف: ٥٩.

٣- (٣) مناقب آل أبى طالب: ج ٢٢٤: ٣؛ مجمع الزوائد: ج ١٩٣: ٩؛ المعجم الكبير: ج ١١٥: ٣.

وإلّا فالوضع الطبيعي، بل والوضع الشديد لا يطلب فيه المعصوم (عليه السلام) لنفسه الموت، وبَعِيدَ يقينه أنّ عدوه قد عزم على الاثنين بلا ثالث (السله والذله) قال: «خُطَّ الموت على ولد آدم مخطَّ القلاده على جيد الفتاه، وما أولهنى إلى أسلافى اشتياق يعقوب إلى يوسف»<sup>(١)</sup>.

فَهُوَ هُنَا يَصَوِّرُ جمال الموت بعزه، بأنّه كالقلاده الَّتِي تُزَيِّنُ جيد الفتاه فالموت العزيز جميل ولذيذ، وَهُوَ مِنْ جِهَةٍ وبصوره يرجعه إلى العيش الكريم ويجمعه مَعَ مَنْ غاب عَنْهُ مِنْ إِسْلاَفِهِ صلوات الله عليهم.

ص: ٥٨

---

١- (١) مُثِيرُ الأَحْزَانِ: ٢٩؛ معارج الوصول إلى معرفه فضل آل الرسول: ٩٤.

روى أن الإمام الصادق (عليه السلام) كان في أحد الأيام في بيته يدعو ويتضرع بشده ويبكي بالحاح كبير، وبغيد ذلك دخل بعض بيوته ثم خرج بغير الحال التي كان عليها، فسأله أصحابه عن سبب بكائه وتضرعه بتلك الدرجة التي خافوا عليه منها، ثم بغيد ذلك سكن واستبشر، فأجاب بأعظم جواب هو عبارة عن قاعده نفيسه في التوكل والرضا بقضاء الله، والقصه يرويها عمده منهم العلاء بن كامل، قال: «كنت جالسا عند ابي عبدالله (عليه السلام) فصرخت الصارخه من الدار فقام أبو عبدالله عليه السلام ثم جلس، فاسترجع، وعاد في حديثه، حتى فرغ منه ثم قال: إنا لنحب أن نعا في أنفسنا وأولادنا وأموالنا، فإذا وقع القضاء فليس لنا أن نحب ما لم يحب الله لنا» (١).

عن قتيبه الأعشى: قال: «أتيت أبا عبدالله (عليه السلام) أعود ابناً له، فوجدته على الباب فإذا هو مهتم حزين، فقلت له: جعلت فداك، كيف الصبي؟ فقال: والله إنه لما به، ثم دخل فمكث ساعه ثم خرج إلينا وقد أسفر وجهه وذهب التغيير والحزن، قال: فطمعت أن يكون قد صلح الصبي، فقلت: كيف الصبي، جعلت فداك؟ فقال قد مضى لسبيله، فقلت جعلت فداك لقد كنت وهو حى مهتماً حزيناً، وقد رأيت حالك الساعه وقد مات غير تلك الحال،

ص: ٥٩

فكيف هذا؟ فقال: إنا أهل بيت إنما نجزع قبل المصيبة، فإذا وقع أمر الله رضينا بقضاؤه وسلمنا لأمره»(١).

وقد جسد الإمام الحسين (عليه السلام) بشكل مُميز - هذا المعنى - وصور لنا كيف يتفاعل الإنسان مع الحدث إلى آخر لحظه قبل وقوع القضاء بالتضرع والدعاء لأن الدعاء يرد القضاء، وقد أبرم إبراماً، نعم الدعاء لا ينحصر بأن يكون بلسان المقال بل بلسان الحال، وهو في غالب أحيانه أشد من لسان المقال.

فهو في حين خاطب القوم بلسان المقال ونصح لهم، هو يخاطب الله بلسانه حاله في نفس الوقت ويطلب من الواسع رحمته فتح سبله ودرجات تكامله له، ولكل من كان في المشهد، فمن كان مؤمناً يتحرى الإمام له زياده الإيمان، ومن كان منحرفاً يريد أن يُقلل من درجات تسافله، ويرفعه من أسفل درك الجحيم إلى ما هو أخف منها لعله يحظى برحمه من الرحمات الإلهيه.

ومن جهه ثالثه هو يرسم سبل التكامل - أيضاً - إلى عياله وأهل بيته ويُعطى الدروس الكثيره في التضحيه والهمه العاليه والحِكمه والشجاعه.

ومن جهه رابعه: هو يدير الحدث بما يصب مع الغايات البعيده الهادفه.

ص: ٦٠

---

١- (١) الكافي: ج ٢٢٥: ٣ ح ١١؛ وسائل الشيعة: ج ٢٧٥: ٣ ح ٣٦٣٩.

إشارة

إنَّ الأساليب التي اتخذها أئمة أهل البيت (عليهم السلام) في مواجهه أعدائهم عديده وأغلبها كانت عبارة عن حرب بارده، وهذه الحرب لا تنافي إيمانهم بسعه الرحمه وسعه البداء وحتميه القضاء، وقد خفي على كثير من السطحيين الأساليب المتنوعه - العديده والكثيره - التي كان يواجه بها الأئمة (عليهم السلام) أعدائهم، وخصوصاً الإمام الصادق (عليه السلام).

من الأمور التي ينبغي أن نسلط الضوء عليها، هي أن الإمام الصادق (عليه السلام) ليس كما يظهر لنا من الأحداث، أو يُشاع عنه أنه مشغول حصرياً في تأسيس الحوزات العلميّه ولا دخل له ولو من بعيد وأبعاد في السياسة، وأن الظروف التي كانت في عصره تطلبت ذلك، كما أن ظروف الحسين (عليه السلام) كانت توجب عليه الخروج إلى كربلاء، وليس الواجب دوماً على المعصوم (عليه السلام) مواجهه السُلطة وتحدي الوضع القائم فضلاً عن الخروج بالسيف، وإنَّ عليه أن يترك التحدي نتيجة الظروف.

وهذا التحليل وهذا الكلام غير دقيق ولا سديد، بل غير صحيح حيث يذكر المؤرخون أنه (عليه السلام) واجه الوضع القائم آنذاك وجاهد بالكلمه حتى أنه تعرّض للقتل من قبل أبي جعفر الدوانيقي مرّات كثيره، حيث أرسل عليه في تلك المرات وهو حاقد عليه وأسمعه غليظ الكلام، وكان يهيم في قتله، ولكن تحول دونه الظروف المختلفه.

وهذا وغيره من الإشارات تُشير إلى أن الإمام كان يستخدم أسلوب التقية الأُمْنِيَّة في التحوُّك والنشاط ممَّا يقلق السُّلطة العباسية التي تتحصَّن وتتشعر نمو قُوَّة مناهضة لدى الصادق (عليه السلام) تشكُّل خطوره على بقاء السُّلطة العباسية، فتقيقته ليست سلبية سكون وضعف واستكانه ووهن بل كان يستعمل أسلوب الحرب الباردة، حيث كان في معرض توازن القوه أو المواجهه مع المنصور بين الحين والآخر، كلما توفَّر ظرف العمل والكلام يُعطى درساً، لكل الأجيال أن التقية هي عنوان ثانوى (عنوان اضطرارى) وحكم اضطرارى، فلا تستلزم عدم رعايه الواجب الأولى قدر المستطاع وبقدر المتاح من آليات متنوعه خفيّه لا يهتدى إليها الخصم العدو فضلاً عما إذا ما ارتفع ظرفها في بعض الجهات والزوايا أو المراحل وزالت شرائطها أو بعض شرائطها، فتعود العناوين والأحكام الأولى إلى الرعايه التامه، فالضرورات تقدر بقدرها ولا تززع ملاكات المصالح الأصلية في الدين والشرع.

وتقدير هذه الظروف تبقى للمؤمن الواعى الحركى المُلتزم بمسؤوليته وهو الذى يقدر الزمان ويوازن بين التقية والحفاظ على النفس من جهة، ومن جهة الحفاظ على الدين والمذهب.

فليُنظر المؤمن المُتفرِّس في هذه القصص ليرى كيف كان الإمام (عليه السلام) دؤوب في البناء والتدبير ويواجه ويُجاهد ليقابل نظام عدوه كلما وجدت طرق وأساليب تشكُّل فُرصاً بالغه الأهميه.

### عبر ودروس من حياة الإمام عليه السلام:

وهنا نذكر قصه للإمام (عليه السلام) في حياه أبيه الباقر (عليه السلام) بتوجيه منه (عليه السلام) حيث خطب الناس في موسم الحج خطبه سياسيه، هي بمثابة إعلان لحرب بارده

ضدَّ السُّلطانَ المُنحرفَ ولذلك اضطرَّ الخليفةُ بسببِ تأثيرِ تلكِ الخطبه أن يرسلَ في طلبِ الإمامين (عليهما السلام) والقصه ... ذكر الطبري بإسناده عن الصادق (عليه السلام)، قال: «حجَّ هشام بن عبد الملك بن مروان سنه من السنين، وكان قد حجَّ في تلك السنه مُحَمَّد بن علي الباقر وابنه جعفر بن مُحَمَّد (عليهم السلام) فقال جعفر بن مُحَمَّد (عليهما السلام): الحمد لله الذي بعث محمداً بالحق نبياً وأكرمنا به فنحنُ صفوه الله على خلقه وخيرته من عباده وخلفاؤه، فالسعيد من اتبعنا والشقي من عادانا وخالفنا.

ثمَّ قال: فأخبر مسلمه أخاه بما سمع فلم يعرض لنا حتَّى انصرف إلى دمشق وانصرفنا إلى المدينه، فانفذ بريداً إلى عامل المدينه بأشخاص أبي وأشخاصي معه فأشخصنا فلما وردنا مدينه دمشق حجبتنا ثلاثاً، ثمَّ أذن لنا في اليوم الرَّابع فدخلنا، وإذا قد قعد على سرير الملك وجنده وخاصته وقوفاً على أرجلهم سباطان متسلحان...» (١).

ويظهر من خلال هذه الروايه مدى عمق المواجهه التي كان يواجهها الإمام لعدوه ومدى خشيه عدوه منه، - سواء في زمن أبيه (زمن بني أميّه) أو زمن الدوله العباسيه - .

وفي هذا المجال ما ورد عن أبي بكر الحضرمي قال: «لما حُمل أبو جعفر (عليه السلام) إلى الشام إلى هشام بن عبد الملك وصار ببابه قال لأصحابه ومن كان بحضرتيه من بني أميه: إذا رأيتموني قد وبخت محمد بن علي ثم رأيتموني

ص: ٦٣

---

١- (١) أمان الأخطار: ٥٢؛ دلائل الإمامه للطبري: ١٠٤، القصه طويله أوردنا منها موضع الاستشهاد.

قد سكت فليقبل عليه كل رجل منكم فليوبخه، ثم أمر أن يؤذن له، فلما دخل عليه أبو جعفر (عليه السلام): قال بيده السلام عليكم، فعمهم جميعاً بالسلام ثم جلس، فازداد هشام عليه حنقاً بتركه السلام عليه بالخلافه وجلوسه بغير إذن فاقبل يوبخه ويقول فيما يقول له: يا محمد بن علي، لا يزال الرجل منكم قد شق عصا المسلمين ودعا إلى نفسه وزعم أنه الإمام سفهاً وقله علم، ووبخه بما أراد أن يوبخه، فلما سكت أقبل عليه القوم رجل بعد رجل يوبخه حتى انقضى آخرهم، فلما سكت القوم نهض (عليه السلام) قائماً ثم قال: أيها الناس أين تذهبون وأين يراد بكم، بنا هدى الله أولكم وبنا يختم آخركم، فإن يكن لكم ملك معجل فإن لنا ملكاً مؤجلاً وليس بعد ملكنا ملك لانا أهل العاقبه، يقول الله عز وجل: «والعاقبه للمتقين». فأمر به إلى الحبس، فلما صار إلى الحبس تكلم فلم يبق في الحبس رجل إلا ترشفه وحن إليه، فجاء صاحب الحبس إلى هشام فقال: يا أمير المؤمنين، إنى خائف عليك من أهل الشام أن يحولوا بينك وبين مجلسك هذا، ثم أخبره بخبره، فأمر به فحمل على البريد هو وأصحابه ليردوا إلى المدينة وأمر أن لا يخرج لهم الأسواق وحال بينهم وبين الطعام والشراب، فساروا ثلاثاً لا يجدون طعاماً ولا شرباً حتى انتهوا إلى مدين، فأغلق باب المدينة دونهم فشكى أصحابه الجوع والعطش، قال: فصعد جبلاً يشرف عليهم فقال بأعلى صوته: يا أهل المدينة الظالم أهلها، أنا بقيه الله، يقول الله (بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَ مَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ) (١)، قال: وكان فيهم شيخ كبير فأتاهم فقال لهم: يا قوم هذه والله دعوه شعيب النبي، والله لئن لم تخرجوا إلى الأسواق لتؤخذن من فوقكم ومن

ص: ٦٤

تحت أرجلكم فصدقوني في هذه المره وأطيعوني وكذبوني فيما تستأنفون فإنى لكم ناصح، قال: فبادروا فاخرجوا إلى محمد بن على وأصحابه بالأسواق، فبلغ هشام ابن عبد الملك خبر الشيخ فبعث إليه فحمله فلم يدر ما يصنع به»(١).

يلاحظ من هذه الروايه:

١- هكذا كانت أكبر دوله إسلاميه تتخوف وتتحسس من الإمامين الباقر والصادق(عليه السلام)، كما يبين هذا الموقف من الإمامين الصادقين(عليه السلام) توازن مسيرهما السياسى، فلم يكونا فى الانتماء المعلن موالين للسلطه بحيث يغيب صراط الشرعيه عن وعى الأمه .

٢- مع كل هذا لم يستطيع رئيس هذه السلطه، أن يبرر سبب إعتقاله للإمامين(عليه السلام)، ولذلك كان مضطر لإطلاق سراحهما وإرجاعهما إلى المدينه سالمين غانمين، لكن بسبب حقدته وعدائه الشرس على آل مُحَمَّد(صلى الله عليه و آله) أوعز إلى المدن التى يمر من خلالها موكب الإمامين(عليهما السلام) بالفرض على أهاليها بإغلاق أسواقهم ومقاطعه التعامل مع الإمامين .

٣- أن موقف مولانا الباقر(عليه السلام)، لم ينكسر ولم يثن عن بيان حصر الشرعيه فى الحكم بأهل البيت(عليهم السلام)، رغم أن هذا الإعلان السياسى فى مقر القصر الرئاسى لبنى أميه .

٤- عدم تقريره(عليه السلام) للحاكم الأموى بالخلافه وعدم إكترائه به وعدم تهيبه من بطش العصابه الأمويه وإقدام الحاكم الأموى على حبسه(عليه السلام).

ص: ٦٥

---

١- (١) الكافى ج ٤٧١: ح ٥؛ بحار الأنوار ج ٢٦٤: ح ٤٦٦: ٦٢.

٥- قيامه فى الحبس بالتأثير على السجناء بجذبهم لمسار أهل البيت (عليهم السلام) وتهيب السلطه من بقاءه، كل ذلك يوضح حقيقته سيره الباقر (عليه السلام) والصادق (عليه السلام) فى المسار السياسى وطبيعته تعاملهم مع السلطه الأمويه فى حين أنهما (عليهما السلام) لم يعتمدا الحرب الساخنه معها.

كذلك رواه أبى نعيم المرويه فى حليه الأولياء «إنَّ المنصور استدعى الإمام الصادق يوماً وأجلسه إلى جانبه بكلِّ إجلال واحترام، فوقع الدُّباب على وجه المنصور، ولم يزل يقع على وجهه وأنفه حتَّى ضجر منه المنصور، فقال: لم خلق الله الدُّباب يا أبا عبدالله، فقال الصادق: ليذُلُّ به أنف الجابره، فوجم المنصور وتغيَّر لونه، ولم يتكلَّم معه بما يُسئىء إليه كلمه واحده» (١).

كذلك نُقل أنَّ المنصور عاتب الإمام على عدم مجيئه إليه، وعلَّل المنصور: تصحبنا لتصحنا، فردَّ عليه الإمام (عليه السلام) بقوله: «مَنْ يُرد الدنيا لا ينصحك، ومَنْ يُرد الآخرة لا يصحبك» (٢).

وأيضاً عن مُحَمَّد بن أبى حمزه قال: قال أبو عبدالله (عليه السلام): «وذكر هؤلاء عنده وسوء حال الشيعة عندهم فقال أنى سرت مع أبى جعفر (المنصور) وهو فى موكبه وهو على فرس، وبين يديه خيل ومن خلفه خيل، وأنا على حمار إلى جانبه، فقال لى: يا أبا عبدالله: قد كان ينبغى لك أن تفرح بما أعطانا الله من القوه وفتح لنا من العز، ولا تخبر الناس إنك أحق بهذا الأمر منا وأهل بيتك فتغرينا بك وبهم، قال: فقلت: ومن رفع هذا إليك فقد كذب، فقال أتحلف

ص: ٦٦

١- (١) سير أعلام النبلاء: ج ٢٦٤ : ٦؛ الوافى بالوفيات: ج ١٠٠ : ١١.

٢- (٢) كشف الغمه: ج ٢، ص ٤٢٧.

عَلَى مَا تَقُول؟ قَالَ: فَقُلْتُ: إِنَّ النَّاسَ سَحَرَهُ يَعْنِي - يَحْبُونَ أَنْ يَفْسُدُوا قَلْبَكَ عَلَيَّ - فَلَا تَمَكِّنْهُمْ مِنْ سَمْعِكَ فَأَنَا إِلَيْكَ أَحْوَج مِنْكَ إِلَيْنَا.

فَقَالَ لِي: تَذَكَّرْ يَوْمَ سَأَلْتَكَ هَلْ لَنَا مَلِكٌ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ طَوِيلٌ عَرِيضٌ شَدِيدٌ، فَلَا تَزَالُونَ فِي مَهَلِهِ مِنْ أَمْرِكُمْ وَفَسَحَهُ مِنْ دُنْيَاكُمْ، حَتَّى تَصِيبُوا دَمًا حَرَامًا فِي شَهْرٍ حَرَامٍ؟» فَعَرَفْتُ أَنَّهُ قَدْ حَفِظَ الْحَدِيثَ، فَقُلْتُ: لَعَلَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَكْفِيكَ فَإِنِّي لَمْ أَخْصُكْ بِهَذَا إِنَّمَا هُوَ حَدِيثٌ رَوِيَتْهُ، ثُمَّ لَعَلَّ غَيْرَكَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ أَنْ يَتَوَلَّى ذَلِكَ فَسَكَتَ عَنِّي» (١).

وفى موقف له مع والى المنصور على المدينة، عن المفيد، عن ابن قولويه ... عن عبد الله بن سلمان التميمي، قال: «لما قتل محمد وإبراهيم ابنا عبد الله بن الحسن (عليه السلام) صار إلى المدينة رجل يُقال له شبه بن عقال، ولأه المنصور على أهلها، فلما قدمها، وحضرت الجمعة، صار إلى مسجد النبي (صلى الله عليه وآله) فرقى المنبر وحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أَمَا بَعْدَ فَإِنَّ عَلَى بَنِ أَبِي طَالِبٍ شَقُّ عَصَا الْمُشْرِكِينَ، وَحَارِبِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَرَادَ الْأَمْرَ لِنَفْسِهِ، وَمَنْعَهُ أَهْلُهُ، فَحَزَمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَمَاتَهُ بَغْصَتِهِ، وَهُؤُلَاءِ وَلَدُهُ يَتَّبِعُونَ أَثْرَهُ فِي الْفَسَادِ، وَطَلَبَ الْأَمْرَ بَعِيرَ اسْتِحْقَاقٍ لَهُ، فَهَمَّ فِي نَوَاحِي الْأَرْضِ مَقْتُولُونَ، وَبِالدَّمَاءِ مُضْرَجُونَ، قَالَ: فَعَظَمَ هَذَا الْكَلَامَ عَلَى النَّاسِ وَلَمْ يَجْسُرْ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَنْطِقُ بِحَرْفٍ.

فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ عَلَيْهِ إِزَارٌ قَوْمِي سَحَقٌ، فَقَالَ: وَنَحْنُ نَحْمَدُ اللَّهَ وَنُصَلِّي عَلَى مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَأَنْبِيَائِهِ أَجْمَعِينَ، أَمَا مَا

ص: ٦٧

قلت من خير فنحنُ أهله وما قلت من سوء فأنت وصاحبك به أولى فاختر يا من ركب غير راحلته وأكل غير زاده، ارجع مأزوراً، ثم أقبل على الناس، فقال: ألا أنبئكم بأخلى الناس ميزاناً يوم القيامة، وأبينهم خسراناً، من باع آخرته بدنياه غيره، وهو هذا الفاسق فأسكت الناس وخرج الوالى من المسجد لم ينطق بحرف، فسألت عن الرجل فقيل لى: هذا جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب صلوات الله عليهم»(١).

ص: ٦٨

---

١- (١) أمالى الشيخ الطوسى: ٢٩٤؛ بحار الأنوار: ج ١٦٥: ٤٧، وفى نفس هذا الجزء والصفحة وما بعدها روايات كثيرة فى أسلوب الحرب البارده للإمام الصادق (عليه السلام) مع السُّلطة الحاكمه.

هَيْلٌ يُتَصَوَّرُ الْجَبْنَ أَوْ الْخُنُوعَ أَوْ الْخُضُوعَ أَوْ الضَّعْفَ، أَوْ حَتَّى تَرَكَ الشَّأْنَ السِّيَاسِيَّ وَعَدَمَ السَّعْيِ فِي بِنَاءِ تَكْوِينِ مَنْهَاجِ الْحَقِّ وَالْجَهْرِ بِالْحَقِّ فِي ظَرْفِهِ الْمُنَاسِبِ مِنْ رَجُلٍ يَقُولُ وَلَوْ بِالتَّلْوِيحِ لَوَالِي الْمَنْصُورِ أَنْتَ فَاسِقٌ، أَوْ يَقُولُ لِلْمَنْصُورِ نَفْسَهُ أَنْتَ جَبَّارٌ، أَوْ لَا نَفْعَ فِي نَصْحِكَ لِأَنَّكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا.

هذه السنه من الإمام الصادق (عليه السلام) ترسم للمؤمن منهاجاً حياتياً يقول له أنك إنسان صغير والدين إنسان كبير، والمهم هو الحفاظ على الإنسان الكبير وتكون المحافظه على الإنسان الصغير بالتبع، بتبع محافظته على الإنسان الكبير، فإذا ما جاء الخطر على الإنسان الكبير (الإنسان الأهم) - الدين -، وجب على الإنسان الصغير التضحية دونه، والعكس صحيح أي إذا جاء الخطر على الإنسان الصغير وجب على الإنسان الكبير المحافظه على أتباعه - الإنسان الصغير -، ولذلك شرع له التقية، لذا ورد «التقية ديني ودين آبائي ولا دين لمن لا تقية له»<sup>(١)</sup> وكذلك يوجب عليه المحافظه على نفسه في مختلف الظروف والموارد التي لا يكون فيها خطر على الدين.

ومما مرّ يظهر لك جهاد الإمام الصادق (عليه السلام) وما خفي من نشاطه كان أعظم، ناهيك عن تربيته لأصحابه، فكما كان له في الفقه مثل زُرَّارَه وأضرابه، وكذلك عنده هشام بن الحَكَم وهشام بن سالم والمعلّى وأمثالهم، وكما كانوا

ص: ٦٩

عُلماءَ كَانَ لَهُم جِهَادٌ بِالْكَلِمَةِ - لَا الْإِنهَمَاكُ فِي أَبْوَابِ السُّلْطَانِ-، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَمَوَاقِفٌ مُشْرِفَةٌ كَاشِفَةٌ عَنِ الدُّورِ التَّرْبَوِيِّ وَالسَّلُوكِيِّ الْعَظِيمِ، الَّذِي كَانَ يَنْتَهِجُهُ الْإِمَامُ فِي حَيَاتِهِ وَمَعَ أَصْحَابِهِ.

وَلِذَلِكَ اغْتِيلَ الْإِمَامُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) كَأَبَائِهِ شَهِيداً مَسْمُوماً، وَلَوْ لَمْ يَكُن نَشَاطُهُ الْمُتَنَامِي يَقْلِقُ السُّلْطَنَةَ لِمَاتِ حَتْفِ أَنْفِهِ، وَهَذِهِ سِيرَةُ كُلِّ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَنْبِيَاءِ بَيْنَ يَدَيْكَ طَافِحَةٌ بِذَلِكَ، وَلِذَلِكَ شُرِّدُوا وَأُذُوا وَقَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالْإِمَامُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَكُلُّ الْمَعْصُومِينَ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) أَفْضَلُ بِدَرَجَاتٍ مِنْ سَائِرِ بَقِيَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَهُمْ أُخْرَى مِنْ سَلَكِ مَسَالِكِ الْجِهَادِ وَالِدَّفَاعِ عَنِ الدِّينِ بِأَسَالِبِ مُخْتَلِفَةٍ بَارِدَةٍ وَخَفِيَّةٍ وَمَتَّوِّعَةٍ.

وَالْخُلَاصَةُ: إِنَّ الْإِمَامَ الصَّادِقَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لَمْ يَتْرِكِ الْخِيَارَاتِ الْأُخْرَى مَعَ تَمَسُّكِهِ بِخِيَارَاتِ مَعِينِهِ فِي حِينِ كَانَتْ الظُّرُوفُ مَوَاطِنَ لِتَأْسِيسِ الْحُوزَاتِ، لَمْ يَغْفَلِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) جَوَانِبَ الْجِهَادِ وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ بِأَلْيَاتِ مُتَكَثِّرَةٍ، فَكَانَ يُوَاجِهُ أَعْدَاءَهُ بِحَرْبٍ بَارِدَةٍ مُبَاشِرَةٍ أَوْ بِصُورَةٍ غَيْرِ مُبَاشِرَةٍ بِوَسْطِهِ أَتْبَاعِهِ كَمَا سَنَحَتِ الْفُرْصَةُ وَتَوَفَّرَ الظَّرْفُ.

إِشَارَةٌ

وَهَذَا مَشْهَدٌ عَكْسٌ مَشْهَدِ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَرِغَمَ حَتْمِيهِ الشَّهَادَةِ لَمْ يَسْكُنْ عَنِ النَّشَاطِ وَالسَّعْيِ الْحَثِيثِ لِلْوَصُولِ إِلَى الْهَدْفِ بِأَيِّ دَرَجَةٍ مُمْكِنَةٍ، وَفِي الْمَشْهَدِ الْحَالِيِّ رَغْمَ حَتْمِيهِ النَّصْرِ فَلَا يَدْعُوهُ إِلَى السَّكُونِ عَنِ النَّشَاطِ أَيْضاً وَهَذَا مِنْ بَدِيْعِ مَعْرِفَةِ الْأَثْمَةِ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ وَعِلْمِهِمْ بِالْبَدَاءِ الْإِلَهِيِّ الْأَعْظَمِ.

الْمُهَذَّبُ الْخَائِفُ:

عِبَارَةٌ وَرَدَتْ فِي السَّلَامِ عَلَى الْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ (عَج) فَمَا مَعْنَى ذَلِكَ؟، هَذَا السُّؤَالُ أَجَابَتْ عَنْهُ رَوَايَاتٌ كَثِيرَةٌ جَدًّا، تَدُلُّ عَلَى عَدَّةٍ مَعَانِي وَأَوْصَافٍ، أَحَدُهَا أَنَّ الْإِمَامَ يُخْرَجُ مِنَ الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ إِلَى مَكَّةَ حِينَ يَقْتَرِبُ ظَهْرُهُ، عَلَى سَنَةِ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وَهُنَا تَتْبَادِرُ الْأَسْئَلَةُ عَنْ مَعْنَى الْخَوْفِ، وَلِمَاذَا يَخَافُ لَوْ كَانَ مِنَ الْمَحْتَمِمْ نَصْرَهُ فَلْيَتْرَكَ الْجَبَلَ عَلَى الْغَارِبِ، وَلِيَذْهَبَ بِرِجْلِهِ إِلَى الْمَنُونِ، فَإِنَّهُ لَا يَمُوتُ لِأَنَّهُ مُوَعِدُ بِالنَّصْرِ، وَإِنَّ الدِّينَ سَيُظْهِرُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، بِيَدِهِ الْمُبَارَكَةِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ.

فَمَا مَعْنَى الْخَوْفِ؟ فَسَّرَ الْخَوْفَ بِأَنَّهُ لَيْسَ خَوْفًا عَلَى النَّفْسِ، بَلْ هُوَ خَوْفٌ عَلَى الْمَشْرُوعِ الْإِلَهِيِّ، كَمَا أَنَّ مُوسَى (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، حِينَ خَرَجَ مِنَ مَدِينَةِ مِصْرَ «خَائِفًا يَتَرَقَّبُ» (١) لَمْ يَكُنْ خَائِفًا عَلَى نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ مِنَ الْقَتْلِ، أَوْ حَصُولِ الْأَذَى

ص: ٧١

بَلْ هُوَ خَائِفٌ عَلَى نَفْسِهِ لِأَجْلِ خَوْفِهِ عَلَى إِقَامَةِ الدِّينِ وَعَلَى آدَاءِ الرِّسَالَةِ وَمِمَّنْ غَلَبَهُ الْجَهَالُ عَلَى الْأَمْرِ. كَذَلِكَ الْإِمَامُ  
المهدي(عج)، وَهَذَا جَوَابُ إِجْمَالِي - رَغْمِ صِحَّتِهِ - وَلَا بَدَّ مِنْ التَّفْصِيلِ فَنَقُولُ:

رَغْمَ أَنَّ هُنَاكَ وَعَدَّ جَازِمٌ بِحُصُولِ النِّصْرِ وَنَجَاحِ الْمَشْرُوعِ الْإِلَهِيِّ قَضَاءً وَقَدْرًا وَأَنَّ ذَلِكَ مَحْتَمٌ لَا رَيْبَ فِيهِ، إِلَّا أَنَّ زَمَنَهُ غَيْرُ  
مَحْتَمٍ، وَالنِّهَايَةَ مَعْرُوفَةً لَكِنْ مَتَى سَتَحْصُلُ، هَلْ بَعْدَ يَوْمٍ أَوْ بَعْدَ سَنَةٍ أَوْ بَعْدَ مِائَةِ سَنَةٍ، فَيَنْبَغِي الْمَحَافِظَةَ عَلَى النَّتَائِجِ الَّتِي حَصَلَتْ  
لِأَجْلِ عَدَمِ تَأَخُّرِ الْمَشْرُوعِ الْإِلَهِيِّ؛ لِأَنَّهُ لَا حَتْمَ فِيهِ مِنْ حَيْثُ الزَّمَنُ وَالتَّفَاصِيلُ وَالتَّكْوِينَاتُ الْآخَرَى، فَالْمَكَاسِبُ الَّتِي حَصَلَتْ عِنْدَ  
صَاحِبِ الْمَشْرُوعِ يَجِبُ الْمَحَافِظَةُ عَلَيْهَا، وَهُوَ مَأْمُورٌ بِالْحِرْصِ عَلَيْهَا وَالخَوْفِ عَلَيْهَا مِنَ الضِّيَاعِ، (يَخَافُ عَلَى شَيْءٍ فَيَتَحَرَّكُ  
لِلْمَحَافِظَةِ عَلَيْهِ بِرَجَاءِ الْمَحَافِظَةِ عَلَيْهِ)، وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ مِنَ الْمَوَازِنَةِ بَيْنَ حَتْمِيَةِ الْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ وَبَيْنَ مَسْئُولِيَةِ الْإِخْتِيَارِ وَالسَّعْيِ  
لِلتَّكَامُلِ فِيبَقِي بَيْنَ الرَّجَاءِ وَالخَوْفِ (كَمَا فِي الْحَدِيثِ)، مَحَافِظًا عَلَى مَا حَصَلَ عَلَيْهِ، وَسَيَحْصُلُ عَلَيْهِ.

وَهَكَذَا كَانَ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يَخَافُ عَلَى ضِيَاعِ جِهْدِهِ وَجِهْدِ آبَائِهِ وَجِدِّهِ وَأُمَّهُ وَأَخِيهِ، وَمَا أَسَّسَهُ لِنَجَاحِ الْمَشْرُوعِ الْإِلَهِيِّ،  
فَهُوَ (خَائِفٌ يَتَرَقَّبُ) حِينَ خَرَجَ مِنْ مَدِينَةِ جِدَّةِ الرَّسُولِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، خَوْفًا عَلَى الدِّينِ وَحِرْصًا مِنْهُ عَلَى الْجِهْدِ الَّتِي  
بَدَلَهَا جِدَّةُ أَبِيهِ وَأُمَّهُ وَأَخِيهِ، بَلْ جِهْدِ كُلِّ الْأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ، بَلْ وَأَكْثَرَ وَأَكْثَرَ كَانَ يَخَافُ عَلَى ضِيَاعِ الْجِهْدِ الَّتِي سَيَبْدُلُهَا الْأُمَّةُ  
مِنْ وَلَدِهِ بَعْدَهُ وَمِنْ تَبْعِهِمْ بِإِحْسَانٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَالْخَوْفُ مَمْدُوحٌ لِمَعِيَةِ الرَّجَاءِ مَعَهُ، وَلِذَلِكَ فَخَوْفُ مُوسَى بَلْ خَوْفُ الْقَائِمِ (عج)  
وَخَوْفُ

الحسين (عليه السلام) خوفمعه الرجاء لأنه ليس فيه قعود وتخاذل وقنوط ويأس من روح الله، بل التحرك على طبق الخوف لدفعه أو رفعه وهذا هو الرجاء العملي.

ص: ٧٣

اشاره

سوره الكهف التي اصطالحنا عليها(١) سوره الإمامه، (و فعلاً هي كذلك)، فهي تعطى أربعة نماذج مهمه تُبين حثيات وسلوكيات الإمامه وهي:

(١) قصه آدم(عليه السلام) كخليفه وإمام.

(٢) نموذج أصحاب الكهف.

(٣) نموذج العبد الصالح.

(٤) نموذج ذى القرنين.

كذلك تؤكد الروايات أنّ أصحاب الكهف والعبد الصالح الذي هُوَ الخضر(عليه السلام)، سيكونون مِن أنصار الإمام المهدي(عج)، أي أنّ هؤلاء لهم الأهلّيه للعيش في آخر الزمان، أيّ لهم الأهلّيه للقياده العسكريه والسياسيه التدبيريه والاجتماعيه في الزمن اللاحق (المُتقدّم) المتطوّر علمياً وحضارياً، ممّا يكشف لنا عن علو علمهم، وعن عمق عقيدتهم و صفاء نيتهم، وعمق تدبيرهم وخبرويتهم وأنّ علمهم ليس من سنخ العلوم المعروفه، بل هو علم لدني كما أخبرنا القرآن في قصه الخضر، نَعَمَ الْقُرْآنَ لَمْ يَخْبِرْنَا عَنْ سِنخِ عِلْمِ أَصْحَابِ الْكُهْفِ، بَلْ قَالَ: (إِنَّهُمْ

ص: ٧٤

١- (١) الإمامه الإلهيه : ج ٣ ص ٤ - ٥؛ بين سماحه الشيخ (دام ظله ) في كتاب الإمامه الإلهيه قراءه مميزه للنماذج المذكوره .

فَتَبَّهَ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَ زِدْنَاهُمْ هُدًى (١)، ولعلَّ أحدَ القرائنِ عَلَيَّ أَنَّ علمهم لدنى - بالإضافه إلى قول الآيه: (وَ زِدْنَاهُمْ هُدًى) - هُوَ نفس أهليتهم للقياده الإداريه والتدبيريه فى آخر الزمان.

الأمر الآخر المٌهم الذى يجب أن نُسلطَ الضوء عليه، لبيان ميزاتهم التى سببت أهليتهم للقياده فى آخر الزمان، - بَعْدَ أَنْ عرفنا أَنَّ سنخ علمهم لدنى - هُوَ الجانب الأمنى أو الحس الأمنى - كما يُعبّر فى العصر الحاضر - والقرآن يُبين لنا ذلك فى مقطع صغير خفى يتضح بالتدبُّر والتأمل فعن أصحاب الكهف، يقول: (فَاتَّبَعُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرُوا أَيُّهَا أَزْكَى طَعَاماً فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا) (٢).

فَمِنْ قَوْلِهِ (وَلْيَتَلَطَّفْ) (٣) وقوله (وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا)، استدلبعض بها على مشروعيه التقيه إلا أنه فيها جانب عظيم وخطير من تدريب النفس على الحس الأمنى والتدبير، فإنَّ (التلطف) الذى طلبه أصحاب الكهف من صاحبهم الذى أرسلوه إلى المدينه فيه جانب عظيم وخطير من تدريب النفس على الحس الأمنى والتدبير، وهو نوع خفاء، للمتلف حين مواجهته للناس.

فاللطفه كما يقول الراغب الأصفهاني: «ويعبّر باللطافه واللفظ عن الحركه الخفيفه وعن تعاطى الأمور الدقيقه» (٤)، إذن التلطف هُوَ الخفّه فى

ص: ٧٥

١- (١) سوره الكهف: الآيه ١٣.

٢- (٢) سوره الكهف: الآيه ١٩.

٣- (٣) سوره الكهف: الآيه ١٩.

٤- (٤) المُفردات: مادّه (لطف) ٤٦٩.

التعاطى والتعامل والخفّه لا يقصد بها سرعه الحركه، بل هى تشير إلى عدم الثقل له لدى الآخرين وهُوَ عدم الوزن أى لا يقام لهذا المُتعاطى وزناً، وكأنّ العين لا تحسب له حساباً ولا تقيم له وزناً، وهذا معنى عظيم وحس أمنى خطير لا يمكن أن يعملهُ كُلاًّ أحد وهو فى الحقيقه هبه إلهيه وسرّ إلهى.

لذلك كثير من القصص التى تروى عن أشخاص تشرفوا برؤيه الإمام صاحب الزمان (عج)، أنّهم إنما التفتوا إلى أنّ هذا هو الإمام (عج) بعد أن ذهب أو اختفى عنهم؛ وأنّه لم يشعرهم أنّه هو الإمام، والإمام أعطاهم إشارات خفيه أو لطيفه، ولكن للطفاتها ودقتها لم يلتفتوا إليها - نعم من يدعى الرؤيه بداعى إظهار أنّه وسيط مع الإمام (عج) فهو كاذب مُفتر - .

### خفاء التدبير بلا خفاء للمدبر:

كذلك اللطف هو عبارهُ عن تعاطى لمعانٍ دقيقه، لا يفهمها كُلاًّ أحد فالعبارات اللطيفه الدقيقه التى تلقى لا يفهمها عامه الناس، بل يفهمها الخواص أو خواص الخواص، فيكون التلطف هو فى الكلام بقدر السؤال مع عدم الزيادة، والكلام بشكل إجمالى ومقتضب، أو بشكل بسيط وسلس وغير مُعقّد لأنّ التعقيد يزيد السؤال.

فالتلطف وعدم إشعار الآخرين هو إشاره للحسّ الأمنى العالى الذى مارسه أصحاب الكهف كذلك الخضر حينما جاء إليه موسى يتعلّم منه، حيث كان بين موسى (عليه السلام) وبين الخضر (عليه السلام) موعد ولا يتصور أنّ الخضر تخلف عن الموعد، كما لم يتخلف موسى (عليه السلام)، ولكن الذى حصل أنّ موسى لم يطلع على العلامه حين وقوعها وهى اتخاذ الحوت سبيله سرياً، وحينها كان

الخضر (عليه السلام) جالساً في نفس المكان، ولم يشر إلى موسى (عليه السلام)، ولم يحرك ساكناً لشده حياطته الأمنيّه رغم أنّه عرف موسى (عليه السلام) حسب المقرر.

فتلاقى موسى والخضر وإن كان وعداً إلهياً وقدراً محتماً وقضاءً مُبرماً إلا أنّ ذلك لم يدع موسى والخضر (عليهما السلام) يتوانيان عن تحمّل أعلى المسؤوليه وإتيان قمه النشاط ومراعاة أشدّ الحذر وأدقّ الترقّب مع أنّ الخضر قد شرب من عين الحياه ومضمون البقاء إلى يوم الظهور المُقدّس للإمام (عج) إلا أنّ حذره مُتصاعد حتّى مع مثل موسى نبي من أولى العزم.

ومن ثمّ قال له حيطه وحفاظاً على برنامج مسؤولياته الخفيه ههنا فراق بيني وبينك، والسبب لأجل أن يبقى في معاشه تامّه لأسلوب الحياطه الأمنيّه - التقيه المُكثفه - حتّى في الحالات الاعتياديه، قال تعالى: (قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْكُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا) (١).

وهذه التقيه من الإمام (عج) وأصحابه، والبرنامج الأمني المُكثف ليس تشكيكاً في وعد الله المحتوم بالنصر والعياذ بالله، ولا تشكيكاً في قدره الله، بل هو على العكس تماماً زياده في الإيمان بمدى سعه القدره والمشيئه الإلهيه، وزياده في المعرفه بمشيئه الله وسعه قدرته التي هي البداء وبسعه قدره الله وسعه مشيئته.

وإنّ الاحتراز من مثل الخضر (عليه السلام) أو أصحاب الكهف (عليهم السلام) هو أكثر تسليماً لمشيئه الله الواسعه، من استسلامهم للقضاء والقدر اللذين هما أضيّق

ص: ٧٧

مِنْ سَعَةِ الْمَشِيئَةِ، أَلَا تَرَى قَوْلَ نَبِيِّ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): (وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا) (١). فَرِغَمَ يَقِينِهِ إِلَّا أَنَّهُ اسْتَشْنَى مَشِيئَةَ اللَّهِ لِسَعَةِ عِلْمِ اللَّهِ بِكُلِّ شَيْءٍ.

وبعبارة أخرى: رغم كون الخضر (عليه السلام) حياً إلى آخر الزمان إلا أن اتباع الأساليب والطرق الأئمة الأئمة الأمنية شئاً أساسياً، وهو أشدّ تسليماً لله حيث سلم بسعة مشيئة الله وعلمه وقدرته ولم يغتر بحتمية القضاء والقدر ولذلك المخلصون على خطر عظيم ووجل كبير لتهيئتهم من سعة المشيئة والعلم والقدره والبداء فبقدر ما لديهم من رجاء ومعرفة بالجمال لديهم خوف ومعرفة بالجلال وهو ما يشير إليه سيد الشهداء في دعاء عرفه: «إلهي أن اختلاف تدابيرك وسرعه طواء مقاديرك منعا عبادك العارفين بك عن السكون إلى عطاء واليأس منك في بلاء» (٢) فعدم سكونهم لعدم اقتصارهم بلا خوف وإن أعطوا، وليس سوء ظن بالله تعالى بل توازن شدّة الرجاء مع شدّة الخوف، وهو تجلّي للعظمة الربوبية مع شدّة عبوديه وشدّة خضوع، وعدم يأسهم وعدم اقتصارهم على الخوف بدون رجاء في البلاء لكون خوفهم مع رجاء - وهذا معنى دقيق بحاجة إلى تدبّر - .

ص: ٧٨

١- (١) سورة الأنعام: الآية ٨٠.

٢- (٢) الإقبال: ٣٢٩ - ٣٥٠، عنه بحار الأنوار: ج ٢٢٥: ٩٥.

أحلاس البيوت:

وَرَدَتْ روايات عديدة ذكرت عنوان (الحلس)، وأُسيء فهم هـذا العنوان كثيراً، وتصور الكثير أنه يعنى الجمود وترك المسؤوليات، فلا بُدَّ هنا أن نُسلط الضوء على هذا العنوان.

عَنْ أبى عبدالله (عليه السلام) قال: «... فكونوا أحلاس بيوتكم، والبدوا ما ألبدنا فإذا تحرَّك مُتحرَّكنا فاسعوا إليه ولو حبواً» (١). وعن أبى الجارود، عَنْ أبى جعفر (عليه السلام)، قال: «قال: قلتُ له (عليه السلام): أوصنى؟ فقال: أوصيك بتقوى الله، وأنْ تلتزم بيتك وتقعُد في دهماه هؤلاء الناس، وإياك والخوارج منا فإنَّهم ليسوا على شىء ولا إلى شىء...» (٢). عَنْ أبى المرهف، قال: «قال أبو عبدالله (عليه السلام): هلكت المحاضير، قال: قلت وما المحاضير؟ قال: المُستعجلون، ونجا المقربون، وثبت الحصن على أوتادها، كونوا أحلاس بيوتكم فإنَّ الغبره على من أثارها، وإنَّهم لا يُريدونكم بجائحه إلَّا أتاهم الله بشاغل إلَّا مِنْ

ص: ٧٩

- 
- ١- (١) الغيبة: ٢٠٠، ب ١١، وقد نقل نفس المضمون في روايات أُخرى مِنْ طرق الشيعة والسنة، حيثُ نقل في سنن أبى داود - وَهُوَ مِنْ مصادر السنة - عنوان الأحلاس في ج ٣٠٥: ٢.
- ٢- (٢) الغيبة للنعمانى: ٢٠١، ب ١١.

هذه الروايات وغيرها نراها تأمر المؤمن في زمن الغيبة أن يكون حلساً من أحلاس بيته، وقد شاع تفسيره بمعنى الجلوس في الدار، أو بمعنى السكون وعدم الحركة، أو عدم التحرك لئلا يؤدّي بالمؤمن للأذى أو الموت، فهل المراد من هذا اللسان ذلك أو شيء آخر، وهذا ما سيأتى توضيحه في خاتمه البحث - في بحث مستقل - إذ هذا المعنى الشائع تفسيره لا يتناسب مع القواعد المعرفية العامّة من التوكّل والرجاء وعدم اليأس وعدم الاستسلام إلى الظروف والواقع الراهن مهما كان مُعقداً ومُكبلاً.

وقد جذرت هذه الثقافة - ثقافه الأمل والنشاط - ما وَرَدَ في زياره الحسين (عليه السلام) أنه كَانَ - أسير الكربات(٢) - أي أن تعقيد الظروف كَانَ يحيط به من كُلِّ جانب وبرغم كُلِّ ذلك لم يكن (عليه السلام) مستسلماً لتلك الظروف بل كَانَ في قمه الحيويه والنشاط.

ص: ٨٠

---

١- (١) الغيبة للنعماني: ٢٠٣، وبنفس المضمون نقل ذلك الكافي في باب ما يعاين المؤمن والكافر، ج ١٣٢: ٣.

٢- (٢) مصباح المتهجد للطوسي: ٧٨٨؛ المزار للمشهدي: ٥١٤.

## الفصل الثالث: لا حسم سابق ولا حتم في التداعيات بدون إمكانيه البداء

اشاره

ص: ٨١



إذا كان الحسم والحتم فى الأمر الكلى وكذلك الجزئى فلا- حسم ولا- حتم فى التداعيات بنحو يسد الباب عن تطرق البدء الإلهى لا سيما البدء الأعظم.

هَذَا الْجواب: مع التنزل عن الجواب الأول من أن قضيه شهاده الحسين نفسها تحتمل البدء ولو البدء الأعظم ومع التنزل عن الجواب الثانى من أن قضيه الحسين تحتمل البدء فى تفاصيلها الجزئيه وإن لم تحتمل البدء فى أصل الشهاده، يأتى دور الجواب الثالث وهو:

إن النتائج والتداعيات المترتبة على الحدث غير محسومه سلفاً ومسبقاً، والتفاصيل الأخرى المتولده من الحدث الخارجيه عن حاق الواقعه كذلك المجال فيها ممكن للحركه والحراك والسعى بلحاظها لإنجاز أكبر قدر من الأهداف العالیه فلا يأس ولا إياس بل عنفوان رجاء ملؤه تفاؤل بالخير والأمل، وهذه معرفه غائره بالتوكّل على الله تعالى والرجاء لرحمته تفوق الإيمان بالقضاء والقدر، فإن النتائج التى يرمى الحسين (عليه السلام) للتخطيط لوقوعها والتى تتكشف يوماً بعد يوم كانت من إنجازات الحسين (عليه السلام) بمشيئته تعالى وراء القضاء المحتوم أى بما ألهمه الله من العلم والفهم بسعه قُدره الله تعالى وسعه علمه تعالى وبما كشف له من الواقع بما له من علو، وأخرى كانت من

إنجاز السبايا، وبالخصوص زينب والسجاد (عليهما السلام) بما لهم من علم إلهي وحكمه وتربيته محمدية علوية فاطمية حسنيه حسنيه.

وهذا واضح في قول السجاد لعنته زينب (عليها السلام) «أنتِ عالِمه غير مُعلِّمه وفهمه غير مُفهمه»<sup>(١)</sup>، وزينب (عليها السلام) تؤكد له أن قضية الحسين (عليه السلام) باقية ما بقي الليل والنهار، حيث تقول (عليها السلام): «ما لي أراك تجود بنفسك يا بقيه جدي وأختي، فوالله إن هذا لعهد من الله إلى جدك وأبيك، ولقد أخذ الله ميثاق أناس لا تعرفهم فراعنه هذه الأرض، وهم معروفون في أهل السموات، أنهم يجمعون هذه الأعضاء المُقطعه والجسوم المُضرجه فيوارونها، وينصبون بهذا الطف علماً لقبر أبيك سيد الشهداء لا يُدرس أثره، ولا يُمحي رسمه على كرور الليالي والأيام، وليجتهدن أئمة الكفر وأشياع الضلال في محوه وطمسه فلا يزداد أثره إلا علواً...»<sup>(٢)</sup>.

وهذه كلمه من العقيله (عليها السلام) عاليه المضامين يصعب إنجازها وتطبيقها وهي كلمه نسمعها ونرُددها وهي خفيفه في اللسان ولكنها كانت ولا زالت ثقيه في ميدان التطبيق وميدان العمل فالأخبار والعلم شيء، والعمل شيء آخر مُغاير تماماً للكلام والعلم.

إذن فإن نتائج كثيره غير محسومه وغير محتومه يمكن أن تترتب بتحمل المسؤوليه ومكابده الهمم وإن كان أصل الحدث محتوم والواقع مبرمه في القضاء، فكان الحسين (عليه السلام) - دوامه قطب نشاط وحيويه - يرمى إلى إنجازها وأنجزت وتحققت على يده، أو على يد السبايا في زمنه أو بعد زمنه المبارك وإلى يومك هذا.

ص: ٨٤

١- (١) الاحتجاج: ج ٣١: ٢.

٢- (٢) كامل الزيارات: ٤٤٤.

**تفاءلوا بالخير:**

نودُّ هُنَا الإشارةَ إلى بعضِ الأسسِ والقواعدِ الَّتِي أسَّسَهَا النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَالَّتِي تَلْقَى بِظِلَالِهَا عَلَيَّ مَا يَنْبَغِي فَهَمَّهُ مِنْ الْجَوَابِ الثَّلَاثِ فِي مَعْرِفِهِ سَعَةَ التَّوَكُّلِ وَالرَّجَاءِ بِاللَّهِ تَعَالَى وَرَحْمَتِهِ.

بند وأصل وأساس عظيم ونظريته نبويه وكلمه جامعه من الخاتم (صلى الله عليه وآله)، الذي قال: «أوتيت جوامع الكلم»<sup>(١)</sup>، وهذه الكلمه هي: «تفاءلوا بالخير تجدوه»<sup>(٢)</sup>، هذه الكلمه الجامعه من (الخاتم لما سبق والفتاح لما استقبل والمهيمن على ذلك كله)، هذه الكلمه العظيمة الكبرى من النبي (صلى الله عليه وآله) ليست مجرد كلمه تشجيعيه اندفاعيه لشحذ الهمم - وإن كانت كذلك -، بل هي كلمه شوهدت نتائجها، وتشاهد اليوم في عشرات الميادين، بل مئات أو أكثر من ذلك، وكثيرون نجحوا في حياتهم بتطبيقهم لهذه المقوله العظيمة، في حين تجد إنسان في قمه الفشل ولكنّه مُتفائل وتفاؤله يحوّل الهزيمة إلى نصر والفشل إلى نجاح والأزمات إلى فرص.

ص: ٨٥

١- (١) الأمالى للصدوق: ٢٨٥؛ الأمالى للطوسى بنفس المضمون: ١٠٥؛ مسند أحمد: ج ٢٥٠ : ٢.

٢- (٢) الميزان: ج ٧٧: ١٩؛ ميزان الحكمة: ج ٢٣٥٣ : ٣؛ كما ورد في قصه الحديدية وكذلك في قصه كتابه (عليهما السلام) إلى خسرو وبرويز.

فالتفاوت حاله تكوينيه تعيشها النفس والروح تصنع المعجزات في عالم تدبير وإداره الحدث في التكوين الخارجى، كما صنعته في عالم التكوينى الباطنى للنفس، وليس الأمر مُختص بالأفراد، بل هُوَ حَتَّى عَلَى صعيد المُجمعات وَعَلَى صعيد الدول والحكومات.

### تدبير الخير لمستقبل الأُمّة:

مَنْ فرط حرص النَّبى (صلى الله عليه وآله) عَلَى الخير للمُسلمين، بل لكلِّ الناس بما فيهم أهل الكُفر والنِّفاق واستماعه لكلامهم، قال بعض الصحابه فى زمانه هُوَ (أذن)، فأجاب عَنْ ذلك القرآن بقوله: (أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ يُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ) (١). فَهُوَ يستمع للجميع ويصاحب الكلِّ (بما فيهم المُنافق)، لذلك يظن الظَّان أَنَّ النَّبى (صلى الله عليه وآله) استجاب لهذا القرشى المُتآمراً، أو قبل قول هَذَا المُنافق والحال أَنَّ فى الاستماع الجيِّد والإصغاء التامَّ له أبعاد كثيره جداً، فَهُوَ مِنْ جِهَةٍ يُشجِّع الطرف الآخر عَلَى التفاعل والمُشاركة والإسهام سواء الصحيح أو الخاطىء، حَتَّى يُصَحِّح (صلى الله عليه وآله) له الخطأ - تكلموا تُعرفوا - وَمِنْ جِهَةٍ يبتَّ جواً مِنْ الحرية وقبول الطرف الآخر، وَهُوَ لا- يعنى بالضروره تطبيق ما يقوله الطرف الآخر، وَهُوَ تشجيع للحوار الهادئ البناء والمشوره النافعه، وَمِنْ جِهَةٍ ثالثه هُوَ تعليم للآخرين لأنَّه عندما يتكلم بما عنده مِنْ أفكار تأتيه أفكار جديده ورؤى أُخرى ويتنفع البقيه مِنْ المناقشه وَمِنْ التصحيح والمُداخلات، وَمِنْ جِهَةٍ رابعه دور للمشاركه والمراقبه داخل الإطار الإسلامى الصحيح، والابتعاد عَنْ سياسه تكميم الأفواه فى الاستفسار عَنْ بعض السياسات التنفيذيه عَلَى الرغم مِنْ أَنَّها وحى مُنزَّل.

ص: ٨٦

ولذلك لم يكن الله ولا رسوله (صلى الله عليه وآله) يمنع من التفاعل الصحيح البناء، فالنبي في عشرات المواقف يستقبل الكلام القاسى بصدر رحب من جهة ومن جهة أخرى يقول هَذَا أمر الله ولم يكن في كلام القرآن، وفي كلام النبي، والأنبياء السابقين ما يشير إلى تحريم إبداء المقترحات والأسئلة الفاحصة عن الحقيقة في تصرف من التصرفات والممارسات، وهَذَا ما يُفسّر لنا عشرات التعليقات المُفسره المُبينه التي في القرآن لتصحيح المسارات الخاطئة التي مارستها الأقسام في الاجيال السابقة عن حكمه أفعال الأنبياء، وتصرفاتهم حيث توهموا بالنظر السلبي لتلك التصرفات.

نظير ذلك قضيه تنصيب على (عليه السلام) أميراً للمؤمنين من قبل السماء فقد جاءت العزيمه منه تعالى في حجه الوداع في مكة إلما أن الأمر لم يكن مُضيقاً من جهة الزمان والمكان، وكان الزمن باختيار النبي (صلى الله عليه وآله) حيث كان يتحرى الوقت المناسب الذى يوصل فيه التبليغ للناس ما اشتماله على أكبر حصيله ممكنه من نشيد صرح هَذَا الأصل الأصيل للإسلام والمسلمين، ثم أتت عزيمه أخرى منه تعالى مُضيقه في قوله تعالى: (يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) (١)، أى بَلِّغْ يا رسول الله (صلى الله عليه وآله) تنصيب الأمير (عليه السلام).

فَقَدْ روى ابن مردويه بسنده عن ابن مسعود عن قراءة الآيه، قَالَ: «كُنَّا نقرأ على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) (يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ...)» (٢)، وأخرج ابن أبى حاتم

ص: ٨٧

١- (١) سورة المائدة: الآيه ٦٨.

٢- (٢) الدر المنثور في التفسير المأثور، جلال الدين السيوطى - ج ٢٩٨: ٢.

وابن مردويه وابن عساكر عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخَدْرِيِّ، قَالَ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ( يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ) عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) يَوْمَ غَدِيرِ خَمٍ فِي عَالِي بَنِي أَبِي طَالِبٍ (١) وَإِذَا كُنْتَ فِي خَشْيَةِ عَالِي الرِّسَالَةِ وَعَالِي المَشْرُوعِ الإِلَهِيِّ، فَإِنَّهُ مَشْرُوعٌ مَعْصُومٌ، وَأَنْتَ أَيْضاً مَعْصُومٌ وَمَمْنُوعٌ مِنْ أَنْ يَصِلَ إِلَيْكَ الشَّرُّ مِنَ النَّاسِ وَالتَّكْذِيبُ إِذَا لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ شَرٌّ وَتَكْذِيبٌ فَهُنَاكَ الْخَيْرُ كُلُّ الْخَيْرِ وَهُوَ الْمُبْتَغَى وَالْغَايَةُ.

وَخَشْيَةُ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وآله) بِكُلِّ تَأْكِيدٍ كَانَتْ فِي مَحَلِّهَا وَعَوَامِلِ الْخَشْيَةِ مَوْجُودَةٌ وَالْقُرْآنُ يُوَضِّحُ ذَلِكَ، وَلَكِنْ لِأَنَّ مِنْ التَّبْلِغِ لِأَنَّ الأَمْرَ الْمُبْلَغَ بِهِ هُوَ عَدْلُ الرِّسَالَةِ بَلِّغْ هُوَ الرِّسَالَةُ وَمِنْ الآيَاتِ الَّتِي تُبَيِّنُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: (سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ) (٢)(٣).

فالأمر الأوَّل والعزيمه الأولى بتبليغ الولايه رغم عظمتها وخطورتها في الأمر الإلهي النازل على النبي (صلى الله عليه وآله) إلا أن ذلك لم يدفع بالنبي (صلى الله عليه وآله) إلى الاندفاع في الحركة والحراك من دون تدبير وتخطيط في توخي الأفضل في المساحة المفتوحة بعد أن لم يكن الأمر مُضَيِّقاً بَلِّغْ مَوْسَعاً حَتَّى جَاءَ الأَمْرُ مَرَّةً أُخْرَى

ص: ٨٨

١- (١) المصدر والصفحة.

٢- (٢) سورة المعارج: الآية ١.

٣- (٣) وفي كتاب مدينه المعاجز أن السائل المذكور هو النظر بن الحارث الفهري، فإنه قال للنبي (عليهما السلام): «أنت سيد ولد آدم، وأخوك سيد العرب، وابتتك فاطمه سيده نساء العالمين، وبنائك الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة، وعمك سيد الشهداء، وابن عمك ذو الجناحين يطير بهما في الجنة حيث يشاء... فما لسائر قريش؟!» وهو باحتجاجه على النبي (عليهما السلام) بتنصيبه لعل (عليه السلام) أنه إذا كان حقاً ومن السماء فليأتيه العذاب فجاءه العذاب.

بالفوريه والتضييق فترك التأخير بسبب التروى والتحرى إلى المُبادره والإسراع.

هَذَا مِثَالٌ وَسَنَهُ مِنْهُ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أَنَّ الأَمْرَ وَإِنْ كَانَ حَتْمِيًّا وَبَالِغَ الخَطُورِه إِلَّا أَنَّهُ لَا مَلَاذِمَ بَيْنَ الحَتْمِيهِ وَعَدَمِ السَّعَةِ فِي التَّفَاصِيلِ فَاصِلُ الإِبْلَاحِ لَازِمٌ وَلَكِنَّهُ مِنْ جِهَةِ الزَّمَانِ وَالمَكَانِ وَالظُرُوفِ مَتَّسِعٌ لِلتَّدْبِيرِ وَالتَّحْرِيِ الأَنْسَبِ لِلحَرَكَةِ وَالحَرَكَاتِ وَتَوَخَّى أَفْضَلَ الظُّرُوفِ وَأَحْسَنَ النَتَائِجِ.

وَمِنْ ثَمَّ وَرَدَ النِّهْيُ الشَّدِيدُ فِي السَّنَةِ الإِلَهِيَةِ عَنِ التَّضْيِيقِ بِكَثْرَةِ السُّؤَالِ كَمَا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ ضَيَّقُوا عَلَيَّ أَنْفُسَهُمُ الأَوَامِرَ ذَاتَ العَمُومِ الإِلَهِيَةِ المُتَّسِعَةِ بِسَبَبِ كَثْرَةِ السُّؤَالِ عَنِ التَّفَاصِيلِ وَالقِيُودِ كَمَا فِي أَمْرِهِ تَعَالَى لَهُمْ بِذَبْحِ البَقْرَةِ فَكَانَ فِي البَدْءِ مُتَّسِعٌ لَهُمُ المَجَالُ فِي التَّفَاصِيلِ وَالحَرَكَةِ فِيهَا رَغْمُ الإِزَامِيَةِ الأَمْرِ إِلَّا أَنَّهُمْ أَكْثَرُوا السُّؤَالَ عَنِ القِيُودِ فِي التَّفَاصِيلِ لِيَحْتَمُوها عَلَيَّ أَنْفُسَهُمْ مَعَ أَنَّهُمْ لَمْ تَكُنْ مُبْرَمَةٌ بِالقِيُودِ مُضَيِّقَةً عَلَيْهِمْ رَغْمَ إِبْرَامِ أَصْلِ الأَمْرِ.

وَهَذَا مَعْنَى مَا وَرَدَ مِنْ أَنَّ اللهَ يَكْرَهُ كَثْرَةَ السُّؤَالِ أَيَّ عَنِ التَّفَاصِيلِ المُقَيَّدَةِ لِسَعَةِ كَمَا هُوَ حَالُ اليَهُودِ أَصْحَابِ البَقْرَةِ لَا كَرَاهَةَ السُّؤَالِ عَنِ المَعْرِفَةِ بِالحَقَائِقِ بِمَعْنَى التَّعَلُّمِ وَالمَعْرِفَةِ، وَهَذَا مَعْنَاهُ أَنَّ سَنَةَ وَمُحِبَّهُ اللهُ تَعَالَى هِيَ فِي حَيَوِيَةِ النِّشَاطِ وَالحَرَكَاتِ مِنَ العِبَادَةِ فِيمَا وَسَّعَ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ المَجَالِ سِوَاءَ فِي الأَمْرِ الكَوْنِيِّ أَوْ الأَمْرِ التَّشْرِيْعِيِّ، وَهَذِهِ السَّنَةُ الكَوْنِيَّةُ وَالتَّشْرِيْعِيَّةُ تَنَاسَبٌ مُقْتَضِيٌّ وَمَعْنَى التَّوْحِيدِ فِي الأَفْعَالِ (أَمْرٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ)، فَلَا جَبْرَ حَتْمٍ مُضَيِّقٍ وَلَا تَفْوِيضَ انْقِطَاعٍ عَنِ الغَايَةِ وَالإِرَادَةِ الإِلَهِيَةِ.

تَفَاوُلُ الحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ يَجْسِدُ هَذَا البِنْدَ العَظِيمَ وَهَذِهِ الكَلِمَةَ - تَفَاءَلُوا بِالخَيْرِ - الجَامِعَةَ (عَمَلِيًّا) فِي سَاحَةِ الطَّفِّ، يُقَاتِلُ قِتَالَ المُنْتَصِرِ لَا يَعرِفُ الهَوَادَةَ يَكْتَرُ عَلَى القَوْمِ كَرَارًا كَرَّ الأَسَدِ الغَضُوبِ، يَبْتَغِي الخَيْرَ وَيَطْلُبُ عَنوَانَ الخَيْرِ بِكُلِّ أبعادِهِ، سِوَاءِ الحَالِيَةِ أَوِ المُسْتَقْبَلِيَةِ لِلدِّينِ أَوِلهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بِاعتبارِهِ حِجَّةَ اللَّهِ فِي أرضِهِ أَوِ لأهلِ بَيْتِهِ وَصَحْبِهِ، بَلْ أَكثَرَ مِنْ ذَلِكَ يَبْتَغِي الخَيْرَ لأعدائِهِ وَيَطْلُبُ الصَّلَاحَ لَهُمْ، ففِي كُلِّ حَرَكَةٍ وَسَكَنَةٍ وَكُلِّ لِحْظَةٍ مِنْ اللِحْظَاتِ يَنْظُرُ لِذَلِكَ العَنوَانَ العَامِ المُهِيمِ الواسِعِ مِنْ اتِّسَاعِ الرَّحْمَةِ الإِلَهِيَةِ.

وَهَذَا الأَمْرَ لَيْسَ عِنْدَ المَوْلَى الحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فَحَسَبَ بَلْ هُوَ أَدَبُ إلهِي وَنَبَوِي وَوَلَوِي، فَإِنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَّالُهُ بَيْنِي الأُطْرَ العَامَّةَ لِتَعَامَلِهِ مَعَ مَخْلُوقَاتِهِ - وَلَيْسَ مَعَ الإِنْسَانِ فَقَطْ - عَلَى إِطارِ الرَّحْمَةِ العَامَّةِ الواسِعَةِ، وَالتِّي تَنْطَوِي تَحْتِهَا عَناوِينِ عَامَّةٍ أُخْرَى كَالخَيْرِ وَالجُودِ وَالكَرَمِ وَالعَطَاءِ، رَغْمَ عِلْمِهِ بِمِصائِرِ النَّاسِ وَمآلِهِمْ، وَكَأَنَّهُ يَتَجَاوَزُ عَنَ عِلْمِ قِضائِهِ وَعِلْمِ قَدْرِهِ المَحْتومِ إِلَى سَعَةِ مَشِيئَتِهِ الَّتِي هِيَ دَرَجَةٌ أَعْلَى مِنَ العِلْمِ بِالقِضَاءِ وَالقَدْرِ الإِلَهِيِّ فَلَيْسَ عَطَاءُهُ مَحْظُورٌ عَلَى أَهْلِ الكُفْرِ وَلَا عَلَى أَهْلِ الإِيمَانِ، قَالَ تَعَالَى: (كُلًّا نُمِدُّ هُوَلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَ ما كانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا) (١)، فَيُعْطَى وَيَبْتَغَى الخَيْرَ

ص: ٩٠

ويتحرى الخير ويأمل الخير فى كُلِّ آن مِن عبده كما فى الحديث القدسى: «مَنْ تَقَدَّمَ إِلَى شَيْءٍ تَقَدَّمَتْ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَدَّمَ إِلَى ذِرَاعًا تَقَدَّمَتْ إِلَيْهِ بَاعًا...» (١)، - جَلَّ رَبِّى عَنِ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ -

وهكذا أَدَّبَ اللهُ نبيه (صلى الله عليه وآله) وَهُوَ القائل: «أنا أديبُ الله» (٢) حَيْثُ كَانَ (صلى الله عليه وآله) يبتغى فى تدبيره وإدارته لشؤون الآخرين الرحمه والخير للجميع، وكان يتفاهل بالخير فى رسم سياساته وخطواته فى سيرته مع أصحابه وجميع الناس إلى آخر لحظه فرصه وأمل لإبرعوائهم إلى الحق وترك الباطل، ويجد الخير بذلك التفاؤل؛ ولذلك استطاع أن يقلب الموازين واستطاع أن يجعل من الأعداء أخوه متحابين حيث أجرى الصلح بين الأوس والخزرج وأخى بين المهاجرين والأنصار، وكان يتواضع للصغير والكبير ويستمع للحزب والعبد.

ص: ٩١

---

١- (١) الرِّسَالِ العِشْرَ لابن فهد: ٤١٦.

٢- (٢) مكارم الأخلاق: ١٨؛ بحار الأنوار: ٢٣١ : ١٦.

ليس التفاؤل على إطلاقه ممدوح، فهناك مواطن يذم فيها التفاؤل وهى المواطن التى ينبغى فيها الحذر والخوف من سخطه تعالى مثلاً ونحوها، فينبغى التعرف على تلك المواطن وهو أمر بالغ الأهمية، فإن مواضع العفو والرحمة تغاير مواضع النكال والنقمة الإلهية، وهى مواقع تكوينيه لا يمكن أن يمتزج بعضها ببعض الآخر - كما فى دعاء الافتتاح - :«أيقنت أنك أنت أرحم الراحمين فى موضع العفو والرحمة وأشد المعاقبين فى موضع النكال والنقمة...»<sup>(١)</sup>، فينبغى أن يعرف المؤمن مواطن الرضا والغضب الإلهي، فيتجنب ما يسبب غضبه ويطلب موضع عفوهِ ورحمته.

فهناك تفاؤل مذموم؛ لأنه فى غير محله، قال تعالى: (لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّ لَهُمْ بِمَفَازِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ) <sup>(٢)</sup>، بل القرآن فى موطن سخريه من البعض الآخر؛ لأنه يتفاءل بغمام سيمطره بالعذاب، قال تعالى: (فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ) <sup>(٣)</sup>

والقرآن الكريم ينقل لنا صور من حزن وجزع يعقوب (عليه السلام)، أنه حرکه

ص: ٩٢

١- (١) مصباح المتهجد: ٣٣٨.

٢- (٢) سورة آل عمران: الآية ١٨٨.

٣- (٣) سورة الاحقاف: الآية ٢٤.

لرفض الباطل وليس هو تخدير، ومن جهة أخرى هو تفاؤل صحيح لمبرراته الواقعيه، فيكون جزعه غير منافي للعباده والصبر، قال تعالى: ( قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبِّرْ جَمِيلاً عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ) (١).

من جهة أخرى ينهى القرآن عن الحزن المذموم الذى ليس فيه تفاؤل بسعه الرحمه وعلو الكلمه الإلهيه، قال تعالى: ( إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَ أَيْدُهُمْ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَ جَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ) (٢).

ص: ٩٣

١- (١) سورة يوسف: الآية ٨٣.

٢- (٢) سورة التوبه: الآية ٤٠.

الإغراق في لطفه وإتقان التدبير:

ويمكرون ....

لأجل تسليط الضوء أكثر على الجواب الثالث وأنَّ الحسين عليه السلام كان يرمى لتحقيق أفضل النتائج المُستقبلية وأعلاها بلا يأس ولا إياس بل عنفوان رجاءٍ ملؤه التفاؤل بالخير والأمل.

نودُّ أن نُبيِّن بعض الجوانب التي واجهها الحسين (عليه السلام)، ومن تلك الجوانب جانب مكر العدو وليس الابتلاء بهذا الجانب خاصاً به، بل كلَّ المعصومين (عليهم السلام) بل الرسالة المحمدية ورسولها تعرضاً لأشد أنواع المكر وأقساه والآيات في هذا المجال كثيره ...

ومن الآيات التي تُبيِّن ذلك - والتي تشير إلى أن مكر الأعداء كان الابتلاء به سنه إلهيه حتى في الأنبياء السابقين - قوله تعالى: (وَ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعاً يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَ سَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقِبِيَ الدَّارِ (١)).

بل إنَّ الآيات كشفت أنَّ الأمر وصل بوضوح لاغتيال صاحب الرسالة - النَّبي (صلى الله عليه و آله) - قال تعالى: (وَ إِذِ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ

ص: ٩٤

يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (١). بل إلى آخر حياته (صلى الله عليه وآله) جرت العديد من محاولات الاغتيال له (صلى الله عليه وآله)، أشارت إليه الآيات والسور العديدة فضلاً عن الروايات والنصوص التاريخية، فقد روى حماد بن عثمان، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «لما أُسرى بالنبي (صلى الله عليه وآله) إلى السماء قيل له: إنَّ الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - مختبرك في ثلاث لينظر كيف صبرك.

قال: أسلم لأمرك يا رب ولا قوه لي على الصبر إلا بك، فما هُنَّ؟ قيل له: أولهن: الجوع والأثره على نفسك وعلى أهلِكَ لأهل الحاجة، قال: قبلت يا رب ورضيت وسلّمت ومنك التوفيق والصبر.

وأما الثانيه: فالتكذيب والخوف الشديد وبذلك مهجتك في محاربه أهل الكفر بمالك ونفسك، والصبر على ما يصيبك منهم، من الأذى، ومن أهل النفاق، والألم في الحرب والجراح.

قال: قبلت يا رب ورضيت وسلّمت ومنك التوفيق والصبر.

وأما الثالثه: فما يلقي أهل بيتك من بعدك من القتل ... «(٢). ثم أن القرآن يرسم لنا طرقاً عديده لمواجهه هَذَا المكر، ومن تلك الطرق مواجهه المكر بمثله: (وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ \* فَمَا نُنظِرُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ) (٣)، وكذلك قوله تعالى: (وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ) (٤)، ويمكن توضيح ذلك الطريق من المواجهه بالمثل من خلال

ص: ٩٥

١- (١) سورة الأنفال: الآية ٣٠.

٢- (٢) كامل الزيارات: ٥٩٥ ب ١٠٨.

٣- (٣) سورة النمل: الآية ٥٠ - ٥١.

٤- (٤) سورة فاطر: الآية ٤٣.

والاعتراض هُوَ: أَنَّهُ لِمَاذَا قَرَّبَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) الْمُنَافِقِينَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْفِتْنَاتِ الْأُخْرَى الْمَعَادِيهِ الَّتِي تَمَكَّرُ بِالذِّينِ، فَكَانَ الْأَوْلَى طَرْدُهُمْ؟

وجوابه: هُنَاكَ أَجْوِبَةٌ كَثِيرَةٌ فِي بَيَانَاتِ الْوَحْيِ، وَمِنْ بَيَانَاتِ الَّتِي جَاءَتْ فِي صَفْحَةِ التَّنْزِيلِ هِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ) (١) - كَمَا فِي قِرَاءَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) وَهِيَ قِرَاءَةٌ صَحِيحَةٌ (٢) - وَالْقِرَاءَةُ الْمَعْرُوفَةُ وَالْمَوْجُودَةُ فِي الْمَصْحَفِ هِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: (جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ) فَالْمُنَافِقِينَ لَمْ يَقْرَبَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَلَكِنَّهُمْ تَقَرَّبُوا لِأَجْلِ الْمَكْرِ بِالنَّبِيِّ وَالْمَكْرِ بِالتَّنْذِيرِ الْإِلَهِيِّ - لِأَجْلِ مَصَالِحِهِمُ الْخَاصَّةِ -، وَلَكِنْ اللَّهُ يَدْبُرُ لَهُمْ وَيَمَكُرُ بِهِمْ، فَهَمَّ تَقَرَّبُوا لِأَجْلِ أَخْذِ زَمَانِ الْقِيَادَةِ وَالزَّعَامَةِ وَالْحَصُولِ عَلَى الْمَالِ وَالْجَاهِ وَلَكِنْ اللَّهُ يَدْبُرُ لَهُمْ بِأَنْ يَضْرِبَ بِهِمُ الْكُفَّارَ، يَضْرِبُ أَعْدَاءَ اللَّهِ (الْكَافِرِينَ) بِأَعْدَاءِ اللَّهِ (الْمُنَافِقِينَ)، فَأَيْنَ مَا وَقَعَتِ الْخُسَارَةُ فَهِيَ تَقْلِيلٌ مِنْ عَدَدِ الْأَعْدَاءِ (النَّاشِطَةِ) الْمُتَحَرِّكَةِ الْمَاكِرَةِ بِالْإِسْلَامِ وَبِالتَّالِيِ الْكُفْكَفَةِ مِنْ تَدَابِيرِهِمْ وَمَخْطَطَاتِهِمْ.

١- (١) سورة التوبة: الآية ٧٤.

٢- (٢) مِنْ الْكُتُبِ الْمَشْهُورَةِ الَّتِي ذَكَرْتَ قِرَاءَةَ أَهْلِ الْبَيْتِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) هِيَ الْبَيَانُ لِلطُّوسِيِّ وَالتَّبْيَانُ لِلطَّبْرَسِيِّ، وَيَنْبَغِي أَنْ نَلْفِتَ أَنْظَارَ الْأَخْوَةِ أَنَّ الْقِرَاءَاتِ هِيَ عِلْمٌ مِنْ عِلْمِ الْقُرْآنِ، بَلْ لَعَلَّهُ مِنْ أَوَّلِ عِلْمِ الْقُرْآنِ حَيْثُ نَشَأَتْ فِي الصَّدْرِ الْأَوَّلِ، وَقَدْ أَجَازَ (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) كَثِيرٌ مِنَ الْقِرَاءَاتِ هِيَ أَكْثَرُ مِنْ سَبْعَةٍ وَالْمُهْمُ هُنَا هُوَ أَنْ نَعْرِفَ أَنَّ تَبْدِيلَ الْحَرْفِ (مِنْ وَاءٍ إِلَى بَاءٍ) - فِي الْآيَةِ أَعْلَاهُ - لَا يَعْنِي التَّحْرِيفَ بَلْ هُوَ مِنْ تَعَدُّدِ الْقِرَاءَاتِ، وَاخْتِلَافِ بَابِ التَّحْرِيفِ عَنْ بَابِ الْقِرَاءَاتِ.

وَكَاَنَّ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وآله) يدير نظام التدبير كمنظومه كبيره وعظيمه هائله تهيمن على جوانب مُختلفه فى حياه الناس والمُجتمعات، ولذلك كَاَنَّ ينظر للمنافق بل وحتّى الكافر أنّه موجود من الموجودات فيه السلب والإيجاب الممكن استثماره لطريق الحق وتوظيفه للهدى من حيث لا يشعر ولا يرغب وإن كان الكافر والمنافق لا يروعى للحق والهدى فى نهايه المطاف، ولا بد أن تكون فى حياه ذلك المنافق جوانب يمكن الاتكاء عليها فى تحقيق التدابير الإلهيه، فى حين يصعب على المؤمنين تنفيذ ذلك باعتبار شمولها على مكر ودهاء وهم أبعد ما يكون عن ذلك.

إذن من الذى ينفذ المخطط الإلهي؟ والدّين يحتاج إلى طاقات مُتنوّعه من جهه وكثيره من جهه - كم بلا كيف لا يحقّق التدبير الإلهي وكيف بلا كم أيضاً لا يحقّق ذلك - .

وفى هذه القراءه (جاهد الكفار بالمنافقين) ينبغى ألا ننظر إلى جانب السلب فقط، وأن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أراد أن يضرب الكفار بالمنافقين، حتّى يخلص المؤمنين من شرّ الطرفين، كلا، بل أنّه (صلى الله عليه وآله) متفائل بسعه البداء وسعه الرحمه وسعه العلم الإلهي؛ ولذلك كان يسخرهم عسى أن تدرّكهم الهدايه فى لحظه من اللحظات فيتبدّل واقعهم السيء إلى واقع حسن، والمكر السيء إلى مكر حسن فى المنافق، وكذلك، فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قاتل الكافر وهو يأمل أن يتحوّل فى لحظه إلى مؤمن.

فكان النبي (صلى الله عليه وآله) يبحث عن حصول البداء فى التدايعيات والتتائج وحصلت شواهد كثيره من هذا القبيل - إسلام كثير من الكفار -

فإنَّ الكافر حين يرى سيره النَّبى (صلى الله عليه و آله) وأخلاق حاكميته وهداه وأجواء المعركة، ويرى قدرات النَّبى (صلى الله عليه و آله) وفداء وتضحيه المُخلصين مِنْ أصحابه، فإنَّ هذه الرؤيه تسبب له اليأس مِنْ الانتصار عَلَى الفئه المؤمنه، وشيئاً فشيئاً سوف يتولَّد فى نفسه التراجع عَن الكُفْر والانضمام إلى ساحه الإيمان.

## المبالغه فى المداراه مَعَ قمه الحذر واليقظه:

### لنت لهم:

وَمِنْ الطُّرُق الَّتِي مارسها رسول الله (صلى الله عليه و آله) مَعَ المنافقين والذين فى قلوبهم مرض، بلْ مَعَ عموم المُسلمين هُوَ اللين الظاهرى والتعاملى فى ممارساته الخارجيه التديريه، مَعَ حزم التدبير وإحكام وإتقان الخطوات فى ظل وجو صلابه العقيده والإيمان - فى الباطن - فَهُوَ مِنْ جهه الإيمان كالجبل - كما فى الحديث - لا يستفل منه، أمَّا مِنْ جهه المظهر الخارجى وعلاقاته لأنَّ المؤمن (هشَّ بشَّ)، «حزنه فى قلبه وبشره فى وجهه»<sup>(١)</sup>، والوحى يرسم لنا جانب اللين فى آليات التدبير والتخطيط مِنْ دون التفريط فى علو الهدف وعظم الغايات المرسومه فى آيات عديده قد يُعبّر عنها فى أحيان كثيره بعنوان الصفح والعتو والمغفره والإمهال وترك أذاهم ونحو ذلك، والصفح كما فى اللغه: «وصفحت عَنْهُ أوليته منى صفحه جميله معرضاً عَنْ ذنبه أو لقيت صفحته متجافياً منه أو تجاوزت الصفحه الَّتِي أثبتُ فيها ذنبه مِنْ الكتاب إلى غيرها مِنْ قولك تصفَّحت الكتاب<sup>(٢)</sup>، وقوله:

ص: ٩٨

١- (١) بحار الأنوار: ج ٧٣: ٧٥.

٢- (٢) كما يقول أحدنا للآخر: لنفتح صفحه جديده فى العلاقه.

وهناك آيات كثيرة تُبيِّن لنا جانب الصَّفْح والتجاوز عَنِ الأخطاء والتجاهل والتغافل عَنِ بعض الجوانب السلبية كأسلوب مناوره فِي التدبير؛ لأجل رعايه أمور عُلِّيا وتدبير مواضع أعلى وأكبر قال تعالى: (فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) (٢)، وآيه أُخرى تشير إلى أَنَّهُ رغم علمك - يا رسول الله - بخيانتهم أَصْفَح عنهم، قال تعالى: (وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (٣)، وأُخرى ترسم لنا صورته أعلى وهى الصَّفْح الجميل، قال تعالى: (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَهُ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ) (٤)، بل تشير آيات أُخرى إلى أَنَّهُ ينبغي أَنْ تكون سياسته الصَّفْح سياسته لكلِّ الْمُجْتَمَع، قال تعالى: (وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفِحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (٥)، لكن ذلك لا- يعنى إهمال الأهداف والغايات فِي التدبير ورعايه المهام ولا ترك الحذر واليقظه الشديده فِي التخطيط، كما أَنَّ شِدَّة الحذر والحيطة فِي التدبير لا تعنى الحذو والغضب لأنَّ التخطيط بلحاظ الوضع الراهن والمستقبل والأمر الخطيره واللين والصفح والعفو والمغفرة بلحاظ ما مضى وما قَدْ حدث سابقاً وما صَغُر مِنَ الأُمور وفِي الأُسلوب فِي التنفيذ،

١- (١) المفردات: مادّه (صفح): ٢٩٣.

٢- (٢) سورة الزُّخْرَف: الآيه ٨٩.

٣- (٣) سورة المائدة: الآيه ١٣.

٤- (٤) سورة الحجر: الآيه ٣٥.

٥- (٥) سورة النور: الآيه ٢٢.

بَلْ أَنْ الْقُرْآنَ يُؤَكِّدُ أَنَّ هَذِهِ السِّيَاسَةَ يَنْبَغِي أَنْ يَتَّخِذَهَا الْمُؤْمِنُ فِي الْمَجْتَمَعِ الصَّغِيرِ - أُسْرَتِهِ - كَمَا اتَّخَذَهَا فِي مَجْتَمَعِهِ الْكَبِيرِ قَالَ تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عِدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفُّوا وَتَضَيَّفُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (١)، فالآية كما هو واضح لم تأمر بطردهم أو معاقبتهم ولا مجازاتهم ولا ملاحقتهم على ما مضى منهم، بل أشارت إلى الحذر منهم بأخذ العبرة والاعتبار من ما مضى مما ارتكبه وهي سياسة تدبيرية عظيمة، فمن جانب لا تفرط بالطاقات المحيطة بالإنسان من الزوجه والأولاد ومن جانب تتفادى سلبياتهم بسياسة الحذر من تكرار معوقاتهم مستقبلاً وعدم علاج الماضي بالعقوبة بل بالترويض الجديد المستقبلي لهم.

### الافتتاح التفاعلي مع المجتمع مع الحفاظ على سرية الحقائق الخطيرة:

#### أعداء ما جهلوا:

في كثير من الحالات العدائيه من الأعداء التي واجهها الحسين (عليه السلام) وأهل البيت (عليهم السلام) من قبله وواجهها المعصومين (عليهم السلام) من ولده من بعده هي بسبب الجهل - نعم أعداء الحسين (عليه السلام) كانوا يعرفون أنه ابن بنت نبيهم ولا يوجد على الأرض ابن بنت نبي غيره، ولكن علم في مرتبه وجانب لا ينفع معه الجهل بالجوانب والمراتب الأخرى - حيث كانوا جاهلين بمعنى وحقيقه ومرتبه الإمامه وحقيقه ما يفعلون ويرتكبون، أو يمكن تفسيره أنه علم من جهه ومن جهه بغض وبغضاء وحقد لا ينفع معه العلم؛ لأنه يؤدي للجهود، قال تعالى: (وَ جَحَدُوا بِهَا وَ اسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ) (٢)، وحينما وعظهم

ص: ١٠٠

١- (١) سورة التغابن: الآية ١٤.

٢- (٢) سورة النمل: الآية ١٥٩.

الحسين (عليه السلام) أجابوه لقد أبرمتنا بكثرة كلامك أو ما ندرى ما تقول حيث طبع الله على قلوبهم.

وهذا - الجهل - هو حال غالب الناس، ولذلك مارس المعصومون (عليهم السلام) كلهم المداراه مع الناس، تدبيراً لتربيته العباد وإداره لسياسه استكمالهم بقدر الإمكان وقدر الفرص المتاحة.

قوله تعالى: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ) (١) إشاره لذلك وتعليم لقاعده عظيمه في الإدارة والتدبير والقياده للمجتمعات والأنظمه، حيث أنه (صلى الله عليه وآله) لم يكن ليناً في تعامله فقط، بل في حديثه وبكل طبقات حديثه، وفي اختيار الألفاظ لثلاث تفهم بشكل خاطئ، وهذه مداراه وتقويه مداراتيه صعبه مستصعبه، وهو القائل (صلى الله عليه وآله): «أمرت أن أكلّم الناس على قدر عقولهم» (٢) ونفس هذه السياسه مارسها أهل البيت (عليهم السلام) فهم خير من يقتدى به (صلى الله عليه وآله) فقد روى عن أبي عبدالله (عليه السلام): «ما كلم رسول الله (صلى الله عليه وآله) العباد بكنه عقله قط» (٣).

بل هي تستبطن سياسه يعلمها رسول الله (صلى الله عليه وآله) كل أصحابه كما في الحديث عن مسعده بن صدقه عن جعفر عن أبيه ... عن علي بن الحسين (عليه السلام): «لو علم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله» (٤)، فكان سلمان لا يظهر كل ما يعلم

ص: ١٠١

١- (١) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

٢- (٢) الكافي: ج ٢٢: ١ ح ١٥؛ عوالي اللئالي: ج ١٠٢: ٢.

٣- (٣) الكافي: ج ٢٣: ١ ح ١٥؛ الأمالي للصدوق: ٥٠٤.

٤- (٤) الكافي: ج ٤٠١: ١؛ بصائر الدرجات: ٤٥.

لأبى ذر مع مكانه أبى ذر.

ولعلّ سائل يسأل: أنّه كيف يقتل أبو ذر سلمان وبأى معنى؟.

فنقول: إنّ الجهل هو الذى يسبب ذلك، فالإنسان يعلم كثيراً من الأشياء ويغيب عنه الأكثر وما غاب عنه هو جاهل به وغافل عن وجه الحكمة فيه، فيصعب عليه تحمله فإذا كان هذا حال أبو ذر وهو من الدرجة التاسعة فى الإيمان - كما ورد -، فما بالك بأوساط المؤمنين من الدرجات الاعتيادية النازلة فى الإيمان، فعدم تحملهم قد يؤدى إلى محاذير ومفاسد أعظم بكثير.

والحديث الشريف عن أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول: «الناس أعداء ما جهلوا»<sup>(١)</sup>، فعداوتهم نتيجة جهلهم ومن هنا يتضح لنا معنى قوله تعالى: (إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ) <sup>(٢)</sup>، فالآيات التى وردت فى صفح النبى (صلى الله عليه و آله) جاءت بلسان الإدارة والتدبير للنبي (صلى الله عليه و آله) ليدبر أمور المجتمع الإسلامى وهو أصل وقاعده عظيمه وأسوه لكل القاده والمجتمعات، بل الحرى بالسياسه الدوليه وحتّى السياسه الأسريه أن تنتهج المنهج نفسه.

### تبدل الهزيمه إلى نصر:

قال تعالى: (وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ) <sup>(٣)</sup>، أحد أسباب الصبر هو العلم والإحاطه العلميه بجميع جوانب الحدث كما ينظر للجانب الإيجابى كذلك ينظر إلى الجانب السلبي، وهذه

ص: ١٠٢

١- (١) نهج البلاغه: ج ٤٢: ٤.

٢- (٢) سوره التغابن: الآيه ١٤.

٣- (٣) سوره النحل: الآيه ١٢٧.

النظرة الشاملة يحاول المعصوم أن يجعلها قاعده نظامي تدبير حياه المؤمن، بل هي تربيته لعامه الناس، ويروي أن عيسى (عليه السلام) مرَّ معَ الحواريين على جيفه كلب - من الواضح الكلب في حياته ممقوت فكيف به بعد موته وتعفنه وكأن بعض أصحابه سدَّ أنفه وبعضهم الآخر أبدى رأيه السلبي، وقال ما أقبحه ... وهكذا، فهل يمكن أن يتفطن الإنسان إلى وجود جانب إيجابي وصفحه ناصعه في هذا الكلب المتعفن؟! عيسى (عليه السلام) يستطيع بيان ذلك الجانب الإيجابي حيث قال لأصحابه: ما أشدَّ بياض أسنانه»(١).

وهذا المنهاج في التعاطي مع الأمور والأحداث من النبي عيسى (عليه السلام) يستخلص منه قاعده عامه في كل مراحل الحياه وتجعل نهجاً وطريقاً يحقق به المعجزات في إداره الأحداث وهو مصداق من مصاديق التفاؤل الذي بينه سيد الأنبياء (صلى الله عليه و آله) بقوله: «تفاءلوا بالخير تجدوه»(٢)، وقد سلطنا الضوء على شرح الحديث وصلته بالمقام.

صحيح ابن مسكان عن عبدالله بن فرقد قال:

«خرجنا مع أبي عبدالله متوجهين إلى مكه حتى إذا كان بسرف أستقبله غراب ينعق في وجهه، فقال (عليه السلام): «مت جوعاً ما تعلم شيئاً إلّا ونحن نعلمه إلّا أنا أعلم بالله منك

ص: ١٠٣

١- (١) بحار الأنوار: ج ٣٢٧: ١٤؛ تنبيه الخواطر: ج ١٢٥: ١.

٢- (٢) الميزان للطباطبائي: ج ٧٧: ١٩، كما ورد في قصه الحديدية، وكذلك قصه كتابه (عليهما السلام) إلى خسرو وبرويز؛ ميزان الحكمة: ج ٣٥٣: ٣.

فقلنا هل كَانَ فِي وجهه شيء، قَالَ نَعَمْ سقطت ناقيه بعرفات»(١).

ومفاد الروايه أَنَّهُ (عليه السلام) يُبَيِّن أَنَّ جَزَعَ الغراب لمحدوديه علم الغراب فَإِنَّهُ يدرك الحوادث مِنْ جانبها السلبى ولا يدرك حكمتها الإيجابيه المنطويه وراءها كَمَا لا يدرك الجانب الإيجابى مِنْ تلك الحوادث فَمِنْ ثَمَّ يجزع بالنعيق، وَهَذَا خلاف المعصوم فلا يضطرب مِنْ علمه بالحوادث لما يَلْمُ به مِنْ علم إلهى جامع تنكشف فيه الغايات الحكيمه العظيمه فى التدبير الإلهى فلا يصيبه جزع وَهُوَ مفاد قوله (عليه السلام) «إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ بِاللَّهِ مِنْكَ»، فكلما ازداد العلم ازدادت الحكمه ولطافه إتقان التدبير.

كذلكمِنْ خلال هذه الحادثه والموقف لَهُ (عليه السلام) نخرج بنتائج مُهمه:

(١) إِنَّ الإمام (عليه السلام) لَمْ يجزع - كما جزع الغراب - لِأَنَّ روحه أقوى وإحاطته العلميه أكبر، وكلما كبرت إحاطه الإنسان العلميه كُلَّمَا كَانَ أَكْثَرَ صَبْرًا عَلَى حوادث الدهور، فالغراب جزع لانه لَمْ يحط بِكُلِّ العلم لِأَنَّهُ علم جانباً مِنْ جوانب العلم كذلك حال الهدهد فى قصه سليمان (عليه السلام) حَيْثُ يبدو مِنْهُ التكبر عَلَى سليمان (عليه السلام) حين قَالَ: (أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ) (٢) فهو تصوّر أَنَّ ما علم به كُلَّ الحقيقه مَعَ أَنَّهُ جهل ما عدا ذَلِكَ وَمِنْ ثَمَّ وقع فى صفه غَيْر محموده بسبب الجهل واختلاطه مَعَ مرتبه العلم لديه، كما هُوَ حال بعض مدعى العرفان والصوفيه أَنَّهُ أحاط الملكوت وَأَنَّهُ أوحى زمانه وله إحاطه غفل عنها المعصوم - والعياذ بالله - .

ص: ١٠٤

١- (١) بصائر الدرجات: ٣٦٥؛ مناقب آل أبي طالب: ج ٣: ٣٤٦.

٢- (٢) سورة النمل: الآية ٢٢.

٢) فائده مهمه وعظيمه وهي أن بعض من يدعى العرفان عندما يتعلم حرف أو حرفين من العلم يتصور أنه عرف وأحاط بكل العلم، فيطغى بسبب غناه العلمي، قال تعالى: (إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ \* أَنْ رَأَى اسْتَعْتَصَى) (١)، أو يطر بسبب النعمه العلميه؛ لأنه يتصور أنه حوى الملكوت فينزلق في متاهات الباطل والانحراف العقائدي أو الشذوذ الجنسي بسبب شدّه نزوه طرب النفس كما هو مجرب في حالات رياضات النفس كما في حال بلعم بن باعورا ومنصور الحلّاج وغيرهما.

وأحياناً يجزع فينسلخ لأنه سعته الإحاطيه يسيره فتضعف نفسه وهو يتصور أن بإمكانه حمل الجبال الرواسي من العلم والحكمه، فيحمّل نفسه فوق الطاقه.

٣) ممّا تقدّم يمكن أن نفهم أن أحد أسباب جوانب الصبر لدى مولانا الحسين (عليه السلام) هو العلم وسعه الإحاطه العلميه بسعه البداء وسعه المشيئه الإلهيه فلا ياس ولا إياس من روح الله.

ص: ١٠٥

**المضائق:**

الإسلام مرَّ بمنعطفات عديده بل ومرَّ بمضائق شديده، حتَّى وصل الأمر بالنبي (صلى الله عليه وآله) أن يتوجَّه بالدعاء والتضرُّع إلى الله بشكل مغاير لما يدعوه به في الأوقات الاعتيادية رغم يقينه بالنصر.

وهنا نذكر مثلاً للنشاط وحيويته الحركة في حاله معاكسه للتفائل بالخير الذي هو في مورد البلاء المحتوم، والحاله المعاكسه هي الخوف في مورد النصر والنجاح المحتوم.

(١) فإنَّه رغم الوعد بالنصر إلَّا أنَّه لا يستلزم ترك النشاط والحراك من جهة الحذر والخوف من التفاصيل الجزئية السلبيه أو النتائج الناقصه.

(٢) ما يرى لدى كثير من أهل الإيمان - في قضيه ظهور الإمام المهدي (عج) - حيثَّ يرون أنَّ الظهور فوق المحتوم أي (ميعاد) ولا يخلف الله الميعاد فأى حاجه للحركه والحراك لتمهيد الظهور وإعداد الأرضيه كما في «ونصرتي لكم معده» لا حاجه إلى ذلك وهذه نتيجته ورؤيه خاطئه جداً.

(٣) فإنَّ أصل الظهور وإنَّ كان فوق المحتوم ولا- بقاء فيه إلَّا أنَّ وقته وتوقيتته ممَّا يمكن فيه البقاء كما حصل تأخير مشروع المهديه منذ زمن

الحسين (عليه السلام) إلى الصادق (عليه السلام) ثمَّ تمَّ تأخيره إلى زمن الكاظم (عليه السلام) ثمَّ تأخيره إلى الإمام الثاني عشر (عج).

٤) فاللتفاصيل ممَّا يتطرَّق إليها البداء والتغيير فلا بُدَّ مِنْ الخوف واليقظه والحذر وَهَذَا ممَّا يوجب الحيويه والنشاط في الحراك رغم أَنَّ الظفر والنصر محتوم إلَّا أَنَّهُ لَا- يوجب ترك تحمل المسؤوليه، وَهَذَا معنى ظريف تفسيري لكلِّ مِنْ قاعده لا جبر ولا تفويض أَى لا جبر في التفاصيل رغم أَنَّهُ لَا تفويض في أصل الحدث وأصل الوقوع والواقع.

٥) وَهَذَا المعنى تفسير توحيدى لقاعده الزهد الذى قال عنها أمير المؤمنين (عليه السلام) أَنَّهُ مشروح في قوله تعالى: (لَكَيْلًا تَأْسُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَ لَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ) (١)، أَى لَا تفرحوا بحتميه النصر وتتركوا الخوف والحذر واليقظه كما لَا تأسوا مِنْ حتميه البلاء فتركوا النشاط والحراك والرجاء في تحسين النتائج والتفاصيل.

٦) وَمِنْ ثُمَّ أَكَّدَ أهل البيت (عليهم السلام) أَنَّ المؤمن مهما ازداد إيمانه فَإِنَّ الخوف والرجاء متساوى في قلبه؛ لكى يستتم التوحيد في قلبه، ولا يظن أَن يد الله غَيْر مغلوله بل يدها مبسوطتان ينفق كيف يشاء.

٧) ولأجل ذلك وَرَدَ أيضاً في أحد الزيارات الجامعه لأئمه المؤمنين (عليه السلام) أَنَّ أئمه أهل البيت (عليهم السلام) فاقوا وسبقوا سائر الأنبياء والمرسلين والملائكه المقربين وذلك بالقلوب الَّتِي تولى الله رياضتها بالخوف والرجال «لا يسبقنكم ثناء الملائكه في الإخلاص والخشوع، ولا يضادكم ذو ابتهال وخضوع أنى ولكم القلوب الَّتِي تولى الله رياضيتها بالخوف والرجاء

ص: ١٠٧

وجعلها أوعيه للشكر والثناء وأمنها من عوارض الغفله وصفها من شواغل الفتره»(١).

### مضائق عسيره ومواطن خطيره:

من المضائق التي حقق الله تعالى الإنفراج والنصر، بل والفتح للإسلام على يد أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام).

معركة بدر الكبرى التي كانت الحسابات الاعتيادية فيها هي تفوق عدد المشركين، وهيبه قريش، تؤكد أنّ النصر لصالح المشركين، والنبي (صلى الله عليه وآله) لا تأخذ منه هذه الحسابات الماديّة مأخذها فيقف بحكمه المعرفة بسعه قُدره الله تعالى يتضرّع إلى ربه من جانب ومن جانب آخر يحزم التدبير الميداني فتتكشف الغُمه بسيف الكرار (عليه السلام)، حيثُ قتل قرابه نصف المقتولين من الكفّار وشارك المسلمين بقتل النصف الآخر(٢).

وفي معركة أحد وما أدراك ما أحد، حيثُ حدثت الهزيمة للمُسلمين بعد النصر، فتأتى سعه معرفه النبي (صلى الله عليه وآله) والوصى عليّ (عليه السلام) في إمكانتحول القضاء والقدر فيعزّمان بسعه تدبيريه منطلقه من تلك المعرفة بسعه بداء الله تعالى وسعه مشيئته فيدفع القتل عن النبي (صلى الله عليه وآله) وتحول الهزيمة إلى نصر، حتّى جاء نداء الوحي بين الأرض والسماء «لا فتى إلّا عليّ ولا سيف إلّا ذو الفقار»(٣).

ص: ١٠٨

١- (١) المزار للمشهدى: ٢٩٣؛ بحار الأنوار: ج ١٦٤: ٩٩.

٢- (٢) بحار الأنوار: ج ١٤٦: ٤١ نقلاً عن المغازي للواقدي.

٣- (٣) شرح الأخبار: ج ٣٨١: ٢؛ تفسير فرات الكوفي: ٩٥.

ويحقق الانتصار وتهزم قريش مرّه أخرى في أحد والواقع بينتها روايات أهل البيت (عليهم السلام)، منها روايه زيّاره الإمام الهادى (عليه السلام) لجده أمير المؤمنين (عليه السلام) يوم الغدير: «يوم أحد إذ يصعدون - المُسلمين والصحابه - ولا يلوون على أحد والرسول يدعوهم في أخراهم وأنت تذود بهم المشركين عن النبي ذات اليمين وذات الشمال حتى ردهم الله تعالى عنكما خائفين ونصر بك الخاذلين» (١) وإن طمس ذكر ذلك النصر أكثر كتب تاريخ المُسلمين، ومنها روايه أخرى ذكرها الكليني في كتاب روضه الكافي.

وفي معركة الخندق حين عبر عمر بن ودّ العامري وأخذ يُنادى في معسكر المُسلمين ولا من مُجيب، فأجابه (الإيمان كله) كما سمّاه رسول الله (صلى الله عليه وآله).

قال: «برز الإيمان كله إلى الشرك كله اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوق رأسه ومن تحت قدميه» (٢)، هذه الشدائد لا تؤثر في الإمام عليّ (عليه السلام) في قدره تدبيره وشجاعه إدارته للحدث، وقد اهتز لها غيره وعمى عليهم البصيره في الأمور، كما ورد في زيّاره الهادى (عليه السلام) لجده أمير المؤمنين (عليه السلام): «ويوم الأحزاب ( إذ زاعت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر و تظنون بالله الظنوننا \* هنالك ابتلي المؤمنون و زلزلوا زلزالاً شديداً \* و إذ يقول المنافقون و الذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً \* و إذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا و يشؤن الذين فريق منهم النبي يقولون )

ص: ١٠٩

١- (١) المزار للمشهدى: ٢٧؛ زيّاره الهادى (عليه السلام) لجده أمير المؤمنين (عليه السلام) يوم الغدير؛ المزار للشهيد الأوّل: ٨٠.

٢- (٢) كتر الفوائد: ١٣٧؛ ينابيع الموده لذوى القربى: ج ٢٨١: ١.

( إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِذْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ) ، وقال الله تعالى: ( وَ لَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ صَدَقَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ مَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَ تَسْلِيمًا ) (١) فقتلت عمرهم وهزمت جمعهم ( وَ رَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَ كَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَ كَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ) «(٢).

وهي من جهة أخرى، حذر ويقظه واحتراز لرسول الله رغم علمه بالنصر، وإن علياً في علم الله يقتل ابن ود العامري، لكن مع ذلك نرى النبي (صلى الله عليه وآله) يدعو له بالحفظ ويجتهد في الدعاء وعلي (عليه السلام) كذلك في قتاله لابن ود يتصرف تصرف من يعلم بأن المشيئة الإلهية منفتحة على كل الاحتمالات وإن كان القضاء مبرماً والقدر محتوماً.

كما في قول إبراهيم (عليه السلام): ( وَ حَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَ تُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَ قَدْ هَدَانِ وَ لَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ) (٣)، فرغم عدم خوفه من آلهة المشركين ولا منهم إلا أنه رغم ذلك هو في حذر من جهة سعه علمه تعالى ومشئته فيظل متأهباً يقظاً.

فرغم الشدائد العظيمة التي مرَّ بها رسول الله (صلى الله عليه وآله) والمحن الكبيره والصعاب الكؤوده والزلازل المهوله التي عصفت به، رغم كل ذلك ورغم وجود المنافقين والمُرْجِعُونَ والذين في قلوبهم مرض والأحزاب، وصنوف

ص: ١١٠

١- (١) سورة الأحزاب: الآية ٢٢.

٢- (٢) المزار للمشهدي: زيارة الهادي (عليه السلام) لجده أمير المؤمنين (عليه السلام) يوم الغدير، المزار للشهيد الأول: ٧٩.

٣- (٣) سورة الأنعام: الآية ٨٠.

عديده معاديه داخل صفوف المُسْلِمِينَ فَضلاً عَنْ خَارِجِهِ، رَغْمَ ذَلِكَ لَمْ يَسْتَسْلِمْ هُوَ وَلَا وَصِيَّهُ عَلِيٌّ (عليه السلام) إِلَى كُلِّ ذَلِكَ بَلْ كَانَ النِّشَاطَ وَالْأَمَلَ وَالْحَيَوِيَّةَ وَالرَّجَاءَ بِقُدْرَةِ اللَّهِ، كُلِّ ذَلِكَ يَفْتَتِ الْيَأْسَ الْمُحْتَمِ وَالشَّدَائِدَ الْمُقْضِيَةَ بِنَصْرِ مُؤَزَّرٍ وَفَتْحٍ مُبِينٍ.

وَهَذَا الَّذِي نَشَاهِدُهُ مِنْ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ (عليه السلام) أَنَّهُ (عليه السلام) رَغْمَ كَوْنِهِ أُسِيرَ الْكِرْبَاتِ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ فِي قِمَّةِ انفجار الحراك والنشاط والبناء لتداعيات مُتَطَلَعِهِ مُسْتَقْبَلِيهِ ثَابِقِهِ، لَمْ تَحْجِبْهُ الشَّدَائِدُ عَنْ إِبْصَارِ الْآثَارِ وَالتَّنَاجِجِ وَمَا يَتَلَوُّ الحَدِيثَ مِنْ أَحْدَاثٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

### يوم حنين:

يوم حنين الذي وَرَدَ ذكره في زياره الهادي (عليه السلام) لجده أمير المؤمنين (عليه السلام) يوم الغدير: «ويوم حنين على ما نطق به التنزيل: (إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ \* ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ) (١) والمؤمنون أنت ومن يليك وعمك العباس ينادي المنهزمين: يا أصحاب سوره البقره، يا أهل بيعة الشجره، حتى استجاب له قومٌ قد كفيتهم المؤنه وتكفلت دونهم المعونه فعادوا آيسين من المثوبه راجين وعد الله تعالى بالتوبه وذلك قول الله جل ذكره: (ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ) (٢)، وأنت حائر درجه الصبر فائزٌ بعظيم الأجر» (٣).

ويخصّ بالذكر يوم حنين، وذلك لجهات لعلّ منها بيان وضوح التأييد

ص: ١١١

١- (١) سوره التوبه: الآيه ٢٥ - ٢٦.

٢- (٢) سوره التوبه: الآيه ٢٧.

٣- (٣) المزار للمشهدي: ٢٧٤؛ زياره الهادي (عليه السلام) لجده أمير المؤمنين (عليه السلام) في يوم الغدير؛ المزار للشهيد الأول:

والنصر الإلهي، حيث أن المسلمين انهزموا في تلك الواقعة بسبب إعجابهم بكثرتهم، حيث يظهر لنا كيف أن الإعجاب ببعض المقادير والأوضاع المادية كالكثرة والثقة بها يؤدي إلى ضعف الحذر وقلة الخوف وعدم اليقظة وقلة التأهب وضعف الالتجاء إليه تعالى أي ضعف التوكل عليه وازدياد التوكل على أوضاع القدر وهو تواكل عن النشاط لو اعتمد عليها الإنسان دون المشيئة الإلهية.

وفي المقابل إن هذه الكثرة لم تغير أصحاب النفوس العاليه وأصحاب الهمم المتعاليه وتدعوهم إلى الفتور والتواكل، بل كانوا في قمة اليقظة والترقب لمفاجئات التغيير في القدر والمقادير ورفع إبرام القضاء مما يدعوهم إلى قمة الحراك والنشاط والاستعداد للمفاجئات توكلًا على الله وحذرًا من سعة المشيئة الإلهية، ففي تلك المعركة حين انهزم المشيئون روى رسول الله (صلى الله عليه وآله) شاهراً سيفه يشد العزائم والوصى على (عليه السلام) بين يديه يكر على القوم، وقد صاح النبي (صلى الله عليه وآله) بالعباس لأجل أن ينادى المسلمين.

فهنأ مشهدان مشهد الهزيمة والتواكل من قبل المهاجرين والأنصار، بسبب الاعتماد الكامل على الأسباب الطبيعيه، إلاً قله من الخاصه وبنى هاشم، يقابله مشهد للخوف من سعة المشيئة والتوكل على الله والعزيمة والإصرار يرسمه لنا النبي (صلى الله عليه وآله) والوصى (عليه السلام).

نعود إلى قضية المَعْلَمِ الجَبْرِيِّ اليهودي وبيانها بشيءٍ مِنْ البسط، فقضية المَعْلَمِ الجَبْرِيِّ الذى سلكه اليهود فى فكرهم العقدي، والذى يرى أَنَّ يد الله مغلوله - وَهِيَ أَيْضاً مِنْ مَبْتَنِيَّاتِ مدارس جبريه عديده جميعها ترى أَنَّ يد الله مغلوله مَعَ تفاوت فى الدرجات - حَيْثُ يرون أَنَّ الله كتب ما كَانَ وما يكون، فلا تَغْيِيرَ ولا تبدل فهم قائلون بالجمود وبالثبات وعدم التَغْيِيرِ فى شيء؛ لَأَنَّهُ لا معنى للتَغْيِيرِ ولعلَّهم ذهبوا لذلك لَأَنَّ التَغْيِيرَ يكون مِنَ الجهل، فمثلاً الإنسان لم يكن يعلم بأمر، فيتخذ قراراً ثُمَّ يطرأ له علم بعدم وجود مصلحه فى قراره فيتراجع ويغَيِّرُ قراره، أمَّا رب الأرباب الحكيم العليم المُحِيطُ بِكُلِّ شيء فلا جهل فى ساحتَه، إذَنْ فلا تَغْيِيرَ ولا تبدل، بَلْ لا معنى للتَغْيِيرِ والتبدل.

فنسبه التبدل والتغْيِيرِ إلى الله يعنى نفس كمال العلم الإلهي فَمِنْ أَجْلِ التوحيد الخالص يجب عدم التفكير فى التَغْيِيرِ، وقد وقع فى ذلك الكثير مِنَ المدارس الكلاميه كالأشعريه (1) وبعض العرفاء والصوفيه.

ص: ١١٣

---

١- (١) فى كتاب الإبانة عَنِ أصول الديانه - ص ٢٠ - قَالَ أَبُو الحسَنِ الأشعري: «لا- خالقُ إِلَّا اللهُ». وَأَنَّ أعمال العباد مخلوقه لله مقدره كَمَا قَالَ: «وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَ مَا تَعْمَلُونَ» (الصافات: ٩٦) وَأَنَّ العباد لا- يقدرُونَ أَنْ يخلقوا شيئاً وَهُمْ يُخْلِقُونَ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ( «هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ » ) (فاطر: ٣).

مقابل ذلك المسلك المادى التفويضى الذى يقول بإطلاق إرادته الإنسان من كَلَّ قيد ويرى أصاله الإراده للإنسان ولا إرادته تحكم إرادته الإنسان، وهذه التفويضية مُتَطَرِّفَه، وهُنَاكَ تفويضيات أُخْرَى أَقْلٍ مِنْ ذَلِكَ تَرَى شَأْنِيهِ لِإِرَادَةِ الْإِنْسَانِ، وَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي أَعْطَاهُ الْإِرَادَةَ وَفَوَّضَ إِلَيْهِ الْأَمْرَ فَهُوَ مُطَّلِقُ الْإِرَادَةِ بِوَسْطِهِ اللَّهُ.

وَمِنْ الْأَمْثَلَةِ الَّتِي بَيْنَهَا الْقُرْآنُ لِلْمَسْلُوكِ - الْجَبْرِي - الَّذِي يَقُولُ أَنَّ يَدَ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ، هِيَ قِصَّةُ الْيَهُودِ حِينَمَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ بِذَبْحِ بَقْرَةٍ حَيْثُ لَا يَرُونَ أَنَّ هُنَاكَ مَسَاحَةً لِلْحَرَكَةِ الْإِخْتِيَارِيَّةِ وَأَنَّ بَابَ التَّغْيِيرِ وَالتَّجْدِيلِ مَسْدُودٌ.

وَبِمَا أَنَّهُمْ يَرُونَ أَنَّ يَدَ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ - وَهَذَا الْوَصْفُ لِمَعْتَقِدِهِمْ هُوَ لِحَقِيقَتِهِ وَوَأَقَعَ مَعْتَقِدُهُمْ وَإِنْ كَانُوا قَدْ لَا يَصْرَحُونَ بِذَلِكَ لَكِنْ هَذَا وَاقِعٌ مَعْتَقِدُهُمْ وَهَذَا مَا يَضْمُرُونَ وَيَنْطَوُونَ عَلَيْهِ وَمَا لَعَلَّهُ يَظْهَرُ مِنْ فَحْوَى كَلَامِهِمْ -

قَالَ تَعَالَى: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ... (١)).

وَلَعَلَّ سَائِلٌ يَسْأَلُ مَا عِلَاقَةُ ذَلِكَ بِذَبْحِ الْبَقْرَةِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ.

وَالْجَوَابُ: إِنَّ مَعْنَى يَدِ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ هُوَ مَعْنَى جَفَافِ الْقَلَمِ وَإِنَّ اللَّهَ كَتَبَ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ فَلَا تَغْيِيرَ وَلَا تَبَدُّلَ فِي ذَلِكَ.

وَبِمَا أَنَّ لَا تَغْيِيرَ وَلَا تَبَدُّلَ، وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ كَتَبَ كُلَّ الْحَوَادِثِ فَقَدْ كَتَبَ أَدَقَّ الدَّقَائِقِ وَتَفَاصِيلَ الْجَزْئِيَّاتِ، وَمِنْهَا حَادِثَةُ قَتْلِ الشَّابِّ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، عِنْدَمَا أَمَرَهُمُ مُوسَى بِذَبْحِ بَقْرَةٍ اعْتَقَدُوا أَنَّهَا بَعْنَوَانِهَا الْجَزْئِيَّ مَكْتُوبَةٌ - أَيْ بِأَوْصَافِهَا الْجَزْئِيَّةِ مِنْ الْعَمْرِ وَاللَّوْنِ وَغَيْرِهَا - فِإِذَا أَرَادَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ذَبْحَ الْبَقْرَةِ الَّتِي يُرِيدُهَا اللَّهُ، لَا بَدَّ أَنْ يَذْبَحُوا الْبَقْرَةَ ذَاتَ الْأَوْصَافِ الدَّقِيقَةِ الثَّابِتَةِ فِي

ص: ١١٤

اللوحة الثابت عند الله - ولعل هذا في نظرهم قمة الطاعة والتوحيد - ولذلك حينما قال لهم موسى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً) (١) قالوا: (قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا) (٢).

وبملاحظة الآيات في سورة البقرة من آية ٦٧ إلى آية ٧٠ أنهم كزروا كلمه يُبين ثلاث مرات إشارة إلى إرادتهم الأمر المضيق لحسابهم أن لا فسحة في الحركة والحراك والأمور كلها مُعينه مُسبقاً من دون تغيير، هذا هو السؤال المذموم الذي يتبع منه تضيق دائرة الأفعال والتدبير.

لأن اللوح الذي كتبه الله - بحسب زعمهم - لوح ثابت فيه العناوين محدده وثابته وجزئيه، والبقرة عنوان كلى ولذلك أخذوا يتشددون ويتشددون حتى انحصرت في مصداق واحد، فذبحوها وما كادوا يفعلون.

وعلى الضد تماماً من هذا المنهج أو المسلك الضيق المضيق، ترى سيد الشهداء رغم أنه أخبر بحدث مُشخص وبضيق بواقعه جزئيه ومصداق مُحدد، لكنه مع ذلك يتبع ما هو أوسع ورغم أنه أخبر أنه مقتول مسلوب في أرض كربلاء، إلما أنه يتبع ويطلب أوسع من ذلك، فهو لا يبخل كريماً ولا يضيق واسعاً، قال الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (٣)، والحسين (عليه السلام) أخبر أيضاً بحدته متعينه من النبي (صلى الله عليه وآله) ومن وحى السماء، ومع ذلك فإنه (عليه السلام) تحرك وسعى أن يوسع الجزئي ويوسع (عليهما السلام) العنوان الضيق - وهو القتل في كربلاء - إلى خيارات أكثر ولو في ضمن العنوان الضيق.

ص: ١١٥

١- (١) سورة البقرة: الآية ٦٧.

٢- (٢) سورة البقرة: الآية ٧٠.

٣- (٣) سورة البقرة: الآية ١١٥.

المسلك الجبري على أنواع وأنماط فنمط يلغى كل الخيارات وهو المسلك المتشدد في الجبريه، فإنه يلغى كل خيار لله ولعبده كما هو الحال في المسلك اليهودي الذي يقول أنه جف القلم، فإذا جف القلم فلا خيار لأحد، وكأنهم اقتطعوا الآية القرآنيه وهي قوله تعالى: (خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) (١). ولم يكملوا، والحال أن الآية بينت (أنه استوى على العرش بعيد نهايه خلق السموات والأرض وما بينهما ولم يكن استواؤه على العرش من جفاف القلم)، بل في الآية تتمه تقول: (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ) (٢) والاستواء على العرش يراد منه استعلاءه وسيطرته على كل شيء وأن قدرته سواء على كل الأمور ليس شيء أسهل وآخر أصعب، بل كل مقهوره ومنقاده له تعالى فالاستواء لا يعنى الثبات، أو يكون هناك في الجملة ثبات ولكن الثبات لا- يعنى جفاف للقلم وعدم التدبير وعدم التغيير، بل هناك ثابت بلحاظ أصل وجوده إلا أنه بلحاظ مشخصاته وملابساته قابل للتغير بإذن الله الذي يدبر الأمر ويفصل الآيات.

### الجبريه الصوفيه:

وهذا ما وقع فيه بعض الصوفيه من القول بالجبر من حيث لا يشعرون، وذلك أنهم وإن لم يقولوا في كلامهم إن يد الله مغلوله ولم يصرحوا ولم ينسبوا العجز للإنسان لكنهم قالوا بضروره التعجيز للإنسان، -

ص: ١١٤

١- (١) سورة يونس: الآية ٣.

٢- (٢) سورة يونس: الآية ٣.

وفرق بين العجز وبين التعجيز أو بين سلب الإرادة منهم، وبين أنهم بإرادتهم يسلبون إرادتهم - وَهَذَا مِنْ بَابِ ذِكْرِ الْمَعَاذِيرِ وَالتَّمَحُّلِ لَهُمْ وَالْحَمَلِ عَلَى أَنْ (سلب الاختيار بالاختيار) رغبه منهم في اختيار الله، كَأَنَّ الْإِنْسَانَ يَجْعَلُ نَفْسَهُ مَحْطًا لِلْإِرَادَةِ الْإِلَهِيَّةِ.

ما يُرِيدُ اللهُ لِي وَلَيْسَ مَا أُرِيدُهُ أَنَا، لَا اخْتَارَ وَلَا أَتَصَرَّفُ لِأَنَّ أَيْ تَصَرَّفَ فِي بَدَنِي هُوَ تَصَرَّفَ فِي مَالِ الْغَيْرِ - اللهُ - وَالتَّصَرَّفَ فِي مَالِ الْغَيْرِ لَا يَجُوزُ وَلَا أُرِيدُ وَلَا إِرَادَةَ لِي؛ لِأَنَّ الْإِرَادَةَ أَيْضًا تَجَاوِزُ عَلَى إِرَادَةِ اللهِ، فَلَا أُرِيدُ إِلَّا مَا أَرَادَهُ اللهُ، وَهَذَا فِي زَعْمِهِمْ مُنْتَهَى الْعُبُودِيَّةِ كَمَا يَرُونَ.

### **المنطق الحسيني يحاكم الجبرية:**

ولكنه بحسب المنطق الحسيني فيه جبريه مُخَفَّفَه وَيَأْسُ مِنْ رُوحِ اللهِ وَتَمَلَّصُ مِنَ الْمَسْئُولِيَّةِ وَالْمُحَاسَبَةِ وَرُكُونُ إِلَى الْقَعُودِ وَالْفِشْلِ، وَمِنْ جِهَةِ أُخْرَى هِيَ مِغَالَطَةٌ خَفِيَّةٌ؛ لِأَنَّهَا تَنْطَوِي عَلَى الْإِتْبَاسِ وَهُوَ أَنَّ كُلَّ مَنْ يَتَصَرَّفُ بِإِرَادَتِهِ، فَهُوَ قَدْ تَصَرَّفَ فِي غَيْرِ مَا يُرِيدُهُ اللهُ وَهُوَ مُشْرِكٌ بِاللَّهِ، فَأَيُّ حَرَكَةٍ وَأَيُّ تَحَرُّكٍ هُوَ اعْتِرَاضٌ بِلِسَانِ الْحَالِ عَلَى اللهِ وَتَجَاوُزٌ عَلَى إِرَادَتِهِ، (فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ كَالْمَيْتِ بِيَدِي الْغَسَّالِ) وَهَذَا مَعْنَى جَمُودِي يَدْعُو إِلَى الضَّعْفِ وَالْوَهْنِ وَالِاسْتِكَانَةِ وَالْقَنُوطِ وَالْيَأْسِ، بَيْنَمَا أُعْطِيَ الْحُسَيْنُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قُدُوهَ وَدَرَسًا مِنْ خِلَالِ عَمَلِهِشَعَارِهِ أَنَا أَتَحَرَّكَ فِي إِرَادَةِ اللهِ وَلَيْسَ تَجَاوُزًا عَلَى إِرَادَةِ اللهِ بَلْ ضَمَّنَ إِرَادَتَهُ (مِنْ الْإِرَادَةِ وَلَيْسَ عَلَى الْإِرَادَةِ)، كَيْفَ ذَلِكَ؟

جوهر الإجابة هُوَ قَضِيَّةُ السَّعَةِ الْوُجُودِيَّةِ لِقُدْرَةِ اللهِ وَسَعَةِ مَشِيَّتِهِ وَبِالتَّالِي سَعَةِ الْإِرَادَةِ عَلَى لَوْحِ الْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ، قَالَ تَعَالَى:

(وَالسَّمَاءَ بَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ) (١).

فالمنطق الحسينى يقول: هناك أمر مقدر ومقضى محتوم، ولكن هناك سعه مُستمره وتوسع فى الإراده الإلهيه فالإنسان عندما ياخرم يطلب بلسان الحال ويقول إنَّ المشيه والقُدره والإراداه واسعه فى توسّع، والخيارات كثيره نَعَم لو لم يختر الإنسان فَقَدْ يُقال أَنَّهُ مُستسلم لإرادته تعالى لكن لا المعنى إذْ لا مجال للتسليم قبل الوقوع، ولكن هناك ما هُوَ فوق التسليم وَهُوَ الرضا وهناك ما فوق الرضا، وَمِنْ هُنَا لَابَدٌ أَنْ نبين المستويات الَّتى توضح تفاعل العبد مَعَ الإراده الإلهيه قبل أو قبيل الوقوع وما بَعْدَ الوقوع، والَّتى مِنْ خلالها تُبين مراتب النجاح فىالابتلاء الإلهى.

### مراتب النجاح فى الابتلاء الإلهى:

هناك مراتب عديده للنجاح فى الابتلاء الإلهى وَكُلُّ مرتبه غَيْر الأخرى بحسب التكامل الإلهى، وَكُلُّ مرتبه تختلف عَنِ الأخرى،  
- وبحسب تكامل

ص: ١١٨

١- (١) سورة الذاريات: الآيه ٤٧.

إنَّ الحسين (عليه السلام) في أعلى المراتب من النجاح؛ لأنَّ درجه النجاح تتناسب مع صعوبه الامتحان والابتلاء الإلهي، فإذا كَانَ الحسين (عليه السلام) نجح بشكل مُتميز في المرتبه العُلَيَا فبالتأكيد يكون قد نجح في الدرجات الأدنى بشكل مُتميز، ولا بدَّ هُنَا من وقفه نُبيِّن ماهيه ومراتب ذلك النجاح الذي أعطى به الحسين (عليه السلام) الدرجات العُلَيَا في الآخره، وما قام به صلوات الله عَلَيْهِ ملحمه أنَّ السعى والحراك والمثابره محاله مفتوح قبل وقوع وقبل حصول الحدث، وأنَّ هَذَا لا ينافي التسليم والرضا بالقضاء والقدر الإلهي، يَلُّ هُنَا موطن الرجاء والتفائل بالخير والأمل والإيمان بسعه المشيئه عَلَى القضاء والقدر، وأمَّا موطن التسليم والرضا والشكر فَهُوَ بَعْدَ الوقوع والحصول كَمَا قَالَ (عليه السلام) بَعْدَ وقوع القتل في أهل بيته وأصحابه «رضا برضاك لا معبود سواك» وتبيان ذلك.

(١) مرتبه الصبر والتسليم لإيراده الله وَهُوَ الإنقياد والتسليم للإيراده الإلهيه، وهذه المرتبه تجتمع معها وجود الصعوبه والكراهه للنفس، ولكن الإنسان بإرادته يروض نفسه عَلَى الصبر عَلَى ما حلَّ به - قربه لله تعالى - .

(٢) وأمَّا مرتبه الرضا فهي أعلى منها؛ لأنَّ الصعوبه والكراهه غير موجوده بل الاستبشار والرضا، فيكون الإنسان مخبتاً ومستسلماً للإيراده الإلهيه والنفس راضيه فرحه بما قسم الله لها.

وهاتان المرتبتان بَعْدَ وقوع القضاء وليس قبله، أمَّا قبله فلا مجال ولا معنى للتسليم، بل هُوَ استسلام للتواكل، بل هُوَ مجال للنشاط والحراك والمسؤوليه.

٣) نَعَمْ، يمكن أن نتصوّر وجود مرتبه للرضا قبل وقوع القضاء، وَهُوَ (الرضا بما سيقع)، مَعَ التفاؤل وبالتالى عدم التمرد والسكون للقضاء الإلهي لاطمئنان النفس بما سيقسم الله لها مَعَ التفاؤل بوجود ما هُوَ أوسع.

٤) وهذه المرتبه - الرضا - كَمَا قُلْنَا لا- تكون قبل وقوع القضاء، بل قبله المجال مفتوح للحركه والحراك والنشاط والقيام بالمسؤوليه، بل هُوَ الْمُتَعَيِّن والواجب، كَمَا بَيَّنَّه الإمام الصادق (عليه السلام) فى عِدَّة روايات، وهذه الروايات ترسم لنا منهاج عمل فى كيفية تعامل الإنسان مَعَ القضاء والقدر وما هُوَ الواجب عليه قبله وبعده، وأين يكون مجال المسؤوليه.

٥) الروايات الَّتِي تُبَيِّن موطن النشاط والحراك والمسؤوليه، الَّتِي وردت عَنِ الإمام الصادق (عليه السلام) وَالَّتِي مِنْ خِلالِهَا يَتَضَح لنا النشاط الحسيني المملوء بالرجاء المتوقّد بالمعرفه بسعه علمه ومشيتته تَعَالَى. الْمُتَزَايِد قوه وتوسّعاً فى كربلاء، عَنِ يونس بن يعقوب، عَنِ بعض أصحابنا قَال: «كَأَنَّ قَوْمَ أَتَوْا أَبَا جَعْفَرٍ (عليه السلام) فَوَافَقُوا صَبِيًّا لَهُ مَرِيضًا، فَرَأَوْا مِنْهُ أَهْتِمَامًا وَغَمًّا وَجَعَلَ لَا يَقْرَءُ، قَال: فَقَالُوا: وَاللَّهِ لئن أَصَابَهُ شَيْءٌ أَنَا لَنَتَخَوَّفُ أَنْ نَرَى مِنْهُ مَا نَكْرَهُ، قَالَ: فَمَا لَبِثُوا أَنْ سَمِعُوا الصَّبِيحَ عَلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ قَدْ خَرَجَ عَلَيْهِمْ مَنبَسِطَ الْوَجْهِ فِي غَيْرِ الْحَالِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا، فَقَالُوا لَهُ: جَعَلْنَا اللَّهَ فِدَاكَ، لَقَدْ كُنَّا نَخَافُ مِمَّا نَرَى مِنْكَ أَنْ لَوْ وَقَعَ أَنْ نَرَى مِنْكَ مَا يَغْمَنَا، فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّا لَنَحِبُّ أَنْ نَعَافِيَ فِيمَنْ نَحِبُّ، فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ سَلَّمْنَا فِيمَا أَحَبُّ» (١).

كذلك قول الصادق (عليه السلام): «إنا أهل بيت نجزع قبل المصيبة، فإذا نزل أمر

ص: ١٢٠

الله رضينا بقضائه وسَلّمنا لأمره، وليس لنا أن نكره ما أحبّ الله لنا»(١).

وبنفس المضمون أحاديث كثيرة منها في باب جواز إظهار التأثر في الوسائل(٢).

٦) فالجزع في الرواية المتقدمه ومضمون روايات أخرى، بمعنى الإلحاح في الرجاء والدعاء والطلب من الله تعالى، وهَذَا ميزان لموضع الحراك والفعاليه والنشاط لإرادته التغيير والرجاء، أنه قبل نزول أمر الله وقبل وقوع القضاء.

أما بَعْدَ وقوع أمر الله ووقوع القضاء، فهُنا موطن التسليم والرضا بما ثبت حصوله ولا يرغب في غيره، وَهَذَا الميزان مُخالف لمنطق الجبر اليهودى والاموى ولمنطق التفويض القدرى اليهودى السقيفى الأموى، فالجزع قبل الوقوع عبارته عَنْ قَمّه الحيويه والرجاء والأمل والنشاط، لا التبرم والإياس.

وَهَذَا التفصيل فى الميزان المعرفى لدى أهل البيت(عليهم السلام) قبل وقوع القضاء مَعَ ما بَعْدَ وقوعه مِنْ أعظم موازين المعرفه بقضاء الله وقدره والمعرفه بمشيئته بوجاء وخوف والتسليم لفعله والرضا به، فلكلّ هذه الأحوال مواطن ومنازل ومقامات لم يكن لتعرف لولا أهل البيت(عليهم السلام)، وهى تفاعل الاختيار الإنسانى مَعَ الحاكميه الإلهيه.

### النشاط والحركه الحسينيه:

يظهر من كثير من كلمات اهل البيت(عليهم السلام) التحذير من اليأس وتضييق سعه الإراده والرحمه الإلهيه، قال مولانا صادق أهل البيت(عليهم السلام) لميسره: «يا ميسره ادع ولا تقل أن الأمر قد فرغ منه، ان عند الله عز وجل منزله لا

ص: ١٢١

١- (١) الفقيه: ج ١١٩: ١ ح ٥٦٧.

٢- (٢) وسائل الشيعة: ج ٢٧٥: ٣ - ٢٧٧ ب - ٨٥.

تنال الا- بمسأله ولو ان عبداً سد فاه ولم يسأل لم يعط شيئاً فسل تعط يا ميسره انه ليس من باب يقرع الا يوشك ان يفتح لصاحبه»(١).

الحسين(عليه السلام) من خلال حركته لم يغلق باب المسأله رغم تسليمه ورضاه وتفأؤله بعظيم رحمه الله لكنه يقول بلسان حاله هناك ماهو أوسع وأوسع وأوسع الى مالانهايه، فالامام الصادق(عليه السلام) حين يقول لميسره (ان عند الله منزله لاتنال الا بمسأله) فهذا يعنى الحركه والتحرك لنيل تلك المنزله وهذا ما فعله الحسين(عليه السلام) حيث أطاع ما أمر به رسول الله(صلى الله عليه و آله):«إن لك درجه لن تنالها الا بالشهاده»(٢).

وبيان الصادق(عليه السلام) يفسر حركه الحسين(عليه السلام)؛ لأنه كان يطلب ما فوق المنزله بالمسأله، والسؤال بالعمل والسعى لا باللسان فقط وأن الحسين(عليه السلام) كان يلح بالدعاء بلسان الحال ويبحث عن سعه الاراده الالهيه وهذا قمه فى التوحيد وقمه التعظيم لمقامه تعالى عن أن يحكم عليه قضاء أو قدر أو لوح أو قلم لأنه لم يبخل جواداً ولم يصغر عظيماً ولم يضيق واسعاً، وهذه معرفه واسعه وشامله وكبيره اكبر من الانسان ومما وصل او سيصل إليه من المعرفه التوحيديه بالله، وهذا - وهو الإيمان بالبداء - توحيد أعظم من التوحيد الذى ترسمه لنا كل المعارف الإلهيه فضلاً عن الفضائل الاخلاقيه المحدوده مهما كبرت وعظمت - كما ورد:«ما عظم الله بمثل البداء».

ص: ١٢٢

---

١- (١) الكافي ج ٤٦٧: ٢، عده الداعى: ٢٣.

٢- (٢) الفتوح ج ١٩: ٥.

وبهذا فالحرکه والحراک لیس إعتراضاً علی قضاء الله وقدره، بل استمطار من سعه بحر المشیئه ومن طمطم الزخار للعلم الإلهی.

## النشاط والحركة الیونسیه:

لابد لأجل استیضاح المطلب من التفرقه بین الحرکه الیونسیه والحرکه الحسینیه، بین النشاط الیونسی والنشاط الحسینی :

(١) نحن نعتقد أن یونس (علیه السلام) كان مسلماً لأمر الله راضياً متفائلاً بسعه رحمه الله، ولكن الفرق انه تحرك إلى خارج الحدث والمواجهه ولم يتحرك فی الداخل - كما تحرك الحسین (علیه السلام) -، تحرك إلى خارج معركه الهدایه، فالآیه القرآنیه تصف یونس أنه ظن أن لن يضیق الله علیه المسؤولیه قال تعالی: (وَ ذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ) (١).

(٢) الظن بسعه الإراده والرحمه الإلهیه - وعدم الضیق فی المسؤولیه - وظفه یونس (علیه السلام) إلى خارج معركه الهدایه التي خاضها فی قومه، فعندما بلیت ونفذت سبل النجاح ابتغى سعه الرحمه فی مكان آخر غیر مكان معركته، وكان من الأولى التحرك لطلب سعه الرحمه وهو فی قومه .

(٣) لم یکن صبره (علیه السلام) بمستوی صبر الحسین (علیه السلام) قال تعالی: (فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَ لَا تُكِنُّ كَصَاحِبِ الْخُوْتِ إِذْ نَادَى وَ هُوَ مَكْظُومٌ ) (٢)، فالحسین نادى قبل أن یكون مكظوماً إستمطاراً من سعه بحر المشیه .

ص: ١٢٣

١- (١) سورة الانبیاء: الآیه ٨٧.

٢- (٢) سورة القلم: الآیه ٤٨.

٤) أن الحسين (عليه السلام) حتى بعد اليقين باليأس من القوم، بل ما هو أكثر من اليقين باليأس من القوم مازال يقاتل ويقاوم بتفاؤل لا حدود له حتى قتل مظلوماً عطشاناً .

ص: ١٢٤

شجاعه التدبير:

لم تكن شجاعه الحسين عليه السّلام شجاعه فرد أو شجاعه فرديه فحسب، بل كانت شجاعه فى التدبير وشجاعه فى الحكمه وفى التخطيط والتقدير وهى ما يُسمّى بشجاعه القيادة وشجاعه إداره الأزمات وإمامه الأُمّه.

فإنّ المكر الذى مكره أعداء الحسين بالحسين (عليه السلام) لا يقل عن المكر الذى مكره الأعداء بجده وأبيه وأمه وأخيه، حيث أنّه جمع به ومنع منّ الوصول إلى الكوفه، ومكر به وبأهل بيته وأصحابه حيث قتلوا وسلبوا وداست الخيل صدره وسبيت نساءه.

وسنه المكر سنه يصفها القرآن بقوله: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَوْمٍ أَكْبَرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَ مَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَ مَا يَشْعُرُونَ ) (١)، كُـلُّ هَذَا الْمَكْرَ الَّذِي مَكْرُوهُ تَحَوَّلَ إِلَى نَصْرِ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَام) - قَتَلَهُمْ لِلْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَام) إعطاء الحياه الأبدية إلى يوم القيامة وأعطاهم الموت والفتنة والعذاب إلى يوم القيامة - فما هُوَ الْمُخَطِّطُ وَالْمُدَبِّرُ وَمَا هِيَ النَتِيْجَةُ، فَإِنَّهُ كَمَا يَقُولُونَ «الأعمال بخواتيمها» (٢)، والمنتصر هُوَ صَاحِبُ النَتَائِجِ وَصَاحِبُ الْعَاقِبَةِ الْحَسَنَةُ،

ص: ١٢٥

١- (١) سورة الأنعام: الآيه ١٢٣.

٢- (٢) المزار للمشهدى: ٣١٢.

فالحسين (عليه السلام) كَانَ يَبْحَثُ عَنِ النَّصْرِ الْوَاقِعِيِّ وَهُوَ الْفَتْحُ وَلَيْسَ عَنِ النَّصْرِ الظَّاهِرِيِّ، فَالْحَسِينُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يَصِفُ مَعْرَكَتَهُ بِالْفَتْحِ فَالْفَتْحُ نَصْرٌ عَظِيمٌ كَانَ الْحَسِينُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يَبْحَثُ عَنْهُ، وَهَذَا مَا تُشِيرُ إِلَيْهِ الْعَقِيلَةُ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) فِي مَجْلَسِ يَزِيدَ (لَع) حَيْثُ تَقُولُ: «فَكَيْدُ كَيْدِكَ وَاشْعَ سَيْغِيكَ وَنَاصِبُ جُهْدِكَ، فَوَاللَّهِ لَا تَمْحُو ذِكْرَنَا، وَلَا تُمِيتْ وَحِينَا، وَلَا تُدْرِكْ أَمَدَنَا، وَلَا تُرْحِضْ عَنْكَ عَارَهَا؛ وَهَلْ رَأَيْتَ إِلَّا فَنَدًا، وَأَيَّامُكَ إِلَّا عَيْدًا، وَجَمْعُكَ إِلَّا بَيْدًا، يَوْمَ يُنَادِي الْمُنَادُ: أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ» (١). وهذه الكلمة الجامعة لسيد البيت الهاشمي تشير إلى كيفية تحوّل تدبير الشيطان السيء إلى نصر في صالح المؤمنين.

### الغصه والفرصه:

هُنَاكَ نَفُوسٌ وَاسِعَةٌ الْأَمَلِ وَالرَّجَاءِ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَحْوَلَ الْهَزِيمَةُ إِلَى نَصْرٍ - تَحْوَلُ الْغَصَةُ إِلَى فُرْصَةٍ - فَإِنَّ نَفْسَ الْهَزِيمَةِ لَوْ نَظَرْتَ إِلَيْهَا بِبَصِيرَةٍ وَتَرَوَى مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهَا لَرَأَيْتَ فِيهَا جَوَانِبَ إِجَابِيَّةَ كَثِيرَةٍ تَسْتَشْمِرُ وَتُوظَّفُ لِلنَّاتِجِ الْمَرْجُوءِ، وَهَذَا مَا رَأَاهُ الْحَسِينُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فِي سَاحَةِ الطَّفِ، فَهُوَ يَرَى أَنَّ هَذَا الْجَيْشَ الْمُحَاصِرَ لَهُ سَوْفَ يَفْعَلُ بِهِ وَبِأَهْلِ بَيْتِهِ وَبِأَصْحَابِهِ وَعِيَالِهِ مَا يَفْعَلُ، وَهَذِهِ كُلُّهَا جَوَانِبٌ سَلْبِيَّةٌ وَاقِعِيَّةٌ لَا مَحِيصَ عَنْهَا.

إِذَنْ - يَنْبَغِي أَلَّا يَنْصَحَهُمُ الْحَسِينُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) - فَلِمَاذَا نَصَحَهُمُ الْحَسِينُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)؟

قَالَ مَفْسَرُو الْوَاقِعَةِ أَنَّهُ لِأَجْلِ إِقْلَاعِ الْحِجَّةِ عَلَيْهِمْ وَهَذَا تَفْسِيرٌ لَطِيفٌ لَكِنَّهُ يَقِفُ عِنْدَ مَشَارِفِ الْجَانِبِ السَّلْبِيِّ.

ص: ١٢٤

أمَّا الجانب الإيجابي فيمكن استعراضه مِنْ خلالِ عِدَّةِ وجوه:

(١) إنَّ الحسين (عليه السلام) نصَّحهم لأجل أن يهتدى مِنْ يهتدى - كما اهتدى الحرّ في آخر لحظاته - فلو نظرنا على مستوى ومُحيط جزئي كمفرده جزئيه نرى الحسين (عليه السلام) انتصر في كسب الحرّ إلى جهة الإيمان، وَهَذَا سعى لتحصيل ما أمكن مِنْ الانتصارات الجزئية التي لم يفرضها بها الحسين (عليه السلام)، وتقليل ما أمكن مِنْ الخسائر مهما أمكن وإن استيقن بخساره أصل النصر العسكري، وَهَذَا طموح خفاق آفاقى.

وبعبارة أُخرى أنّ الحسين (عليه السلام) وإن كَانَ يبحث عَنْ الفتح الذى هُوَ أعظم مِنْ النصر لكن ذلك لا يعنى مُطلقاً التفريط بالجوانب الأخرى وعدم البحث عَنْ الانتصارات فى الجوانب الأخرى فيما هُوَ ممكن ومقدور.

وهذه قاعده وضابطه دستوريه يضعها بين أيدينا - وفحواها - : «أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مهما عظم هدفكم ومهما عمق تدبيركم فهذا لا يعنى إطلاقاً ترك وإهمال الجوانب مهما كانت صغيره وغير أصيله بلحاظ الهدف الأكبر».

وهَذَا الأصل الدستورى والقاعده الكبيره لَيْسَ فقط هُوَ على المستوى الاجتماعى سواء فى المُجْتَمَع الصغير (الأسره) والمُجْتَمَع الكبير بل على مستوى الأسره الدوليه والمجتمع البشرى الشعبى الدول والحكومات والعلاقات الدوليه ... الخ.

(٢) إنَّ الكلمات وبيان براهين الحق والهدايه التي تكلمها الحسين (عليه السلام) مَعَ أنها إلقاء للحجه على أعدائه، وهم لم يستجيبوا لها، لكنهم حملوها إلى غيرهم، فَمِنْ جهة هُم أعداء للحسين (عليه السلام) ومبغضين لكلامه ووعظه، لكن مِنْ جهة أُخرى هُم حاملين لخطبه ومواعظه وكلماته إلى أهلهم بل إلى كُلِّ الأجيال إلى يومك هَذَا.

٣) أحد أهم من وثق الحادثه التاريخيه لمعركه الطف هم أعداء الحسين (عليه السلام) حيث كانوا أحد مفردات التواتر لواقعه الطف برمتها(١)، وهم أحد مفردات التواتر في بعض الحوادث الجزئيه - داخل نفس المعركه ومن ضواحيها - التي خدمت مسيره الهدايه.

هذه الثمرات الثلاثه العظيمة بل وأكثر كانت نتيجة عظمه تدبير الحسين (عليه السلام)، فضلاً عن أصل الغايات العظيمة لأصل النهضه ويمكن أن نذكر بعض الأمثله لما خطه الأعداء وانقلب عليهم:

أولاً: إن الأعداء عن علم وعمد وتدبير خبيث قتلوا الحسين (عليه السلام) وأصحابه تلك القتل المأساويه حيث مثلوا بالجث وقطعوا الرؤوس ... الخ، فصاروا يتكلمون في الأمصار بما فعلوا تصوراً منهم إنه كسرووهن لعظمه الحسين (عليه السلام) فكانت النتيجة هي عكس ما دبّروا ومكروا.

ثانياً: إنهم عن علم وعمد حملوا السبايا وداروا بهم في الأقطار زياده في النكايه ولا يعلمون أنهم حملوا القناه الإعلاميه لنشر مظلوميه الحسين (عليه السلام) بل لنشر انتصار الحسين (عليه السلام) في كل العالم وفضح الأميين وأتباعهم.

ص: ١٢٨

---

١- (١) هَذَا بقطع النظر عن وجود المعصوم (عليه السلام) - الإمام السَّجَاد (عليه السلام) والباقر (عليه السلام) فضلاً عن كل المعصومين (عليهم السلام) بإحاطه ملكوتيه - الذي روى تفاصيل الواقعة بدقه وحيانيه عجيبه في سنين حياته وبعده شهادته نقل لنا أبناءه (عليهم السلام) تفاصيل أخرى ولا ننسى على الإطلاق العالمه غير المعلمه والفهمه غير المفهمه التي قادت معركه السبي إلى جانب زين العابدين (عليه السلام) بتدبير فاطمى عظيم، إضافة إلى تقرير الإمام (عليه السلام) والأئمه من بعده لما نقل على الألسن من واقعه الطف وكانت تجرى على مسامعه وتحت نظره المبارك، فلو كان هناك تزوير لكشفه لنا.

شهاده الفتح:

الفتح وعنوان الفتح - كما لعله يتنبه إليه البعض - إنه أخصّ من النصر بل بالأحرى هو معنى مُغاير لمعنى النصر وإن تلاقيا في جملة من المواطنين، فكم من مُنتصر غير فاتح وكم من فاتح غير منتصر (عسكرياً) ويوجد منتصر فاتح فبين المعنيين عموم وخصوص من وجه، قال تعالى: (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا \* لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَ مَا تَأَخَّرَ وَ يُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَ يَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا) (١).

فصلح الحديبيه سمّاه القرآن فتحاً مُبيناً ولم يقتصر على لفظ (الفتح) مع أنه لم يكن نصراً عسكرياً في البين أصلاً، وحادثه صلح الحديبيه، وردت في قوله تعالى: (لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤْسَهُمْ وَ مُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا) (٢).

فإن الله أرى رسوله (صلى الله عليه و آله) في الرؤيا دخول المسجد الحرام، ولكن لم يحتم الله تعالى توقيتاً لتحقيقها، حيث أنفق النَّبِيَّ (صلى الله عليه و آله) في صلحه مع قريش، أن يرجع في عامه الذي جاء فيه على أن يعود في عام قابل والحادثه موجوده في مصادر

ص: ١٢٩

١- (١) سورة الفتح: الآيه ١ و ٢.

٢- (٢) سورة الفتح: الآيه ٢٧.

كثيره أوردنا منها الفكره المطلوبه مِنْ شاء فليراجع (١).

فَمَعَ وجود البداء في التوقيت ورجوع المُسلمين وَمَعَ ذلك مَسَمَى (فتحاً مُبيناً)، والسبب في ذلك أَنَّهُ حصل بمصالحة قريش مُنعطف كبير وجديد وَهُوَ اعتراف قريش تلقائياً بالصلاح بالنبي ومنهاجه ومَلَّتْه، فَكَانَ انفتاحاً حضارياً في مسيره البشر الدينيه، ونظيره في سوره النصر (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ) (٢) فغاير بين عنوان النصر وعنوان الفتح ويظهر مِنَ الْقُرْآنِ أعظميه الفتح مِنَ النصر بفارق كبير جداً وَأَنَّهُ لَا يَكْتَرُثُ بالنصر بقدر اكرثائه بالفتح.

ص: ١٣٠

- 
- ١- (١) التبيان للطوسي: ج ٣٣٥: ٩؛ مجمع البيان للطبرسي: ج ١٨: ٩؛ سيره ابن هشام: ج ٣٣١: ٣؛ مغازي الواقدي: ٦٠٦: ٢..
  - ٢- (٢) سوره النصر: الآية ١.

قوله تعالى: (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا) (١)، هذه الآية نزلت في مشهد مُغَايِرٍ لِكُلِّ التَّوَقُّعَاتِ فَقَدْ نَزَلَتْ فِي صَلْحِ الْحَدِيثِيِّ، وَبِالتَّالِي فَهِيَ تُشِيرُ إِلَى أَنَّ الْفَتْحَ الَّذِي يُرِيدُهُ اللَّهُ مَعْنَى مُغَايِرًا لِمَا يَفْهَمُهُ عَامَّةُ النَّاسِ فَإِنَّ الْفَتْحَ هُوَ التَّغْيِيرُ الْحَالِي وَالْمُسْتَقْبَلِي بِالْحَسْمِ لِصَاحِبِ الْفَتْحِ، مَعْرَكَةَ بَدْرٍ عَلَى عَظْمِهَا وَعَظْمِ نَصْرِهَا، وَالتِّي رُبَطَ بِهَا النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بِقَاءِ الْإِسْلَامِ وَزَوَالِهِ، حَيْثُ قَالَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) - وَقَدْ رَفَعَ يَدَهُ إِلَى السَّمَاءِ - : «اللَّهُمَّ إِنَّكَ إِذَا تَهَلَّكَ هَذِهِ الْعَصَابَةُ الْيَوْمَ لَا تُعْبَدُ بَعْدَ الْيَوْمِ» (٢).

رغم ذلك القرآن لم يسمها فتحاً، فما هي الأبعاد التي حملها صلح الحديبية حتى سماه القرآن فتحاً بل وزاد في وصفه فتحاً مُبِيناً رغم أن الكثير من المُسْلِمِينَ وَخُصُوصاً الْمُشَكِّكِينَ وَالمُرْجِفِينَ يرونها هزيمة وفشل، فكيف يمايز ويقايس القرآن خلافاً لكل الحسابات؟ هَذَا لَا يَدْرِكُهُ إِلَّا لِمَنْ لَهُ عِلْمٌ وَإِحَاطَةٌ وَهَيْمَنَةٌ عَلَى الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ وَالنَّفُوسِ بَلْ لِكُلِّ الْكُونِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ فِي صُورِهِ ظَلَّ الْخُسَارَةَ الظَّاهِرِيَّةَ - بِالصَّلْحِ - تَبَدُّأَ الْوَلَادَةِ الْجَدِيدَةِ وَفِي ظِلِّ تَكْفِيرِ الْمُشْرِكِينَ وَتَكْذِيبِ أَغْلَبِ الْمُسْلِمِينَ وَظَنَّهُمْ بِاللَّهِ الظَّنُونَا

ص: ١٣١

١- (١) سورة الفتح: الآية ١.

٢- (٢) مناقب آل أبي طالب: ج ١٦٣: ١، وبتغيير بسيط بحار الأنوار: ج ٢٢١: ١٩.

وبرسوله (صلى الله عليه و آله)، يأتى الفتح.

فى قمة الضيق والمضيق الذى يمرّ به النهر يفتح على البحار والمحيطات العظيمه، هكذا كانّ الحسين (عليه السلام) يؤسس بناء معرفى ويوصل الرساله للناس، فى أنّ الفتح غير النصر والنصر العسكرى الخارجى قد يكون مخالفاً للفتح فتصبح الهزيمه فتحاً وإنّ لم تكن نصراً، قال (عليه السلام): «منّ لحق بى استشهد ومنّ لم يلحق بى لم يدرك الفتح» (١).

إذنّ الحسين (عليه السلام) يُبشّر منّ يلحق به بالشهاده وينذر منّ لم يلحق به إنّ لا يدرك الفتح، وهذا درس لكلّ المسلمين بلّ لكلّ العالم البشرى فى إعادته الحسابات والوعى والمعرفه فى مقايسه ووزن الأمور، فبَعْدَ معركة الجمل كانّ المُسْلِمُونَ ينتظرون كلمه تشيد بالانتصار بَعْدَ المعركه، فإذا بأمر المؤمنين (عليه السلام) يشير إلى الفتح بقوله: «أنا فقأت عين الفتنه، ولم يكن ليحترأ عليها أحد غيرى» (٢).

هذه مفاجئه منّ الإمام (عليه السلام) ربّما الكثير يتساءل ويخاطبه - فى حديث النفس - أنت غالب أنت مُنتصر أنت لست فى خطبه وعظ أو كلمه أخلاقيه هذا محل قتلقيه أناس واستشهد آخرون وأسرّ البعض الآخر ونجا وانتصر البعض، فما هى مُناسبه هذا الكلام؟؟؟

الإمام (عليه السلام) أراد أن يُبين المقصود الحقيقى المُستقبلى البعيد كُلى البعد عنّ

ص: ١٣٢

١- (١) كامل الزيارات: ١٥٧، بتغيير قليل مختصر البصائر للحلى: ٦..

٢- (٢) نهج البلاغه: ج ١٨٢: ١؛ سليم بن قيس: ٢٥٦.

أذهان المُسلمين فضلاً عَنِ النَّاسِ حَيْثُ أَرَادَ أَنْ يُحَطِّمَ المَقُولَةَ المِثْشَابَهُ فِي الزَّبِغِ مِنْ أَنَّ أُمُومَهُ المُؤْمِنِينَ تَعْنِي الحُجِّيَّةَ فِي المَوْقِعِ الدِّينِيَّةِ وَالحَالُ أَنَّ القُرْآنَ يَشْهَدُ عَلَيَّ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بِالعَصِيَانِ وَالتَّظَاهِرِ عَلَيْهِ وَأَنَّ كَوْنَهُنَّ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لَا يَلْزِمُ حِصَانَتَهُنَّ عَنِ الزَّبِغِ وَالخَطِيئَةِ كَامْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ، فَمَنْ غَيْرَ الصَّحِيحِ أَنْ يَخْدَعِ الإِنْسَانَ المُؤْمِنَ بِالأَسْمَاءِ الطَّوِيلَةِ العَرِيضَةِ، وَلِذَلِكَ قَالَتْ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): «أَعْرِفِ الحَقَّ تَعْرِفِ أَهْلَهُ»<sup>(١)</sup>. وَالمُؤَسَّفُ عَدَمَ وَعَايِهِ مَغْزَى كَلَامِهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ).

وَكَذَلِكَ الحَسِينُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يُشِيدُ أَرْكَانَ الدِّينِ وَيُجَدِّدُ مَا بُلِيَ مِنْهُ وَيُعْطِي دَرْسًا حَضَارِيًّا فِي كُلِّ الأَجْيَالِ، إِنَّ الأَهْمِيَّةَ لِلتَّخْطِيطِ وَالأَهْمِيَّةَ لِلفَتْحِ الِذِي هُوَ تَشْيِيدُ لِلحَضَارَةِ الحَقِيقِيَّةِ، فَالدُّوَلُ اليَوْمَ أَخَذَتْ تَبَحْثَ عَنِ الانتِصَارَاتِ الِاستِراتِيجِيَّةِ بَعِيدَةِ المَدَى، وَأَصْبَحَتْ الانتِصَارَاتُ المَقْطَعِيَّةُ الرَّاهِنَةُ فِي المَنْطِقِ العِلْمِيِّ لِهَذَا العَصْرِ إِنْجَازَاتٍ مُؤَقَّتَةٍ لَا يَكْتَرِثُ بِهَا بِالقِيَاسِ إِلَى مَا هُوَ بَعِيدُ المَدَى.

فَالأنْبِيَاءُ وَكُلُّ المُصْلِحِينَ مِنَ المِصْطَفِينَ كَانَتْ تَنْظُرُ النَّاسُ إِلَيْهِمْ (بِمَا فِيهِمُ المُؤْمِنِينَ) أَنَّهُمْ قَتَلُوا اسْتَشْهَدُوا وَظَلَمُوا وَغَلَبُوا وَقَهَرُوا مِنْ قَبْلِ قَوْمِهِمْ، أَمَّا بَعْدَ ثَوْرَةِ الحَسِينِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) انْقَلَبَتِ الصُّورَةُ وَانْقَلَبَتِ النُّظُرَةُ انْقَلَبَ السَّحَرُ عَلَيَّ السَّاحِرِ، انْقَلَبَ سِحْرُ الأَفْكَارِ البَسِيطَةِ السَّادِجَةِ ذَاتِ البَهْرَةِ وَالزَّخْرَفَةِ وَالمُوسُوسَةِ الشَّيْطَانِيَّةِ، عَلَيَّ صَانِعِهَا السَّاحِرِ الِذِي أُسِّسَهَا وَثَبَّتَهَا فِي نَفُوسِ النَّاسِ وَجَعَلَ النَّاسَ أُسْرَاءَ لَهَا.

وَالحَسِينُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يَقْلِبُ مَجْرَى التَّارِيخِ وَهَذَا لَيْسَ كَلَامَ شِعَارِي أَوْ شِعْرِي

ص: ١٣٣

خيالي؛ لأنه (عليه السلام) أعاد النَّظْرَ والحساباتِ عِنْدَ كُلِّ النَّاسِ وَصَحَّ النَّظْرُ، وأوجد بصيره ثاقبه لدى أجيال المُسلمين والبشريه بافتراق نهج السقيفه والنهج الأموي عَنِ النهج النبوي السماوي وأنَّ الخلافه السلطويه سلطنه قُدْره وتسلُّط ومسار الهدايه الدينيه مسار آخر، وهذه البصيره المسلَّحه فى العقول لم تكن لتوجد ويستمر تواجهها لدى الأجيال لولا تضحيه مثل سبط الرسول وفرخ البتول وعزيز المرتضى وخامس أصحاب الكساء، وبالتالي لا بدَّ لكتب التاريخ أن تُعاد صياغاتها؛ لأنَّها نظرت لجهه واحده نظرت لمظلوميه الأنبياء وأنهم لم ينتصروا فى حين أنَّ الحقيقه أنَّهم كانوا مُمهدين لمُحمَّد (صلى الله عليه و آله) الخاتم لما سبق، والفتاح لما استقبل والمُهيمن على ذلك كُلّه.

## القسم الثاني: خارطة مسؤوليات العصر الراهن

### إشاره

و فيه ثلاثه فصول:

الفصل الأول: خارطة المسؤوليات في النشاط الوظيفي الديني والسياسي والإجتماعي، وفيه :

-سته قواعد منهجيه .

الفصل الثاني: خارطة المسؤوليات في النشاط الوظيفي الديني للمؤمنين تجاه حركات الإنحراف .

-السفياني بين الحتم والبداء .

الفصل الثالث: خارطة المسؤوليات في النشاط الوظيفي الديني العسكري للمؤمنين ووظيفه تقديس وحمايه المقدسات .

-قواعد أساسيه في مراتب الجهاد الدفاعي .

-وظيفه تقديس المقدسات .

ص: ١٣٥



## الفصل الأول: خارطة المسؤوليات في النشاط الوظيفي الديني السياسي والإجتماعي

اشاره

ص: ١٣٧



القاعده الأولى: - (كن حلساً والاحلاس فى البيوت).

القاعده الثانيه: إعداء القوه.

القاعده الثالثه: طلب العلم ونشره.

القاعده الرابعه: عموم المسؤليه على الجميع.

القاعده الخامسه: (التقيه الذكيه) وترقيه تنامى الحس الأمنى.

القاعده السادسه: المرونه والمناوره فى المسير والمسار.

القاعده السابعه: ضروره توازن القوى مع العدو.



هذه قواعد سبعة أو أكثر (١) في الفقه العقائدي والنشاط الوظيفي الديني والفقه السياسي الاجتماعي، أي إن نفس القاعده الواحد لها بعد ديني حين تدخل في الوظيفة الدينيه من حيث أنها واجبه أو مستحبه فرديه كانت أو إجتماعيه وغيرها، ومن جهة فإن نفس هذه القاعده يمكن أن تكون منهاجا للعمل السياسي وقاعده سياسيه، ونفسها بعينها ضابطه في فقه التريه الأسريه والتعامل الأسري والسلوك الاجتماعي .

ومن المعلوم أن هذه القواعد قد ينظر الفقهاء أو أرباب العلوم المختلفه إليها من جهة وزاويه البعد الفردي، والحال أن البعد الفردي هو أحد زوايا تلك القواعد، وهو أدنى الواجبات في الدين، وهناك ما هو أهم وهي الواجبات الاجتماعيه أو السياسيه أو الاقتصاديه أو العسكريه، فكلما كانت أوسع وأهم في الدين كان الملاك أهم وبالتالي تكون المطلوبيه أعلى .

والحاصل أن البعد الديني في هذه القواعد ما كان من ناحيه الوظيفه في الأحكام الشرعيه، أما بعدها في الفقه السياسي فهو ما ارتبط بشؤون السلطه والشأن السياسي بشكل عام، وأما البعد في الفقه الاجتماعي، فمن حيث كونها تنظيرات أو تطبيقات اجتماعيه.

ص: ١٤١

---

١- (١) قلنا أكثر؛ لأن في هذه القواعد قواعد أخرى، فيصل العدد إلى عشر قواعد أو أكثر.

قَدْ احْتَمَلَ عِدَّهُ امْتِمَالَاتٍ لِمَعْنَى الْحَلَسِ وَلِلْمَعَانِي الَّتِي تَأْمُرُ الْفَرْدَ الْمُؤْمِنَ – فِي زَمَنِ الْغَيْبَةِ الْكُبْرَى – بِالْجُلُوسِ فِي الدَّارِ:

(١) أَنْ يَكُونَ مَعْنَى ذَلِكَ أَنْ يَدْخِرَ نَفْسَهُ لِنَصْرِهِ الْإِمَامِ (عَج) فَيَنْبَغِي أَنْ يَحَافِظَ عَلَى نَفْسِهِ، وَهُنَا نَقُولُ أَنَّ مَعْنَى الْمَحَافِظَةِ مُغَايِرَ لِمَعْنَى الْجُلُوسِ فِي الدَّارِ، فَقَدْ يَكُونُ هُنَاكَ ادِّخَارٌ لِلنَّفْسِ بِلَا جُلُوسٍ فِي الدَّارِ، وَقَدْ يَكُونُ هُنَاكَ جُلُوسٌ سَلْبِيٌّ يُعَرِّضُ الْمُؤْمِنَ لِلْخَطَرِ.

(٢) أَنْ يَكُونَ مَعْنَى أَحْلَاسِ الْبَيْوتِ هُوَ اجْتِنَابُ الْاِغْتِرَارِ بِكُلِّ صَيِّحَةٍ وَنِدَاءٍ مِنْ هُنَا وَهُنَاكَ وَمِنْ فَتْنَةٍ وَأُخْرَى مِنْ دُونِ تَثَبُّتِ وَرُويِهِ وَتَعَقُّلِ وَفَحْصِ، مِنْ دُونِ دِرَايَةِ؛ لِثَلَا- يُوْدِي إِلَى قَتْلِ النَّفْسِ بِالضَّلَالِ وَالْاِنْضِوَاءِ تَحْتَ تِيَارَاتِ الْاِنْحِرَافِ، وَالْاِنْخِدَاعِ بِالزَّخْرِفِ وَبِالْبَهْرَجَةِ وَالْإِعْلَامِ بَلْ الْاِلْزَامِ أَنْ يَكُونَ مُصَدِّقًا لِقَوْلِ الْإِمَامِ (عَلَيْهِ السَّلَام): «كُنْ فِي الْفِتْنَةِ كَابْنِ اللَّبُونِ لَا ظَهْرٌ يُرَكَبُ وَلَا ضَرْعٌ يُحَلَبُ»<sup>(١)</sup>، وَابْنُ اللَّبُونِ مِنَ الْإِبِلِ مَا أَتَى عَلَيْهِ سَنْتَانٌ حَيْثُ لَا يُمْكِنُ

ص: ١٤٢

---

١- (١) غرر الحكم ودرر الكلم، ١:٣١٧؛ مستدرک سفینه البحار: ١: ١٢٣.

استغلاله بالحلب، ولا- بالركوب حيث لا يركب، كذلك المؤمن خارج من الفتنة بانتصار، رغم إنه في الفتنة وليس هو جليس الدار، بل هو في الفتنة وليس معها كما ورد «كن في الناس ولا تكن معهم»<sup>(١)</sup>، ونظير قوله (عليه السلام) أيضاً: «كونوا كالنحل في الطير ليس شيء من الطير إلما وهو يستضعفها ولو علمت الطير ما في أجوافها من البركه لم تفعل بها ذلك، خالطوا الناس بألسنتكم وزايلوهم بقلوبكم وأعمالكم»<sup>(٢)</sup>، أى كن في الفتنة ولا تكن رقماً من أرقامها حتى لا تخسر عقيدتك، وكن حلساً من أحلاس البيوت، أى: «لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً»<sup>(٣)</sup>، ولا- تكن حطباً لنيران الفتن، وذلك يكون بالصبر والتثبت وعدم الاستعجال، وقد ورد في الروايه «هلكت المحاضير ونجا المقرَّبون»<sup>(٤)</sup>، والمحاضير أى المستعجلون بلا تروى والاندفاعيون بسرعه استرسال بلا- تثبت وفطنه من دون ملاحظه عواقب الأمور، وقوله «ونجا المقرَّبون»- بكسر الراء المشدده - تعنى أنهم يقولون بقرب الفرج وينتظرون فى برمجه أعمالهم وجدوله تحرّكهم توخى الظهور، فالانتظار من مادّه الناظر أى المتطلّع لشيء آت، حيث يجعل مركز كلِّ برامجه وتخطيطه وخطاه وخططه السعى لذلك الهدف والدوران حول تلك النقطه المركزيه من دون رسم هدف مغاير لذلك الفرج الحقيقى؛ وذلك بعدم الاغترار والفرح بالانفراج النسبى الضئيل، وبذلك يكون السعى والعمل

ص: ١٤٣

١- (١) سنن النبى الأكرم (عليهما السلام): ٢٠: ٦٤.

٢- (٢) غيبه النعمانى: ٢٠٩ و ٢١٠.

٣- (٣) نهج البلاغه: ج ٥١: ٣؛ وبنفس المضمون كنز العمال: ج ١٧٥: ١٦، ح ٤٤٢١٥.

٤- (٤) الغيبه: ٢٠٣؛ وبنفس المضمون فى الكافى: ج ١٣٢: ٣.

والنشاط أكبر من الأهداف المتوسطة فضلاً عن الأهداف المقطعية الشخصية، وهذا المعنى لا يعنى السكون والركود والنكول عن هدف الانتظار، بل يعنى دوام استهدافه فى السعى والنشاط والحركة والحراك والسكون والسكوت عن بقية الأهداف الأخرى الدنيوية، وكذلك هو بتوظيف الأهداف المتوسطة لذلك الانتظار والظهور من دون الاغترار بتلك الأهداف لنفسها بنظره موضوعيه لها، تطبيقاً لقوله تعالى: (وَ لَا يَسْتَخَفَّنَكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ) (١) ولذا كان على أمير المؤمنين (عليه السلام) منشغلاً بتجهيز النبي (صلى الله عليه وآله) ودفنه، حين كان الناس يتصارعون على كرسى الحكم لم يستخفه المستخفون، ولم يربكه استعجال المستعجلين وحرص الدنيويين.

### المعاني اللغويه للحلس:

٣) وهذا الاحتمال يدعم الاحتمال الثانى الذى مرّ إلا أنه يركّز إلى جانب استعمال السريه والحسّ الأمنى فى العمل حيث أنه ذكر فى المعنى اللغوى للحلس: «إنه بمعنى الكساء يجعل على ظهر البعير تحت رحله، أو هو الكساء يكون تحت البردعه للبعير، أو هو الكساء ييسط فى البيت تحت حرّ الثياب»، وهذا الاحتمال الثالث يحتاج إلى شىء من البسط بالبحث فى المعانى اللغويه.

- فى العين: «الحلس ما ولى البعير تحت الرحل، والحلس للبيت ما ييسط تحت حرّ المتاع من مسح وغيره، وفى الحديث فى الفتنة كن حلس بيتك، الحلس الشعاع الذى يلازم قرنه» (٢).

- وقال فى جمهره الأمثال: «واصل الحلس كما ويجعل تحت البردع

ص: ١٤٤

١- (١) سورة الروم: الآيه ٦٠.

٢- (٢) العين للفراهيدى: ج ١٤٢: ٣.

عَلَى ظَهْرِ البَعِيرِ وَيَلْزِمُهُ فَشِبْهُ الَّذِينَ يَعْرِفُونَ الشَّيْءَ وَيَلْزِمُونَهُ بِهِ وَفِي الْحَدِيثِ إِذَا كَانَتْ فِتْنَةٌ فَكُنْ حَلْسًا بَيْتَكَ أَيْ الزَّمَهُ وَلَا تَزَايِلُهُ»<sup>(١)</sup>.

فَظَهَرَ مِنْ هَذِهِ التَّعَارِيفِ اللَّغَوِيَّةِ أَنَّ مَعْنَى الْحَلْسِ أَمَّا مَعْنَى الْخَفَاءِ أَوْ الثَّبَاتِ وَالْمُلَازِمَةَ عَلَى الشَّيْءِ وَكَلَا الْمَعْنِيِّينَ بِهَدْفِ عَدَمِ الْإِغْتِرَارِ وَالْإِنْجِرَارِ إِلَى أَطْرَافِ النَّزَاعَاتِ وَالْفِتَنِ وَالْإِخْتِلَافَاتِ، بَلْ الثَّبَاتِ وَاللِّزُومِ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ، فَلَا يَزَايِلُ هُوِيَّتَهُ وَإِنْتِمَاءَهُ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ بِإِنْتِمَاءَاتِ حَادِثِهِ وَمَتَوَلِّدِهِ، وَبِذَلِكَ يَقْرَبُ هَذَا الْمَعْنَى مِنَ الْمَعْنَى السَّابِقِ.

- وَمِنْ ثَمَّ وَرَدَ الْحَلْسُ كَمَا فِي لِسَانِ الْعَرَبِ بِمَعْنَى الْعَهْدِ، تَقُولُ: «أَحْلَسْتُ فَلَانًا إِذَا أَعْطَيْتَهُ حَلْسًا أَيْ عَهْدًا»<sup>(٢)</sup> وَهَذَا الْمَعْنَى أَيْضًا يَقْرَبُ مِنْ مَعْنَى اللَّزُومِ وَالثَّبَاتِ وَعَدَمِ الْإِنْحِرَافِ؛ وَذَلِكَ لِقَوَاهِ مَرَاعَاهِ السَّرِيهِ وَالْكَتْمَانِ وَالْإِخْفَاءِ وَالتَّسْتِرِّ لَا بِالسُّكُونِ وَالرُّكُودِ وَالْقَعُودِ وَالْإِبْتِدَالَ، وَجَعَلَ النَّفْسَ بِذَلِكَ مَبْتَدَلَهُ فِي أَيْدِي الْعَابِثِينَ وَالْمَعْتَدِينَ.

- وَفِي مَجْمَعِ الْبَحْرِينَ بَعِيدًا مَا ذَكَرَ تِلْكَ الْمَعَانِيَ الْمُتَقَدِّمَةَ لِعَهْدِهِ، قَالَ: «هَيْذَا هُوَ الْأَصْلُ وَالْمَعْنَى الزُّمُوا بِيُوتِكُمْ لَزُومَ الْأَحْلَاسِ وَلَا تَخْرُجُوا مِنْهَا فَتَقْعُوا فِي الْفِتْنَةِ وَالْحَلْسُ بِكَسْرِ اللَّامِ الشَّجَاعُ»<sup>(٣)</sup>.

- وَفِي تَاجِ الْعُرُوسِ: «وَمِنْ الْمَجَازِ الْحَلْسُ: الْكَبِيرُ مِنَ النَّاسِ لِلزُّومَةِ مَحَلَّهُ وَلَا يَزَايِلُهُ»<sup>(٤)</sup>.

ص: ١٤٥

١- (١) جمهره الأمثال: ج ٢٠٧: ٢.

٢- (٢) لسان العرب لابن منظور: ج ٢٨٤: ٣.

٣- (٣) مجمع البحرين: ج ٦٣: ٤.

٤- (٤) تاج العروس: ج ٢٤٥: ٨.

- والذى فى المحيط: «رأيت حلساً فى الناس أى كبيراً» إذا يلازم قعر بيته لا- يبرح ويؤيد أن الحلس بمعنى الثبات والثقل عن الاهتزاز فمن ثم ما عرف فى كلمات اللغويين فيما قال حلس بيته فيمن لم يبرح مكانه أى لم يغير ما ثبت عليه قلبه من الإيمان بهداهم ومنهاجهم.

### نتائج مهمه من معنى الحلس:

ولمزيد توضيح قول اللغويون فى معنى الحلس أنه البردع أو البردعه والبردغ أو البرذعه فينبغى أن نوضح معنى البردع، قال فى لسان العرب: «البردع هو الحلس الذى يلقى تحت الرجل، والبردعه من الأرض: لا جلد ولا سهل وأبرندع للأمر أبرنداعاً: تهيأ واستعد. وأبرندع أصحابه: تقدمهم»<sup>(١)</sup>، ويمكن الحصول مما تقدم على نتائج عديدة:

١) بما أن معنى الحلس هو البردع الذى هو قماش أو شىء آخر يوضع بين السرج وبين ظهر الدابه كالحصان، والهدف منه زياده فى (ثبات) السرج على ظهر الحسان أو غيره، ومن جهة أخرى هو (حمايه) ظهر الدابه من قساوه السرج، وهكذا المؤمن الحلس هو كالبردع يحمى ظهور المؤمنين ويكون حصناً منيعاً ثابتاً لهم.

٢) وقوله والبردعه من الأرض: (لا جلد ولا سهل)، هذا يعنى أن البردع الذى هو الحلس دائماً يسير على الطريقه الوسطى، فلا يكون ليناً فيعصر، ولا يكون يابساً فيكسر، أى يكون وسطاً من باب وجعلناكم أمه وسطاً، أو يكون وسطاً أى لا إلى اليمين ولا إلى الشمال أى هو على

ص: ١٤٤

الوسطيه (الاستقامه) لا إلى اليمين ولا إلى الشمال فلا يذوب في الأفراطيين ولا ينساق مع التفريطيين المفرطين، بل متوازن في السير والمسير ويوازن الجوانب من دون متاركتها.

(٣) نستشعر من معنى البردع الذى هو ما يوضع بين الرجل أو السرج وبين ظهر الدابه، أنه بطانه داخلية غير ظاهره وهو بطانه نافعه، فيكون الحلس هو معنى البطانيه الإيمانيه الصالحه التي يأمر القرآن بالركون إليها وعدم اتخاذ غيرها، قال تعالى: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةَ مِن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا) (١).

(٤) البردع الذى هو بين الرجل وظهر الدابه، له نفع غير ظاهر وغير مُعلن، (خفى غير ظاهر) لكنّه متواجد فاعل بين الاطراف من دون مشاهدته ومن دون الشعور به - كما هي سنه الغيبه للإمام الثاني عشر (عج) - فالأمر بالعمل الخفى (الغير ظاهر النفع) - كما هو نفع الحلس الذى هو بين ظهر الدابه والرجل حيث أنه له دور ونفع لكنّه خفى - .

ولو دققنا النظر فإنّ البردع الذى قد يكون قطعه من القماش البالى، هذه القطعه إذا وضعت ظاهراً فإنّ نفعها معدوم وإذا خفيت نفعت - أيما نفع - كذلك المؤمن إذا خفى نفع وإذا ظهر علانيه استُصل وأبید.

(٥) وقوله: أبردع «تهياً واستعد»، إن معنى البردع هو التهياً والاستعداد فيكون معنى الحلس والحليسه هو التهيه المنقطع سريعاً وذلك بالتنامى التدريجى للقوه العجول الدفعى المنقطع سريعاً.

### ما هو معنى (البيت) الذى ورد فى الروايه:

ثم أن معنى البيت فى هذه الروايات، أيضاً هو استعمال كئائى يُراد به لزوم المنهاج الذى عليه المؤمن - منهاج أهل البيت (عليهم السلام) - فالبيت هو بيت

ص: ١٤٧

الإيمان وبيت المؤمنين وجماعتهم كما أطلق على بلاد المؤمنين وبلدهم ومجتمعهم دار الإيمان في قبال دار الإسلام وفي قبال دار الكفر، فالدار هي الكيان الاجتماعي وكذلك البيوت والبيت نظير إطلاق البيوت في آية النور بمعنى الرجال الذين لا تلهيهم تجاره ولا يبيع عن ذكر الله تعالى، أي أن قوله (عليه السلام) «كن حلساً من أحلاس بيتك» أي استقم على ما أنت عليه من الإيمان وبيته المؤمن والتزام جماعه المؤمنين وبنمط ورويه الخفاء وكتمان موضع القوه والضعف في المؤمنين عن الأعداء والمخالفين، والمواصله في مشروع أهل البيت (عليهم السلام)، بدون صخب في العلانيه تثير الأعداء وتعرقل مسيره الإيمان.

فالعمده في هذه الوصيه المُستفيضة في رواياتهم جملة من النقاط:

الأولى: الاستقامه والثبات على الإيمان.

الثانية: الترام السريه والخفاء.

الثالثة: التمرکز في بيت الإيمان وجماعه المؤمنين، وعدم اتخاذ ولائج وانتماءات خارجه عنهم.

والتمرکز لا يعنى التقوقع الجغرافى بقدر ما هو تمرکز الاستراتيجيه ومنظومه الولاء والتحالف مع المؤمنين.

وأين هذا المعنى البديع من المعنى المغلوط المشتهر تقليدياً في الأذهان من معنى الجمود وترك الحبل على الغارب والتفرج من بعيد، والتخلى عن جملة من المسؤوليات الخطيره، كما أن المعنى الصحيح المتقدم لا- يعنى الصخب فى العلانيه والجهار فى إذاعه الأسرار والصراخ والضجيج فى كل الأمور، فالنشاط وتحمل المسؤوليه لا يعنى الضجيج والصخب وإعلان

الأسرار للأعداء فى العلانية، وكذلك الخفاء والكتمان لا يعنى الجمود والانعزال والتفرج من بعيد، ولنا فى الإمام المهدي (عج) القدوة البالغة، فإنه (عج) فى قمه الخفاء مع قمه تحمل كافة المسؤوليات فى كل الساحات والميادين الساخنة والباردة.

وهذا اللسان - كن حلساً من أحلاس البيوت - فى الروايات كثيرة ومفادها لا يتضح تماماً، إلا بمقارنته بطوائف روايات أخرى فى هذا الشأن، كون منظومه الدين واحده لا تتحدد الرؤيه فيها إلا بالمجموع وتفسير كل بعض بالأبغاض الأخرى، وكذلك العكس.

فمثلاً نجد روايه صحيحه أعلائيه، بل قطعيه الصدور يرويه الصدوق عن الفضيل بن يسار النهدي ومشاركته مع زيد الشهيد فى ثورته، مع أن الفضيل من تلاميذ الإمام الباقر والصادق (عليهما السلام) المبرزين والروايه هى قول الفضيل:

«انتهيت إلى زيد بن على صبيحه خرج بالكوفه فسمعتة يقول من يعينى منكم على قتال أنباط الشام فوالذى بعث محمداً بالحق بشيراً لا يعينى منكم على قتالهم أحد إلا أخذت بيده يوم القيامة فأدخلته الجنة بإذن الله.

قال: فلما قتل اكترت راحله وتوجهت نحو المدينه فدخلت على الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام) فقلت فى نفسى لا أخبرته بقتل زيد بن على فيجزع عليه فلما دخلت عليه، قال لى يا فضيل ما فعل عمى زيد، قال فخنقتنى العبره، فقال قتلوه، قلت أى والله قتلوه، قال فصلبوه، قلت أى والله صلبوه، قال فاقبل يبكى ودموعه تنحدر على ديباجتى خده كأنها الجمان...

ثم قال يا فضيل شهدت مع عمى قتال أهل الشام، قلت نعم، قال فكم قتلتم منهم، قلت ستة، قال فعلك شاك في دمائهم، قال فقلت لو كنت شاكاً ما قتلتم، قال فسمعتة وهو يقول أشركنى الله فى تلك الدماء مضى والله عمى وأصحابه شهداء مثلما مضى على بن أبى طالب (عليه السلام) وأصحابه» (١).

والذى نريد أن نقوله: إن الإمام (عليه السلام) لم ينكر على الفضيل مشاركته، بل أكد له ألا يتردد فيما قام به من قتلهم، بل أعطاه مبلغاً من المال يوزعه على عوائل الشهداء.

كذلك روايات كثيرة أكدت أن الذى يحجزهم عن النهوض هو عدم استقامه محبيهم على تحمّل شدة المسؤولية، وأنهم لو وجدوا أنصاراً لخرجوا على الظالمين.

وفى هذا الصدد نذكر ما رواه الكليني فى روضه الكافى بسند متصل عن أبى هيثم بن التيهان، قال: «إن أمير المؤمنين خطب الناس فى المدينة، قال (عليه السلام): ثم ذكر الخطبه - الخطبه الطالوتيه -، قال ثم خرج من المسجد فمر بصيره - حظيره - فيها نحو من ثلاثين شاه، فقال: والله لو أن لى رجالاً ينصحون لله عز وجل ولرسوله بعدد هذه الشياه لأزلت ابن آكله الذبان عن ملكه، فلما أمسى بايعه ثلاثمائة وستون رجلاً على الموت، فقال أمير المؤمنين اغدوا بنا إلى أحجار الزيت محلقين وحلق أمير المؤمنين، فما وافى من القوم محلقةً إلا أبو ذر والمقداد وحذيفه بين اليمان وعمار بن ياسر، وجاء سلمان فى آخر القوم فرفع يده - أمير المؤمنين (عليه السلام) - إلى السماء فقال: «إن القوم استضعفونى كما استضعف

ص: ١٥٠

بنو إسرائيل هارون ... إلى أن قال: لولا- عهدٌ عهدُه إلى النَّبِيِّ الأُمِّيِّ (صلى الله عليه وآله) لأوردت المخالفين خليج المتيه، ولأرسلت عليهم شأبيب صواعق الموت وعن قليل سيلعمون» (١).

وقريب منه ما رواه الخزاز بسنده الموصول عن جابر بن يزيد الجعفي عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر (عليه السلام): «... قلت: يا سيدي أليس هذا الأمر لكم فلم قعدتم عن حثكم ودعواكم، وقد قال الله تعالى وجاهدوا في الله حقَّ جهاده هو اجتباكم، قال: فما بال أمير المؤمنين (عليه السلام) قعد عن حقه حيث لم يجد ناصرًا، أو لم تسمع الله تعالى يقول: - في قصة لوط (عليه السلام) لقومه - (لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) ، ويقول في حكاية عن نوح: (فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنَّتِصِرْتُ) ، ويقول في قصة موسى (عليه السلام): (رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ) ، فإذا كان النَّبِيُّ هكذا فالوصي أعذر، يا جابر مثل الإمام مثل الكعبه إذ يؤتى ولا يأتي» (٢).

وقريب منه ما رواه في علل الشرائع (٣) بسنده عن ابن مسعود عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، وقريب منه أيضاً ما ورد في الاحتجاج (٤) عن أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد رجوعه من النهروان، وذكر المجلسي في علل قعوده عن قتال من تأمر عليه من الأولين، وعلل قعود من قعد منهم (عليه السلام)، وذكر المجلسي روايه أخرى عن الاحتجاج قوله (عليه السلام): «لو وجدت يوم بويج أخو تيم أربعين رهطاً لجاهدتم في

ص: ١٥١

١- (١) الكافي: ج ٨، ص ٣٣.

٢- (٢) كفايه الأثر للخرزاز القمي: ٢٤٧.

٣- (٣) علل الشرائع: باب ١٢٢، ح ٦، ١٤٨.

٤- (٤) الاحتجاج: ج ١، ١٨٧، ١٨٨.

وكذلك الصدوق (٢) في الأمالي بسند معتبر عن المفضل، وكذلك الطوسي في أماليه (٣).

وقد جمع المجلسي في هذا الباب - باب العلل - كثير منها متضمن لهذا التعليل.

وكذلك ما ورد - متعددًا - من أنه: كَانَ قَدْ قَرَّرَ أَنْ يَكُونَ الْحُسَيْنَ (عَلَيْهِ السَّلَام) هُوَ الْمَهْدَى وَلَكِنْ بَدَأَ اللَّهُ فِيهِ.

فيظهر أن الذي يؤخر إقامه دولتهم هو تخاذل المؤمنين عن الالتزام العالی الكبير بالمسؤولية الثقيله، وهذا ما تواترت به الأخبار، بل والآيات الكريمة واضحه الدلاله بالمضمون والصراحه فى ذلك. قال تعالى: (الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضمهفاً) (٤).

فالأمه إذن واقعها هو الضعف على مختلف الأصعدة الدينيه والحياتيه الماديه والمعنويه ويتحصل مما تقدم أن معنى المجلس هو الثبات وعدم الانتقال عن المسار العقائدى والدينى بالإنجرار خلف تيارات الباطل والزيف، وهذا ما توضحه لنا الآيه الكريمة فى قوله تعالى: (و أعدوا لهم ما استطعتم من قوه و من رباط الخيل ترهبون به عدو الله و عدوكم) (٥).

ص: ١٥٢

١- (١) البحار: ٢٩، باب ١٣، ٤١٧.

٢- (٢) الأمالي للصدوق: باب ٦، ح ١٠، ص ٣١١.

٣- (٣) أمالي الطوسي: ج ٢، ص ٣٨.

٤- (٤) سورة الأنفال: الآيه ٦٦.

٥- (٥) سورة الأنفال: الآيه ٦٠.

وقد روى الكافى مرفوعه على بن عيسى قال: «إنَّ موسى (عليه السلام) ناجاه الله تعالى فقال الله فى مناجاته يا موسى... وكن خلق الثياب جديد القلب تخفى على أهل الأرض وتعرف فى أهل السماء حلس البيوت مصباح الليل... يا موسى كن إمامهم - العباد - فى صلاتهم وإمامهم فيما يتشاجرون واحكم بينهم بما أنزلت عليك فقد أنزلت حكماً بيناً وبرهاناً نيراً ونوراً ينطق» (١).

فى الحديث القدسى يأمر الله عزَّ وجلَّ موسى بأن يكون حلساً من أحلاس البيوت، ومع ذلك فإنه لم يناف الأمر بإقامه الحكم الإلهى بين الناس وإقامه التوراه، مما يدل على أن المراد الحقيقى والصحيح من الحلس هو السريه والخفاء فى الإقامة فى بيت مشروع الحق والثبات على النهج الصحيح وعدم الانجرار مع كل اتجاه وكل رايه مرفوعه، بل الأمر بالحلس والخفاء فى البيوت فى حين الأمر بقياده الناس وهو قمه النشاط والدور الفاعل ورفع الفتنة والنزاع بين البشر، وبذلك يظهر جلياً أن الأمر ب(كن حلساً من أحلاس بيتك) هو الخفاء والسريه فى مواجهه العدو فى حين الإقامة فى بيت كيان الحق وليس أمراً ودعوى إلى الجمود والسكون والوهن والضعف والاستضعاف والتفرج للأحداث من دون الخوض فى إداره إصلاحها .

ص: ١٥٣

---

١- (١) الكافى: المجلد ٨، ٤٢، وفى امالى الصدوق مسنده بسند محسن عن عبدالله بن سنان المجلس ٧٧، ح ٦٠٢: ٦.

كيف وقد ورد في الروايات المستفيضه - كما في روايات الزيارات العديده - الدم الشديد للضعف والوهن والسكون والضراعه والإستكانه والتتعن والهلع والتضييع والتخلف، بينما أمر بالقوه والنهوض والبروز والنطق والمحافظة والإقدام والإعداد، وإن لم يكن ذلك بمعنى الحده والسخونه والتهور والصخب والإفشاء والإذاعه للأسرار الأمنيه وكشف المستور، بل هو أمر ذكى فى الآليات والخطوات للخطط .

وفى عده من زيارات لأمير المؤمنين (عليه السلام) ولسيد الشهداء (عليه السلام)، منها عن أسيد بن صفوان صاحب رسول الله (صلى الله عليه و آله)، قال: «... وجاء رجل (١) مسرع مسترجع وهو يقول: ... قويت حين ضعف أصحابه وبرزت حين إستكانوا، ونهضت حين وهنوا، ولزمت منهاج رسول الله .... ولم تضرع برغم المنافقين وغيظ الكافرين وكره الحاسدين وضغن الفاسقين فقامت بالأمر حين فشلوا ونطقت حين تتعتوا، ومضيت بنور الله إذ وقفوا، فاتبعوك فهدوا، وكنت أخفضهم صوتاً وأعلاهم فوتاً، واقلهم كلاماً، وأصوبهم منطقاً وأكثرهم رأياً، وأشجعهم قلباً وأشدهم يقيناً.....» (٢).

ص: ١٥٤

١- (١) ورد أن ذلك الرجل هو الخضر.

٢- (٢) الكافي ج ٣٧٨: ١ ح ٤، أمالى الصدوق: ٣١٤.

**الدور المنقذ لتوازن سفينة المؤمنين والمسلمين عن الفرق المتطرف**

ذكر في المنطق - بعض أوصاف - القضية الحينية، وهي: (أن المحمول فعلى الثبوت للموضوع حين اتصافه بوصفه)، وما أوردناه في زياره أمير المؤمنين (عليه السلام) - يشبه ذلك - وهو أنه (عليه السلام) حين يأفل عمل القوم وحين يضعف صبرهم يبرز صبره (عليه السلام)، حين يتتبع القوم ينطق (عليه السلام)، وليس دائماً، فهذا الوصف ثابت فعلاً للإمام (عليه السلام) حين يتصف القوم بعدم ذلك - فهو دور موازن -، وهذا دور آخر غير الدور الذي لأمر المؤمنين (عليه السلام) الذي هو ثابت له على الدوام، وهو عمله الدائم - كمكلف بالإمامه والقياده - بالتكاليف الشرعية كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرها، وهذا تفسير لمعنى الوسطية في العمل والتكليف (١)، قال تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسِيَّطًا لِتُكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَ مَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعَ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ ... (٢)).

ص: ١٥٥

١- (١) وقريب من هذا المعنى ما ذكر علماء أصول الفقه في معنى الوسطية - في التنجيز أو التكليف - وهي أن المكلف في ظرف الاضطرار يمكنه أن يأتي بثمانيه أجزاء من العمل المركب من عشره أجزاء لأن الثمانيه مجزيه في ظرف الاضطرار ومطلوبه على كل حال .

٢- (٢) سورة البقره: الآية ١٤٣.

أمير المؤمنين (عليه السلام) هو الميزان - وهو القبان - وهو قسيم الجنة والنار، وهو مع الحق والحق معه، وبه تعرف الرجال، ولكن هذا لا يمنع أن يكون له دوراً آخر وهو الوسطية في توازن وميزان الأمور بمعنى بيضة القبان - لو صح التعبير - وهذا الدور هو أحد أدواره التي سنها في نهج ومنهاج الدين.

وبه يكون دوره أمه، قال تعالى: (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (١)، أي رغم كونه ميزان توزن به الخلق كذلك هو توازن للخلق أي أحد أهم عناصر الميزان - عناصر التوازن - .

وهذا الدور العظيم - دور بيضة القبان - مرتبط بشكل وثيق مع برنامج الرقابة الأمني - دور الشهادة على الأمة - للذين آمنوا، قال تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسِيًّا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) (٢)، فقد أرتبط الوسطية بالشهادة، ولذلك فإن (إمساك العصا من الوسط) ضمانه أكيد للنجاح من السقوط في حضيض المتشابهات الفتانه.

ص: ١٥٦

١- (١) سورة النحل: الآية ١٢٠.

٢- (٢) سورة البقرة: الآية ١٤٣.

كن كموسى (عليه السلام) جلس البيت جديد القلب، وكما كان يوسف (عليه السلام).

لا بد أن تكون فى الحدث، فإن الوسطية بمعنى المعادل الموضوعى والعامل المشترك الذى لاغنى، لكثير من العمليات التديريه - الحساييه - عنه.

على (عليه السلام) خير قدوه، حين يحدث فتور نسبى فى الأمه بشرق نور على (عليه السلام)، حينما تسكت الأمه عن الباطل يظهر نور الحق من على (عليه السلام)، ما أن تبرد الأمه حتى يبعث فيها السخونه و... ولعله أحد معانى إثارة دفاثن العقول - الذى هو من أهم وظائف الأنبياء -، فالعقول مفطوره على الدين ولكن الأنبياء يثيروا دفاثنها .

ومن ذلك تخلص: ان المراد من الحلس هو الثبات وان لا- يبرح المؤمن من استقامته على انتمائه الى منهاج وخط اهل البيت (عليهم السلام) والملازمه على ذلك، ولا- تأخذة الاتجاهات والجماعات المختلفه يميناً ولا شمالاً، لان المراد الجمود والتفرج وترك الامور على غاربها، وعدم الاكتراث بالأمور التى لا تصب فى اتجاه منهاج اهل البيت (عليهم السلام)، أى بقدر ما هم مع المنهاج فنعم وبقدر ما يتعدون فلا، لا ان المعنى الجمود واللامسؤوليه والذوبان فى الماديه والذاتيه والاستمتاع بلذه الوداعه والراحه والخمول وبهجه الحياه الدنيا.

ثم أن هاهنا أصل وقاعده أخرى.

### قاعده: الصبر والتصبر

- أن الصبر والتصبر لا يعنى الجمود بل الإندفاع فى النشاط والفاعليه والرعايه اللطيف والتخطيط لتدابير متعدده واسعه.

وقد ورد في روايات مستفيضه بل متواتره، وورد ذم الاستعجال والنهي عن الاندفاع الساخن ألا أن الكلام يقع في حقيقه المعنى المراد منه متوازناً مع الأبواب الأخرى الواردة فيها أيضاً روايات متواتره داله على قواعد دينيه أخرى فالنظم المتوازن بينهما هو الجاده المستقيمه والنمرقه الوسطى.

أذن للصبر في منهاج أهل البيت (عليهم السلام) تفسيراً يختلف عن المناهج الأخرى سواء الإسلاميه أو غير الإسلاميه، بل أن بعض المناهج السائره على منهج أهل البيت (عليهم السلام) ترجلت في فهم (عدم الصبر أو الجزع) في سير ومسير أهل البيت (عليهم السلام) أين ومتى يكون وما هي مساحته .

وقد تقدم سابقاً في الروايه عن الإمام الصادق (عليه السلام) - بل الروايات الكثيره - أن الجزع وعدم الصبر يعنى النشاط والحراك والحركه قبل وقوع القضاء والقدر طمعاً في سعه المشيه وسعه الرحمه الإلهيه.

الجزع وعدم الصبر لا يعنى الاعتراض على القضاء والقدر كما قد يتصور البعض، بل أنَّ ساحه الصبر بعد وقوع القضاء والقدر.

وأعدوا..

قال تعالى (وَ أَعِدُّوا لَهُمْ مِمَّا اسْتِطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَ مِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ ... ) (١) وهذه الفريضة القرآنيه العظيمه ليست مختصه بباب الجهاد وحال مناجزه العدو، بل هي مطلقه على الدوام أن يبنى المؤمنون أنفسهم وقوتهم صرحاً يهابه العدو رادعاً له عن التطاول. الأول: نرى الآيه فرقت معنى القوه عن رباط الخيل، وكأنها تشير إلى أن القوه بحسب المعنى أوسع من معنى القوى العسكريه التي أحد مصاديقها (رباط الخيل).

الثاني: هذا التفريق والتمييز واضح فى الآيات القرآنيه، قال تعالى: (قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةٍ وَ أَوْلُوا بِأَسْ شَدِيدٍ وَ الْأَمْرُ إِلَيْكُمْ فَانظُرِي مَا ذَا تَأْمُرِينَ ) (٢)، فالآيه هنا فرقت القوه عن البأس الشديد، أى بينت أن معنى القوه أوسع من معنى القوه البدنيه والعسكريه، ومن معانى القوه الأخرى، قوله تعالى: (وَ لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَفَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا ... ) (٣)، فقد أشير - فى التفاسير -

ص: ١٥٩

١- (١) سوره الأنفال: الآيه ٦٠.

٢- (٢) سوره النمل: الآيه ٣٣.

٣- (٣) سوره النحل: الآيه ٩٢.

إلى أن معنى القوه هو الإحكام والإبرام .

الثالث: كذلك طلب ذى القرنين القوه من القوم الذين إستجدوه، وهى الإعانه المالىه والبدنيه، قال تَعَالَى: ( قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ) (١)، وهكذا آيات أخرى تشير إلى أن معنى القوه معنى أوسع من معنى القوه البدنيه والعسكريه .

إذن يتبين أن عنوان ومعنى القوه معنىً مطلق شامل لكل أنواع القوه سواء القوه العسكريه أو غير العسكريه، ومن الواضح أيضا أن القوه غير العسكريه لها مصاديق كثيره منها: القوه العلميه والقوه السياسيه والقوه الإقتصاديه والقوه الإجتماعيه وغيرها، رغم أن الآيه قالت بعد ذلك «ومن رباط الخيل»، فيظهر أن القوه المعطوف عليها رباط الخيل شىء آخر أعم من رباط الخيل، فتكون القوه العلميه فى التطور العلمى على المستوى السياسى والذكاء السياسى، وكذلك على المستوى الإقتصادى؛ فإن القوه الإقتصاديه قوه لا ينكرها عاقل، كذلك القوى التى ذكرناها، بل أن القوه الإجتماعيه والوجهه الإجتماعيه والتاثير فى المجتمع أيضا قوه أخرى.

وكل هذه المصادر للقوه تولد هيبه وترهب العدو المتربص بنا، والقضيه غير مختصه بوجود معركه أو معركه وشيكه، بل على العكس القوه تبنى فى وقت السلم للأسباب التاليه:

١- لأنها تنتمى من الدرجه البسيطه ثم تتصاعد إلى الدرجه العليا، وهذا التنامى يكون فى وقت السلم بشكل أفضل.

٢- أن وقت الحرب ليس وقت بناء للقوه، بل هو وقت إستخدام لما

ص: ١٦٠

١- (١) سورة الكهف: الآيه ٩٥.

بنيته من قوه، وهذا واضح، فإذا لم تكن بينت قوتك في وقت سابق سوف تهزم في الوقت اللاحق - وقت الحرب - .

٣- أن وقت السلم وقت صحيح لبناء القوه بصورة هادئه ورضينه .

فينبغي تحشيد الهمم والإرادات والعزائم للقيام بالمسؤوليه، وتخطيط برنامج يقوم بعبئ ضخامه الحدث «ونصرتى لكم معده»(١)، وهذا النص ورد مستفيضاً في زياراتهم سواء في جانب الملف الامنى أو العسكرى أو التعبوى للنفوس ولحماس الهمم أو في الملف السياسى أو المالى والاقتصادى أو في الملف العقائدى والفكرى والايولوجى فى الملفات الاخرى من الرعايات الحازمه التى يلزم على المؤمن النهوض بها .

قال تعالى: (وَاعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَ مِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ) (٢).

وهذه الآيه ترسم أصل محكم وقاعده خطيره استراتيجيه ألا وهى أن بناء القوه ليس له سقف يقف عنده، بل هو أفق مفتوح لا يتناهى، بل فى قوله تعالى: (يا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّ اسْمِعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ) (٣)، ودعوه للبشر الى إنماء سلطان قوتهم الى القدره على النفوذ من أقطار السموات والأرض.

فإذن بناء القدره والقوه ليس له سقف فى دعوه القرآن، نعم استخدام القوه تجاه الآخرين ولو كانوا من الأعداء المعتدين له سقف وحد محدود، كما

ص: ١٤١

١- (١) المزار للشهيد الأول: ١٣٢.

٢- (٢) سورة الأنفال: الآيه ٦٠.

٣- (٣) سورة الرحمن: الآيه ٣٣.

أن استخدام القوه تُجاه الآخريين حاله استثنائيه واضطرابيه وليست حاله أوليه فى منطق القرآن ومدرسه أهل البيت(عليهم السلام).

فبين بناء القوه وإعدادها مع استخدام القوه واستعمالها بون شاسع، ومن ذلك يفهم التوصيه ب- «كن حلساً من أحلاس بيتك»، إنه ليس دعوى لعدم بناء القوه لكيان الإيمان والمؤمنين بل غايته عدم استخدام واستعمال القوه تُجاه المخالفين لدعوتهم الى الهدى والحق، لا- أنها وصيه وتوصيه منه(عليه السلام) لترك بناء القوه أو إيقاف مسيره بناء القوه، وكم بين المعنيين من فرق شاسع.

ومن ثم نلاحظ أن أتباع أهل البيت(عليهم السلام)، كانوا قلّه بعدد الأصابع فى الصدر الأول، ثم كيف تناموا الى يومنا هذا، وليس ذلك إلا- من بناء القوه والقدره لا من إيقافها، ومن ثمّ ولأجل هذا الأصل والقاعده العظيمه قام كل ظالم بقتل إمام من أئمه أهل البيت الأحد عشر(عليهم السلام) واستئصاله، أما بالسّم أو القتل، رغم أن أئمه أهل البيت(عليهم السلام) من الإمام السجّاد(عليه السلام) الى الإمام الحسن العسكرى(عليه السلام)، لم يستعملوا القوه لكن خلفاء بنى أميه وبنى العباس لمسوا منهم التنامى فى القوه، فمنّ ثمّ استشعروا الخطر على ملكهم، فقاموا بتصفيتهم، بينما لم يقدّم بنى أميه وبنى العباس على قتل أحد من علماء المخالفين إلا نادراً، وهذا برهان قاطع من سيره أئمه أهل البيت(عليهم السلام) على الإصرار فى بناء القوه والقدره وتناميها وتمدّدتها بلا حدود. فبين بناء القوه والقدره مع استخدامهما تمايز كبير وقد وقع الخلط عند كثيرين، بل بقى هذا الخلط معشعشاً قروناً الى يومنا هذا.

إذن بناء القوه والقدره المُتنامى فائدته الردع للعدو عن الطمع فى مقدرات المؤمنين والمسلمين، وهو من باب (الوقايه خير من العلاج)، بينما

استخدام القوه هو من العلاج بعد وقوع الابتلاء بمرض اعتداء المعتدى لإزالة ذلك العدوان، بل أن تنامي القوه والقدره له خاصيه أخرى، وهى خاصيه إزاله العدوان أيضاً، بنحو سلمى تلقائى عفوى، ومن ثمَّ يتبين أن الهدنه التى أوصى بها أئمه أهل البيت (عليهم السلام) فى زمن الغيبه الكبرى، لا تتنافى مع ضروره بناء وتنامي القدره، بل بينهما كمال الوئام والتلازم، فإنَّ الهدنه تعنى فيما تعنيه الحفاظ على مقدرات معسكر الإيمان وكيانه، وهَذَا لا يتمُّ بمجرّد ترك المناوشه معَّ الخصم والعدو المخالف، وبمجرّد الكفِّ، وصرف ترك المُنازله والمُنازله، فإنَّ ذلك بمجرد لا - يحقق الأمان والحفظ، بل لا بدَّ من اعتماد بناء القوه وتنامي القدره كى يكون ذلك مُلجأ للعدو والخصم على رعايه الهدنه ورادعاً له عن الطمع فى نكث الهدنه والقيام بالعدوان والتجاوز، ألا- ترى فى هدنه الإمام الحسن مع معاويه، لم تكن تلك الهدنه متمحضه فى الكفِّ عن القتال، بل أكثر بنود ذلك الاتفاق كان فيه المحافظه من الإمام الحسن (عليه السلام) وشيعته على إبقاء القوه والقدره وعدم تسليمها لمعاويه.

وَمِنْ ثَمَّ كَانَ أَوَّلَ بِنْدٍ مِنْ بِنُودِ الْإِمَامِ الْحَسَنِ (عَلَيْهِ السَّلَام) أَنَّ أَخَاهُ الْإِمَامَ الْحُسَيْنَ (عَلَيْهِ السَّلَام) لَا يَدْخُلُ فِي هَذِهِ الْهَدَنَةِ، بَلْ يَظَلُّ خَطَأً سَاخِئًا يُمْكِنُ تَفْعِيلُهُ فِي أَيِّ وَقْتٍ، مُضَافًا إِلَى الْبِنُودِ الْأُخْرَى الصَّرِيحَةِ فِي ذَلِكَ.

فمفهوم الهدنه وعنوانها هو الآخر من العناوين التي حصل الالتباس في مفهومها ومعناها كالتوصيه الوارده: «كن حلساً من أحلاس بيتك»

- كما مرَّ - ، فبالدقه عندنا أصلان:

أصل تنامي القوه والقدره السّياسيه والعسكريه،

وأصل آخر وَهُيَوُ تَنَامِي الْقُوهِ وَالْقُدْرَهُ التَّكْنُولُجِيَهُ وَالْعَلْمِيَهُ، وَلَيْسَ مَعْنَى الْقُوَى وَالْقُدْرَهُ السِّيَاسِيَهُ أَوِ التَّكْنُولُجِيَهُ أَوْ حَتَّى الْاِقْتِصَادِيَهُ لَيْسَ الْمَقْصُودُ مِنْهَا الدَّوْلَهُ فَقَطْ، بِاعْتِبَارِ أَنَّ السِّيَاسِيَهُ أَوِ الصَّنَاعِيَهُ بِيَدِهَا، بَلْ الْاَمْرُ وَالْمَسْئُولِيَهُ عَلَى الْجَمِيعِ أَفْرَاداً أَوْ مَجْتَمَعَاتٍ أَوْ دَوْلَةً كُلًّا بِحَسَبِهِ كَمَا وَرَدَ: «كَلِكُمْ رَاعٌ وَكَلِكُمْ مَسْئُولٌ عَن رَعِيَّتِهِ»(١).

ص: ١٦٤

---

١- (١) روضه المتقين للمجلسي الأول: ج ٥١٤: ٥، صحيح البخارى ج ١٤٦: ٦.

كما أنّ هُناك أصل وقاعده ثالثه وهى (طلب العلم ونشره)، فإنّه أيضاً لا سقف له، وكذلك الدلالات المُسيّفه للآيات القرآنيه الحائثه على العلم، أى على طلبه، بل تحثّ على عدم الوقوف على حدّ فى طلب العلم، كما فى قوله تعالى: (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ) (١)، وكذلك الحال فى مجال نشره، كما فى قوله تعالى (فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَ لِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ) (٢).

وكذلك الأحاديث النبويه الكثيره الّتى منها: «اطلب العلم من المهد إلى اللحد» (٣)، وكما أنّ الحال فى استثمار العلم فى تسخير وتطويعهم أصل رابع مبنى على موازين وضوابط وليس مفتوحاً بنحو انفلاتى، فهذه قواعد أربعه لها ركنيه كبيره فى تبيان قوام منهاج أهل البيت (عليهم السلام) فى دعوتهم لإظهار الإيمان على كافه أرجاء الأرض .

ص: ١٦٥

١- (١) سورة يوسف: الآيه ٧٦.

٢- (٢) سورة التوبه: الآيه ١٢٢.

٣- (٣) الرعايه فى الدرايه هاشم: ٥٥.

قاعده:عموم المسؤليه على الجميع .

مع - عدم سقوطها ولو تقاعس الأغلب.

- عدم عذريه ترك المسؤليه لو تخاذل الأكثر.

قال النبي (صلى الله عليه و آله): «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»<sup>(١)</sup>.

وهذه الوصيه النبويه الخطيره لم تقصر المسؤليه على بعض دون البعض، ولا- على النخب دون عامه آحاد الأمم، بل كل من موقعه يتحمل الثقل والعبء، سواء قام الآخرون بمسؤولياتهم أم تخلوا عنها .

قاعده الرعايه «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»، قاعده عظيمه ومهمنه تمنهج وتبرمج إعداد القوه، رغم أن قاعده إعداد القوه قاعده عظيمه وكبيره ومطلقه أيضا، ولكن كفيات الإعداد ومتعلقات الإعداد من حيث المسؤوليات لا تتمنهج إلا من خلال تلك الكلمه النبويه الجامعه «كلكم راع».

فالرعايه مسؤليه، أى أن الراعى مسؤول لذلك قال الحديث الشريف:«وكلكم مسؤول عن رعيته»، أى أن هذه المسؤليه تلاحقك فى الدنيا والآخره، وأنت مسؤول قبل العمل وحين العمل وبعد العمل، ومسؤول أيضاً لو تركت العمل أو قصرت فى العمل، وأنت مجازى بأحسن الجزاء لو

ص:١٦٦

أنجزت العمل بالصورة المطلوبه .

كما أن لنا قدوه عظيمه بإمام عصرنا صاحب العصر والزمان المهدي(عج)، حيث أن تطاول الدهور والعصور على الظهور بمشروعه الإلهي بإقامه دوله العدل والقسط فى سائر أرجاء الأرض لم يثنه عن الاستقامه والرباط والمرابطه على الطريق لتحقيق الهدف ولا زعزع طول المده من أمله ورجاءه بالله تعالى فى تقدير وتدبير الفتح والنصر، فكم هائل وعظيم هذا الإصرار من التحمل لا داره المضى بالمسؤوليه والتخطيط عبر عشره قرون، وهذا ينتج عده أمور:

١) أن الصبر على الشده وطول المده فى تحمل المسؤوليه والعبء الثقيل لهو من أعظم ما يميز عظمه الأمام صاحب العصر والزمان(عج).

٢) إن الصبر والرباط والمرابطه على الطريق لتحقيق الهدف بتفائل ملؤه أمل ورجاء بالله تعالى فى تقدير وتدبير الفتح والنصر، رغم ما مرت من عقبات وأزمات وكوارث وإنتكاسات وفتن حلت بالمؤمنين .

٣) هذه الثقه المطلقه بالله تعالى التى لا- يززعها شىء، وهى من أهم بل الأهم فى رسم خارطه المسير والمسار الصحيح فى تحمل المسؤوليات للتعامل مع متطلبات العصر الراهن .

٤) ان أصحاب وأنصار الإمام(عج) من الأبدال الأوتاد - لا الأدياء - فى دولته الخفيه - الآن - هم قدوه أخرى لنا للثبات على صراط الحق والمسير والمسار القويم - الصحيح -، نعم لامحوريه - مستقله - لهم، بل محوريتهم تابعه لمحوريته(عج).

فإذن نحن مسؤولون عن أعداد القوه ونحن مسؤولون عن رعايتها ولو تخاذل الأغلب، ولا عذر لنا ولو تخاذل الأكثر .

ص: ١٦٧

لقاعده التقيه الأمنيه موقعيه مهمه، فهي قبل الجهاد الدفاعي ومعه وبعده، فإنّ التقيه الأمنيه هي قبل الجهاد الدفاعي بكل أنواعه؛ لأنها تبدأ من الدرجه البسيطه، وهي معه لأنها حارسه له وخط ساند له من الخرق الداخلي للعدو، وهي حصانه من الاختراق الأمني والأستخباري الذي يمكن للعدو إحداثه في جسد المجتمع المؤمن، وكذلك هي بعد الانتصار العسكري أو - لا قدر الله - بعد الفشل العسكري حمايه وحصانه من زياده الفشل والتردي لأجل لملمه الجراحات .

إذن موقعيه قاعده التقيه الذكيه (الأمنيه) موقعيه عظيمه في الدين وفي السير والمسير السياسي والاجتماعي، كما هو حال الأمام المهدي(عج) الآن في غيبته، وحال الأوتاد والإبدال الذين يعملون معه في غيبته، فهذه القاعده عامه وشامله لكل زمان ومكان وخصوصاً زمن الغيبه.

وفي الحقيقه أنّ عز الأمم وقوتها وفخرها هو بوجود الجنود في الخفاء (الجنود المجهولين)، الذين يقومون بتحسين وحمايه المجتمع من أن تמיד بهم الأمرض، بل إن أحد تفاسير «لولا الحججه لساخت الأرض بأهلها»، ليس أن تسيخ الأرض فقط بأهلها تكويناً بسبب الملكوت بالقضاء والقدر

الإلهي، بل أيضا بحسب الأسباب الطبيعيه، أى لولا- رعايه الإمام(عج) وفعل الإنسان الكامل - بالأسباب الطبيعيه الإداريه والتدبيريه والتنظيميه -، بإحداث الموازنات والمعالجات السياسيه والأمنيه والإجتماعيه الظاهريه والخفيه وكل المجالات المعيشيه الأخرى لساخت الأرض بأهلها.

## الإعداد الأمنى:

١ - أحد أهم مستندات هذه القاعده هى نفس قوله تعالى: (وَ أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ) (١).

فإنَّ قوله تعالى «مِنْ قُوَّةٍ» تشمل كُلَّ مستويات القوه سواء كانت قُوَّة عسكريه أو استخباريه - وهى الإعداد الأمنى - أو غيرهما، وإنَّ قاعده الإعداد الأمنى عَلَى لقواعد الجهاد الدفاعى الَّتى سنذكرها، حيثُ أَنَّها قبل الجهاد الدفاعى ومعها وبعده، فإنَّ الجهد الاستخبارى الأمنى الاجتماعى، جارٍ فى السلم والحرب.

مِنْ جهه أُخرى فإنَّ تنمه الآيه تقول: (وَ آخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ) (٢)، وفيها إشاره إلى أَنَّ هُنَاكَ عدو - متربص - خفياً سوف يردع سواء كَانَ خارجياً أو داخلياً.

٢ - تعاكس الإعداد الأمنى مَعَ قواعد الجهاد الدفاعى.

مِنْ الطريف أَنَّ قاعده الإعداد الأمنى مُتمازجه مُتداخله مَعَ الجهاد الدفاعى وَمَعَ ذلك هى مُتعاكسه، وليس معنى التعاكس هُوَ التضاد، بَلْ هُوَ تعاكس السير المنظومى لتنامى هذه القواعد مَعَ القاعده الأخرى.

فإنَّ قاعده الإعداد الأمنى تنطلق مِنْ المستوى البسيط وتنامى إلى

ص: ١٦٩

١- (١) سورة الأنفال: الآيه ٦٠.

٢- (٢) المصدر السابق.

المستوى العالى، تبدأ كشيء بسيط وكخليه صغيره ثم تكبر، أمّا الجهاد فإنه يبدأ من الدرجه الأعلى، فإن عجز عنها وجبت عليه الدرجه الأدنى وهكذا ...

### التقيه والكتمان حارس الإعداد:

يمكن استيضاح معنى الحراسه من عدّه نقاط:

أولاً: وَرَدَت روايات كثيره فى الحثّ عَلَى التقيه، حَتَّى عَدَّت مِنْ ضروريات المذهب، بل هُوَ وارد فى مضامين آيات كثيره، قَالَ تعالى: (إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ) (١)، وهذه الآيه وَرَدَ - فى تفسيرها - بنحو مستفيض أو متواتر أَنَّهَا فى التقيه، ونرى الإمام الصادق (عليه السلام) يطبقها عَلَى مثل ميثم فيقول (عليه السلام): «ما منع ميثم رحمه الله مِنَ التقيه؟ فوالله لَقَدْ علم أَنَّ هذه الآيه نزلت فى عمار وأصحابه....» (٢).

وكذلك مِنَ الآيات، قوله تعالى: (وَ قَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ) (٣).

كذلك قوله تعالى: (لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً) (٤).

والتقيه الَّتِي نُريدُها فى هذه القاعده تقيه فى بُعْدِ خاص وليس التقيه بعرضها العريض الشمولى، فتكون آيات وروايات التقيه شامله لمثل موردنا - وَهُوَ التقيه (الذكيه) الأمنيّه - ، لعمومها وشمولها.

ص: ١٧٠

١- (١) سوره النحل: الآيه ١٦.

٢- (٢) الكافى: ج ١٧٤: ٢.

٣- (٣) سوره غافر: الآيه ٢٨.

٤- (٤) سوره آل عمران: الآيه ٢٨.

ثانياً: الآيات والروايات لا تقتصر - بحسب ظهورها - على التقية بالعنوان والبعد الفردي، أو بالمعنى المعهود - وهي تقيه الخوف -، بل أن النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) وسعوا عنوان التقية إلى التقية التعليمية (الأمن التعليمي أو المعلوماتي) والتقيه المداراتيه، قال (صلى الله عليه وآله): «إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم» (١) وكذلك قول أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصف النبي (صلى الله عليه وآله): «فبعثه الله بالتعريض لا بالتصريح» (٢) وكذلك قوله (صلى الله عليه وآله): «أمرت بمداراه الناس» (٣).

وكذلك قول الإمام الصادق (عليه السلام): «ما كلم رسول الله (صلى الله عليه وآله) أحد من الناس بكنه عقله قط» (٤) إلى غير ذلك من الروايات في هذا المضمون.

وقد سبق أن ذكرنا أن قول الإمام (عليه السلام): «التقيه ديني ودين آبائي ولا إيمان لمن لا تقيه له» (٥).

فالإمام بهذا يعتبر أن التقية منهاج عمل له ولآبائه المعصومين (عليهم السلام)، ثم يعمم هذا المنهاج لكل المؤمنين، ويعتبر إن من لا يعمل بالتقيه لا دين له، وهذا اللسان الشديد يستشعر منه، أن القضييه ليست عمل على مستوى الفرد والأفراد فقط، بل هو على مستوى أعظم وأهم وهو العمل الاجتماعي، بل أيضاً في السلوك الديني والسياسي.

ص: ١٧١

١- (١) الكافي: ج ٢٨: ١ ح ١٥.

٢- (٢) الاحتجاج: ج ٣٨٠: ١.

٣- (٣) بحار الأنوار: ج ١٥١: ٧٤.

٤- (٤) الكافي: ج ٢٨: ١ ح ١٥.

٥- (٥) الكافي ج ٢٤٨: ٢ ح ١٢؛ وسائل الشيعة: ج ٢٠٤: ١٦: ب- ٢٤ ح ٤.

لو راجعنا مضامين الروايات التي ذكرت، أسلوب التقيّه، الذي اتبعه النبي (صلى الله عليه و آله) في المُجتمَع لشاهدنا إنَّ تكليم النبي (صلى الله عليه و آله) الناس على قدر عقولهم وليس على قدر عقله (صلى الله عليه و آله)، يعنى أنه لم يكشف الحقائق التي يعلمها؛ لأنَّ النَّاس لا تتحمل كل ما يحمله النبي (صلى الله عليه و آله)، وإنَّ هناك بعض الحقائق لا يصحَّ كشفها للناس، وأنَّ الناس مراتب فإنَّ ما يكشف من الحقيقه - والتي هي أمر لا متناهي - للمعصومين (عليهم السلام) لا يتحملة الأبدال والأولياء كما هو الحال فيما جرى بين الخضر (عليه السلام) وموسى (عليه السلام) فضلاً عن أن يتحملة النَّاس، كذلك والحال بالنسبه إلى أصحابه (صلى الله عليه و آله) غير المعصومين (عليهم السلام)، ما يكشفه النبي (صلى الله عليه و آله) لسلمان غير ما يكشفه لأبي ذر أو لعمار (رض)، فالنَّاس معادن وطبقات ودرجات من التحمل والقدره.

فإذا عرفنا هذا فإنه ينبغي أن لا نزن الأمور بميزان واحد ونكيل النَّاس بمكيال واحد، وأنَّ مستوى الأخذ غير مُستوى العطاء، وهذا ما تبينه لنا وبشكل جلي روايه عمار بن أبي الأ-حوص قال: قلت لأبي عبدالله (عليه السلام): «إنَّ عندنا قوماً يقولون بأمر المؤمنين (عليه السلام) ويفضلونه على الناس كلهم، وليس يصفون ما نصف من فضلكم، أنتولاهم؟ فقال لي: نعم في الجملة، ليس عند الله ما ليس عند رسول الله (صلى الله عليه و آله)، ولرسول الله (صلى الله عليه و آله) عند الله ما ليس لنا، وعندنا ما ليس عندكم، وعندكم ما ليس عند غيركم، إنَّ الله وضع الإسلام على سبعة أسهم؛ على الصبر والصدق واليقين والرضا والوفاء والعلم والحلم، ثمَّ قسَّم ذلك بين الناس، فمن جعل فيه هـيذه السبعة الأسهم فهو كامل محتمل، ثمَّ لبعض الناس السهم، وبعضهم السهمين، وبعض الثلاثة الأسهم

ولبعض الأربعة الأسهم ... فلا تحملوا على صاحب السهم سهمين ولا على صاحب السهمين ثلاثة أسهم ... فتثقلوهم وتنفروهم، ولكن ترفقوا بهم وسهّلوا لهم المدخل ...» (١).

رابعاً: الكتمان السيء (المذموم):

القرآن الكريم ما انفك يندد بالذين يكتمون البيئات، قَالَ تَعَالَى: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ) (٢) الآية تُبَيِّنُ أَنَّ هُنَاكَ لَعْنٌ لِمَنْ يَكْتُمُ الْبَيِّنَاتِ، وَقَدْ عَرَفْنَا أَنَّ الرِّوَايَاتِ تَدْمُ مَنْ لَا يَكْتُمُ، فَإِذْنٌ لَيْسَ الْكِتْمَانُ عَلَى إِطْلَاقِهِ صَاحِحًا وَلَيْسَ الْبَيَانُ عَلَى إِطْلَاقِهِ صَاحِحًا، فَهُنَاكَ مَوَارِدٌ لَيْسَتْ مِنْ مَوَارِدِ التَّقِيهِ وَالْكَتْمَانِ، وَمَعَ ذَلِكَ لَيْسَ كُلُّ مَا هُوَ يُبَيِّنُ يَجِبُ كَشْفُهُ، بَلْ هُنَاكَ مِنْ الْبَيِّنَاتِ مَا يَجِبُ سِتْرُهَا وَعَدَمُ إِشَاعَتِهَا، قَالَ تَعَالَى: (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) (٣).

فإن كتمان الفاحشه لجهه أخرى غير حيشه التقيه، فيجب أن نميز بين ما يُبَيِّنُ وما يشاع وما يكتُم، وهُنَاكَ أَصْلٌ آخِرٌ لَمْ يَتْرَكْهُ الْقُرْآنُ، وَهُوَ مَا إِذَا لَمْ يَعْرِفِ النَّاسُ بَعْضَ الْمَاهِيَاتِ الْمَسْتَجِدَّةِ وَالْأُمُورِ الطَّارِئَةِ الْمَسْتَجِدَّةِ الْمُرْتَبِطَةِ بِالْوَضْعِ الْعَامِ الَّتِي لَعَلَّهُ تَخْفَى عَلَى الْمُجْتَمَعِ، فَيُذَمُّ وَيُنْهَى عَنْ إِذَاعَتِهَا وَالْعَجَلِ فِي إِعْلَانِهَا قَبْلَ التَّعْرِفِ عَلَى أَنَّهَا مِنْ الَّتِي يَجِبُ

ص: ١٧٣

١- (١) الخصال: ٣٥٤ ح ٣٥؛ وسائل الشيعة: ج ١٦٤: ١٦٠ ب- ١٤ ح ٩.

٢- (٢) سورة البقرة: الآية ١٥٩.

٣- (٣) سورة النور: الآية ١٩.

إذاعتها أو كتمانها فكأن الآيه تُعطى قاعده مُهمه وجديده للفرد المؤمن وللمجتمع ككل وهى «إنَّ الأصل فى مستجدات الأمور المتعلقة بالوضع العام هو إرجاعها إلى أولى الأمر المعصومين (عليهم السلام)، قَالَ تعالى: ( وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ) (١)».

فإذن الأصل هو الحذر والتثبت واليقظه، والبصيره فى معرفه أنها من أى نوع.

### تقيه الكتمان مراتب ودرجات:

وَرَدَّتْ روايات تُبيِّن مدى العقوبه الَّتِي تنال المذيع للسِر، فما معنى السِر، وما معنى إذاعته؟ قبل أن نبدأ لابد أن نُبيِّن أن تقيه الكتمان على درجات:

(١) قَالَ أبو عبدالله (عليه السلام): «إِنِّي لأحدث الرَّجُلَ الحديثَ فينطلق فيحدث به عنى كَمَا سمعه فاستحل به لعنه والبراء منه» (٢).

وَهَذَا يُشير إلى أَنَّ الكتمان واجب على مَنْ يحدثه الإمام (عليه السلام) فى (لفظ الحديث) حَيْثُ يكون أصل لفظ الحديث واجب الكتمان، وَهناك أحاديث وَرَدَّتْ فى كتمان تأويل الحديث وإن كَانَ نصُّ ولفظُ الحديث غير واجب الكتمان، كَمَا عَنْ ابن مسكان قَالَ سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول: «قوم يزعمون أنى إمامهم، والله ما أنا لهم إمام، لعنهم الله كُلُّما سترت سترًا هتكوه، أقول كذا وكذا، فيقولون: إنَّما يعنى كذا وكذا، إنَّما أنا إمام مَنْ

ص: ١٧٤

١- (١) سورة النساء: الآية ٨٣.

٢- (٢) غيبه النعماني: ٤٣ ب ١ ح ٦.

أطاعني»(١)، وهُنا نرى الإمام لم يكذب تأويلهم للحديث لأنَّ التأويل صحيح، ولكنَّه أنكر عليهم عدم كتمانهم لتأويل الحديث.

وهناك روايات تُشير إلى التقيُّه في كتمان الحديث مراتب فمرتبه كتمانهُ عن الأعداء ومرتبه منها كتمانهُ عن المحبين والأولياء، كما في قول أمير المؤمنين (عليه السلام): «أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟ حدثوا النَّاس بما يعرفون وأمسكوا عما ينكرون»(٢).

وكذلك عن عبد الأعلى بن أعين عن أبي عبد الله جعفر بن مُحَمَّد (عليه السلام) أنَّه قال: «لَيْسَ هَذَا الأمر معرفه ولايته فقط حتَّى تستره عن مَنْ لَيْسَ مِنْ أهله وبحسبكم أن تقولوا ما قلنا، وتصمتوا عما صمتنا، فإنَّكم إذا قلتم ما نقول وسلمتم لنا بمثل ما آمنا به، قال الله تعالى: (فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا)»(٣)، قال علي بن الحسين (عليهما السلام): «حدثوا النَّاس بما يعرفون ولا تحملوهم ما لا يطيقون فتغروهم بنا»(٤).

وقصَّيه المعلى بن خنيس واضحه الدلاله في ذلك فعن حفص بن نسيب، قال دخلت على أبي عبد الله (عليه السلام) أيام قتل المعلى بن خنيس مولاه، فقال لي: «يا حفص حدثت المعلى بأشياء فأذاعها فابتلى بالحديد، إنِّي قلت له: إن لنا حديثاً من حفظه علينا حفظه الله وحفظ عليه دينه وديناه، ومن أذاعه علينا سلبه الله دينه وديناه، يا معلى إنَّه من كتم الصعب عن حديثنا جعله الله نوراً

ص: ١٧٥

١- (١) المصدر السابق.

٢- (٢) الغيبه للنعماني: ٤١ ب- ١ ح ١.

٣- (٣) سورة البقره: الآيه ١٣٧.

٤- (٤) الغيبه للنعماني: ٤٣ ب ١ ح ٤.

بين عينيه ورزقه العز في الناس، ومن أذاع الصعب من حديثنا لم يمت حتى يعضه السلاح أو يموت متحيراً»(١).

فإذن هذه مسؤوليه يجب أن يتحلى بها المؤمنون في كتمان حديث أهل البيت.

(٢) أورد صاحب الوسائل جملة من الروايات في أبواب الكتمان ومنها باب كتمان الدين عن غير أهله، منه روايه سليمان بن خالد، قال: قال أبو عبدالله (عليه السلام): «يا سليمان أنكم على دين من كتمه أعزه الله، ومن أذاعه أذله الله».

### التقيه من الجهلاء أشد من الأعداء

ورد في الحديث الشريف عن النبي (صلى الله عليه و آله): «الناس أعداء ما جهلوا»(٢)، يشير هذا الحديث إلى أن أهم وأعم مصادر العداوه هو الجهل حيث يجعل الصديق عدواً. فكشف بعض الحقائق التي لا يتحملها الجاهل بها يؤدي به إلى إنكارها؛ لأن عقله - مثلاً - لا يستوعبها وإذا أنكرها فإنه ينكر العقل الذي يحملها، وبالتالي ينكر الشخص الذي يحملها .

والذي تتولد عداوته لك من خلال إنكاره ما تحمل من علم مع أنه كان صديقاً حميماً - سابقاً - أو لا أقل لم يكن من الأعداء، وتكون عداوته أشد لعدده عوامل:

أولاً: لأنه عدو خفي، بإعتبار أنك تعتقد أنه في سلم وسلام معك، وإذا

ص: ١٧٤

١- (١) المصدر: ٤٥ ب ١ ح ١٢.

٢- (٢) نهج البلاغه ج ٤٢: ٤.

به يفاجئك فى يوم من الأيام بعداوته لك .

ثانياً: أنه قد يعين أعداءك الحقيقين على قتلِكَ أو محاربتِكَ .

ثالثاً: أنه يقتلك مادياً أو معنوياً - ويحسب أنه يحسن صنعاً -، ويتقرب بقتلك إلى الله .

رابعاً: أنه إن لم يقتلك مادياً فإنه بالتأكيد سيقتلك معنوياً لأنه يعتقد إنك باطل .

فإن الإنسان لعله بنفسه يحدث الفتنة على نفسه من خلال إظهار ما لا يصح إظهاره وإذاعه ما لا يصح إذاعته، ومن هنا ينصح بعدم التعسف فى استخدام الحق رغم أن الحق إلى جانبك، بل بالرفق واللين، ولذلك ورد عن أبى جعفر (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه و آله): «ما وضع إن الرفق لم يوضع على شىء إلا زانه ولا نزع عن شىء إلا شانه»<sup>(١)</sup>.

ومن هنا ورد قوله تعالى: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَيْدُوا لَكُمْ فَأَخِذُوا لَهُمْ وَاذْرُوهُمْ وَإِنِ اتَّعَفُوا وَ تَصَيَّفُوا وَ تَغَفَرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ )<sup>(٢)</sup>، فإن القرآن لم يقل أقتلوهم وإنما قال أذروهم، والحدز أنواع ومراتب أهمها عدم إظهار ما لا يصح إظهاره؛ لأجل أداره وتدبير الشؤون الحياتيه، وهذا معنى آخر من معانى ما ورد: من جواز الكذب على الزوجه، فليس الكذب بمعناه المعهود، إنما هو بمعنى عدم إظهار كل الحقيقه؛ لأن البيان الكامل يؤدى إلى العداوه .

ومادام الإنسان فى معركه مع عدوٍ داخلى وهو النفس، وعدو خارجى

ص: ١٧٧

١- (١) الكافى ج ١١٩: ٢.

٢- (٢) سورة التغابن: الآيه ١٤.

مخالف له في فهم الحقائق والأفكار، فإنه يسوغ له استعمال الخدعه - بقدر الضروره - لأجل أن يخادع خداعهم ويوهم جانب الجهل فيهم فإن: «الحرب خدعه»<sup>(١)</sup> كما في الحديث الشريف، فينبغي استخدام الخدعه بقدر الضروره وبقدر مستوى العداوه ونوع العداوه .

فينبغي بالإنسان أن يخطط بخفاء لمواجهه مستوى الخداع أو الجهل الموجود في النفس الأماره بالسوء أو الجهل الموجود عند الأزواج أو الأولاد أو الأعداء الحقيقيين، وهذا يحتاج إلى ضابط وميزان لا يسقط فيه التدبير إلى الإزدواجيه، بل يبقى على الإستقامه بتدبير خفي يحرس فيه الأمن، ولذلك حذر المعصوم (عليه السلام) المؤمنين من استخدام التقيه في غير موطنها، كما في إحتجاج الحسن العسكري (عليه السلام) - في حديث - أن الرضا (عليه السلام) جفا جماعه من الشيعه... فقال لهم: «وتتقون حيث لا تجب التقيه، وتتركون التقيه حيث لا بد من التقيه»<sup>(٢)</sup>.

### المذيع جاحد:

في روايه عن معلى بن خنيس عن أبي عبدالله (عليه السلام) - في ذيلها - «أن المذيع لأمرنا كالجاحد له»<sup>(٣)</sup>، وفي حديث آخر عن محمد الخزاز، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: «من أذاع علينا حديثنا فهو بمنزله من جحدنا حقنا»<sup>(٤)</sup>، فما هو

ص: ١٧٨

١- (١) قرب الإسناد للحميري: ١٣٣.

٢- (٢) الإحتجاج للطبرسي: ٤٤١؛ وسائل الشيعه ج ٢٧١: ١٦.

٣- (٣) الكافي ج ٢٥٢: ٢٠٨.

٤- (٤) الكافي ج ٣٧٧: ٢٠٢.

السبب يا ترى فى تشدد الروايه بجعل المذيع كالجاحد .

والجواب يبينه الحديث الشريف، عن نصر بن صاعد مولى أبى عبد الله (عليه السلام)، عن أبيه قال: «سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول مذيع السر شاك، وقائله عند غير أهله كافر، ومن تمسك بالعروه الوثقى فهو ناج، قلت: ماهو؟ قال: التسليم» (1).

من الأمور المهمه التى ينبغى الالتفات إليها، أن الإنسان إذا أراد أن يهدم مشروع أو مخطط لأعدائه، فإن من جمله الأمور التى تؤدى إلى قتل ذلك المخطط فى مهده هو كشفه؛ لأن الكشف والفضح لما هو مستور - ومدبر بليل -، يعنى تهديم ذلك المخطط وقطع الطريق على الماكرين .

ونفس الكلام ينطبق على أسرار مشروع أهل البيت (عليهم السلام)، فالمذيع جاحد وقاتل عمد - وليس قاتل خطأ -؛ لأنه قاطع طريق يقطع الطريق على مسيره الحق ويُفشل كل المخططات الحقه - الخفيه - لمنهاج أهل البيت (عليهم السلام) فى هدايه المجتمع، أو مواجهه الأعداء، والحال أن السلاح السرى أقوى تأثيراً، فيكون سلب هذا السلاح - الذى هو الورقه الرابحه والثابته - خساره كبرى .

فهو ورقه رابحه لأنه السلاح الأقوى والأبقى صموداً أمام العدو، وهو ورقه ثابتة؛ لأنها فى ظرف السلم والحرب، وفى ظرف العمل السرى والعلنى - سيات -؛ لأن العمل العلنى والمواجهه العلنيه لا توجب متاركة العمل الخفى والسرى والتخطيط السرى، فهو باق على كل حال، فأى كشف له ولو لبعض فقراته يكلف مسار أهل البيت (عليهم السلام) والمؤمنين الشىء الكثير، بل الشىء الذى لا يجبر كسره، ولهذا شدد الإمام (عليهم السلام) النكير على من يكشف السر.

ص: ١٧٩

١- (١) الكافى ج ٣٧٨: ٢ ح ١٠.

عن أبي حمزه، عن علي بن الحسين (عليه السلام) قال: «وددت والله أنى افتديت خصلتين في الشيعة لنا ببعض لحم ساعدى: النزق، وقله الكتمان»<sup>(١)</sup>، والنزق هو الخفه والطيش .

فيا ترى ماهى عظمه تلك الخصال التى يفدى الإمام بها لحم ساعده، فهل المقصود الكتمان على المستوى الفردى، أو هو على المستوى الاجتماعى والسياسى وتطبيق قاعده الكتمان فى البعد السياسى وهو بعدها الأهم والأبلغ ضروره الذى تشير إليه روايات كثيره، منها مارواه أحمد بن محمد بن أبي نصر قال: سألت أبا الحسن الرضا (عليه السلام) عن مسأله فأبى وأمسك، ثم قال: «لو أعطيناكم كما تريدون، كان شراً لكم وأخذ برقبه صاحب هذا الأمر... وأنتم بالعراق ترون أعمال هؤلاء الفراعنه وما أمهل الله لهم، فعليكم بتقوى الله ولا تغرنكم [الحياه] الدنيا، ولا تغتروا بمن قد أمهل له، فكأن الأمر قد وصل إليكم»<sup>(٢)</sup>، كذلك قال محمد بن مسلم: سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول: «يحشر العبد يوم القيامة وما ندى دماً، فيدفع إليه شبه المحججه أو فوق ذلك فيقال له: هذا سهمك من دم فلان، فيقول يارب، إنك لتعلم إنك قضتني وما سفكت دماً، فيقول بلى سمعت من فلان روايه كذا وكذا، فروبتها عليه، فنقلت حتى صارت إلى فلان الجبار فقتله عليها وهذا سهمك من دمه»<sup>(٣)</sup>.

فيتحصل من هاتين الروايتين وروايات أخرى بنفس المضمون أن

ص: ١٨٠

١- (١) الكافى ج ٢٥٠: ٢ ح ١.

٢- (٢) الكافى ج ٢٥٣: ٢ ح ١.

٣- (٣) الكافى ج ٣٧٧: ٢ ح ٥.

أى خبر يحتمل من أذاعته الخطر على مقدرات جماعه المؤمنين ومسار أهل الإيمان، أو أحداً من شيعته لا يصح، بل لا يجوز كشفها.

وفى هذا الصدد هناك روايات تشير إلى وجوب كتمان الأمر ولو كان يؤدي إلى الخطر من بعيد - بصوره غير مباشره -؛ لأن بعض موارد الإذاعه تؤدي إلى قتلهم معنوياً وإجتماعياً، فيؤدي بالتالى إلى قتلهم مادياً، فعن إسحاق بن عمار، عن أبى عبد الله (عليه السلام) وتلا- هذه الآيه: (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ) (١)، قال: «والله ما قتلوهم بأيديهم ولا ضربوهم بأسيافهم ولكنهم سمعوا أحاديثهم فأذاعوها فأخذوا عليها فقتلوا فصار قتلاً وإعتداءً ومعصيه» (٢).

والأمر لا يقتصر على البعد السياسى فقط، فإن الإمام الباقر (عليه السلام) يضع ضابطه عامه ومهمه فى كيفية التصرف فى ظل الحكومات الظالمه، عن أبى بصير قال: قال أبو جعفر (عليه السلام): «خالطوهم بالبرانيه وخالفوهم بالجوانييه إذا كانت الإمراه صيبانيه» (٣)، بل يؤكد (عليه السلام) الابتعاد عن القتل المعنوى - أى القتل فى البعد والموقع الاجتماعى أيضاً - وليس القتل المادى فقط، فلا ينبغى ولا يجوز زج النفس فى ذلك، بل هو الكبائر العظيمه، فعن هشام الكندى قال: سمعت أبا عبد الله يقول: «إياكم أن تعملوا عملاً يعيروننا به، فإن ولد السوء يعير والده بعمله، كونوا لمن انقطعتم إليه زينا ولا تكونوا عليه شيئاً، صلوا فى عشائركم وعودوا مرضاهم وأشهدوا جنازتهم ولا يسبقونكم إلى

ص: ١٨١

١- (١) سورة البقره: الآيه ٦١.

٢- (٢) الكافى ج ٣٧٨: ٢ ح ٧.

٣- (٣) الكافى ج ٢٤٩: ٢ ح ٢٠.

شئ من الخير فأنتم أولى به منهم والله ما عبد الله بشئ أحب إليه من الخبء، قلت: وما الخبء؟ قال التقيه»(١)، بل الأمام الصادق(عليه السلام) ينفى الإيمان عمن لا يتقى، فعن عبدالله بن أبي يعفور، عن أبي عبدالله(عليه السلام) قال: «إتقوا على دينكم فاحجيوه بالتقيه، فإنه لا إيمان لمن لا تقيه له، إنما أنتم في الناس كالنحل في الطير، لو أن الطير تعلم ما في أجوافها ما بقي منها شئ إلا أكلته، ولو أن الناس علموا ما في أجوافكم أنكم تحبونا أهل البيت لأكلوكم بألسنتهم ولنحولكم في السر والعلانيه، رحم الله عبداً منكم كان على ولايتنا»(٢).

ص: ١٨٢

١- (١) الكافي ج ٢٤٨: ٢-ح ١١.

٢- (٢) الكافي ج ٢٤٦: ٢-ح ٥.

قَالَ تَعَالَى: (وَ قَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَ تَقْتُلُونَ رَجُلًا) (١).

هذه الآية تمدح مؤمن آل فرعون على كتمانته لإيمانه باعتبار أن كتمان الإيمان، كان تقيته خوفاً من آل فرعون، وقد وردت روايات تشبه أبا طالب مؤمن قريش بمؤمن آل فرعون وتبين العلة التي دعت أبا طالب (عليه السلام) لكتمان إيمانه، فعن الشعبي يرفعه عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: «كان والله أبو طالب عبد مناف بن عبدالمطلب مؤمناً مسلماً، يكتُم إيمانه مخافه على بني هاشم أن تتابذها قريش» (٢).

وحيثما يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) مخافه على بني هاشم، أي بما هم يمثلون القيادة الدينية واستئصالهم من قبل قريش استئصال للدين ولولا حمايه ورعايه أبو طالب الخفيه الغيبه لهم لتناذتهم قريش ولولا هذا الدور الرئيس من الحمايه والرعايه لم يكن أبو طالب ليحمى بني هاشم، فكان كعنصر توازن، وكترس حامى وحمايه بهدنه مستمره بينهم وبين قريش.

وما خفى من دور أبى طالب (عليه السلام) أعظم، ومن خلال قرينه تشبيهِه بمؤمن آل فرعون وبقرائن أخرى نستطيع أن نقرأ أبا طالب (عليه السلام) من خلال القرآن، أي نقرأ دوره قراءه قرآنيه.

ص: ١٨٣

١- (١) سورة غافر: الآية ٢٨.

٢- (٢) الحجّه على الذاهب إلى تكفير أبى طالب: ٢٤؛ وسائل الشيعة: ج ٢٣١: ١٦.

فقد كانت مهام كثيرة قام بها مؤمن آل فرعون أهمها حمايه خليفه الله ولذلك كَانَ يَخاطبهم: (أ تَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ (١).

وَكَانَ مُؤْمِنَ آلِ فِرْعَوْنَ تَقِيَّهُ يَجْلِسُ مَجَالِسَهُمْ لَكِنَّهُ لَيْسَ مِنْهُمْ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ: «كُنْ فِيهِمْ وَلَا تَكُنْ مَعَهُمْ» (٢).

كَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَ جَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ (٣).

وَهَذَا الْمُؤْمِنُ لَمْ يَمْنَعِ الْقَتْلَ عَنِ النَّبِيِّ مُوسَى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فَقَطْ، بَلْ كَانَ يَمْلِكُ حَسًّا اسْتِخْبَارِيًّا عَالِيًّا، بَلْ أَيْضًا هُوَ اخْتَرَقَ جِهَاتِ التَّخْطِيطِ وَالتَّنْفِيزِ لَدَى النِّظَامِ الْبَاطِلِ الْفِرْعَوْنِي.

إِنَّ هَذَا الْمُؤْمِنَ الَّذِي يَكْتُمُ إِيمَانَهُ قَدْ جَعَلَ نَفْسَهُ جَنْدِيًّا اسْتِخْبَارَاتِيًّا أَوْ (جَنْدِيًّا مَجْهُولًا) اخْتَرَقَ أَعْدَاءَ الْإِسْلَامِ لِأَجْلِ أَنْ يُؤْمِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَكَأَنَّ يَجَالِسُ أَهْلَ الْبَاطِلِ وَيَأْكُلُ وَيَشْرَبُ مَعَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ، بَلْ جُنْدَ نَفْسِهِ حَمَايَهُ وَحِصَانَهُ لَجَمَاعَةِ الْإِيمَانِ وَلَوْلَاهُ لَقَتَلَ خَلِيفَةَ اللَّهِ وَهَذَا الدَّورُ أَيْضًا قَامَ بِهِ بِشَكْلِ وَاضِحٍ وَكَثِيرٍ أَبُو طَالِبٍ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، فَمَا أَعْظَمَهُ مِنْ دَوْرٍ، وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ دَوْرُ أُمَّةٍ وَدَوْرُ جَيْشٍ كَامِلٍ وَهُوَ حَسِّيٌّ وَمُهُمٌّ إِذَا أَنْجَزَ بِشَكْلِ مُتَقِنٍ، فَيُمْكِنُ إِذْنُ لِلْمُؤْمِنِ أَدَاءَ دَوْرٍ حَسِّيٍّ بِلَا اسْتِزْرَافٍ لَطَاقَاتِ مَادِيهِ وَبَشْرِيهِ، وَيُمْكِنُ مِنْ خِلَالِهِ إِنْقَاذَ جَمَاعَةِ الْإِيمَانِ وَلَيْسَ إِنْقَاذَهُمْ فَقَطْ، بَلْ جَلَبَ الْمَعْلُومَاتِ النَّافِعَةَ لَهُمْ، وَكَشَفَ كُلَّ الْمُخْطَطَاتِ وَالتَّامْرِ الَّذِي يَخْطِطُ ضِدَّ الْمُؤْمِنِينَ.

ص: ١٨٤

١- (١) سورة غافر: الآية ٢٨.

٢- (٢) سنن النبي الأكرم (عليهما السلام): ج ٢٠: ٤.

٣- (٣) سورة القصص: الآية ٢٠.

تتميمًا لما سبق أنّ مؤمن آل فرعون كَانَ يُجَالِسُ الْفِرَاعِنَةَ الْفَسَقَةَ وَيُشَارِكُهُمْ وَهُوَ كَاتِمٌ لِإِيمَانِهِ، كَذَلِكَ أَصْحَابُ الْكَهْفِ رَوَاهُ تَبَيَّنَ عَظَمُ الدُّورِ الَّذِي كَانُوا يَقُومُونَ بِهِ، فَعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): «مَا بَلَغَتْ تَقِيَهُ أَحَدٌ مَا بَلَغَتْ تَقِيَهُ أَصْحَابُ الْكَهْفِ، أَنَّهُمْ كَانُوا يَشُدُّونَ الزَّنَانِيرَ، وَيَشْهَدُونَ الْأَعْيَادَ، فَأَتَاهُمُ اللَّهُ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ» (١).

بَلْ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ ذَكَرَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فِي رَوَايَةٍ أُخْرَى: «إِنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ أَسْرَوْا الْإِيمَانَ وَأَظْهَرُوا الْكُفْرَ، وَكَانُوا عَلَى إِجْهَارِ الْكُفْرِ أَعْظَمَ أَجْرًا مِنْهُمْ عَلَى إِسْرَارِ الْإِيمَانِ» (٢).

الرَوَايَةُ الْأُولَى تُبَيِّنُ أَنَّ حُضُورَهُمْ إِلَى مَجَالِسِ الْفَسَقِ وَالْفُجُورِ تَقِيَهُ لَهُمْ عَظِيمٌ أَلْجَرُ عَلَيْهَا، وَهِيَ لَيْسَ تَقِيَهُ فَرْدِيَةً كَمَا لَعَلَّهُ يَتَصَوَّرُ الْبَعْضُ، وَمَعْنَى التَّقِيَهُ الْفَرْدِيَّةُ هِيَ التَّقِيَهُ عَلَى الْمُسْتَوَى الْفَقْهِي فِي الْبُعْدِ الْفَرْدِيِّ، بَلْ هِيَ تَقِيَهُ عَلَى مُسْتَوَى الْعَمَلِ الْاجْتِمَاعِيِّ وَهُوَ أَعْلَى مِنْ الْفَقْهِ فِي الْبُعْدِ الْفَرْدِيِّ بَلْ تَمَيُّهُ مَا هُوَ أَعْلَى مِنْ الْبُعْدِ الْاجْتِمَاعِيِّ وَهُوَ الْعَمَلُ الْمَنْظُومِيُّ السَّرِّيُّ الدِّينِيُّ السِّيَاسِيُّ وَالْاجْتِمَاعِيُّ الَّذِي هُوَ عَمَلُ بِنَاءِ الدَّوْلَةِ الْإِلَهِيَّةِ، وَهُوَ عَمَلُ مَنْظُومِيٍّ سَرِّيٍّ خَطِيرٍ يَصْعَبُ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ الْقِيَامَ بِهِ، لَكِنَّهُ مُمْكِنٌ وَمَتَّصِرٌ وَمَوْجُودٌ، نَعَمْ بَابُهُ لَيْسَ مَفْتُوحٌ لِأَدْعَاءِ الْمَدْعِينَ وَذَلِكَ لِأَنَّ مُقْتَضَى مَنْظُومِيَّةِ السَّرِّيَّةِ الْكُتُومِيَّةِ هُوَ عَدَمُ الْبُرُوزِ فَضْلًا عَنِ الْإِبْرَازِ وَالتَّكْلِمْ.

وعدم التكلّم لغه يفهمها من مارس العمل الاستخباري، وهي لغه

١- (١) تفسير العياشي: ج ٣٣٣: ٢ ح ٩.

٢- (٢) تفسير العياشي: ج ٣٢٣: ٢ ح ١٠.

أمنيه خطره وحدياسه أس أساسها الكتمان، وأبسط وأسلس الحالات والقصص التي تذكر عن رجال الاستخبارات الذين يخترقون المنظومات الأمنية للدول والحكومات، أنهم يعيشون ويموتون ولا- نعلم حتى زوجاتهم وأهاليهم شيء عن طبيعه عملهم؛ لأنه في عرف الأمن الاستخباري لو أن شخصاً كشف حقيقته للناس فاللازم أن يقتل، فكيف يصدق الناس شخصاً يدعي أنه متصل بالإمام (عج) أو أنه من جنوده السريين، لأن مقتضى السريه عدم الإبراز والكشف ومقتضى عدم الكشف هو السريه وإذا كان سرياً وهو الآن قد كشف نفسه فقد كذب أو قد عزل نفسه عن هذا المنصب في اللحظة التي تكلم بها، لأن وظيفه هذا المنصب والدور يلزم الخفاء ولا ينفك عنه وعدم الكلام فإذا تكلم فهو كاذب ومناقض لدعواه.

والروايه الأخرى في شأن أهل الكهف عظيمه جداً وفيها دور آخر ملازم للكتمان ومنبتق من قاعده الكتمان (التقيه الذكيه) وهو قول الصادق (عليه السلام): «وكانوا على إجهار الكفر أعظم أجراً منهم على إسرار الإيمان»<sup>(1)</sup> وهذا الدور فعلاً أعظم أجراً لأنه عمل أعظم من نفس الكتمان فالشخص حينما يكتم يمكن أن يسكت، يخفي نفسه عن الآخرين ويتعد عن أي تصريح أو تصرف يكشف شخصيته الإيمانيه فتظن الناس من خلال سكوتهم وتصرفه الانعزالي أنه على ما هم عليه من نحلته أو مله ودين الكفر استصحاباً منهم لكونه على دينهم.

ص: ١٨٦

## قاعده أخرى (تقيه الاصطناع) ملازمه لقاعده (التقيه الذكيه):

كتمان الإيمان دور عظيم وهَيَوَ المحافظه بالتقيه عَلَى النفس أو عَلَى جماعه الإيمان، ولكن ما هَيَوَ اعظم هُوَ أَنْ تبرز للطرف المقابل وتفهم الآخرين بتصرف معين أَنَّكَ عَلَى نحلتهم أو ملتهم أو دينهم (الكُفْر).

وهذا الدور كَمَا فِي (الروايه المُتقدمه) هُوَ قاعده أخرى ملازمه لقاعده (الكتمان الذكي) وهى قاعده «اصطناع الكُفْر تقيه وخداعاً للعدو»، فَإِنَّ (الحرب خدعه).

لإِنَّ القاعده السابقه قاعده الكتمان الذكي شبيهه بمبدأ (الوقايه خير مِنْ العلاج) حَيْثُ يقى الإنسان نفسه وهى شبيهه بالدِّفاع الوقائى حَيْثُ يكون أهل الجهاد فى حاله تحصين لأنفسهم، كَذَلِكَ شبيهه بقوله تَعَالَى: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَ أَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ) (١)، فُهنا عمل عَلَى مُستوى التوقى مِنَ النار (الخوف مِنَ النار)، أَمَا طلب الجنه وما هُوَ أعلى منها كعباده الأحرار فَهِيَ مراتب أعلى وأجرها أكبر واعظم. فهذه القاعده الجديده شبيهه بمعنى (الجهاد الاستباقى) فَهُوَ دفاع بواسطه الاستباق لَأَنَّ (الهجوم خير وسيله للدفاع)، وهى قاعده عظيمه وإقداميه تقدّميه وليس تفهقره تراجعيه.

وفى روايه أخرى عَنْ عبد الرحمن بن كثير، عَنْ أبى عبدالله (عليه السلام): - فى حديث - «أَنَّ جبرائيل (عليه السلام) نزل عَلَى رسول الله (صلى الله عليه و آله) فقال: يا مُحَمَّدُ إِنَّ ربك يقرؤك السَّلام، ويقول لك أَنَّ أصحاب الكهف أسروا الإيمان وأظهروا الشرك، فَآتاهم الله أجرهم مرتين، وَأَنَّ أبا طالب أسر الإيمان وأظهر الشرك

ص: ١٨٧

فَاتَاهُ اللَّهُ أَجْرَهُ مَرَّتَيْنِ، وَمَا خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى أَتَتْهُ الْبَشَارَةُ مِنَ اللَّهِ بِالْجَنَّةِ» (١).

وهذه الرواية تختلف عن الرواية السابقة التي شبهت أبا طالب بمؤمن آل فرعون فهنا تشببه بأصحاب الكهف وهو دور ثنائي مزدوج أعظم من الدور الأول، لأن إظهار الشرك يقتضى أن يظهره لساناً وظاهراً ولكن في نفس الوقت لا يُمارس شركهم، وفي نفس الوقت يقتضى منه أن يكون فاعلاً ويشاركهم في القضايا الاجتماعية والسياسية وأكثرها قضايا مُعقده فيها أعمال تصب في مصلحة الشرك بالله وتقوى المُشركين، فكيف استطاع أن يتخلص من كل تلك الممارسات، هذا من أصعب الصعاب التي لا يستطيعها ويقوى عليهما إلا ما ملكه مقرب أو نبي مُرسل أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان، وليس الأمر مبالغه بل تاريخ التجارب والميدان شاهد واضح على ذلك.

### الخضر عليه السلام والتقيه الذكيه:

قَالَ تَعَالَى: (فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا) (٢)، الخضر(عليه السلام) عبد صالح آتاه الله العلم اللدني، والمعروف من أقوال وروايات الفريقين أن الخضر(عليه السلام) لا يزال حياً، وأن هذا العبد الصالح يكون وزيراً للإمام(عج) في حكومته، بل هو الآن يعمل في حكومه الإمام(عج) السريه، وهذا الدور سلط القرآن الضوء عليه في صحبه موسى للخضر(عليهما السلام)، قَالَ تَعَالَى: (قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا) قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا \* فَوَجَدَا عَبْدًا) (٣).

ص: ١٨٨

١- (١) الحجج على الذهاب إلى تكفير أبي طالب: ١٧؛ و سائل الشيعة: ج ٢٣١: ١٦ ب- ٢٩ ح ١٧.

٢- (٢) سورة الكهف: الآية ٦٥.

٣- (٣) سورة الكهف: الآية ٦٣ - ٦٥.

فُهنا صورة قرآنيه تُبين التدبير الأمنى الخفى الذى كان فى لقاء النَّبى موسى (عليه السلام) - وهُو نبي من أولى العزم ورسول - مع الخضر (عليه السلام) فقد أُحيط للقاء بتمام السريه والخفاء والبرمجه الأمنى، حيث وضعت شفره خاصه من الله والنَّبى بين موسى والخضر، يلقى فيها موسى الخضر (عليهما السلام) من دون أن يعلم حتّى وصى النَّبى موسى وهُو فتاه يوشع بن نون الذى كان معه «لأنها أجواء أمنيّه شديده السريه» .

ولأجل هذه الحراسه والسريه الشديده جعلت لقاء العبد الصالح بعلامتين واحده مُتعلقه بالأخرى (مجمع البحرين والسمكه).

### المنهج أهم وأولى:

نرى القرآن فى ذكره للخضر (عليه السلام) وتلك الحادته الغريبه جداً بكلّ حيثياتها نراه يقصّ الحادته بسريّه أيضاً وبتفسيرين ومن الطريف أن القرآن حينما يذكر الخضر يقول عنه (عبد صالح) فى حين يذكر موسى باسمه إشاره منه إلى نهج السريه حتّى فى كشف اسمه وكأنه يقول أئها المؤمنون أئها لاشيعه حافظوا على إمامكم حتّى فى الحديث الاعتيادى، ولا تتكلموا بما يكشف ويناقض الغيبه إخفوه فى قلوبكم قبل حديثكم، كذلك هناك نُكته أخرى يُريد القرآن الإشاره إليها وهى أن المنهج أهم وخطر ما فعله الخضر (العبد الصالح) أهم وأولى بالرعايه والاتفات من نفس شخص الخضر (عليه السلام) مهما كان صالحاً وعظيماً وملهماً من الله (تعالى)، وهذا ينبغى أن يكون من الأولويات فى الفهم بالنسبه للمؤمنين، بل أنه يجب أن يكون

الأصل والمحكم المهيم على كل مسار ومسير المؤمن، فكُلَّ الحركات سواء كانت في التاريخ الماضي أو الحال المعاصر يجب أن يتدخل في ميزان المنهج، وأن يعطف على محكم المحكمات، ولذلك الكثير من الروايات تخبر بذلك بل أن الآيات التي ذكرت هذه الشخصيات (الخفيه) ذكرتهم برموز وألقاب في حين ذكرت الآخرين بأسمائهم، ومهما ذكره القرآن (مؤمن آل فرعون، أصحاب الكهف، رجل من أقصى المدينة يسعى، امرأه فرعون)، وكلهم ممن كتم إيمانه.

### خفاء أم إختفاء:

عن عثمان بن عيسى، عمن أخبره قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «كفوا ألسنتكم وألزموا بيوتكم فإنه لا يصبكم أمر تخصصون به أبداً ولا تزال الزيدية لكم وقاءً أبداً» (١)، الظاهر الأولى لهذا الحديث هو أن يسكت المؤمن ويجلس في بيته فإذا فعل ذلك فإنه لا يخص ببلاء وعدوان من السلطه الحاكمه، أى لا يستهدف بإستهداف خاص مباشر؛ لأن الجلوس في الدار سوف ينجيه من المهلكه المحتمله، وإن أنظار السلطه سوف تُصرف عنك وسوف تقع الضربه في من يحسب على الشيعة بالمعنى الأعم وهم (الزيدية) والاتجاه الثورى المتغافل عن محوريه المعصوم (عليه السلام).

أقول: سبق أن ناقشنا في قاعده الأحلاس الفهم الخاطئ لمعنى الجلوس في الدار، وأن معنى إلزم بيتك، أى إلزم منهاجك العقائدى ولا تبرحه أى لا تزغ، إذا لا يعتمد على المترأى البدوى من لفظ (إلزم بيتك)

ص: ١٩٠

بالظاهر الأولى وإلا لأدى إلى لوازم لا يمكن الإلتزام بها منها: رفع اليد عن الثواب وترك الواجبات كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرها.

والمعنى هو كف الألسن عن كشف الأسرار التي تؤدي إلى هلاك الأنفس من قبل الأعداء وسوء الفهم من قبل الإخوان، والسكوت عن فضول الكلام. فالجلس في البيت أي كن في نشاط ومسير منهاجك، والذي هو على طبق بيت اعتقادك - حلساً خفياً - .

والإمام (عليه السلام) بأمر أصحابه بالخفاء لا - بالاختفاء، كما في الحديث عن أبي بصير قال: قال أبو جعفر (عليه السلام): «خالطوهم بالبرانيه وخالقوهم بالجوانييه إذا كانت الإمراه صبيانيه»<sup>(١)</sup>، وكلامه (عليه السلام) واضح وصريح - بل ومفسر للحديث المتقدم -، وفي الحديث الآخر عن هشام الكندي قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «إياكم أن تعملوا عملاً يعيرونا به، فإن ولد السوء يعير والده بعمله كونوا لمن انقطعتم إليه زيناً ولا تكونوا عليه شيناً، صلوا في عشائهم وعودوا مرضاهم وإشهدوا جنازهم ولا يسبقوكم إلى شيء من الخير فأنتم أولى به منهم، والله ما عبد الله بشيء أحب إليه من الخبء، قلت: وما الخبء؟ قال التقيه»<sup>(٢)</sup>.

#### (التقيه الذكيه) عند الإمام الصادق عليه السلام:

من الحوادث المعروفه وصيه الإمام الصادق (عليه السلام) لمن يكون الخليفه من بعده، فعن أبي أيوب النحوي قال: «بعث إلى أبو جعفر المنصور في جوف الليل فأتيته فدخلت عليه وهو جالس على كرسي وبين يديه شمعه وفي يده

ص: ١٩١

١- (١) الكافي ج ٢٤٩: ٢٠ ح ٢٠.

٢- (٢) الكافي ج ٢٤٨: ٢٠ ح ١١.

كتاب، قال: فلما سلمت عليه رمى بالكتاب إليّ وهو يبكي، فقال لي: هذا كتاب محمد بن سليمان يخبرنا أن جعفر بن محمد قد مات، فإننا لله وإنا إليه راجعون - ثلاثاً - وأين مثل جعفر؟ قال: قال لي: أكتب، قال: فكتبت صدر الكتاب، ثم قال: أكتب إن كان أوصى إلى رجل واحد بعينه فقدمه واضرب عنقه، قال: فرجع إليه الجواب أنه قد أوصى إلى خشمه وهم أبو جعفر المنصور ومحمد بن سليمان وعبد الله وموسى وحميده»<sup>(١)</sup>، وفي روايه أخرى أن المنصور بعث إلى والي المدينة: «إن أوصى - أى الإمام الصادق (عليه السلام) - إلى رجل بعينه فإقتله فأجابه الوالى: أن أوصياءه خمسهم فأبهم أقتل فبهت المنصور وقال ليس لقتل هؤلاء سبيل»<sup>(٢)</sup>.

وقد نلمح ما يشبه ذلك في الأمم السابقيه ، فإن إبراهيم كان أمه في دوره في التقيه التي قصها القرآن في سوره الأنعام وهو دور ونشاط فاعل في مواجهه فساد وانحراف المجتمع لكن بغطاء مقنّع، كذلك القرآن يقص لنا عمل من جاء من أقصى المدينه. وهذه التقيه الأمنيّه الخفيه من الإمام الصادق (عليه السلام) في تغييب خليفه الله - الإمام الكاظم (عليه السلام) - وهذا من أعلى أنواع التقيه الأمنيّه في حفظ السر لأنه حفظ لخليفه الله .

### (التقيه الذكيه) في سلوك إبراهيم عليه السلام:

إبراهيم (عليه السلام) يستعمل الخفاء والتقيه الذكيه في الخطاب وهدايه قومه والقيام بمسؤوليه التغيير والإصلاح، كما في قوله تعالى: (فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ

ص: ١٩٢

١- (١) الكافي ج ٣٤٥: ١ ح ١٣.

٢- (٢) الكافي ج ٣٤٦: ١ ح ١٤.

رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا- أَحِبُّ الْآفِلِينَ \* فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ \* فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ \* إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَ مَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١)، فهنا إبراهيم (عليه السلام) حين يقول هذا ربي هَذَا أَكْبَرُ تقيهِ في الخطاب والبيان والتعائيش الديني والمدني لأجل هدايتهم، لأنه يعتقد أن هذه الكواكب والنجوم مربوبه لله وليست أرباباً، ولولا هذا الأسلوب من التقيه الأمني في الخطاب التغيري (وهو كتم الإيمان وإظهار الكفر) الذي هو نفس الأسلوب الذي ذكرته الروايات لأبي طالب (عليه السلام)، ولأهل الكهف (عليهم السلام)، ولمؤمن آل فرعون (عليه السلام) ولولا هَذَا الأسلوب من المعاشيه لم يكن لهؤلاء من محافظه على أنفسهم ولا- على المؤمنين ولا- المحافظه على مشروع الإيمان، ولولا أسلوب التقيه الأمني الأبراهيمي لم يكن (عليه السلام) ليحفظ الإسلام والمؤمنين او لينشر الإسلام

### القرآن يكشف عن أربع مهام سرية لأهل الكهف (عليهم السلام):

قوله تعالى: (...فَابْعَثُوا أَيْدِيَكُمْ بَرِّقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرُوا أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَ لِيَتَلَطَّفَ وَ لَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا) (٢)، في هذه الآيه على قصرها هناك عدة واجبات عظيمة وكبيره يجب على أهل الكهف أداؤها في زمن غيبتهم وخفائهم عن المؤمنين وعن الناس .

ص: ١٩٣

١- (١) سورة الأنعام: الآيه ٧٦-٧٩.

٢- (٢) سورة الكهف: الآيه ١٩.

الواجب الأول: (فابعثوا أحدكم بورقكم):

الواجب هو: أن المجموعه المؤمنه التي تعمل فى الخفاء (تقيه)، إذا أحتاجت إلى الاتصال بالناس فمن اللازم عليها أن تنتخب واحداً منها فقط، وتناط به المهمه، ولا يصح أن يتصدى الجميع ويشغلوا أنفسهم بتلك الاحتياجات.

الثانى: قوله تعالى: (فلينظر)، مسح ومراقبه ميدانى لمجريات الأوضاع.

الثالث: قوله تعالى: (فليأتكم) القيام بالمدد والعون للمؤمنين.

الرابع: قوله تعالى: (ولا- يشعرون بكم أحداً)، أداء الواجب الثالث فى ظل خفاء هادئ لذلك النشاط مع عدم إلفات الآخرين لجماعه المؤمنين ومقدراتهم وأمورهم بإستخدام آليات وأساليب تحجب الطرف الآخر عن الانتباه .

### أسرار (التقيه التدبيريه) فى سوره الكهف:

(١) أصحاب الكهف كان لهم عظيم الأعمال رغم الموقعية الحساسه والخطيره والقريبه من رقبه جهاز السلطان والملك إلا أنهم كانوا فى قوه من السريه والخفاء تفوت الفرصه عن أكتشافهم وخطوره ما يقومون به.

(٢) كان بقاءهم فى كيان الملك الكافر بخفاء ماداموا يستطيعون الحركه على منهاجهم فلما أحسوا أنهم لا يستطيعون الحفاظ على هويه منهاجهم والاستقامه عليها ولو بتوسط الخفاء أبعادوا أنفسهم عن هذا الكيان لئلا يذوبوا فى كيانه الباطل.

(٣) وهذا نظير الحديث المستفيض فى باب التقيه لقول أمير المؤمنين (عليه السلام): «...فأما السب فسبونى فإنه لى زكاه ولكم نجاه، وأما البراءه فلا تتبرأوا

، وهذه الروايه المستفيضه تحديد لأمد التقيه أن لاتصل بالإنسان فى ذوبان هويته فى نهج الباطل وانسلاخه عن هويه منهاج الأيمان إذ ليس المراد تحريم البراءه اللفظيه فى مقابل تجويز السب لفظاً، وهذا ما كذبه الأمام الصادق (عليه السلام) فى نسبه ذلك لأمير المؤمنين (عليه السلام)، بل المراد بالبراءه كسيره ومنهاج عمل ينسلخ فيه عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، وإلا فما هو الفرق بين البراءه اللفظيه والسب اللفظى للتقيه، فالمراد من البراءه المحرمه من نهج أمير المؤمنين (عليه السلام) هو السلوك العملى المنسلخ عن نهج أمير المؤمنين (عليه السلام).

(٤) رغم أن اللقاء الذى تم بين النبى موسى والخضر (عليه السلام) هو لقاء بين اثنين ممن اصطفاهم الله لمسؤوليات وأدوار إلهيه والنبى موسى (عليه السلام) من أولى العزم إلا- أن الخضر لما كان عضواً فى شبكه الإلهيه خفيه كان لقاء النبى موسى (عليه السلام) به قد أحيط بدرجه كبيره من السريه والخفاء وبلغه تشفير أمني متصاعد جداً حيث كان اللقاء أوعز إلى النبى موسى (عليه السلام) أنه يتم بعلامتين ضياع الحوت وبلوغ مجمع البحرين .

(٥) كما أن جو اللقاء فرض فيه تعامل أمني مشدد يتعد عن الصخب وعن أنفلات الأسرار مع انضباط صارم وحازم حيث اشترط الخضر على موسى (عليه السلام) أن لايسأله كما فى الآيه الكريمه: (قَالَ فَإِنْ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا) (٢) إلى أن قال له النبى موسى واعتذر: (قَالَ إِنَّ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا) (٣).

ص: ١٩٥

١- (١) وسائل الشيعه ج ٢٢٨: ١٦ ح ١٠.

٢- (٢) سوره الكهف: الآيه ٧٠.

٣- (٣) سوره الكهف: الآيه ٧٦.

٦) الآيه الكريمة بينت أن سبب عدم أ استمرار النبي موسى (عليه السلام) في مصاحبه الخضر (عليه السلام) عدم صبره على الصرامه - إنضباطاً - فى إنفاذ الأمور بلا- تتعتع سؤال وتلكؤ إستنكار مما يفشى سر المهمات لان إبراز السؤال مما يثير اللغظ وإذاعه الأسرار ومن ثم ورد فى وصايا التقيه عنهم (عليهم السلام) النهى عن القيل والقال وكثره السؤال والثرثره مما يسبب إذاعه وإفشاء الأسرار، لا أن النهى عن التحرى فى نفسه.

٧) نعم التحرى أن كان موجباً وذريعه للتلكوء فهو الآ-خر عى وقصور عن سرعه أنفاذ المطلوب، فبعد فرض المعرفه الإجماليه يكون العمل على الموازين فإن التعمق فى التفاصيل إعاقه وعقبه عن المضى قدماً.

٨) ثم تبين السوره أفتراق النبى موسى (عليه السلام) عن الخضر (عليه السلام) فى نهايه المطاف فرغم أن المصاحبه للنبى موسى (عليه السلام) وهو من أولى العزم فضيله وكمال إلا أن سريره عمل الخضر (عليه السلام) تحتم عليه الابتعاد عن الارتباط بالنبى موسى (عليه السلام)، فكم هى عظيمه وظيفه الخفاء والسريه، وكم من وظيفه خفاء وسريه فى أنجاز المهام المقدسه العظيمه سطرته لنا سوره الكهف .

كيف يتعامل الإمام مع من يكشف الأسرار:

مرَّ أنَّ الإمام (عليه السلام) يتوعد الذي يكشف أو يفشى الأسرار بالعذاب الأخرى، بل الدنيوى أيضاً، كما فى كثير من الأحاديث السابقه ليس هذا توعد، بالعذاب الأخرى والدنيوى تعبدًا فحسب، بل هو تربيته لأصحابه على أمرين: أولاً: كيفية كتمان الأسرار.

ثانياً: كيفية معالجه إنكشاف السر .

كما فى معتبره عبد الأعلى، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «إنه ليس من احتمال أمرنا التصديق له والقبول له فقط، من احتمال أمرنا ستره وصيانته من غير أهله فأقرأهم السلام وقل لهم: رحم الله عبداً إجتز موده الناس إلى نفسه، حدثوهم بما يعرفون واستروا عنهم ما ينكرون، ثم قال: والله ما الناصب لنا حرباً بأشد علينا مؤونه من الناطق علينا بما نكره، فإذا عرفتم من عبد إذاعه فامشوا إليه وردوه عنها، فإن قبل منكم وإلا فتحملوا عليه، بمن يُثقل عليه ويسمع منه، فإن الرجل منكم يطلب الحاجه، فيلطف فيها حتى تقضى له، فألطفوا فى حاجتى كما تلتفون فى حوائجكم فإن هو قبل منكم وإلا فادفنا كلامه تحت أقدامكم، ولا تقولوا إنه يقول ويقول فإن ذلك يحمل علىّ وعليكم، أما والله لو كنتم تقولون ما أقول لأقررت أنكم

أصحابي، هذا أبو حنيفة له أصحاب، وهذا الحسن البصرى له أصحاب، وأنا امرؤ من قريش قد ولدنى رسول الله (صلى الله عليه و آله) وعلمت كتاب الله وفيه تبيان كل شىء: بدء الخلق وأمر السماء وأمر الأرض وأمر الأولين والآخرين وأمر ما كان وما يكون كأنى أنظر إلى ذلك نصب عيني»(١).

وهذه الرواية من أنفس الروايات التى تبين معنى الكتمان الأمنى للسر ومراتب الرعايه الأمنيه للأسرار، وكيف أن حفظها من أبرز معانى الطاعة ومن أهم أسباب حسن الصحبه لقياده وإداره الإمام(عليه السلام)، فالروايه تبين:

١- معنى احتمال أمرهم وحمل أسرارهم، مراتب مرتبه دنيا، وهى التصديق له ومرتبته عليا وهى ستره أمنيا وصيانتة - وهى المطلوبه -، ولذلك قال: «إنه ليس من احتمال أمرنا التصديق له والقبول فقط، من احتمال أمرنا ستره وصيانتة من غير أهله».

٢- أن الآليه الصحيحه فى التعامل مع الناس هو كسب مودتهم، وبالتالي هو كسبهم إلى صف الأيمان، والآليه الأخرى الملازمه لها، أو قل آليه الآليات هى كيفيه استخدام الآليه الأولى، ولذلك قال: «رحم الله عبداً اجتزّ موده الناس إلى نفسه، حدثوهم بما يعرفون وأستروا عنهم ما يكرهون».

٣- إن من لم يستر أمرهم ولم يحدث الناس بما يعرفون ويستر عنهم ما ينكرون بمنزله الناصب، ولذلك قال: «والله ما الناصب لنا حرباً بأشد علينا مؤونه من الناطق علينا بما نكره».

٤- كيفيه التعامل مع من يفشى السر، ومن عظمه وأهميه صيانه السر، أنه(عليه السلام) يجعل صيانتة عن الكشف على مراتب، فهو فى المرحله الأولى فى صدد

ص: ١٩٨

١- (١) الكافى ج ٢٥١: ٢ ح ٥.

الوقايه عن الكشف ثم علاج الكشف إن لم تنفع مرحله الوقايه، ولذلك قال: «فإذا عرفتم من عبد إذاعه فامشوا إليه فردوه عنها»، بل يجب استعمال علاج أكثر فاعليه الضغط الاجتماعى لردعه عن الإفشاء، لذلك قال: «فإن قبل منكم وإلا فتحملوا عليه بمن يثقل عليه ويسمع منه»، أى إن لم ينفع ذلك فقوموا بحجب إفشاءه للأسرار الأمنيه لكم «وإلا فادفنوا كلامه تحت أقدامكم» أى أوقفوا تداول كلامه فيما بينكم لئلا يروج كشفه للأسرار الأمنيه فيما بينكم فيزداد انكشافاً وافشاءً لتلك الأسرار الأمنيه .

٥- أن الإمام (عليه السلام) يأمر بطول النفس وسعه البال والتروى فى إختيار أذكى وأنفع الآليات للعلاج - بالتلطف - فى علاج إفشاء السر وأن الاهتمام بذلك ضرورى كاهتمام الإنسان بحاجات نفسه، لذلك قال: «فإن الرجل منكم يطلب الحاجه فيلطف فيها حتى تقضى له، فالطفو فى حاجتى كما تطفون فى حوائجكم، والتلطف واللفظ اعتماد الرفق واللين أو إخفاء والأسلوب بمهاره فائقه ومرونة تستقصى وتتحرى أكبر قدر من الطرق والفرص والنوافذ والخيارات الكثيره .

٦- (آخر الدواء الكى)، بعد أن يمنع المنفى للسر ويثقل عليه ويتلطف معه حتى يحصل المطلوب، فإن لم يحصل المطلوب، يأتى دور المؤمنين فى احتواء الموقف ونزع فتيل الأزمه التى يمكن أن يولدها إفشاء السر من قبل ذلك الأخرق، لأن إفشاء السر غير انتشاره.

وهذا أمر بالغ الأهميه غفل عنه المؤمنين والتفت إليه الإمام (عليه السلام)، وأكد عليه وهو أن المؤمنين حينما يرون أن هناك سرّاً قد أفشى يسارعون فى نشره بحجه أن فلان قال، فيقولون قال كذا وكذا، فيصلون إلى إفراط أو تفريط

بعدم تمييزهم أن عاقبه تداول نشر السر المفشى أسوء من نفس أصل بدء الإفشاء، لا اعتقادهم أنهما سيان وهذه غفله كبرى يحذر منها الإمام (عليه السلام). بل لو لاحظنا مرمى الإمام (عليه السلام) بدقه نرى أن نفس احتواء السر المفشى هو وأد للإفشاء فى مهده وبالتالي هو علاج يُميت السر فى مهده ويجعله كالعدم، ولذلك قال: «فإن هو قبل منكم وإلا فادفنوا كلامه تحت أقدامكم، ولا تقولوا إنه يقول ويقول فإن ذلك يحمل علىّ وعليكم»، وهذا المقطع العظيم من حديث الإمام (عليه السلام) - لوحده - أصل وقاعده عظيمه أمنيه ونظميه فى التحكم والسيطره فى كيفية أنتشار المعلومه الخبريه وتكوين الرأى العام سواء الثقافى العقائدى أو الاجتماعى، وهو مأخوذ من قوله تعالى: (وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدْعَاؤُهُ بِهِ وَكَأَنَّهُمْ إِلَى الْوَيْلِ أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا) (١) وهذه القاعده ترسم للمؤمن كيف يزن الأمور ويقدرها بقدرها.

٧- أن الإمام (عليه السلام) يجعل ميزان الصحبه، هو بالطاعه فى تنفيذ ما يرسمه من منهاج بالدقه المطلوبه .

ص: ٢٠٠

١- (١) الآيه النساء: الآيه ٨٣.

### دوله الخفاء وخفاء الدوله

### دوله الغيبه وغيبه الدوله

من الضرورى ان يلتفت المؤمن، الى ان زماننا هذا وهو زمن الإمام المهدي (عج)، هو زمن الحكومه الخفيه للإمام (عج)، أى أن هناك حكومه فعليه للإمام (عج) الآن ولكنها خفيه، لابعنى إنسياق المؤمن لزيف الدجالين من ادعاء السفاره فى الغيبه أو أنخداعه لدعاوى الفرق الضاله المدعيه للمهدويه، بل من الضرورى أن يعلم المؤمن، أن دوره الآن فى هذه الحكومه اعظم من دوره حين الظهور أو ما بعد الظهور وذلك ينشر مذهب أهل البيت (عليهم السلام) فى أوسع رقعه وكافه أرجاء الأرض، لأن دوره حين الظهور هو دور قتالى أو إدارى بإشراف مباشر من الإمام (عليه السلام) أو أحد قواده، وهو دور وإن لم يمكن سهلاً، ولكنه دور أسهل بكثير من بناء مجتمع الدوله فى الحكومه الخفيه، وهذا مايشير اليه الحديث الشريف، عن أمير المؤمنين (عليه السلام): «قال: أن رسول الله (صلى الله عليه و آله) بعث سريه فلما رجعوا قال: مرحباً بقوم قضاوا الجهاد الأصغر وبقى عليهم الجهاد الأكبر قيل: يارسول الله وما الجهاد الاكبر؟ قال: جهاد النفس» (١).

ص: ٢٠١

ومن الجدير بالملاحظه إن هناك ما هو أعظم من جهاد النفس وهو بناء الدوله الخفيه للإمام(عج)؛لأنه جهاد على مستوى النفس وزياده، أما على مستوى النفس فلان المؤمن يبنى نفسه، ويكامل نفسه فى فتره غيبه الإمام(عج) - فتره الحكومه الخفيه -، لأجل أن يكون فى استعداد دائم وأهبه كامله للظهور المقدس، وهو من جهه أخرى يبنى أسرته دينياً وعلمياً، وكذلك يبنى مجتمعه ويؤسس لتكامل وتقويه الحكومه الخفيه للإمام،وذلك بتقويه مجتمع المؤمنين ودار الأيمان.

فإذن يكون دوره أعظم لهذه الحثيه، وكلما قويت الحكومه الخفيه وذلك بتقويه قاعدتها وهو جماعه ومجتمع المؤمنين ودار الأيمان وثبتت أركانها واستحكمت حلقاتها، كلما كان ظهورها - ظهور الإمام(عج) - أسرع. لأن هذه القوه هى بنفسها تعجلاً للظهور، لان الظهور يعنى تنامى وتكامل هذه الحكومه، بل بالذقه الظهور هو ظهور لتلك الحكومه الخفيه، بل هو إعلان لتلك الحكومه بعد أن كانت خفيه وغير ظاهره يعلن عنها بعد تكاملها وقوتها وسيطرتها .

ومما تقدم تتضح لنا أدوار المؤمن المتعدده والمهمه والحيويه فى دوله الإمام(عج) الخفيه الآن، وكيف يبنى تلك الدوله، وكيف يدفع عنها وعن قائدها(عج) كل ما يسبب إختلال وتعطيل تكامل وقوه هذه الدوله .

وهذا البيان رسم خارطه مسير ومسار للمؤمن فى فتره غيبه الإمام(عج)، كما أنه يعطى تفسيراً صحيحاً لمعنى، فأين هذا المعنى من الثقافه السطحيه التى تقول أن الإمام(عج) غير حاضر ومبتعد أوفى جزيره خضراء لاعلاقه له بالناس وينتظر من يهيب له الظروف والأسباب للظهور

المقدس، وبالتالي يكون منتظراً لأمر الله بهذا اللحاظ وهذه ثقافته جبريه سيئه جداً وفهم خاطئ؛ لأنه يجعل الإمام (عج) متواكل، وليس متوكل على الله .

أما على الثقافه الأخرى والفهم الآخر - وهو الصحيح -، نرى أن الإمام (عج) منتظر لأمر الله وهو فى عمل ليل نهار فى بناء دوله الظهور الآن، فإن دوله الظهور المقدس لاتبنى ولا تؤسس أركانها حين الظهور أو بعد الظهور، لأن الظهور قطف أو جنى للثمار التى أسسها الإمام (عج) فى دولته الخفيه .

نعم من خلال هذه الأطروحه لا يصح أن نزهد ولا يحق لنا أن نزهد فى الجانب الغيبى، ودور الأسباب الغيبيه، لأن منهجنا (الأمر بين الأمرين)، فلا- جبر ولا- تفويض ولكن أمر بين أمرين، أى لا-جبر ولا حتميه مطلقه للأسباب الغيبيه والأعجاز الغيبى والإداره الغيبيه بمعزل عن الأسباب الطبيعيه فى تعجيل الظهور، كما أنه لا- تفويضيه بجعل كل الأسباب بيد المؤمنين فى أداره وتنامى الحكومه الخفيه للإمام (عج) .

فيجب أن يعلم المؤمن أنه لبنه أساسيه وحيويه وضروريه فى بناء الدوله الخفيه وتعجيل الظهور القدس، أى إنه عنصر مهم فى قوه الدوله وبالتالي ظهورها، ولا- يمكن التنازل عن دوره بحال من الأحوال فى هذه الفتره ولا- يحول دون ذلك حتميه ظهور الإمام (عج)، وعظمه أدارته لدولته، رغم كونها أداره عظيمه وعاليه وجليله.

ولعل سائلا يسأل ما هو الفرق العملى بين الثقافتين؟ وهل هناك ثمره عمليه لذلك؟

وللجواب على ذلك: أن الفروق في ذلك كبيره وكثيره، منها:

١ - أنه على الفهم الجبرى الخاطئ، وإن الإمام (عج)، محاله سيظهر كحتم قدر وقضاء بفعل محض من السماء وأن الله يظهر دينه على الدين كله، فإنه مدعاه للتواكل وترك الحبل على الغارب .

٢- على الفهم الأخر أن المؤمن له دور عظيم لتعجيل الظهور، ولكن لا دور له الآن، أنما دوره في فتره الظهور المقدس وما بعد الظهور، أما الآن فالمؤمن ليس له دور، نعم دوره أن يكون مستعداً للظهور، وهو إستعداد ترقب نفسى ليس إلا ولا يعدوا أن يكون أمراً غامضاً لا مفهوم له واضح - عملياً - .

نعم يمكن أن يكون له دور على المستوى الفردى إستعداد بتربيته نفسه دينياً وعلمياً وقد يتعدى قليلاً إلى القيام بواجبه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فى أسرته وفى مجتمعه، أما على المستوى التديبرى لمصير الدين أو العلمى فى مستوى أبعده وأعمق وأوسع، فليس هناك إلتفات أو لا يوجد تثقيف واضح على ذلك .

أما علاقته بالأمام المهدي (عج)، فقد ينظر فى تلك الثقافه، أنه يجب أن يتفاعل المؤمن مع الإمام(عج)، أما كيفيه ذلك التفاعل الذى يجب على المؤمن مع الإمام (عج)، فلعله لا يعدو مستوى الشعور به، والدعاء له ، والتصدق عنه، وأن يدعو صباح ومساء بتعجيل الظهور المقدس وهذا غايه عونه ونصرته ومؤازرته للإمام (عج)- وكان الله غفوراً رحيماً - .

أما بناءً على الثقافه والرؤيه السديده، فإنه ينبغى أن يفهم المؤمن أنه الآن

يعيش كفرد في مجتمع دوله الأمام (عج) الخفيه، فكيف يتعامل معها، وكيف بينها فهو بمثابة موظف، ولو شعر المؤمن أنه موظف في مجتمع دوله الأمام (عج)، وأن دوله الأمام (عج) الآن وليس بعد الظهور، وكيف ينبغي أن يتصرف المؤمن مع مجتمع متعدد الأهواء والإتجاهات والألوان بنظره موضوعيه لفرد يريد بناء دوله واقعيه حاضره - يعيشها - ، وبالتالي سيختلف نظره إلى قائدها (عج) - بحسب هذا الفهم -، أنه كيف يبنى مجتمع دولته (عج) في ظرف خفائه(١).

وهذه النظرة شكل آخر غير التعبدي الديني المحض وغير فكره إسقاط الواجب الديني - التعبدي -، بل بفكره استثمار الواجب التعبدي - الصحيح - لبناء الدوله وبناء الدوله هو بناء للفرد وللمجتمع في نفس الوقت، ولكنه أعظم وأعلى وأكمل .

وهذه النظرة الموضوعيه - التجرديه - الشموليه تتناسب مع قول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): «الجلسه في الجامع خير لى من الجلسه في الجنه فان الجنه فيها رضا نفسى والجامع فيه رضا ربى»(٢)، وهذا الكلام فيه إشاره إلى ما نريد؛ فان

ص: ٢٠٥

١- (١) ومن هنا يمكن تفسير معنى حرمة ذكر اسم الإمام (عج) الذى ورد فى كثير من الروايات، فى أنه يعرض الإمام (عج) للخطر وبالتالي سيعرقل حركته (عج)؛ لأنه سيؤدى إلى زياده الخفاء من قبل الإمام بسبب إزدىاد احتمال الخطر لكشف شخصيته وستقطع كل سبل البناء والإداره التى يحتمل وجوده فيها، وهذا غير معنى طلب تعجيل الظهور - على الفهم الآخر - الذى يأمر المؤمن بالدعاء فقط للإمام (عج)، وأن يلهج فقط بذكر الإمام (عج) صباح مساء - فتدبر - .

٢- (٢) بحار الانوار ج ٣٦٢ : ٨٠.

المؤمن فى عيشه فى مجتمع دولة الأمام (عج) وإسهامه فى الآن الراهن فى بناء دولة الأمام (عج) بعد الظهر، هو عيش أعظم سعياً وأجراً من العيش فى الجنة؛ لأن العيش الرغيد فى دولة الأمام (عج) كالعيش الرغيد فى ظل الجنة، فيه رغبة ورضا النفس ويكون السعى فى تكامل دولة الأمام (عج) - فى ظرف الظهر -، كالسعى فى التكامل فى الجنة سهل فهو بلا- معوقات وابتلاءات، أما الجلوس فى المسجد فهو كالسعى فى بناء مجتمع دولة الأمام (عج) فى فترة الغيبه بتشيد أركان دولة الإمام الخفيه التى ستظهر على العالم بعد خفائها - قويه صلبه -، ومن هنا ورد أن أجر عمل وطاعات المؤمن فى الغيبه أعظم أجراً من عمله وطاعته فى ظل دولة الظهر .

فغن عمار السابطى قال: «قلت لأبى عبد الله عليه السلام: العباده مع الإمام منكم المستتر فى دولة الباطل أفضل أم العباده فى ظهور الحق ودولته مع الإمام الظاهر منكم؟ فقال: يا عمار الصدقه والله فى السر [فى دولة الباطل] أفضل من الصدقه فى العلانيه وكذلك عبادتكم فى السر مع إمامكم المستتر فى دولة الباطل أفضل؛ لخوفكم من عدوكم فى دولة الباطل وحال الهدنه ممن يعبد الله (عز وجل) فى ظهور الحق مع الإمام الظاهر فى دولة الحق، وليس العباده مع الخوف وفى دولة الباطل مثل العباده مع الأمن فى دولة الحق، إعلموا أن من صلى منكم صلاه فريضه وحداناً مستتراً بها من عدوه فى وقتها فأتمها كتب الله عز وجل له بها خمساً وعشرين صلاه فريضه وحدانيه، ومن صلى منكم صلاه نافله فى وقتها فأتمها كتب الله عز وجل له بها عشر صلوات نوافل، ومن عمل منكم حسنه كتب الله له بها عشرين حسنه، ويضاعف الله حسنات المؤمن منكم إذا أحسن أعماله ودان الله (عز وجل)، بالتقيه على دينه

وعلى إمامه وعلى نفسه وأمسك من لسانه أضعافاً مضاعفه كثيره، إن الله (عز وجل) كريم»(١).

مع الالتفات أن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) لا يعنى - فى حديثه - أنه جالس وغير فاعل وهو فى المسجد ، بل أحد عناوين المسجد هو عنوان أداره الدوله؛ لأن دولته (عليه السلام) - وهكذا الدوله العادله فى الظهور المقدس - تدار من المسجد؛ لأن المسجد هو العنوان الدينى والإدارى والعلمى - المقدس - ، الذى يهيم على كل المفاصل السياسيه والاقتصاديه والاجتماعيه وغيرها. فيكون معنى جلوس فى المسجد هو الجلوس الفاعل البّناء، جلوس التدبير الدينى والدنيوى وتدبير بناء الدوله، وهذا الجلوس قريب من معنى المجلس - كن حلساً من أحلاس بيتك - الذى هو الجلوس فى بيت العقيدہ والأيمان والثبات على النهج الصحيح - وقد تقدم هذا المعنى - .

ص: ٢٠٧

---

١- (١) إكمال الدين ج ٥٧٩: ٢.

## القاعده السادسة: المرونه والمناوره فى المسير والمسار

ولهذه القاعده أسماء عديده منها:

- قاعده: المرونه فى المسير والمسار.

- قاعده: مناوره ومران الخيارات والاساليب فى المسير والمسار .

- قاعده:المناوره التى تحافظ على الثابت التوليفى بين ماهو قديم وما هو عصى .

- قاعده:الموازنه بين النهج التقليدى والنهج العصى الحديث.

-قاعده: إستخراج اللب الثابت فى النهج التقليدى عن القشور القديمه وتليسه آليات عصريه.

لابد من مقدمه:

هل المبدئيه للواقع أم الواقعيه للمبدأ

- جدليه بين البرغماتيه - الواقعيه - وبين المبدأيه -

من القراءات المغلوطة التى ينتهجها أرباب السياسه هو أنهم يقولون بمبدأيه الواقع - الخارجى -، أى أن المبادئ تتشكل على أساس معطيات الواقع الخارجى، وهذا النهج له أشكال كثيره ويعبرون عنه بعبارات كثيره، تدور على أساس (النفعيه والمصلحه)، وجعلهما المدار والمحور لكل المبادئ والثوابت .

وبهذا تتغير المبادئ على أساس الواقع، وهو منهج له لوازم خطيره

ص: ٢٠٨

تتفرع عليه مباحث عديده وقواعد كثيره فى البعد الاجتماعى والبعد السياسى، بل والدينى وهو أهمها.

- فمثلا - فى البعد الفلسفى قد يُسأل هل الحقيقه نسبىه أم مطلقه؟ وفى البعد الدينى (الأخلاقى) قد يثار البحث أنه هل الأخلاق نسبىه أم مطلقه؟ وتتفرع عليه بحوث أُخرى دينيه أن القرآن هل يفسر بالرأى أو لا؟ وهل يعطف القرآن على الرأى أو الرأى على القرآن؟ أو يعطف القرآن بعضه على بعض بعطف المتغير على الثابت القرآنى أو المتشابه على المحكم؟ أو يعطف المحكم والمتشابه على الولايه؟ بنظريه أمومه الولايه لمحكمات القرآن - كما هو الصحيح -، كذلك ما يعرف فى البحوث المعرفيه ب- (استبداد العقل) أى هل للعقل أن يستبد أم لا؟ وماهى مساحته؟، كل هذا فى البعد الدينى.

وأما فى البعد الاجتماعى فالعلاقات الاجتماعيه يمكن أن تتشكل بقوالب القاعده، وأن المتغيرات أين يمكن أن تكون فى المبادئ أوفى آليات المبادئ - كما هو الصحيح -، ونفس القوالب بأشكال أُخرى يمكن أن تتشكل هذه القواعد فى بعدها السياسى .

وقاعدتنا هنا تحاول أن تضع الضوابط فى ذلك من جهه، ومن جهه أُخرى هى تبين تكليف المؤمن فى البعد الدينى الفقهى السياسى والاجتماعى .

هذه القاعده حلّ وسطى بين إفراط التغيير وإفراط الثابت بالمحافظة على الثابت فيما له من مساحه وبحسب درجاته لأن الثبات أيضاً متفاوت فى الثبات كما أنّ المتغير متفاوت فى درجاته التغيير.

وهى قاعده فقهيه عقائديه أخلاقيه تاريخيه نحاول هنا أن نتكلم فيها بما يتصل بالجانب الفقهى، نعم سنشير إجمالاً إلى البعد العقائدى أو التاريخى لاستيضاح الجانب الفقهى، ولا بد من مقدّمه فى نقاط قبل بيان القاعده:

(أ) إنّ الدّين مراتب وإنّ حفظ المراتب ومراعاة المراتب شىء أساسى فى كلّ مسير ومسار الدّين، فلا يمكن أن تُقاس العقائد بالفروع؛ لأنّ العقائد أعلى السلسله ثمّ الأخلاق ثمّ فروع الدّين.

(ب) ينبغى حفظ العلاقه بين المراتب الدينيه، فالدّين طبقات، شبيه بطبقات القانون الوضعى، فالقانون الدستورى أعلى من القانون النيابى وله ارتباط به، والنيابى أعلى من الوزارى والوزارى أعلى من البلدى وهكذا، وكلّ هذه الطبقات مرتبطه مع بعضها البعض.

(ج) إنّ المقياس لا يمكن أن يكون واحد بناءً على المراتب، فلا يمكن أن يُقاس واجب عقائدى بواجب من فروع الدّين، فإنّ وجوب تولّى أهل البيت (عليهم السلام) أعلى من وجوب الصّلاه وأنّ حرمة تولّى أعداء الله ورسوله وأهل بيته (عليهم السلام) أعلى من حرمة شرب الخمر والزّنا وهكذا.

د) كَمَا أَنَّ الْقَانُونَ السَّمَاوِيَّ مَرَاتِبَ كَذَلِكَ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ وَكَذَلِكَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: (هُم دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ) (١)، فَنَبِيُّهُ سَيِّدُ الْأَنْبِيَاءِ أَعْلَى مِنْ نَبِيِّهِ أَىَّ وَاحِدٍ مِنْ أَوْلَى الْعِزْمِ فَضْلًا عَنْ غَيْرِهِمْ، فَهَيَّوْا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) مَهِيْمِنَ عَلَى نَبِيِّهِ وَرِسَالَهُ وَعَصْمَهُ كُلَّ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ، وَكَذَلِكَ الْقُرْآنُ هُوَ كِتَابٌ مُهِيْمِنٌ عَلَى الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ، وَلَا تُقَاسُ بِهِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ أَوْ صَحْفُ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى.

ه) إِنَّهُ كَمَا يَجِبُ حِفْظُ الْعِلَاقَةِ وَالْمَرَاتِبِ بَيْنَ هَذِهِ الْأُمُورِ عَلَى مُسْتَوَى الْعِلْمِ وَالْإِعْتِقَادِ يَجِبُ أَيْضًا حِفْظُ الْعِلَاقَةِ عَلَى مُسْتَوَى الْعَمَلِ وَالتَّعَاطَى مِنْ خِلَالِ تَطْبِيقِ قَوَانِينِ الدِّينِ.

فَمَثَلًا لَا يُمْكِنُ أَنْ تَتَمَسَّكَ بِعَيْسَى لَوْحَدِهِ مَعَ وَجُودِ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ أَوْ مَعَ وَجُودِ الْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ (عَج) الَّذِي يَصَلِي عَيْسَى (عَلَيْهِ السَّلَام) خَلْفَهُ، وَهَذَا مَا يَصُورُهُ لَنَا الْإِمَامُ الرِّضَا (عَلَيْهِ السَّلَام) فِي جَوَابِ مَسْأَلَةِ الْجَائِلِيْقِ: «مَا تَقُولُ فِي نَبِيِّهِ عَيْسَى وَكِتَابِهِ؟ هَلْ تَنْكُرُ مِنْهَا شَيْئًا؟ قَالَ (عَلَيْهِ السَّلَام): أَنَا مُقَرَّرٌ بِنَبِيِّهِ عَيْسَى وَكِتَابِهِ وَمَا تُبَشِّرُ بِهِ أُمُّهُ وَأَقْرَبُ بِهِ الْحَوَارِيُونَ، وَكَافِرٌ بِنَبِيِّهِ كُلِّ ... عَيْسَى لَمْ يَقْرَأْ بِنَبِيِّهِ مِنْ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَكِتَابِهِ وَلَمْ يَبْشُرْ بِهِ أُمَّتُهُ» (٢). وَكَذَلِكَ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَتْرَكَ الْقُرْآنَ وَتَذْهَبَ إِلَى التَّوْرَةِ، رَغْمَ أَنْ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ، قَالَ تَعَالَى: (وَكَيْفَ يُحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ) (٣) فَيَنْبَغِي التَّمَسُّكُ بِالْمَهِيْمِنِ عَلَى التَّوْرَةِ

ص: ٢١١

١- (١) سورة آل عمران: الآية ١٦٣.

٢- (٢) عيون أخبار الرضا: ج ١٥٤: ١ ح ١.

٣- (٣) سورة المائدة: الآية ٤٣.

وَهُوَ الْقُرْآنُ، قَالَ تَعَالَى: (وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَ مُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ (...)(١).

كذلك التشريع مراتب فتشريع الله أعلى وأولى بالرعايه من تشريع النبي (صلى الله عليه وآله) رغم أنَّهما واحد لا اختلاف بينهما كذلك تشريع النبي مُقَدِّم على تشريع أي واحد من الأئمة (عليهم السلام).

ولذلك نهر سيّد الأنبياء (صلى الله عليه وآله) عمر عن الحكم بحكم التوراه، وليس المقصود من ذلك من جهة أنَّها مُحَرَّفَة أو خطأ أو باطله ولا يمكن النَّظَر فيها لأنَّ ذلك مُخالف لنص القرآن، بأنَّ فيها حكم الله، بل إشارة للمراتبيه التي قلنا بها، وهي أنَّه لا يجوز لك أن تجعل المدار في الحكم على التوراه مع وجود القرآن، من دون أن يكون القرآن مُهَيِّمًا.

(ز) من الأمور الهامه الأساسيه أنَّ القرآن طبقات ومراتب وأنَّ فيه المُحكَّم والمُتَشابه وأنَّ المُتَشابه طبقات كما أنَّ المُحكَّم طبقات، فوق بعضها البعض وتهيمن على بعضها البعض، وهذه الطبقيه والهيمنه ليس فيها اختلاف، ففي نفس الوقت الذي فيه الاختلاف فيه الاتفاق، في عين الفرقه وحده وفي عين الوحده اختلاف من زوايا عديده، كذلك الدِّين طبقات أهم ومهم، مُحَكَّم وأشدَّ إحصاءً، كذلك الأنبياء والأئمة، مراتب في الحجَّيه فوق بعضها البعض.

(ح) الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) مع النبي والسَّيِّده الزهراء (عليها السلام) هكذا، من حيث ذواتهم الشريفه من حيث سيرتهم وأعمالهم، رغم اختلاف المسير والمسار بينهم مع ذلك كلهم حُجج ونور واحد، وهذا واضح من سير ومسير الأئمة في فترات إمامتهم، وفهم هذا الأمر لعله سهل فهمه باعتبار اختلاف

ص: ٢١٢

لكن أن تكون هُناك حجتان - عَلِيٌّ وفاطمه (عليهما السلام) مثلاً - وأحد الحُجَّتَيْن يتصرَّف عكس الآخر ظاهراً فهَذَا يصعب فهمه عَلَيَّ الكثير ولعلَّ البعض يحاول أن يُشكك في وجود هكذا اختلاف بحسب الواقع الخارجى والنقل التاريخى مَعَ أنَّ الاختلاف موجود وواضح، ففي حين سلكت الزهراء (عليها السلام) مسلك الجهاد والتحرير عَلَيَّ الثورة واستنهاض الأنصار، تبنى أمير المؤمنين عَلَيَّ (عليه السلام) نمطاً آخر، وهُوَ نمط الحرب الباردة.

(ط) في حين مسير ومسار الحسن (عليه السلام) في سلوكه وصلحه مَعَ معاويه نرى الإمام الحسن (عليه السلام)، يشترط أن الحسين (عليه السلام) لا يُبايع، وَهَذَا يعنى أن المسير والمسار الصحيح فى التعاطى مَعَ الحقيقه مُتعدد الزوايا.

(ي) فى قول رسول الله (صلى الله عليه و آله) لعلى (عليه السلام): «أنا أقاتل عَلَيَّ التنزيل وعليّ (عليه السلام) يُقاتل عَلَيَّ التأويل...»<sup>(١)</sup> وَهَذَا يُشير إلى أن قتال رسول الله (صلى الله عليه و آله) لأجل تثبيت الدين ولأجل مرتبه القرآن النازل، أمَّا قتال عَلَيَّ (عليه السلام) فَهُوَ لأجل مرتبه القرآن الصاعد (مرتبه التأويل)، وكذلك كانت الفتنة أكبر والامتحان أصعب، ولذلك حينما رفعت المصاحف فى معركة صفين فُتن أصحاب الإمام (عليه السلام)، وفشل الكثير منهم، وعليّ (عليه السلام) يُبين لهم أَنَّها فتنة بقوله: «أنا القرآن الناطق»<sup>(٢)</sup>.

كذلك فى معركة الجمل حينما كانَ كُلُّ أصحابه يرى تحقُّق النصر لأمير المؤمنين (عليه السلام) عَلَيَّ أصحاب الجمل، يعود أمير المؤمنين عَلَيَّ (عليه السلام) ليشير إلى فتح أعظم من النصر الظاهرى بقوله: «أنا الذى فقأت عين الفتنة ولم يكن ليجتري عليها أحد

١- (١) بصائر الدرجات للصفار: ٣٣٠.

٢- (٢) ينابيع المودّه: ٢١٤.

غيرى، وأيم الله لو لم أكن فيكم لما قوتل أهل الجمل ولا أهل صفين ولا أهل النهروان»(١)، فإنَّ البصيره المعرفيه من متشابه المفاهيم الدينيه كموقعيه أزواج النَّبى (صلى الله عليه و آله) وموقعيه صحابته وموقعيه المصحف، وموقعيه الرايه والشعار بكلمه حقَّ توظف لغايه باطله أعظم من النصر العسكري، فقتال أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) كان لرفع الفتنه والفتنه كما يصفها القرآن: (وَ الْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ) (٢).

وهو (عليه السلام) يُقاتل لما هو أعظم من القتال، فأمر المؤمنين عليّ (عليه السلام) لا يقاتل لأجل وجود المحكم والمتشابه في القرآن، بل لأجل إرجاع المتشابه إلى المحكم وهذه مهمه أعظم وأكبر من إقرار وتثبيت وجود نفس المحكم والمتشابه وهى المهمه الّتى جاءت فى التنزيل على يد رسول الله (صلى الله عليه و آله).

(٥) جدليه حفظ النظام والإصلاح الثابت.

(أ) بين الثابت والمتغير.

ص: ٢١٤

---

١- (١) شرح الأخبار للنعمانى: ج ٢٩: ٢؛ الغارات للثقفى: ج ٦٧٦: ٢.

٢- (٢) سورة البقره: الآيه ١٩١.

جدليه الثابت والمتغير:

تغيير الواقع بين الإفراط والتفريط:

جدليه حفظ النظام الثابت والإصلاح المتغير:

المناوره بين الواقعيه الراهنه والقيم الشعاريه:

البرغماتيه من المذاهب السّياسيه الّتي بُنيت على أساس النفعيه والمصلحه - وبشكل إجمالي - ، البرغماتى هُو الفرد الذى يعيش الحاضر بلا نظر إلى الماضى ولا إهتمام بالمستقبل، لیس لأنه عديم التنظيم (البرمجه)، بل لأنه يعيش الحاضر على أساس فلسفه (محاكاه معطيات الواقع الخارجى الحاضر وما يجلب له من منافع). ٧٨٠٠١٢٠٩٤٢

فالإنسان البرغماتى يعيش ليومه ويتفاعل مع معطيات أحداثه أمّا، التخطيط للمستقبل بواسطه قراءه الماضى فهو شىء لا يأخذ مساحه تذكر فى قاموسه الفكرى، لذلك يعبر عن هذا النموذج أنه (لا يغرد خارج السّرب) أى لا ينفرد بقرار يؤدى إلى إسقاط ما فى يديه من مكاسب مادّيه (سياسيه أو غيرها).

مقابل البراغماتى هناك المبدأى، يُقال أن أمير المؤمنين على (عليه السلام) كان مبدأياً، أى أنه يتحرّك على أساس المبدأ وليس على أساس مُعطيات الواقع الخارجى، (يُمنهج الواقع على أساس المبدأ) لا العكس لأنّ (الغايه لا تُبرر

الوسيله)، بل الغايه تُمنهج الوسيله والوسيله تنضبط بالغايه الحقه والمبدأ الحقّ.

البعض لعلّه ينظر إلى الإمام الحسن (عليه السلام) بأنّه تحرّك في صلحه مَع معاويه على أساس البراغماتيه، وكّان في مُنتهى الواقعيه (البراغماتيه) ولم يكن مثالياً، تطبيقاً - بحسب زعمهم - لأسس أساس مبادئ السياسه (لا تُوجد عداوه دائمه ولا صداقه دائمه وإنّما تُوجد مصلحه دائمه).

### **الثابت النظامي والمتغير الإصلاحي:**

ولكن هذا الكلام غير صحيح لأنّ الإمام (مبدأي) كأبيه أمير المؤمنين على (عليه السلام) لأنّ الأئمه كلهم نور واحد بلا اختلاف بينهم في المنهج.

نعم، الحسن (عليه السلام) تحرّك على أساس (المبدأيه والواقعيه)، مزجاً بين الواقعيه التي تتحرّك على أساس النفع، والمبدأيه التي تسير وفق ثوابت الدين، بابتكار سلوكي لم يسبقه أحد من الأنبياء والأولياء، نستطيع أن نسميه - كاصطلاح بين المبدأيه والنفعيه - (المبدأيه النفعيه)، وهي علاقه متوازنه بين النفع التفويضي والجبريه المبدأيه (لا- جبر ولا- تفويض ولكن أمر بين أمرين)، وبالتالي يكون الإمام الحسن قد وفق بين النزعتين، أيّ أنّه لم يخسر أيّ ورقه إيجابيه في هذا الطرف مَع تفادي الطعون على الطرف المُقابل.

فالبراغماتى يطالب بالانعطاف مَع الواقع - مرونه التعاطي - الإمام الحسن (عليه السلام) يقول، نعم أنعطف مَع الواقع مَع عدم التفريط بأيّ مبدأ من المبادئ وعدم خسران أيّ ورقه من الأوراق، حيثُ يمكن استثمار بدائل آليه للحفاظ على المبدأ.

والسنه التي سنّها الإمام الحسن (عليه السلام) لم يبصرها حتى حوارى الإمام

الحسن (عليه السلام) فضلاً عن باقي المؤمنين، وهذه في الواقع محنة من أشد المحن التي لم يواجهها أحد قبله ولا بعده من المعصومين (عليهم السلام) أو واجهوها ولكن بنسبه أقل، فالإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) كانت محنته مع أهل الجمل وأهل النهروان وأهل صفين وكلهم يعتبرون من الأعداء.

أمّا محنة الإمام الحسن فكانت مع المحبين والموالين بل والحواريين، وهذه السنة كانت من رسول الله (صلى الله عليه وآله) حيث تمرد بعض الصحابة كالثاني وغيره الذين سبوا تمرد الصحابة في صلح الحديبية ولكن لم تبلور وم تتضح سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) بشكل كامل، إلا على يد الإمام الحسن (عليه السلام).

وهو (عليه السلام) كان لينا سهلاً سمحاً مع الأطراف المختلفة استوعب الجميع دون الاستجابة لهم، بل استوعب حتى الأعداء، وهذه الآلية صعبة على مستوى التنظير فضلاً عن التطبيق، فكيف يكون للإنسان حزماً ويكون له في نفس الوقت لين «حزماً في لين»<sup>(١)</sup> وهو خلط وقع فيه الكثير من المتدينين بين ما هو ثابت وبين آليه الثابت، فثبات المبدأ لا يعني (ثبات الآليه) للمبدأ.

### البيت رب يحميه:

ومن الأمور التي إلى الآن لم تبلور ولم يستطع هضمها الكثير من المتدينين، هي قصة عبدالمطلب مع إبرهه وبالأخص حينما قال عبدالمطلب (عليه السلام): «لست برب البيت الذي قصدت لهدمه، وأنا رب سرحي الذي أخذه أصحابك، فجئت أسألك فيما أنا ربه، ولبيت رب هو أمتع له من الخلق كلهم وأولى به منهم، فقال الملك: ردوا عليه سرحه، وانصرف عبدالمطلب إلى مكه»<sup>(٢)</sup>.

ص: ٢١٧

١- (١) شرح نهج البلاغه، لابن أبي الحديد: ج ١٤٨: ١٠.

٢- (٢) أمالي المفيد: ١٨٤.

والروايه طويله يرويها الإمام الصادق (عليه السلام) ويُبيّن فيها بعض الصور التي تُشير إلى شجاعه عبدالمطلب (عليه السلام) وبقائه في ميدان المعركه يدعوا الله، وقد أرسل عبدالله ليصعد جبل أبي قبيس، وحينما بشره عبدالله بالطير (الأبيل)، قال عبدالمطلب لقريش - قبل هجوم الطيور - اذهبوا فخذوا غنائمكم إشاره منه إلى يقينه بنصر الله لبيته المحرم وهو حينما قال: «إن للبيت رب هيو أمتع له من الخلق كلهم وأولى به منهم» (١) هي كلمه تحدّي وتهديد، وقوه وقُدْرته في مناوره العدو للحصول على مكاسب أخرى من خلال المناوره في المسير والمسار وفعلاً حصل على الإبل.

هَذَا فَضلاً عَنْ تَدْبِيرِهِ الْخَفِيِّ الَّذِي أَحْكَمَهُ حَيْثُ كَلَّمَ عَبْدِالمَطْلَبِ فِيلَ إِبرهه لِشْنِيهِ عَنِ الهِجُومِ عَلَى الكَعْبَةِ وَاسْتِجَابَ لَهُ حَيْثُ أَوْتَى عَبْدِالمَطْلَبِ وَهُوَ وَصَى الْأَنْبِيَاءَ مَنْطِقَ المَخْلُوقَاتِ.

### دروس في مناوره عبدالمطلب عليه السلام:

والمناوره التي حصلت إن إبرهه كان يتوقع أن يتكلم سيد قريش - الفاضل الكريم - عن بيت الله، وإذا به يتحدث عن شيء آخر ألا وهو الإبل، وهذيه مناوره لأن العدو لم يكن يتوقعها، وكأنه يقول لإبرهه: (إن خسرانك محتوم لا ريب فيه لأنك تقاتل ملك الملوك ورب الأرباب الواحد القهار، وبالقطع واليقين أنت خاسر، فأنا أريد أن أتكلم في شيء آخر وهو الإبل). والأمر بعينه في صلح الإمام الحسن (عليه السلام) مع معاويه، فإن صياغه بنود الصلح كانت بشكل الذي يبقى على مفاصل القوه والقدره للإمام (عليه السلام) وأهمها: أن الحسين (عليه السلام) لا يُصالح، أي يبقى كخط ساخن.

ص: ٢١٨

---

١- (١) أمالي المفيد: ٣١٣؛ بحار الأنوار: ج ١٣١: ١٥.

والدرس المهم الذى نبع من صلح الإمام الحسن (عليه السلام) ومناوره جده عبدالمطلب (عليه السلام)، إن الإنسان إذا كان فى معركة ويتوقع الخسران من جهة فلا ينبغى أن يفرض فى كمال شىء، بل يتوخى من خلال محاورته ومناورته الإبقاء على بقيه القدرات.

فإن خسران شىء لا يعنى خسران كمال شىء وإن فى باطن كمال هزيمة نصر وإن مع العسر يسراً، فنبغى أن يتحسس ويتحرى ويطلع الإنسان على كمال الجوانب والجهات الظاهره والخفيه، للحصول على أكثر وأكبر قدر من النتائج والمكاسب وأن غلبه الخصم لا تعنى إعطاء مفاتيح النصر ومصادر القوه إلى العدو لأن يأسك من الحلول الغيبه يعنى يأس من روح الله ولا يأس من روح الله إلا القوم الكافرون.

## اشاره

تسالم أهل البحث والتحقيق أن رحله السبي بعد معركة الطف دور تكميلي لتلك الملحمة العظيمه، بل إن الواقع يشهد بذلك، وأحد تفاسير قول الحسين (عليه السلام): «أن الله قد شاء يراهن سبايا»<sup>(١)</sup> هو ذلك، أي شاء الله أن يجعل لزينب والسبايا دوراً تكميلياً، أما عنصر المناوره فنبينه في نقاط:

(١) ذكرنا سابقا مناوره الإمام الحسن (عليه السلام) في صلحه مع معاويه، وذكرنا أن أحد أهم بنود الصلح - المناوره الحسينيه -، أن الحسين (عليه السلام) لا- يبايع، أي أن يبقى كخط ساخن، كذلك السبايا تبقى - مناوره - كخط إعلامي ساخن يقض مضاجع الظالمين .

(٢) أول بنود المناوره الإعلاميه الساخنه كانت مع أهل الكوفه والأمر واضح في خطبه زين العابدين (عليه السلام) وخطبتها (عليه السلام) وكذلك خطبه أم كلثوم (عليه السلام)، فراجع<sup>(٢)</sup>.

(٣) البند الثاني في مجلس عبيدالله بن زياد حيث كان دور السجاد (عليه السلام) واضحاً في مواجهه التضليل العقائدي والإعلامي الأموي، الذي كان يروج للعقيده الجبريه، حيث قال ابن زياد للسجاد (عليه السلام): أليس قد قتل الله عليا -

ص: ٢٢٠

١- (١) بحار الأنوار ج ٣٦٤: ٤٤.

٢- (٢) الإحتجاج ج ٣١٤: ٢-٣١٧.

إشاره إلى العقيد الجبريه - . فَقَالَ(عليه السلام): كان لى أخ يسمى علياً قتلته الناس ... فأراد اللعين قتل السجاد(عليه السلام)، فتعلقت به العقيله وانقذته(عليه السلام)(١).

٣) زينب(عليها السلام) بدأت بالهجوم على ابن زياد بشجاعه لا متناهيه أرعبت وأربكت الطاغوت المتجبر، لكنها تبتدى أستعطافاً فدوياً - مناورة - فتلقى بنفسها على زين العباد فتخلصه من القتل ولولا ذلك لقتل(عليه السلام)، فمن رأى هجومها - الحسينى - الكلامى والإعلامى لا يتوقع تلك المناوره - الحسينيه - بإلقاء نفسها على الإمام(عليه السلام) لإنقاذه .

٤) كانت بين الإمام السجاد(عليه السلام) وعمته(عليه السلام) تناغم وإنسجام واضح فى الأدوار، فبينما هى تلقى بنفسها وتعتنق الإمام(عليه السلام) - بمناوره إستشهاديه حسينيه - قائله: حسبك من دمائنا ... فإن قتلته فاقتلنى معه، يبدى الإمام(عليه السلام) شجاعه مطلقه برفض الإنكسار و الإستعطاف والإسترحام التى إرتسمت فى محيا ابن زياد ومجلسه، بقوله(عليه السلام): أقبالقتل تهددنى....(٢).

٥) عندما بدأ الطاغيه - ابن زياد - بالتهجم على أهل البيت(عليهم السلام) وردته(عليه السلام) ثم تصاعد غضبه، قالت(عليها السلام): لعمرى لقد قتلت كهلى ... فإن كان هذا شفاك فلقد اشتفيت...، كذلك مع يزيد - حين تصاعد غضبه -، حيث قالت له: يا يزيد أنت أمير تشتم ظالما وتقهـر بسـلطانك فكأنه استحيى(٣)، وهذا أصل وقاعده عظيمه فى أسلوب المناوره تعلمه لنا زينب، وهى الشد والإرخاء فى منازل العدو فاما الشد فلا يضعافه وأما الإرخاء فلا يطفء شعله نيرانه، كما

ص: ٢٢١

١- (١) الإرشاد: ٣٥٤.

٢- (٢) مقاتل الطالبين لأبى فرج: ٣١.

٣- (٣) الإحتجاج ج ٣٢٣: ٢.

هو حال المعارك الميدانية كرف، بل إن ما فعلته (عليه السلام) - هنا - هو صورته ونموذج مصغر من حقيقته مناوره صلح الإمام الحسن (عليه السلام) .

(٦) في الشام - في مجلس الطاغية يزيد - نشاهد زينب تبدأ الهجوم كما فعلت في الكوفة، حيث قالت: «... ثم كد كيدك، واجهد جهدك فو الله الذي شرفنا بالوحي والكتاب، والنبوه والانتخاب، لا تدرك أمدنا، ولا تبلغ غايتنا ولا تمحو ذكرنا...» (١).

وهي بذلك تذكرنا بمناوره جدها - الوصي - عبد المطلب (عليه السلام)، حين خاطب طاغية زمانه - إبرهه - بقوله: «إن للبيت رب هو أمتع له من الخلق كلهم وأولى به منهم،...» (٢)، فكلا القولين تحدى - بل وتهديد - مبطن مفاده: أيها الطاغية اصنع ما شئت فنتيجتك في العاجل أو الآجل إلى خسران وزوال .

(٧) حينما أراد أن ذلك الشامي أن يأخذ فاطمه بنت الحسين (عليه السلام)، كجاريه قالت له العقيله: كذبت ولؤمت، والله ما ذاك لك ولا له، فغضب يزيد ثم قال: إن ذلك لي ولو شئت أن افعل لفعلت .

قالت زينب (عليها السلام): كلا، والله ما جعل الله ذلك لك إلا أن تخرج من ملتنا وتدين بغير ديننا .

فهل يتصور عاقل إنه إعتراف بتدين يزيد - من قبلها (عليها السلام) - الذي أخرجه قبل قليل منه، بل هو إحراج له بأن الإنفلات من يزيد فاضح له وكاشف عن خروجه من الدين!؟ كلا، بل هي مناوره عجيبه وصعبه .

(٨) حين يتخذ الإمام الإسلوب الساخن نرى زينب (عليها السلام) تتخذ الإسلوب الجدلي البارد بتناغم ونسق عجيب، فحين تتكلم يسكت الإمام،

ص: ٢٢٢

١- (١) الإحتجاج ج ٣٢٢: ٢.

٢- (٢) أمالي المفيد: ١٨٤.

وحيثما كانت تخفض يرفع - وهو نوع إقرار وحجيه لها(عليها السلام) - والعكس أيضاً، وهذا يظهر بوضوح التقدير الإلهي وبصمه السماء بتدبير الحسين(عليه السلام)، بإبقاء السجاد وزينب(عليها السلام) كخطوط ساخنه بارده .

### همزه الوصل:

هناك همزه وصل ثابتة ومُتحركة بين المنهج البراغماتي والمنهج المثالي، من دون أن تكون هناك ازدواجيه في البين.

الوسطيه في المسير والمسار بواسطه المناور التي تحافظ على الثابت التوليقي، الذي يوازن بين النهج التقليدي والنهج الحديث العصري وبعبارة، هو استخراج للثابت في النهج التقليدي عن القشور القديمه وتلبيه آليات عصريه.

### هل الوسيله ثابتة أم متغيره:

من الأمور التي ظلت معشعشه في الأذهان فترات طويله، ولم تكن في سياسات الدول القديمه والحديثه، ولم يمارسها المصلحين وحتى الأنبياء والمرسلين، هو كيفيه الموازنه بين الثابت والمتحرك - بين الآليه المتغيره (المتحركه) وبين اللب الثابت - فكان الناس بين الإفراط في التغير بإيصاله للثابت وبين التفريط وتضييع الأمور بحجّه الثبات فيصاعدون بالثبات إلى الآليه، فيسبب عدم مرونة في الآليه ويسبب خسائر كبرى ويضيع مكاسب عظيمه على الأمم، فمثلاً - على المستوى السياسي - نجد بعض السياسيين في جلسه تفاوضيه يخسر الأمم مكاسب مُمكّنه سهله التحصيل من خلال عدم استخدامه للعبارات الصحيحه المُناسبه التي تجلب أكبر المكاسب، أو من خلال عدم مازنته بين الأهم والمهم - فمثلاً - لو جلس مع خصمه

للتفاوض عَلَى أمرين لأجل الحصول عَلَى أمر واحد، فالواجب أَنْ ينظر بدقّه أَيهما أهم حتّى يقدمه، بل قد يكون هَذَا الأمر لأهميته يستدعى التنازل عَنْ مكسبين دونه فى الأهميه فيجب أَنْ يتنازل مِنْ أجل الهدف الأ-كبر، وَهَذَا ما فعله الخضر(عليه السلام) فى رحلته مَعَ موسى(عليه السلام).

وحتّى أَنْ موسى(عليه السلام) لم يتبين غايه مقصده البعيد، لذلك انتقد فعله الظاهرى وانتقد الغايه البدويه حيثُ قَالَ - قوله تعالى: (أَخْرَقَتْهَا لِيَتَغَرَّقَ أَهْلُهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا) (١).

والخضر فى تعليقه بَعَدَ ذلك لم ينكر أَنَّهُ خرقها؛ لأنَّهُ خرقها لهدف أكبر ومصالحه كبرى بالموازنه بين الأهم المُهم، وهذه سياسه أعمق مِنْ السياسه الظاهريه المُقطعيه، وَهِيَ (سياسيه الموازنه بين الأهم والمُهم وتقديم الأهم)، ولعلّه اشتبه الحال لدى كثيرين بين هذه القاعده وقاعده سياسه (دفع الأفسد بالفسد)، باعتبار أَنَّ الأفسد أشدّ ضرراً مِنْ الفاسد، ولكن قد أوضحنا تباين وتغاير القاعدتين وصحه الأولى وتخطئه الثانية(٢)، بل أَنَّهُ فى جوابه لموسى(عليه السلام) بيّن جلياً تلك المصلحه الأكبر: (أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَضْبًا) (٣).

فالخضر(عليه السلام) حتّى مِنْ خلال الجواب قَالَ (أردتُ أَنْ أعيبها) ولم يقل (خرقتها)، بل استخدم عباره أرفق ولا تجعله فى معرض التُّهمه، وهذه سياسه أُخرى غير سياسه دفع (الأفسد بالفسد).

ص: ٢٢٤

١- (١) سورة الكهف: الآية ٧١.

٢- (٢) أسس النظام السّياسى عِنْدَ الإماميّه لِمُحَمَّد السّند: ج ٢٨٧: ١.

٣- (٣) سورة الكهف: الآية ٧٩.

تصريف الكلام فن وسياسه أخرى وقاعده أخرى أضمن سياسه المناوره فى المسير والمسار.

**ويتنصر على عليه السلام:**

وَمِنْ ثَمَّ انبثق فى العُلوم المعاصره إستراتيجيه المناوره علم (التفاوض والمفاوضات)، وقد ذكر للتفاوض عناصر ودعائم عند أمير المؤمنين (عليه السلام) رغم أنه مشهور بالمبدئية إلا أن الكثير لم يكتشف جانب المرونه والبعد المرونى فى شخصيه وأساليب أمير المؤمنين (عليه السلام)، إلما أن بعض الباحثين تحزى اكتشاف ذلك - فى منهاج المولى أمير المؤمنين - وقارنه بمنهاج وعناصر التفاوض المطروحه فى النظريات الغربيه، فأجرى دراسه مقارنه بين السلوك التفاوضى الغربى والسلوك التفاوضى العلوى الإسلامى، فهناك عناصر مُشتركة للتفاوض من المصلحه والعلاقات والبدايل والاتصال والخيارات والشريعته والالتزام ورأى ذلك الباحث أن هناك عناصر أخرى لم يكشفها علم التفاوض الحديث رغم أن الإمام عليه السلام مارسها قبل أربعه عشر قرناً، وهى: العلم والمعرفه والقياده والمسؤوليه والمُتغيرات والصبر والثبات والعدل.

وَمِنْ الموارد (المناوريه) التى اكتشفها هذا الباحث عند رسول الله (صلى الله عليه و آله) هى فى صلح الحديبيه وعند فتح مكه ورسائل الرسول (صلى الله عليه و آله) إلى الملوكة، والأطراف الأخرى، وموقف أمير المؤمنين (عليه السلام) من قتله عثمان وموقفه فى واقعه الجمل وموقفه من التحكيم ونتائجه وموقفه التفاوضى قبل واقعه الجمل.

فِي حِينٍ يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): «إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغَلُوا فِيهِ بَرْقًا» (١).

يَقُولُ أَيْضًا: «بَعَثْتُ بِالْحَنِيفِيَةِ السَّمْحَةَ السَّهْلَةَ الْبَيْضَاءَ» (٢).

فَالدِّينُ وَسِيعٌ وَمَتِينٌ وَالشَّرِيْعَةُ سَمْحَةٌ سَهْلَةٌ لِيْنِهِ، وَهِيَ مِنَ الدِّينِ، وَهَذَا مِنْ أَصْعَابِ الصَّعَابِ الَّتِي حَارَتْ فِيهَا الْأَبَابُ، فَإِنَّ التَّوْفِيقَ بَيْنَ مَا هُوَ ثَابِتٌ وَمَتِينٌ وَبَيْنَ مَا هُوَ سَهْلٌ لِيْنِ هِيْنَ غَيْرِ مُمْكِنٍ فِي نَظَرِ الْمُتَدِينِيْنَ، وَلَكِنِ الْمَعْصُومَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لَدَيْهِ الْقُدْرَةُ فِي الْجَمْعِ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ، وَهَاتَيْنِ الْكَلِمَتَيْنِ - الْحَدِيثَيْنِ - مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) مِنْ جَوَامِعِ الْكَلِمِ وَمِنْ الْقَوَاعِدِ الْأَسَاسِيَةِ الَّتِي بَنَى عَلَيْهَا أَهْلَ الْعِلْمِ الْكَثِيرُ مِنَ الْقَوَاعِدِ، وَإِنْ كَانَ صَعْبًا عَلَيْهِمْ تَطْبِيقُهَا.

وَهَذَا مُنْطَبَقٌ عَلَى مَا تُرِيدُهُ فَإِنَّ الْآلِيَةَ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ سَهْلَةً سَمْحَةً فَالْمُؤْمِنُ يَنْبَغِي أَنْ يَنْتَقِيَ الْآلِيَةَ النَّافِعَةَ السَّهْلَةَ مَا دَامَتِ الْآلِيَاتُ الْمُبَاحَةَ كَثِيرَةً، وَهَذِهِ الْأَسْتِرَاتِيْجِيَّةُ فِي الْآلِيَةِ يَوْضَحُهَا النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فِي حَدِيثٍ آخَرَ حَيْثُ يَقُولُ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): «إِنَّ الرِّفْقَ لَمْ يَوْضَعْ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَمَا نَزَعَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ» (٣).

فَاللِّيُونَةُ وَالسَّهْوَلَةُ فِي الْآلِيَةِ تَعْنِي التَّغْيِيرَ، وَتَغْيِيرُ الْآلِيَةِ لَا يَعْنِي تَغْيِيرَ الدِّينِ الثَّابِتِ، وَلَكِنِ الْآلِيَةَ الْوَصُولَ إِلَيْهِ مُتَغْيِرَةً فِي رَحَابِ الْأَفْقِ الْوَسِيعِ مِنْ طَبِيعَةِ الْبَيِّنَاتِ الْمَخْلُوقَةِ لَهُ تَعَالَى.

ص: ٢٢٦

١- (١) الكافي: ج ٨٦: ٢.

٢- (٢) الأمل للطوسي: ٥٢٨ باختلاف يسير؛ بحار الأنوار: ج ٥٤٨: ٣٠.

٣- (٣)

قَالَ تَعَالَى: (وَ الصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُخْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ ) (١).

هناك قاعده بينى عليها الفقهاء وهى أنّ «الصلح أعظم من القضاء»، - أى الصلح بحق وليس باطل - باعتبار أنّ القضاء يكون فيه طرف خاسر وطرف رابح وطرف أمر وطرف مأمور، وكأنّ هناك نوع من القهر والإلجاء للطرف الآخر، كذلك الحال بالنسبه للحرب، فإنّ الصلح أفضل من الحرب لأنّ الغايه من الحرب - حسب الفرض - هو تحقيق العدالة، فإذا تحققت العدالة بلا حرب فهو تحقيق للغايه بوسيله أخرى تقلل فيها الخسائر وبطريق آخر - سلمى وأمنى - .

وهذا واضح فى نهج رسول الله (صلى الله عليه و آله) وأهل بيته (عليهم السلام) فى كلّ حروبهم وهو قولهم «أكره أن أبدأهم بقتال» (٢) أى أنّ النبى (صلى الله عليه و آله) وأئمه أهل البيت يفضلون الوصول إلى النتائج بالتفاوض على أسلوب الحرب.

وبالتالى هو جذب الطرف المقابل للحق، فأنت تُخادع غدره وتُغالب نزعه القدر عنده، ولذلك كان قوله (صلى الله عليه و آله): «الحرب خُدعه» (٣).

إشاره إلى أنّ طرف الحق يُصارع ويُنازع نزعه الباطل عند الطرف المقابل ويجذب نزعه

ص: ٢٢٧

١- (١) سورة النساء: الآية ١٢٨.

٢- (٢) الكافي: ج ٤٦٠: ٧.

٣- (٣) الكافي: ج ٤٦٠: ٧.

الحقّ ويحرّك نزع الحقّ عنده، فهو يُخدع خداعه وباطله فالحرب خُدعه بهذا اللحاظ، «فالوفاء مع أهل الغدر غدر عند الله والغدر مع أهل الغدر وفاء عند الله» كما في الحديث عن (١).

فالآلية النظيفة غير نافعة إذا لم توضع في محلها الصحيح، فمثلاً عندما تُريد أن تبني بيتاً كما لا بدّ من الشخص النظيف الناصح الذي لا يغشك في البناء كذلك لا بدّ أن تتوخى المهندس الخبير الذي يضع كلّ شيء في موضعه ويزن كلّ شيء بميزانه الخاص.

### تعدد الخيارات:

### تعدد السيناريو:

تبيّن من خلال ما رسمه لنا أهل البيت (عليهم السلام) وخصوصاً الإمام الحسن (عليه السلام) - وكلّ شيء من الحسن حسن - أنه ينبغي بالفرد في سلوكه الاجتماعي أن يتوخى الطرق والمسارات المختلفة للوصول إلى أهدافه الحقّة وأن لا يحصر ولا يحبس بطريقه وأسلوب فأرد دون غيره - بشرط المحافظة على صحّة المسير والمسار - فإنّ الطرق والمسارات المباحة للوصول للغايه الحقّة عديده، في أفق لا مُتناهى فلا تحبسه طريقه دون أخرى.

ص: ٢٢٨

تصريف الكلام فن وسياسه أُخرى وقاعده أُخرى ضمن سياسه المناوره فى المسير والمسار.

### تغير اللفظ لا يعنى تبدل المعنى:

وهذه القاعده يُبينها الإمام الصادق(عليه السلام)، فعن إبراهيم الكرخى عن أبي عبدالله(عليه السلام) أنه قال: «حديث تدرية خير من ألف حديث ترويه، ولا يكون الرّجل منكم فقيهاً حتى يعرف معاريض كلامنا وأنّ الكلمه من كلامنا لتصرف على سبعين وجهاً لنا من جميعها المخرج»(١).

بل إنّ الإمام(عليه السلام) يوسع القاعده، فعن داود بن فرقد قال سمعت أبا عبدالله(عليه السلام) يقول: «أنتم أفقه الناس إذا عرفتم معانى كلامنا أنّ الكلمه لتصرف على وجوه فلو شاء إنسان لصرف كلامه كيف شاء ولا يكذب»(٢).

فهنا إشارة من قبل الإمام الصادق(عليه السلام) إلى أنّ قاعده (تصريف الكلام) قاعده واسعه، يمكن للإنسان استخدامها فى حياته، وإداره شؤونه الحياتيه دون كذب أو غش أو جدل، ويمكن لهذه القاعده أن تغير مجارى الأمور ولعلّ هـذه القاعده نستشعرها من جواب الخضر(عليه السلام) الذى استخدم

ص: ٢٢٩

١- (١) معانى الأخبار للصدوق: ٢، عنه البحار ج ١٨٤: ٢ ب ٧٦ ح ٥.

٢- (٢) المصدر السابق.

ذلك، ليغير ما تصوره موسى (عليه السلام)، حيث قال: «فأردت أن أعيها» أي إنني لم أخرجها لأغرق أهلها، بل مجرد إعابه حتى لا يأخذها الملك وهذه القاعدة باب واسع للإنسان، يفتح له طريق في كل حياته وتعاملاته في أسرته، ولعله ينقدح في ذهن الإنسان إذن ما هو فرق هذا عن الكذب، وما هو فرق ذلك عما كان يمارسه اليهود من التحريف الذي أبطله الله في كتابه الكريم، قال تعالى: (مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَ يَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا) (١).

والجواب: أن هذه الآيه وآيات أخرى قريبة المضمون منها تُشير إلى أن التحريف كان عن المواضع بعيد المواضع، وهذه ما توضحه الآيه الأخرى، قال تعالى: (يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ) (٢)، حيث لا تصدق تلك الكلمه إلّا في الموضع المناسب، وهو التحريف الباطل الذي لا يستند إلى ميزان إرجاع المُتشابه إلى المُحكم، بل بميزان إتباع المُتشابه ابتغاء الفتنة، ونفس الضابطه والميزان يكون الحال في التوريه - وليس هذا محل تفصيله - .

فإذن تصريف الكلام بموازن وضوابط - هو مُراد الإمام (عليه السلام) - وليس الأمر انفلاتي وهذا الأمر واضح ومعمول به في كثير من العلوم الأدبيه، بل أن العلوم تعتبر قاعده تصريف الكلام من القفزات النوعيه في العلوم الأدبيه والقانونيه (٣).

وهذا من الموازين الصحيحه التي استخدمها الأئمه وبالأخص الإمام

ص: ٢٣٠

---

١- (١) سورة النساء: الآيه ٤٦.

٢- (٢) سورة المائدة: الآيه ٤١.

٣- (٣) لا زالت البشريه في المستوى الابتدائي من هذا العلم الذي كشفه الإمام قبل أربعة عشر قرن.

الحسن (عليه السلام) في صلحه مع معاويه واستشهد لمن اعترض عليه لذلك بفعل الخضر مع موسى (عليه السلام) قال (عليه السلام): «أما علمتم أن الخضر لما خرق السفينه، وأقام الجدار، وقتل الغلام كان ذلك سخطاً لموسى بن عمران (عليه السلام) إذ خفى عليه وجه الحكمة في ذلك، وكان ذلك عند الله تعالى ذكره حكمه وصواباً» (١).

وكان الإمام يشير إلى أنه بالنظر الأولى والرؤية الساذجه هناك خرق من قبل الإمام الحسن (عليه السلام) لسفينه الشيعة في البحر الهائج المتلاطم الأمواج بواسطة الصلح، ولكن بالنظر العميق أن هذا الخرق، حتى لا تستأصل الشيعة وتؤخذ سفينتهم غصباً، بل أن الصلح بناء لجدار عازل لأهل الحق عن أهل الباطل، وهو في نفس الوقت قتل للفتنه في مهدها ومرحلتها الغلاميه، فأنتم في ضجر وسخط لخفاء وجه الحكمة، ولكن عما قريب ستنبأون بوجه الحكمة.

ص: ٢٣١

١- (١) الاحتجاج للطبرسي: ج ٢٩٩: ٢.

من القواعد السياسيّه - القديمه الحديثه - قاعده «الغايه تُبرر الوسيله» ومفادها:

(إنّهُ إذا كانت لك غايه كتحصيل بعض المكاسب السياسيّه فينبغى أن تسخر كلّ الوسائل - المشروعه وغير المشروعه - لأجل الحصول على تلك الغايه وذلك المكسب)، فيمكن للإنسان أن يُبرر وسيلته فيقتل ويفجر ويظلم ويطعن، أو حتّى يقتل سيّد شباب أهل الجنه، بحجّه أنّه شقّ عصا المُسلمين أو بحجّه حفظ النظام وغيرها هكذا فسرت، ولكن هَذَا لا يمكن قبوله لأنّها غايات بدواً صحيحه ولكن مع ذلك لا تُبرر وسائلها.

وفي مقابل هذا المسلك أطلق أمير المؤمنين (عليه السلام) كلمته: «ما معاويه بأدهى منى ولكنّه يقتل ويفجر» (١).

أى أنّ معاويه لا يفوقنى فى السياسه ولكنّه يفتك ويفجر أى لا حرمة للمبادئ عند معاويه فى توخى متغيرات الآليات.

### الوسيله لا تصحح الغايه:

بل نستطيع أن نُؤسس قاعده مُعاكسه للقاعده المشهوره وهى أيضاً باطله وهى: «الوسيله تُبرر الغايه».

أى أنّ الوسائل بلا أهداف وغايات مشروعها لا نفع فيها، لأنّها

ص: ٢٣٢

(دجل) إذا لم توصلك لغايه صحيحه، كما هو في بعض الممارسات التي يتبعها أصحاب الرياضيات الروحيه رغم أنه كوسائل لا إشكال فيها ولعلّه تكون أمور مباحه لا- حرمه فيها أو أنّها أمور تقوى النفس، فنقول أنّها وسائل لا- يمكنها أن تبرر نتائجها وتصحح غاياتها.

ولذلك قال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): «قد يرى الحول القلب وجه الحيله ودونها مانع - من أمر الله ونهيه - فيدعها رأى العين بعد القدره عليها ويتتهز فرصتها من لا حريجه له في الدين» (١).

أى هناك وسائل وطرق عديده للوصول للنتيجه والاحتياط للوصول للهدف ولكنّها وسائل وطرق غير مشروع لا يمكن ارتكابها.

أى لا بدّ من مراعاة الثوابت في حين توخّى متغيرات الوسائل ومرونة الآليات.

وقول الإمام (عليه السلام) فيدعها رأى العين لا يعنى ذلك ترك كل الوسائل وترك الجبل على الغارب كما لعلّه يتصوّر البعض، بل يعنى توخّى آليات وطرق ووسائل أسهل غير محظوره في أفق المباح الرحب أسهل وأسمح وهو معنى قول النبى (صلى الله عليه و آله) «بعثت بالحنيفيه السمحه السهله» (٢).

وهناك أبحاث كثيره تتفرّع من هذا البحث، وهناك أبحاث تفرّع منها هذا البحث ومنها - اختصاراً -

ص: ٢٣٣

١- (١) نهج البلاغه: ج ٩٢: ١.

٢- (٢) الأمالى للطوسى: ٥٢٨، باختلاف يسير؛ بحار الأنوار: ج ٥٤٨: ٣٠.

تقدّم أنّ الغايه لا تُبرر الوسيله وأنّ الوسيله لا تصحح غايتها، وهَذَا الكلام يَخْتَلَف عَنْ كون الحقيقه الواحده ذات مراتب وإنّ الوسائل إليها عديده، فالمحججه لها مراتب ودرجات، وللحق والحقيقه مراتب والوسائل والطُّرق للمراتب مُتعدده، فالصراط واحد ولكن له - مثلاً - خمسين ألف موقف، فالسبل متعدده للصراط الواحد ولكن هَذَا لا - يعنى (أنّ الطُّرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق)، و (أنّ هُنَاكَ صراطات مستقيمه) كما لعلّه يَصوِّر لنا الحداثيون أو الصوفيه أو بعض العرفاء، بل هُوَ صراط مُستقيم واحد، نصل إليه عبر قنوات مُتعدده، فَهُوَ جبل ممدود طرف منه عِنْد النَّاس وطرف منه عِنْدَ الله، وَهَذَا ما يصفه لنا الحديث النبوى المُتواتر، عَنْ أبى سعيد الخدرى قَالَ: قَالَ رسول الله (صلى الله عليه و آله): «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ، أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخَرِ كِتَابَ اللَّهِ جَبَلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَعَتَرْتِي أَهْلَ بَيْتِي وَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا يَرْدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ» (١).

ص: ٢٣٤

- قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «الوفاء لأهل الغدر غدر عند الله والغدر بأهل الغدر وفاء عند الله» (١).

وهذا البيان العلوي المحكم أشاره إلى أن الالتزام مع الفاتك والهاتك للحرمات شراكه معه في أفساده في الأرض، بل اللازم المناوره للتخلص من خداعه ودجله والأعيه وهذه الوصيه أصل كبير في التعاطي مع تحايل العدو ومراوغته .

(١) هذه القاعده العظيمه هي قاعده في خصوص التعامل مع العدو، وهي قاعده مهمه وضروريه ومكمله لمسيره إعداد القوه والرعايه اللتان تقدمتا .

(٢) كما يجب أن يكون المؤمنون في إعداد للقوه وإستعداد كامل لصد أي عدوان ومواجهه أي قوه عسكريه متوقعه أو غير متوقعه للعدو .

(٣) كما يجب أن يكونوا في رعايه كامله لبعضهم البعض وفي تحمل المسؤوليه، يجب أيضاً أن لا يخدعوا وأن ينتبهوا تحسباً لأي غدر طارئ من العدو، وأن الصلح مع العدو - أن وجد - فهو لا- يعنى ترك المسؤوليات وترك الترقب والحذر، وأن شعارات السلم التي يطلقها العدو يجب أن تواجه

ص: ٢٣٥

بحذر وحيطه لأن الحرب خدعه .

٤) أن التخلص من خداع العدو إذا لم يكن بقوه رادعه، فينبغى أن يكون بقوه المناوره والخداع لخداعهم، فيجب أن لا نلتزم بما يسهل ويمهد الظرف لغدرهم ونخطط لتفويت الفرصه عن تمكنه لتمرير خداعه ودجله أو نبطل تحاييله وحيله بكشف القناع عنها وبمبادرات مباغتته له.

٥) إن غدر العدو إذا قوبل بسلميه وبوداعه وحسن ظن فهو غدر عند الله، فيصبح المؤمن - المغدور - غادراً عند الله؛ لأنه أحسن الظن بأهل الغدر، نعم نحن لا نبدأ العدو بالغدر، لكن نخطط لمواجهه غدره من حيث هو غادر وقد ظهرت منه بوادر الغدر، فتكون هذه الوصيه أصل عظيم فى التعاطى مع تحايل العدو وخدعه ومراوغته .

ص: ٢٣٦

## هل الحقيقه مُطلقه أم نسبيه ؟

من الأبحاث التي كانت مثار جدل بين أرباب العلوم المختلفه كالفلاسفه والمناطقه وغيرهم قديماً وحديثاً، هو (هل أن الحقيقه مطلقه أم نسبيه)، وهذه الجدليته أخذت أشكالاً وأزياءً مُختلفه، في المدارس الفلسفيه والسفسطيه القديمه والحديثه ومنها ما يُعرف اليوم بالحدائثه، فأين النسبيه وأين يكون الإطلاق؟ فنقول:

إن الحقيقه نسبيه وليست بنحو النسبيه التشكيكيه وهَذَا مذكور في لسان الوحي، قَالَ تعالى: (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) (١)، كَذَلِكَ في قوله تعالى: (وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً) (٢).

فإذن هناك عليم وهناك من هو أعلم من العليم وهناك قول صادق وقول أصدق وهناك حق وأحق فإن الحقيقه لا مُتناهيه، قَالَ تعالى: (لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي) (٣).

والقرآن يأمر الإنسان أن يطلب زياده العلم قَالَ تعالى: (وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً) (٤) أي أطلب زياده العلم والكمال لأن درجاتها لا متناهيه لأن الحقيقه لا متناهيه.

ص: ٢٣٧

١- (١) سوره يوسف: الآيه ٧٦.

٢- (٢) سوره النساء: الآيه ١٢٢.

٣- (٣) سوره الكهف: الآيه ١٠٩.

٤- (٤) سوره طه: الآيه ١١٤.

فإذن الحقيقه نسيه، بمعنى ذات مراتب لا متناهيه وليست نسيه سفسطيه أئ يختلط السراب مع الحقيقه ولكن هذه النسيه فى نفس الحقيقه وليس فى الحق المختلط بالباطل والوهم والسراب، لأن هَذَا يُوَدَّى إلى أن أى شىء يساوى أى شىء آخر ولا يصح فرق بين علمى وعلم العلماء بل لا يبقى فرق بين علمى وعلم المعصوم وبالتالى يصح خلط للأوراق.

ص: ٢٣٨

- فى وسط مواجهه سيد الشهداء (عليه السلام) مع المارد الأموى فى الطف، أراد أحد الأنصار وعظ العدو فأجابه (عليه السلام) - بما مضمونه -

أن المرحلة التى وصل لها العدو فى عتوه وطغيانه ليست تعالج بوعظ ونصح، بل بتجاذب القوه معه ومناوره الشده، وهذا أصل هام فى تشخيص لغه المرحلة ونمط المكافحه مع العدو، وتوضيح ذلك:

(١) بعد مراحل إعداد القوه ومراحل الرعايه وتحمل المسئوليه ومراحل التعامل مع العدو فى غدره بالمناوره للتخلص من ألامه وخذعه وعدم الانخداع بخدعه، وعدم التصديق بكلامه المزيف وعدم الوفاء له .

(٢) نصل لمرحلة لا ينفذ فيها الإقتصار على الخداع أو المحاوره والمناوره حينما يصل إلى قمة العتو والطغيان، فإن هذه المرحلة لا تعالج بوعظ أو نصح بعد تخطى مرحله «أكره أن أبدأهم بقتال»، التى هى مرحله نصح ووعظ وإيجاد الحلول السلميه، يأتى دور تجاذب القوه بالقوه وآليه العسكره.

بعد لغه الحوار تأتي لغه السيوف، كما يقول الشاعر أبو تمام:

السيف أصدق إنباءً من الكتب فى حده الحد بين الجد واللعب

(٣) من المهم أن يعى المؤمنون لغه المرحلة الراهنه المعاشه، وما هى اللغه التى يتخاطب فيها مع عدوه، فليس دائماً تستخدم لغه الصلح الحسنى، وليس

دائماً نستخدم المسير والمسار الحسينى أو النهج العلوى، فمع أن كلهم نور واحد مع ذلك اختلفت آلياتهم وأدوارهم فى التعامل مع الأعداء تبعاً لمتطلبات ظروف عصرهم .

ص: ٢٤٠

نظريه ترابط وتعاون وتخادم العلوم

هذا العنوان له عدة أسماء كثيره - فقد يعبر عنها بالنظريه أو القاعده - منها:

نظريه أو قاعده ترابط وتعاون وتخادم العلوم

نظريه أو قاعده ترابط وتعاطف العلوم

قاعده تزاوج وتوالد العلوم

قاعده تلاقح العلوم

قاعده تعاون القواعد

قاعده تعاطف القواعد

قاعده تلاقح القواعد

قاعده تزاوج القواعد

قاعده تخادم القواعد

من المعلوم أن علماء المنطق عبروا عن المنطق أنه خادم العلوم، وكذلك عُبر عن علم الأصول أنه منطق علم الفقه، أى أنه خادم لعلم الفقه وعبرنا عنه - بحسب منهجنا - (منطق العلوم الدينيه)، وبالتالي يكون خادم العلوم الدينيه والآله القانونيه والميزان الذى توزن به كل العلوم الدينيه، وكما أمكن القول أن علم المنطق خادم العلوم، وأن علم الأصول خادم العلوم الدينيه،

فأنه يمكن أن يقال أن بين العلوم تخادّم، فإن بعضها يعطف على بعض، كما أن بعضها يوزن ببعض وبعضها يخدم بعض - وهذا ما تمت الإشارة إليه في كتابنا الإمامه الإلهيه (١) فراجع - ويتجلى هذا الأمر أكثر في العلوم الدينيه - خاصه - .

والأسماء العديده لهذه النظرية لاتحكي كل زوايا النظرية - القاعده -، بل أن كل عنوان يحكى زاويه معينه، وفي العنوان الرئيس عبرنا ترابط؛ باعتبار أن بين العلوم إرتباط وترابط وعبرنا تخادّم؛ باعتبار أن أحدها يخدم الآخر ويكون آله للآخر، وعبرنا تعاون باعتبار أن أحدها يعين الآخر، وقد يعبر بالتوالد باعتبار أن أحدها يولد الآخر بعد التزاوج .

وقاعده أو نظريه - ترابط وتعاطف أو تعاون أو تخادّم العلوم أو القواعد -، لها إشارات في الكتاب والسنه:

ففي الكتاب، قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ) (٢).

وقوله تعالى: (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ) (٣).

ص: ٢٤٢

١- (١) الإمامه الإلهيه ج ٣٦: ١.

٢- (٢) سورة آل عمران: الآيه ٧.

٣- (٣) سورة الزمر: الآيه ٢٣.

وأما في السنه فقوله (صلى الله عليه وآله): «أنى تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تظلوا كتاب الله وعترتى أهل بيتي» (١)، كذلك يظهر من نفس الحديث - ومن غيره - أن السنه (يعضد بعضها بعضاً ويعطف بعضها على بعض) .

وهذا ينتج تخادم العلوم والقواعد الشريفه الصادره عنهم، ومنها القواعد التى قدمناها، فمثلاً قاعده (الأعداد) التى منها، قوله تعالى: (وَ أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَيْطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ...) (٢)، مع قاعده (الرعايه) التى هى من قول النبى (صلى الله عليه وآله): «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» (٣)، فبين القاعدتين تخادم رغم أن أحدهما من آيه قرآنيه والأخرى من حديث نبوى باعتبار أنهما وحى من الله، فهما قاعدتان وحيانيتان، بل من محكمات القواعد .

وكما أن القرآن يعطف بعضه على بعض، وأيضا السنه يعطف بعضها على بعض، كذلك متشابهات العقل والوجدان تعطف على محكماتهما، بل أن محكمات - الأربعة - القرآن والسنه والوجدان والعقل يعطف عليها متشابهات الأربعة .

فينتج بذلك تخادم جميع القواعد الدينيه بترابط منظومى نظامى متصل ومتواصل بين القواعد كحلقات فى سلسله وسلاسل وطبقات - بالنظم والنظام الذى قدمناه -، والقاعدتان المتقدمتان - اللتان سقناهما كمثال - أحدهما أكبر من الأخرى من جهه، فقاعده الرعايه تمنهج وتمنطق قاعده الإعداد من جهه أن الإعداد يحتاج إلى رعايه، فليس الإعداد كيفما أتفق

ص: ٢٤٣

١- (١) بحار الأنوار ج ٢٨٥: ٢.

٢- (٢) سوره الأنفال: الآيه ٦٠.

٣- (٣) بحار الأنوار ج ٣٨: ٧٢.

وليس هو بشكل عشوائي ينفرد وينفدت فيه الأمر.

وكذلك (قاعده) الأعداد تمنهج الرعايه وتنضبط بها الرعايه، لأن الأعداد بقدر الاستطاعه، والرعايه تطالب المعد والمستعد أن يكون إستعداده بحسب منظومه الرعايه فالكل راع للكل - بحسب إستطاعته لبحسب راحته -، قال (صلى الله عليه وآله): «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته».

كذلك قاعده التعريض مع قاعده التقيه الأمينه حيث بينهما عموم من وجه، فلعل تعريض ليس فيه تقيه ولعل تقيه ليست بتعريض، وقد يكون التعريض بسبب التقيه، فتسخر قاعده التعريض لتمنهج نظام التقيه من زاويتها ويمُنهج التعريض تقيه لتقنين مساراته، فإحداهما تخدم الأخرى وتعين الأخرى .

وهذه النظرية - نظريه ترابط وتخادم القواعد فى نظام منظومى -، التى انبثقت وتولدت من نظريه - تخادم العلوم - يمكن أن نطبقها فى كل القواعد التى قدمناها ، بل يمكن لكل باحث أن يطبقها فى كل قواعد العلوم الدينيه ويستنتج منها قواعد أخرى - يزواج أو يلاقح - قاعده مع قاعده أخرى فينتج قاعده ثالته، وهكذا.. تتوالد القواعد وتتوسع العلوم (1).

ص: ٢٤٤

---

١- (١) وهذا مشروع مفصل فى الأبحاث الأصوليه - من أصول الفقه - تحت عنوان أصول القانون والمبادئ الأحكاميه والاسس والاصول التشريعيه.

## الفصل الثاني: خارطة المسؤوليات في النشاط الوظيفي الديني للمؤمنين تجاهركات الإنحراف الديني

اشاره

ص: ٢٤٥



هذه تتمه مهمه وذات فوائد خطيره وكبيره للبحث المتقدم، ولا بدّ قبل الولوج في هذا البحث الحساس من مُقدمه:

السفياني حدث معاصر أو مستقبلي وهذا الحدث هو الآخر قد ينظر إليه البعض إن وقوعه محتوم وملجئين إلى الاستسلام أمامه بينما الذي تعلمناه من غير عاشوراء - وهو ما تقدّم بحثه مفصلاً - إن حتميه الشيء لا تستلزم الإلجاء في أصل الحدث أو عدم الإلجاء في تفاصيله أو الإلجاء في تداعياته وما يترامى عنه من أمواج وأحداث.

ويجب أن ننبّه أن بحثنا لم يكن على التفاصيل الدقيقه لمسرح الظهور سواء الأمنيّه أو العسكريه أو السّياسيه أو الجغرافيه أو غيرها. بقدر ما نحن في صدد بيان إن الخيارات في الأفق متعدّده لمجال القيام بالمسؤوليه وأنّ الروايات رغم بيانها للمقادير وما حتم منها إلّا إنّها تُنبّه على إمكانيه التغيير وحصول البداء ولزوم تحمّل المسؤوليه فيها هنا أمور لا بدّ من التنبّه لها منها:

١- إن أصل هذه الأحداث أو الغايات التي هي عباره عن موازين القوى في الشرق الأوسط، وإن كانت من المحتوم أو بعض منعطفات تفاصيل الأحداث إلّا إن بقيه التفاصيل ليست من المحتوم مع أنّه قد مرّ أن المحتوم يتطرّق إليه البداء الأعظم وإمكانيه التغيير، فكيف بغير المحتوم.

٢ - إنَّه قدَّ وقع الالتباس لدى الثقافه العامه حول علامات الظهور، أنَّ ما دام رايات سنه الظهور، وقتالها من المحتوم فلا محال أنَّ كُمل ما جاء فى الروايات حول تفاصيل رايات سنه الظهور أيضاً تلك التفاصيل هو الآخر من المحتوم، وهَذَا كما تقدَّم من الغفلات الخطيره فى الثقافه العلميه لعلامات الظهور.

ص: ٢٤٨

يُعتبر هذا البحث أحد الثمار لبحثنا - التوحيد في المشهد الحسيني - بلْ وَمِنْ أهمها، وَهَذَا البحث - كما هُوَ واضح لدى الجميع - محل سِجَالٍ ولغظ علمي كبير في الأوساط العلمِيَّة، ومحل سؤال واستفسار لدى الناس، بِكُلِّ طبقاتهم الثقافية، وسيُتضح مِنْ خلال البحث الصَّله بين هذا البحث وبحثنا المُتقدِّم وسيُتبين أيضاً الثَّمَره المُهمَّه بلْ الثمرات بَعْدَ أَنْ ندخل في طيات البحث.

ولا- نُجانب الصواب لو قلنا أَنَّ مَنْ لَمْ يقف عَلَى معنى البداء في مفهوم النهضه الحسينيه، وحقيقه البداء في حركه الحسين (عليه السلام) وتحركات المعصومين (عليهم السلام)، وَمَنْ لَمْ يُدقق في البحث المتقدم - التوحيد في المشهد الحسيني - لَنْ يخرج بالنتيجه المرجوّه مِنْ هَذَا البحث - السُّفْياني بين الحتم والبداء - والمعصومون (عليهم السلام) قدوه لنا عَلَى مختلف الأصعدة - العلمِيَّة والعملية - وما قالوه في الأخبار - الموسومه بأخبار آخر الزمان - لَيْسَ أخبار بالغيب وبيان تعبدى مِنْ قبلهم (عليهم السلام) يجب علينا التسليم به وَهَذَا عظيم في نفسه، لكن ما هُوَ أعلى وأعظم منه التعبد العلمى والتربوى والسلوك العلمى بالافتداء بكلامهم وأفعالهم.

وَمَنْ لَمْ يفهم حركه المعصوم (عليه السلام) عَلَى أساس «الْحُجِّيَّة المجموعيه النظميه

المنظوميه الترابطيه»(١)، لم ولنْ يستطع أن يفك الرموز والشفرات في الأخبار الوارده حوله، ومن لم ينتظم فهمه بالحجيه المجموعيه بشكلها المنظومي لم ولنْ يكن نعم المقتدى بسيرتهم.

وهذا بالضبط ما ترسمه لنا سوره البقره في أول آياتها حيث تقول: (ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ \* الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ...) (٢)، فالآيتان في سوره البقره تبين علو الحجيه المجموعيه (صفات القدوه) بقولها: ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ وكذلك تبين (صفات المقتدى) بقولها: هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ \* الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ، فالمقتدى ليس فقط يؤمن بالغيب وبأخبار الغيب، إنما هو مهتدى لأنه ساع ومتحرّك وعامل بوعى الرؤيه الصائبه للحدث.

ومن الجدير بملاحظه القارئ، أمران:

(١) إننا لا ندرس السفياني دراسه شامله ومتكامله بكل زوايا وأبعاد حركته، بل من جهه موضع الفائده التي ترتبط بما نريد وإلا البحث من جميع الجهات يخرج بنا عن المقصد الأساس الذي جعل من أجله البحث، فلذا نرجو من القارئ الالتفات لأنه قد يرى إن هناك نقصاً في البحث عن شخصيه السفياني وذلك للاقتصار على الروايات النافعه ذات الصله بالمقام.

(٢) من الضروري أن نعرف أن المقام فتن واحداث آخر الزمان ليس من

ص: ٢٥٠

١- (١) ينبغي الالتفات إلى أن كمل كلمه لها حسابها ووزنها الخاص فالحجيه يلزم أن تكون مجموعيه أي باجتماع وليس حجيه منفرده أولاً وثانياً بنظم أي ليس بانفراط وعشوائيه، وثالثاً هذا النظم يتبع وينتظم بنظم أكبر منه، ورابعاً يترابط بين هذه المجموعه بكل طبقاتها وأبعادها.

٢- (٢) سوره البقره: الآيتان ٢ - ٣.

مشاهد الرعب، ولا هي قصة مُرعبة يقصّها لنا المعصوم (عليه السلام) وأنّ أبطالها الخراساني - والهاشمي - واليماني وغيرهم في طرف الإيمان، والسفاني والأصهب والأبقع في طرف الكُفر والنِّفاق وبالتالي تكون مسؤوليتنا التفرُّج من المنتصر والرابع في تلك المباراه، كما لعلّه يصوّر البعض أنّ جهاد العدو ليس على كلّ مُكلّف، بل هو مسؤوليه البعض الذي له قدرات خاصّه وله اختصاص في الجهاد، وهذا مُخالف لسيره النّبي (صلى الله عليه و آله) والمعصومين (عليهم السلام) ومُخالف لأقوالهم إنّما أحداث آخر الزمان يبينها المعصوم ليُجعل المسؤوليه في عاتق الجميع، نعم من كلّ أحد حسب طاقته وقدرته.

قاعده منهجيه فى المنهج:

وهذه القاعده يجب أن تكون هى المنهج المتبع لنا، بل ينبغى أن يكون لكل باحث فى العلوم الدينيه ونحن نعتقد أن المعرفه عن طريق دراسه المنهج هى منهج أهل البيت(عليهم السلام)، فعن أمير المؤمنين(عليه السلام) قال: «إعرف الحق تعرف أهله»(١)، وكذلك قوله(عليه السلام): «لا تنظر إلى من قال وانظر إلى ما قال»(٢).

وهذا الكلام من أمير البيان(عليه السلام)، هو أصل وقاعده تجعل الميزان فى معرفه الحقائق، هو النظر إلى ما قال وليس إلى من قال، وهذا منهج موضوعى - تجردى - وضابط مهمه لكل منصف يريد معرفه الحقيقه، وقوله(عليه السلام): «إعرف الحق تعرف أهله، أى قبل الجرى وراء الأشخاص ينبغى معرفه مناهجهم، وهذا المنهج عظيم وخطير وهو ميزان علمى وضابطه علميه فى مختلف العلوم كالرجال والحديث والفقه وغيرها، وصالح لأن يكون قاعده مهيمنه فى كل العلوم الدينيه .

وهو مسلك يشير إلى أهميه المنهج فى البحث العلمى، وهذا ما يؤكده الإمام على بن موسى الرضا(عليه السلام) فى محاورته مع الجاثليق، حيث يقول(عليه السلام): «أنا

ص: ٢٥٢

---

١- (١) روضه الوعظين للفتال: ٣١.

٢- (٢) كنز العمال ج ١٩٧: ١٦، ينابيع الموده للقندوزى ج ٤١٣: ٢/ ٩٩.

مقر بنبوه عيسى وكتابه، ... وكافر بكل عيسى لم يقر بنبوه محمد وكتابه...» (١)، وهذا الضابطه المعرفيه العظيمه من الإمام الرضا(عليه السلام)، هي نفس ما رسمه الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام) من عدم الجرى وراء العناوين والأسماء والأشخاص وإن الأولى هو معرفه أقوالهم أى مناهجهم ومشاربهم المعرفيه، والأمام الرضا(عليه السلام) ييلور ويوسع الضابطه المنهجيه العلويه بجرأه وحيانيه معصوميه، ولم تكن هذه الأمور لتتضح لولا- سعه بيانات أهل بيت العصمه والطهاره(عليه السلام) من جهه، وجرأتهم وصراحتهم فى الحق من جهه أخرى .

والحجج مراتب فوق بعضها البعض، فحججه بدييه تهدي إلى حجه معرفه الرب تعالى، ومن بعد ذلك تلزم العباد طاعه الرسل وذروتهم سيدهم، المأخوذ طاعته على جميعهم، وهذه هي الحججه الثالثه، ثم من بعد ذلك تلزم العباد حججه الأوصياء، إلى غير ذلك من مراتب الحجج، وكل حجه تفوق الأخرى وتهمين عليها، وتحدد أمدها وحدودها، ولذلك أشارت الآيات إلى الاستدلال بصفات الله من أنه مالك للسموات والأرض وما فيهنّ وأنه ولى كلّ الأولياء لبيان أنّ هناك مراتب فى الحججه والدلائل، وتفاوت فى درجاتها، واللازم مراعاة سلسله تلك المراتب، وما هو أكبر وأبلغ، كاستدلال لدحض ما يزعمه اليهود والنصارى من لزوم أتباع ما يزعمونه من يهوديه ونصرانيه النبى إبراهيم والأنبياء السابقين، حيث أنّ ولايه الله فوق ولايه الأنبياء وصلاحياته فى الحكم والتشريع، فكيف يترك أهل الكتاب الدلائل على المشيئه الإلهيه فى مقابل ما يزعمونه من حججه يتبعونها... بل يكون هو الميزان

ص: ٢٥٣

١- (١) عيون أخبار الرضا: ١٣٩.

الذى يعرف به الحق، كما فى قوله (صلى الله عليه و آله): «على مع الحق والحق معه لا يفترقان حتى يردا على الحوض»<sup>(١)</sup>، أى إن المعصوم (عليه السلام) يكون هو الميزان والمنهج الذى به يُعرف الحق .

والنتيجه إنه لو أَدعى مدع أنه عيسى (عليه السلام) - أو إدعى أنه سفير الأمام (عج) أو نائب خاص للأمام (عج) أو ابن الأمام (عج) أو وصى الأمام (عج) أو أنه اليمانى أو الحسنى أو الخراسانى أو النفس الزكيه أو أى عنوان آخر -، فإننا قبل أن نطالبه ببرهان أو معجزه على صدق إدعائه، ينبغى أن نرى منهجه العقائدى والفكرى والسلوكى هل يطابق الثوابت العليا فى الدين، لأنه أقوى برهان ومعجزه من كل معجزه فإن معاجز الانبياء صلوات الله عليهم لا تتناول فوق التوحيد ثم بعد ذلك نطلب المعجزه .

### مسالك الانتظار:

هناك مسلكان فى كيفية العامل مع روايات ما قبل الظهور، أو ما تُعرف بروايات علامات الظهور - كما يعبر عنها، وبالتالى سوف تتحدد مشارب ومسالك المنتظرين بحسب ما ينعكس من فهم للروايات .

المسلك الأول: يجعل العلامه بمثابة العله إذا حدثت، فسوف يحدث الظهور، وإذا لم تحدث سوف لا يحدث الظهور، وهذا الفهم وهذه الرؤيه والنظره الجموديه لروايات ما قبل أو قبيل الظهور التى هى من سنخ علامات الظهور، نستطيع تسميتها بالمسلك الجمودى الأحادى الجبرى .

وكأنه يعلق ظهور الأمام المهدي (عج) على ظهور هذه العلامات فهو

ص: ٢٥٤

فى الحقيقه منتظر للعلامات برؤيه جبريه للظهور لا برؤيه مسؤوله لاجبر ولا تفويض أمر بين أمرين، كما فى قوله تعالى: (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَهُ أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَ أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (١) وليس منتظراً انتظار نصره وعون للمهدى (عج) - وسيكون من الفاشلين فى الإمتحان كما فشل المنتظرون فى زمن نوح (عليه السلام) حيث، علقوا إنتظارهم على العلامات، وهى حصول ثمر النوى، فلما بدا لله فى زمن الطوفان فشلوا -، يؤول به الحال الى كونه منتظراً لليمانى وللسفياى وللخراسانى وغير ذلك، وليس منتظراً للمهدى (عج) !؟

فإذا بدا لله فى هذه العلامات - وهذا أمر ذكرته فى الروايات - أو فتخلط عليه الأمور بحسب ظهور الروايات بين السفياى الأول والثانى والثالث فلا يميز، فسوف يباغته تغيرات الأحداث وهو فى سكره الإرتقاب للعلامات.

وهذا المسلك الجبرى، كأنه يقول ما دامت العلامه يمكن فيها البداء ولا يرتبط بها الظهور فلماذا أنظر إليها، وبما أن الله ناصر وليه ومظهر دينه على الدين كله، فما الداعى للبحث وراء العلامات ومتابعه الأحداث تسارعت أم تباطئت .

وبين هذا وذاك هناك نظر واقعى لأحداث مسرح الظهور وعلامات الظهور ولشخصيات الظهور، وهذا النظر (أمر بين أمرين)، فلا تفويضيه بجعل المحور هو العلامات أو بيد شخصيات مسرح الظهور، ولا جبريه مطلقه لا ترى أهميه لآيه دور وشخصيه فى مسرح الظهور بل إنما أمر بين أمرين .

ص: ٢٥٥

فالصحيح هو الالتفات إلى المناهج الذى يتبعها هؤلاء الثلاثة - اليماني والخراساني والسفياني - وغيرهم .

وبعبارة أخرى أن معرفه منهج هؤلاء الثلاثة فى سنه الظهور أهم من معرفه أشخاصهم؛ لأن الميزان هو على المنهج لا- على الشخص والبصيره هى على الحق لا على الرجال، ومن ثم فمن أخطاء ثقافه التعليم لعلامات الظهور شخصنه البصيره بأشخاص بينما البصيره مرهونه بالمنهج والميزان ، كما أن هناك ضابطه ثانيه خطيره أيضاً فى قراءه علامات الظهور وهى أن الثقافه والمعرفه بالمشروع المهدوى مبتوراً عن الثقافه والمعرفه باصحاب الكساء بدءاً بالمعرفه النبويه ومعرفه المنهج العلوى والفاطمى والحسنى والحسينى فضلا عن التوحيد وثمره ذلك هيمنه ثوابت الدين العليا فى قراءه المشروع المهدوى .

وضابطه ثالته أن روايات علامات الظهور هى فى الحقيقه رسم خارطه سياسيه وعسكريه أمنيه واجتماعيه لسنين أو لسنه الظهور وأنها تقرير يرسم الوظيفه للمؤمنين فيما ينبغى عليهم القيام به والحذر منه واليقظه تجاهه، وبهذه الضوابط فى قراءه روايات علائم الظهور والرايات المتجاذبه لمسرح الحدث، سواء فى طرف الحق أو الباطل وبذلك يقطع الطريق على الأذعياء، ويكون المؤمن على بصيره تأقبه فى قراءه الأحداث وفى انتظار صحيح للإمام المهدي (عج) .

ومن جهه أخرى - وهى جهه أساسيه ومهمه -، فإن التمحور حول المنهجيات يكون تمحوراً حول الإمام (عج)، لأن تلك المحاور مسارات وخطوط هم رسموها لنا .

قبل أن نلج في بحث السُفياني لا بدّ أن نلتفت إلى أن منهجه وطريقه شجره مُمتدّه عبر الزمن، بل هي تتصل بالآخره (بشجره الزقوم) وما تلك الشجره الخبيثه التي اجتثت من فوق الأرض كما عبّر القرآن (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ) (١) إلا واقع وحقيقه هذه الشجره وهذا المنهج الذي في الدنيا. نهج بنى أميّه، قال تعالى: (وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا) (٢).

وقد أجمع المُفسِّرون سنّه وشيعه على أن المراد من الشجره الملعونه في القرآن الكريم هم بنو أميه. ففي تفسير العياشي: عن الباقر (عليه السلام) أنه سئل عن قوله تعالى: (وَ مَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ ) فقال: «إنَّ رسول الله (صلى الله عليه و آله) رأى إن رجلاً من بنى تيم وعدى على المنابر يردون الناس عن الصراط، القهرى قيل والشجره الملعونه؟ قال هم بنو أميه» (٣). وعن الصادق (عليه السلام) مثله.

كذلك في تفسير قوله تعالى: (وَ مَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ

ص: ٢٥٧

١- (١) سوره إبراهيم: الآية ٢٦.

٢- (٢) سوره الإسراء: الآية ٦٠.

٣- (٣) تفسير العياشي: ج ٢٩٨: ٢؛ وعنه بحار الأنوار: ج ٢٥٧: ٣١ ب ٣١.

فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ (١)، قال الباقر (عليه السلام): «إِنَّ هَذَا مِثْلَ بَنِي أُمِّيهِ» (٢)، روى القمى عَنْ أَبِي الْجَارُودِ عَنْ الْبَاقِرِ (عليه السلام) «كَذَلِكَ الْكَافِرُونَ لَا تَصْعَدُ أَعْمَالُهُمْ إِلَى السَّمَاءِ وَبَنُو أُمِّيهِ لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِي مَجْلِسٍ وَلَا فِي مَسْجِدٍ وَلَا تَصْعَدُ أَعْمَالُهُمْ إِلَى السَّمَاءِ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ» (٣)، وقوله تعالى: (إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ \* طَعَامٌ الْأَثِيمِ \* كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ \* كَغَلِيِّ الْحَمِيمِ) (٤)، فَسَّرَ أَيْضاً بَنِي أُمِّيهِ. فِي رَوَايَةٍ عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ الْعَسْكَرِيِّ (عليه السلام) فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: (أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى) (٥) ... وَالْحَدِيثُ طَوِيلٌ، ثُمَّ قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): «(أَذَلَّكَ خَيْرٌ نُزْلاً أَمْ شَجَرَةُ الزُّقُومِ)» (٦)، الْمَعْنَى لِمُخَالَفَتِهِ أَخِي وَوَصِيِّعَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ (عليه السلام) (٧)، وَأَيْضاً عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنِ وَأَبُو مَالِكٍ وَسَعِيدِ بْنِ جَبْرِ وَمُجَاهِدٍ وَقَتَادَةَ وَالضَّحَّاكَ وَابْنَ زَيْدٍ إِنَّهَا - الشَّجَرَةُ الْمَعْلُونَةُ - شَجَرَةُ الزُّقُومِ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ \* طَعَامٌ الْأَثِيمِ) (٨).

وَكذَلِكَ وَفِي مِضَامِينَ أُخْرَى عَدِيدَةٍ فَسَّرَتْ - شَجَرَةُ الزُّقُومِ - بِالشَّجَرَةِ الْمَعْلُونَةِ، وَهَذَا مُتطَابِقٌ مَعَ كَوْنِ الشَّجَرَةِ الْخَبِيثَةِ وَالْمَعْلُونَةِ وَالزُّقُومِ وَاحِدَةً مَعَ اخْتِلَافِ النِّشَاتِ.

ص: ٢٥٨

- ١- (١) سورة إبراهيم: الآية ٢٦.
- ٢- (٢) مجمع البيان: ج ٣١٣: ٣.
- ٣- (٣) تفسير القمى: ج ٣٦٩: ١.
- ٤- (٤) سورة الدخان: الآية ٤٦.
- ٥- (٥) سورة البقرة: الآية ١٦.
- ٦- (٦) سورة الصافات: الآية ٦٢.
- ٧- (٧) حليله الأبرار: ج ١٥٧: ٢.
- ٨- (٨) التبيان: ج ٤٦٤: ١٦.

مما ينبغي علينا فهمه إنَّ الأهميه والخطوره تكمن في المنهج، فإنَّ الشعارات كثيره برآقه وذات ألوان عديده ولكن حقائقها مُخالفه لشعاراتها، والجري وراء الشعارات بحسب بيان الشَّارع لا ينعج، لأنَّ المُهم هو الوصول إلى حقيقه ما يكمن خلف تلك الشعارات، وهذا ما نحاول بيانه في نقاط:

### النقطه الأولى: (الشجره الخبيثه):

إنَّ القرآن حينما يقول الشجره الملعونه في القرآن لا- يصف أشخاص بعينهم، بل يصف شجره والشجره لها فروع وأغصان وحينما يصف الكلمه بالخبث يصفها بشجره.

### النقطه الثانيه: (لا يذكرون الله):

إنَّ الشجره الملعونه أيَّ المُبعده والمطروده عن رحمة الله وفَسَّرت الشجره الملعونه بنبي أميّه، وقد مرَّ وصفهم من قبل الإمام الباقر (عليه السلام): «... وبنو أميه لا- يذكرون الله في مجلس ولا في مسجد ولا تصعد أعمالهم إلى السماء...»<sup>(١)</sup>، وإذا كانوا كذلك فكيف لا يطردون من الرحمة الإلهيه.

### النقطه الثالثه: (بنو أميه نهج وسلوك):

بناءً على هذا الأساس يمكن أن نُفسّر روايات آخر الزمان التي ذكرت بنبي أميّه، بأنّها لا- تقصد بنبي أميّه أشخاصاً فقط، بل الأقرب الأهم لنظر الروايات هو النهج والسلوك (نهج وسلوك بنبي أميّه).

ص: ٢٥٩

## النقطة الرَّابِعَة: (سعد الخير):

إنَّ القتل والتخريب والدمار والفساد والإفساد الذى خَصَّته الروايه بالسُّفْيَانِي ما هُوَ إلَّا رسم للسلوك العدوانى والنهج الأموى. وليست القضية منوطه بشخص وأشخاص ولذلك كُلُّ الروايات - إلَّا قليلاً - ذكرتَه بلقبه (السُّفْيَانِي) ولم تذكر اسمه، وبعضها ترفض التشبث بالاسم ففي الروايه عَنْ عبد الله بن أبى مَنصور البجلي، قال: «سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عَنْ اسم السُّفْيَانِي، فقال: وما تصنع باسمه؟ إذا ملك كور الشام الخمس: دمشق وحمص وفلسطين والأردن وقنسرين فتوقعوا عِنْدَ ذلك الفرج، فقلت: يملك تسعه أشهر؟ قال: لا، ولكن يملك ثمانية أشهر لا يزيد يوماً» (١).

فهُنَا نرى الإمام يحاول عدم ذكر اسم السُّفْيَانِي إشاره منه أَنَّ خطوره المنهج أهم من خطوره الشخص، وهى أولى بالبحث والاهتمام من الأشخاص، كما أَنَّ مركز الاهتمام فى أغلب روايات المعصومين (عليهم السلام) ليست عَلَى الانتساب من جهة الآباء أو العشيره، بل عَلَى الانتساب للمنهج.

كما فى روايه أبى حمزه قال: «دخل سعد ابن عبد الملك فقال أبو جعفر (عليه السلام): ما يبكيك يا سعد؟ فقال: وكيف لا أبكى وأنا من الشجره الملعونه فى القرآن، فقال له: لست منهم أنت أموى منّا أهل البيت أما سمعت قول الله عَزَّ وَجَلَّ يحكى عَنْ إبراهيم (عليه السلام) فَمَنْ تبعنى فَأِنَّهُ منى» (٢).

## النقطة الخامسة: (اللَّعْن للمؤسسين أشد):

وَرَدَ فى الزياره المعروفه بزياره عاشوراء «لعن الله أمّه أسست أساس

ص: ٢٦٠

١- (١) إكمال الدين: ج ٢، ٥٨٥ ب- ٥٧ ح ١١.

٢- (٢) الاختصاص للمفيد: ٨٥.

بحسب هذا النص هناك تأسيس وكذلك هناك تمهيد للفساد والإفساد وقتل المصلحين (محمّد وأهل بيته) صلى الله عليه و آله، في حين كانت الشجرة الطيبة (محمّد وآله) صلى الله عليه وآله تؤسس وتمهد لكل خير وصلاح وسنة وملة حسنة، كانت أميّه تؤسس للفساد والإفساد وسنّ سنن الغدر والغيلة ونقض العهد، كما فعلت هند مع سيد شهداء زمانه حمزه (عليه السلام)، وكما فعل معاوية بنقض العهد مع الإمام الحسن (عليه السلام)، وكما أسس يزيد وسنّ سنن تخريب المدن وخرب مدينه رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وانتهك الميدين المقدّسه والأماكن المقدّسه وهدم الكعبه، وما يفعله الشّيفاني عين ذلك، فهو يغدر وينقض العهود ويخرب المدن وينتهك الحرمات ويخرب المقدسات ويهدم الكعبه... وهكذا تستمر هذه الشجرة الملعونه بسنّ السنن وإحداث البدع إلى يومنا هذا، في مقابل هذه الشجرة الملعونه شجرة طيبه مباركّه وهى شجرة أهل البيت (عليهم السلام) (كما وصفها القرآن) فهى تسنّ السنن الطيبه، كالتضحيه والفداء والإيثار وزرع البر والخير والمحبه والسلام فى ربوع الدنيا، وهذا ما تشير إليه روايه عمار بن أبى الأحوص، قال: قلت لأبى عبدالله (عليه السلام): «... أمّا علمت أنّ إماره بنى أميّه كانت بالسيف والعسف والجور، وأنّ إمامتنا (إمارتنا) بالرفق والتآلف والوقار والتقيه وحسن الخلطه والورع والاجتهاد، فرغبوا الناس فى دينكم وفى ما أنتم فيه»(٢).

ص: ٢٤١

١- (١) مصباح المتهجد للطوسى: ٧٧٤.

٢- (٢) الخصال للصدوق: ٣٥٥ ح ٣٥، وسائل الشيعة: ج ٦٤: ١٦ ب ١٤ ح ٩.

## النقطة السادسة: (أخطر المناهج):

إنَّ وصف الشجره الملعونه فى القرآن ببنى أُمَيَّة يشير إلى أنَّ أخطر المناهج هُوَ منهج بنى أُمَيَّة، وأضلَّ الرايات. بَعْدَ الفتنة المُشار إليها فى الآية. هى رايه بنى أُمَيَّة، فتكون كُلُّ رايات الضلاله أقلَّ خطوره وضلالاً مِنْ تلك الرايات الملعونه.

## النقطة السابعة: (إسلام وأصنام):

مِنْ الموارد المفرقه الَّتى تبيِّن لنا شدَّه ضلال النهج الأموى وتفوقه فى الفساد والضلال، أنه يرفع الشعارات المُتضاده، فى حين ينادى بالإسلام هُوَ يهدم الإسلام، وفى حين خليفته يُنادى بالقرآن، وأنه خليفه المُسلمين، يجعل القرآن غرضاً لسهامه ويتناول جهاراً على تمزيقه، ويصلّى خليفته الآخر وهُوَ سكران، يرفع شعار الإسلام لكنّه يدعو للأصنام.

## النقطة الثامنة: (بنى العباس):

مقابل النهج الأموى السُفيانى هناك حركات ضلال كثيره، الروايات تُبيِّن أنها سابقه على حركة الضلال الَّتى يتزعمها السُفيانى الأموى، وتؤكد الروايات مِنْ خلال مفاداتها إنَّ حركة السُفيانى هى الأخطر وأنَّ تلك الرايات بمثابة المُمهِّده لحركة السُفيانى، وأنَّ رايات الضلال يستحقها المُجتمع بسوء تصرفه وتعاوسه عن نصره الحقّ.

وبنو العباس أيضاً وصف لنهج وسلوك معيّن عدائى للإسلام ولأهل البيت (عليهم السلام) ولكن الأسلوب مُختلف والنهج مُختلف ويمكن أن نلاحظ على النهج العباسى أمور تفرقه عن المنهج الأموى:

(١) إِنَّ النهج العباسى يتوسَّل إلى كرسى الرئاسه عبر رفع شعار (الرضا من آل مُحَمَّد) من أجل ذلك، أمَّا بنو أمِّيَّه لم ترفع ذلك الشعار، بل عَلَى العكس من ذلك رفعت شعار العداء لآل البيت (عليهم السلام).

(٢) إِنَّ نهج بنى العباس يحارب أهل البيت (عليهم السلام) كنهج إيمان بَعِيد وصوله إلى سدّه كرسى الحُكم، أمَّا بنو أمِّيَّه فهم يُحاربون نفس النهج الإسلامى وتتعارض كُلُّ شعاراتهم مَعَ شعارات الإسلام.

(٣) عداء بنى أمِّيَّه عداء مُباشر وواضح للإسلام، وعداء بنى العباس غَيْر مباشر للإسلام ولنهج الإيمان، ولكنّه مُجاهر العداء، ولنهج آل البيت (عليهم السلام)، وحتَّى إِنَّ المنصور الدوانيقى كَآن يقوم بالدعوه لفضائل على أمير المؤمنين (عليه السلام)، وذكر آل البيت (عليهم السلام) وفى إحدى المرّات كاد يقتل جراء إقامته لمجلس عزاء لهم فى بلاد الشام.

فالنهج العباسى، إذنُ أُسِّس عَلَى أساس الفداء لآل البيت (عليهم السلام) ولكن نهج أهل البيت (عليهم السلام) الذى يحاسب كراسى الحُكم الدنيويه يصعب عَلَى مَنْ يُريد الترتُّع عَلَى العروش الدنيويه أَنْ يتَّخذه كنهج وسلوك؛ لأنَّ ذلك النهج يحاسبه هُوَ نفسه أشدَّ الحساب بشكل يصعب تحمُّله فإما أَنْ يسير معه أو ينقلب ضده، وَهَذَا ما حصل فعلاً من المنصور وباقى بنى العباس وَمَنْ تبع نهجهم إلى هَذَا اليوم حيث ساروا عَلَى المعاداة لآل البيت (عليهم السلام) ولنهجهم وسلوكهم.

في هذا البحث نحن لا نريد أن نعرف اسم السفيناني ونسبه ونذكر الروايات في ذلك الخصوص، لئلا يطول بنا المقام من جهة ومن جهة أخرى ليس هو بحث ذو ثمره تذكر - هنا بالخصوص - وهذا متطابق مع الرواية التي رواها الصدوق بإسناده عن عبد الله بن أبي منصور البجلي، قال: «سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن اسم السفيناني، فقال وما تصنع باسمه إذا ملكك كور الشام الخمس: دمشق، وحمص، وفلسطين والأردن وقنسرين، فتوقعوا عند ذلك الفرج، قلت: يملكك تسعة أشهر؟ قال لا ولكن يملكك ثمانية أشهر لا يزيد يوماً» (١).

إذا ما نريده هو التعرف على هويته العقائديه والسياسيه والعسكريه من خلال حركته، وهذه الهويه تبينها مجموع روايات روت أفعاله ومعتقداته، والروايات التي تصف شخصيه السفيناني كثيره منها:

عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «إنك لو رأيت السفيناني رأيت أحب الناس، أشقر أحمر أزرق يقول: يا رب يا رب يا رب ثم للنار ولقد بلغ من خبثه أنه يدفن أم ولد وهي حيه مخافه أن تدل عليه» (٢). وأيضاً «... يقبل السفيناني من بلاد الروم متنصراً في عنقه صليب وهو صاحب القوم» (٣).

ص: ٢٤٤

١- (١) كمال الدين للصدوق: ج ٥٨٥: ٢، ب ٥٧، ح ١١.

٢- (٢) البحار: ج ٢١٦: ٥٢، ح ٧٥.

٣- (٣) إكمال الدين: ج ٥٨٤: ٢؛ البحار: ج ٢٠٥: ٥٢، ح ٧٣.

وعن مُحَمَّد بن مُسْلِم عَنْ أَبِي جَعْفَر (عليه السلام) قال: «السُّفْيَانِي أَحْمَر، أَشْقَر، أَزْرَق، لَمْ يَعْبُدِ اللَّهَ قَطْ وَلَمْ يَرَ مَكَّةَ وَلَا الْمَدِينَةَ قَطْ، يَقُولُ يَا رَبُّ يَا رَبُّ تَأْرِي وَالنَّارُ، يَا رَبُّ تَأْرِي وَالنَّارُ» (١).

وفى إلزام الناصب: «ولا- يزال السُّفْيَانِي يَقْتُلُ كُلَّ مَنْ كَانَ أَسْمَعَهُ مُحَمَّدَ وَعَلَى وَحَسَنَ وَحُسَيْنَ وَفَاطِمَةَ وَجَعْفَرَ وَمُوسَى وَزَيْنَبَ وَخَدِيجَةَ وَرَقِيهَ بَغْضًا وَحَقًّا لَأَلِّ مُحَمَّدًا (صلى الله عليه وآله)» (٢)، هذه الرواية وروايات أخرى بنفس المضمون تبين العقيدة التي يحملها السُّفْيَانِي.

أولاً: مِنْ حَيْثُ عَقِيدَتُهُ فَهَوَ: «لَمْ يَعْبُدِ اللَّهَ قَطْ، وَكَذَلِكَ لَمْ يُؤْمِنِ بِالنَّبِيِّ وَلَا بِالْعَقَائِدِ الْحَقَّةِ وَلَا بِالْمَقْدِسَاتِ وَلَا بِعَقِيدَةِ التَّوَسُّلِ وَلَا بِالشِّفَاعَةِ وَغَيْرِهَا، لِذَلِكَ قَالَتِ الرَّوَايَةُ: «لَمْ يَرَ مَكَّةَ وَلَا الْمَدِينَةَ قَطْ»، وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، فَهَوَ لَا يُؤْمِنُ بِفُرُوعِ الدِّينِ وَليْسَ فَقَطْ بِأَصُولِهِ لِأَنَّهُ لَوْ آمَنَ بِالفُرُوعِ لَرَأَى مَكَّةَ فِي حَجِّ أَوْ عَمْرِهِ وَمِنْ لَّا- يُؤْمِنُ بِمَكَّةَ كَمَشْهَدٍ وَمَعْلَمٍ وَكَبَيْتِ اللَّهِ لَا يُؤْمِنُ بِبَاقِيِ الْمَشَاهِدِ الْمُسَرَّفَةِ وَبِالتَّالِيِ لَا يُؤْمِنُ بِأَيِّ شَعِيرَةٍ مِنْ الشَّعَائِرِ وَلَا يَعْظُمُ شَعَائِرَ اللَّهِ لِأَنَّ (الصفاء والمره) مِنْ الشَّعَائِرِ وَهُمَا فِي بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ الَّذِي لَمْ يُؤْمِنِ بِقُدْسِيَّتِهِ وَلَمْ يَعْظُمِ حَرْمَتَهُ - وَسَتَأْتِيكَ لِمَحَّةِ نَافِعِهِ عَنْ حَادِثِهِ فِي فَهْمِ هَذِهِ النِّقْطَةِ فَانْتَظِرْ - .

ثانياً: قوله (عليه السلام): «لو رأيتَهُ رأيتَ أَخْبَثَ النَّاسِ» وَهَذَا كَلَامٌ عَنْ صِفَاتِهِ الْبَاطِنِيَّةِ وَمَكُونَاتِ شَخْصِيَّتِهِ الْدَاخِلِيَّةِ، وَالتَّعْبِيرُ بِالْخَبْثِ تَعْبِيرٌ عَنْ نَجَاسَةِ بَاطِنِيَّةِ - بِطَبْعِهَا - تَضَادِدٌ وَتُعَاكُسٌ وَتَتَقَاطَعُ ذَاتًا وَصَفَهُ مَعَ مَعْدَنِ الطُّهْرِ

ص: ٢٦٥

١- (١) الغيبة للنعمانى: ٣١٨، ب ١٨ ح ١٨.

٢- (٢) إلزام الناصب: ج ٢، ص ١٧٣.

والطيب مُحَمَّد وآله (صلى الله عليه وآله).

وقوله: «أشقر، أحمر، أزرق» إشاره إلى التذبذب والتلون الباطني باعتبار إنَّها جاءت في سياق ذكر الخبائه الباطنيه، وكذلك لعلَّه إشاره إلى التلون في عقيدته - ولا- يُنافى ذلك إرادته الأوصاف الحسيه أيضاً - ، وَهَذَا التلون مَعَ خبث السَّريره كاشف عَن إنَّ نجاسته الباطنيه إلى ما شاء الله مِنْ أنواع الخبائث والنجاسات.

ورؤيه الخبائه عاده إشاره إلى الباطن الخبيث، وإشاره إلى الرؤيه للباطن بالرؤيه التفرُّسيه.

والرؤيه الظاهرية للخبائه تقود للرؤيه الباطنيه، بل هي أشد في حقيقه الأمر وذلك لأنَّه - السُّفياني - مِنْ الخبائه الشديده بحيث طفحت وبرزت على قسما ت وجهه وفي لحن كلامه وقوله.

مِنْ حيث نصبه وعدائه لأهل البيت (عليهم السلام) وأتباعهم، وفي هَذَا المجال وردت عِدَّة نصوص عديده في ذلك - ونحن نذكر واحده منها اختصاراً - ومضامين هذه النصوص الروائيه تصبُّ في العداء لأهل البيت (عليهم السلام) وأتباعهم ومنها ما ذكرنا وهي أَنَّهُ يقتل كُلَّ مَنْ يتسمَّى بأهل البيت (عليهم السلام) وأسماء ذريتهم، وكذلك ما يفعل بالحوامل وبالنساء مِنْ الفجور والتعمد، فعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: «يخْرُج السُّفياني وبيده حربه ويأمر بالمرأه ويدفعها إلى بعض أصحابه فيقول له: افجر بها في وسط الطريق فيفعل بها ثمَّ يأمر ببقر بطنها ويسقط الجنين مِنْ بطن أُمِّه فلا يقدر أحد أن ينكر عليه...» (١) ، والروايه طويله وَهَذَا موضع الشاهد منها.

والمُهم هُوَ توجّهاته السِّياسيه والثقافيه والدينيه:

ص: ٢٦٦

١- (١) إلزام الناصب: ج ٢، ص ١٧٣.

حَيْثُ وَرَدَ إِشَارَاتٌ عَدِيدَةٌ إِلَى عَمَالَتِهِ لِلْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَعَلَى نَصْبِهِ وَعَدَائِهِ السِّيَاسِي لِكُلِّ الْمُؤَسَّسَاتِ وَالِدَوْلِ وَالسِّيَاسَاتِ الَّتِي تَدْعُو إِلَى أَهْلِ الْبَيْتِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) وَإِلَى الْإِسْلَامِ الْحَقِيقِيِّ لِأَهْلِ الْبَيْتِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) وَلِلذَلِكَ فَإِنَّ الرَّوَايَةَ حِينَمَا تَقُولُ «يَقْبَلُ الشُّفْيَانِيُّ مِنْ بِلَادِ الْغَرْبِ مُتَنْصِراً» (١) إِشَارَةٌ إِلَى عَقِيدَتِهِ وَكَذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَى التَّنْصِيرِ السِّيَاسِيِّ أَيْ التَّحَالُفَاتِ الَّتِي تَصَبُّ فِي صَالِحِ الصَّهْيُونِيِّهِ الصَّلِيبِيِّهِ الْمُعَادِيهِ لِلْإِسْلَامِ الصَّحِيحِ الَّذِي يَرْفُضُ الذُّوْبَانَ فِي الْأَطْرَافِ الَّتِي تَجَانِبُ الْحَقَّ وَدِينَ الْحَقِّ، وَهَذِهِ إِشَارَةٌ يُوَكِّدُهَا ذَيْلُ الرَّوَايَةِ حَيْثُ فِيهَا: «فِي عُنُقِهِ الصَّلِيبُ، وَهُوَ صَاحِبُ الْقَوْمِ» (٢) كُلُّهَا إِشَارَاتٌ إِلَى الْإِتْفَاقَاتِ السِّيَاسِيَةِ الدِّيْنِيَةِ الْعَقَائِدِيَةِ (٣)، الَّتِي تَصَبُّ فِي خِدْمَةِ الْمَشْرُوعِ الصَّلِيبِيِّ الْغَرْبِيِّ السَّلْفِيِّ الْوَهَابِيِّ، وَحِينَمَا تَقُولُ الرَّوَايَةُ «فِي عُنُقِهِ الصَّلِيبُ» (٤) إِشَارَةٌ إِلَى بَيْعِهِ صَهْيُونِيَةٍ تُعَادِي الْمَسِيحِيَّةَ الْحَقَّةَ وَكُلَّ دِينَ حَقٍّ وَهُوَ الْإِسْلَامُ الْحَقُّ.

الْمُتَمَثِّلُ بِأَهْلِ الْبَيْتِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) لِأَنَّ الْعُنُقَ أَوْ الرُّقْبَةَ إِشَارَةٌ إِلَى تَبْعِيَّتِهِ الْكَامِلَةَ لِلْغَرْبِ؛ وَلِذَا يُوصَفُ عُنُقُ الْعَبْدِ ب- (عُنُقُ الرُّقْبَةِ)، وَقَدْ وَرَدَ «إِنَّ الْإِمَامَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يَخْرُجُ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعُهُ» (٥).

وَالرُّوَايَةُ حِينَمَا تَقُولُ: «يَا رَبِّ ثَارِي وَالنَّارِ، يَا رَبِّ ثَارِي وَالنَّارِ»

ص: ٢٤٧

١- (١) إِكْمَالُ الدِّينِ: ج ٥٨٤: ٢؛ الْبَحَارُ: ٢٠٥: ٥٢ ح ٧٣.

٢- (٢) الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ.

٣- (٣) حِينَمَا نَقُولُ صِفَاتٍ سِيَاسِيَةٍ عَقَائِدِيَةٍ لَا- يَمْنَعُ إِشَارَةَ الرَّوَايَةِ أَسَاساً إِلَى تَوَجُّهَاتِهِ الشَّخْصِيَّةِ الْعَدَائِيَّةِ لِأَهْلِ الْبَيْتِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ).

٤- (٤) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ.

٥- (٥) كَمَالُ الدِّينِ: ٤٨٠.

تذكرنا إبليس الذي يعتقد بالله ولكنه لا يؤمن بخليفته ولا يسجد لخليفته وهو قد فضل النار على السجود للخليفة، وليس ذلك إلا للتكبر والأنا والحقد والحسد والثأر الذي هو عقيدته الانتقام من الطرف الآخر مهما كان عظيماً أو بسيطاً ومهما كانت العداوة بسيطة أو كبيرة، فهو ينتقم مهما كان الثمن ولو كان النار، فقول: «يا رب تأري والنار» دعاء لربه أن يمكنه من الثأر من عدوه ولا يهم بعد ذلك حتى لو كان ثمن ذلك جهنم خالداً فيها، كما هو حال إبليس الذي طلب من الله البقاء ليثأر من آدم (عليه السلام) وولده، قال تعالى: (قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) (١) وكما إن إبليس يطلب ثأره من الخليفة كذلك السفيناني - وكما هو واضح - يطلب ثأره من محمد وآل محمد ومن شيعتهم ومن كل من يهتدى بهديهم، وفي الأحداث الأخيرة والروايات كفايه لمعرفة ماهية الثأر ومن يطلبه.

### حادثة مؤبده:

وفي هذا السياق يمكن أن نذكر محاوره تشير إلى توجه الفكر السلفي الوهابي - السفيناني - إلى القضاء على الإسلام بشكل عام وليس فقط الإسلام الأصيل الذي هو إسلام أهل البيت (عليهم السلام) وأتباعهم، وهذا هو المشروع الصهيوني الصليبي الغربي، والحادثه هي حوار جرى بين أحد أتباع أهل البيت (عليهم السلام) وبين أحد أفراد ما يسمى بهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند قبر حمزه (عليه السلام) - ومضمونه مختصراً - .

- الشيعي: لماذا تحوطون قبر الحمزه (عليه السلام) بسياج إسمنتى.

ص: ٢٤٨

١- (١) سورة ص: الآية ٧٩.

- الوهابي: لكي لا يأخذ منه بعض الجهله الأحجار والتراب للتبرك.

- الشيعي: لو تركتموها مدروسه وغير معلمه لنجوت من المحذور.

- الوهابي: لو كَانَ الأمر بيدنا لمحنونا كُلَّ القبور.

- الشيعي: حتى قبر النبي (صلى الله عليه وآله)؟

الوهابي: نعم، وهذا مما يرضى النبي وهذا هو التوجه الذي يريده النبي (صلى الله عليه وآله) فهو أراد أن يمحو كل قبر.

- الشيعي: إذن لماذا لم يفعل النبي (صلى الله عليه وآله) ذلك.

الوهابي: لولا- خوف الفتنه، لمحاها النبي (صلى الله عليه وآله)، ألم يقل لعائشه: «لولا- حدائه عهد قومك بالكفر لنقضت البيت» (1)؛ لأنها - الأحجار - إذا بقيت سيعود الناس إلى عباده الحجاره والأصنام فالأفضل أن تسوى بالأرض، ولكن هذا الأمر أضمره النبي ولم يعلنه خوف الفتنه فإنه أظهر شيء وأخفى شيء؛ لأن الناس لا تتحمل ذلك.

الشيعي: هذا خلاف تتمه لحديث لأنه قال في تتمته: «لنقضت البيت فبنيت على أساس إبراهيم» (2) وخلاف سلوك إبراهيم (عليه السلام) بل خلاف القرآن حيث يقول: (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ) (3)، بل إن الله جعل حجرتين وهما جبل الصفا وجبل المروه من شعائر الله وأمر

ص: ٢٤٩

١- (١) السنن الكبرى للنسائي: ج ٢٩٢: ٢، ح ٣٨٨٥؛ كنز العمال للمتقى الهندي: ج ٢٠٢: ١٢ ح ٣٤٦٦٧.

٢- (٢) نفس المصدر.

٣- (٣) سورة البقره: الآيه ١٢٧.

بتعظيمهما، قال تعالى: (إِنَّ الصِّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَيَّجَ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ) (١).

كُلُّ هذه الحجارة التي تُريد محوها تمثّل الدّين والشعائر والمقدّسات فإذا محوتها محوت الدّين - فسكت الوهابي ولم يجر جواباً . -

وهذه الحادثه ليست بالحدث الطارئ والحاله الجزئيه أو رأى شخصى لفرد من أفراد الوهابيه السّفيانيه، بل هو كاشف عن مباني وأسس أسس عليها المذهب الوهابي واعتقادات قديمه وحديثه كما في مذكرات مستر همفر (٢)، وهو مطابق لما فى الروايات أنّ السّفيانى يقصد المدينه لهدم قبر النّبى (صلى الله عليه و آله) ونبش قبره (صلى الله عليه و آله) وقبر فاطمه (عليها السلام) والتوجه بعيد ذلك لهدم الكعبه المُشرّفه، وهذا الكلام ليس من تأويل الأحاديث، بل صريح الأخبار وواقع الامر شاهد على ما نقول ويكفيك متابعه بسيطه لكتبهم - خصوصاً التنظيرات والبحوث الحديثه - حتى تجد صواب كلامنا، ومن يترصد مواقعهم فى الانترنت يجد ذلك جلياً واضحاً حيث أعلنوا قبل وقت قريب عن عقد البيعه للمهدى السّفيانى وعن التحالف مع اليهود والنصارى ضد الرّافضه.

وما دامت شرعنه القتل وسفك الدماء أسهل من السهل، فمن الممكن شرعنه أى قانون آخر كالزنا بعنوان جهاد النّكاح والاعتصاب وسبى النساء والولدان بحجّه الفتوح والفتوحات، فهم وأسيادهم من عشاق الفتوح، لكن أى فتح!

وقديماً كان سيدهم وقدوتهم أبو سفيان ومعاويه ويزيد الذى هدم

ص: ٢٧٠

---

١- (١) سورة البقره: الآيه ١٥٨.

٢- (٢) راجع مذكرات مستر همفر الأصل الثّانى.

الكعبه، مِنْ عَشَّاقِ فَتْحِ الْفُجُورِ وَالْفُسُوقِ.

فهي عقيدته غريبه يهوديه صهيونيه أمويه يزيديه سلفيه وهابيه سفيانيه، فما أعجبها مِنْ عجينه وما أخبثها مِنْ طينه!!؟؟

ص: ٢٧١

كتتميم لما تقدّم نذكر بعض النُّقاط الَّتِي توضح مشروع السفيناني ومراماته:

أولاً: هدم الكعبة (١) ففي حديث طويل (٢) رواه الحضيبي عن المفضل بن عمر عن الصادق (عليه السلام) قال: «... كنت وأخي في جيش السفيناني وخربنا الدنيا من دمشق إلى الزوراء وتركناها جماء، وخربنا المدينة وكسّرنا المنبر وراثت بغالنا في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وخرجنا منها وعددنا ثلاثمائه ألف رجل نريد إخراج البيت، وقتل أهله، فلما صرنا في البيداء عرسنا فيها فصاح بنا صائح يا بيداء أبيدي القوم فانفجرت الأرض وابتلعت كل الجيش...» (٣).

ص: ٢٧٢

١- (١) في مذكرات مستر همفر أن أحد أهداف الوهابية - والسلفية - الرئيسيه - هدم الكعبة، والغريب المفضع أن بعضهم يستدلّ بحديث النبي (عليهما السلام) - الذي أوردناه سابقاً - «لولا - حداته عهد قومك بالكفر لنقضت البيت» والمضحك المبكى أن هذا الحديث يصبّ في قداسه الكعبة وليس العكس، لأنّ تتمته «لنقضت البيت فبنيتة على أساس إبراهيم»، فإذن الهدم هو لإعادتها إلى الأساس الذي بناه آدم وإبراهيم وإسماعيل وليس للإياديه كما يقول، ويهدف هؤلاء أعداء الدين.

٢- (٢) هذا المقطع من الحديث هو كلام للبشير الذي جاء إلى الإمام المهدي (عج) بعدما خسف بجيش السفيناني وكان هو أحد أفراد الجيش.

٣- (٣) الهدايه الكبرى للحضيبي: ٣٩٨ ب ١٤، عنه بحار الأنوار: ج ١٠: ٥٣ ب ٢٥.

ثانياً: نبش قبر النبي (صلى الله عليه وآله) وقبر فاطمه (عليها السلام) وهدم المسجد النبوي، هَذَا فَضْلاً عَنْ بَقِيَةِ قُبُورِ الْأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ، فَفِي رِوَايَةٍ فِي الْبَدْءِ وَالتَّارِيخِ «... وَيَبِيعُ جَيْشاً إِلَى الْمَدِينَةِ فَيُقْتَلُونَ وَيَأْسَرُونَ وَيَحْرَقُونَ ثُمَّ يَنْبَشُونَ عَنْ قَبْرِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَقَبْرِ فَاطِمَةَ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) ثُمَّ يَقْتُلُونَ كُلَّ مَنْ اسْمُهُ مُحَمَّدٌ وَفَاطِمَةُ وَيَصْلُبُونَهُمْ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَشْتَدُّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ فَيُخَسِفُ بِهِمُ الْأَرْضَ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَ أَخَذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ) « (١)(٢) .

ثالثاً: تخريب المدن: وَهَذَا وَاضِحٌ فِي الرِّوَايَةِ الَّتِي أوردناها فِي النَّقْطَةِ الْأُولَى: «وَحَرَبْنَا الدُّنْيَا...» وَكَذَلِكَ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): «أَلَا- وَإِنَّ السُّفْيَانِيَّ يَدْخُلُ الْبَصْرَةَ ثَلَاثَ دَخَلَاتٍ يَذُلُّ الْعَزِيزَ وَيَسْبِي فِيهَا الْحَرِيمَ، أَلَا يَا وَيْلَ الْمُؤْتَفِكَةَ وَمَا يَحِلُّ بِهَا مِنْ سَيْفٍ مَسْلُولٍ وَقَتِيلٍ مَجْدُولٍ وَحَرَمِهِ مَهْتُوكَةٍ...» (٣)، وَليْسَ بِبَعِيدٍ مِمَّا مَا يَجْرِي فِي سُورِيَا مِنْ قَتْلِ وَتَخْرِيبِ وَهْتِكِ حَرَمَاتِ وَاسْتِبَاحَةِ الْعَرْضِ وَالدَّمِ الْحَرَامِ وَكَذَلِكَ مَا يَجْرِي فِي الْعِرَاقِ.

وَهَذَا لَهُ بُعْدٌ مَدَنِيٌّ، لِإِبَادَةِ التُّبْعِ الْمَدَنِيِّ فِي الْمَدِينِ وَالْبُلْدَانِ وَليْسَ فَقَطِ التَّخْرِيبَ لِلْمَعَالِمِ الدِّينِيَّةِ وَالْعَقَائِدِيَّةِ، وَهُوَ مُطَابِقٌ لِمَشْرُوعِ ضَرْبِ الْبُنَى التَّحْتِيَّةِ لِكُلِّ دَوْلِ الشَّرْقِ الْأَوْسَطِ الَّذِي يَسْتَهْدِفُهُ الْمَشْرُوعُ الْغَرْبِيُّ الْجَدِيدُ، لِتَكُونَ بُلْدَانُ الْمَنْطِقَةِ فِي حَالِهِ انْفِلَاتٍ وَخِرَابٍ، بَغْضِ النَّظَرِ عَنْ لَوْنِ وَطَبِيعِهِ وَمُصْدَاقِيهِ الْأَنْظَمَةِ فِيهَا.

رابعاً: قتل كُلِّ مَنْ سُمِّيَ بِأَسْمَاءِ أَهْلِ الْبَيْتِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)، كَمَا عَنْ أَمِيرِ

ص: ٢٧٣

١- (١) سورة سبأ: الآية ٥١.

٢- (٢) البدء والتاريخ: ١٧٨.

٣- (٣) إلزام الناصب: ج ٢.

المؤمنين (عليه السلام): «ويصلب على بابها (أى الكوفه) كل من اسمه حسن وحسين، ثم يسير إلى المدينة فينهبها في ثلاثه أيام ويقتل فيها خلق كثير، ويصلب على مسجدها كل من اسمه حسن وحسين فعند ذلك يغلى دماهم كما غلى دم يحيى بن زكريا...» (١).

كذلك عن أمير المؤمنين (عليه السلام) «... ويقتل من كان اسمه محمداً وأحمداً وعلياً وجعفرأً وحمزاً وحسناً وحسيناً وفاطمه ورقيته وأم كلثوم وخديجه وعاتكه، حنقاً وبغضاً لبيت آل رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ثم يبعث فيجمع الأطفال، ويغلى الزيت لهم، فيقولون: إن كان أبؤنا عصوك فنحن ما ذنبنا؟ فيأخذ منهم اثنين اسمهما حسناً وحسيناً (كذا) فيصلبهما...» (٢).

ص: ٢٧٤

---

١- (١) البرهان للمتقى الهندي: ٧٦ - ٧٧ ب ١ ح ١٤؛ عقد الدرر: ٢٦/ب ٤ ف ٢.

٢- (٢) المصدر والصفحه.

ينبغي بيان هذا العنوان في نقاط:

(١) إنّ خراب العمران والطابع المدني والإفساد وسفك الدماء والهرج والمرج هي صفه يأجوج ومأجوج، التي ذكرها القرآن الكريم، وقد ذكر في جملة من الروايات الواردة في ملا-حم آخر الزمان، نبوءه عن خروج يأجوج ومأجوج في آخر الزمان ... والظاهر إنّ المراد به عنوان وصفى لا-أنه عنوان واسم علم لجنس مخلوق وإن كان المعنى الوصفى يؤول للمعنى الثاني من الحقيقه النوعيه؛ وذلك بناءً على تجسّم الأعمال وتجوهر الذات بسنخ الأعمال، أي إنّ الذات والروح والنفس ومالها من أبدان تمسخ ويتكوّن بها جوهر مسانخ لطبيعته العمل، فالصوره صورته إنسان، وأمّا الروح فقد تبدّلت إلى جنس يأجوج ومأجوج.

(٢) إنّ هذا الوصف لهم في القرآن (يأجوج ومأجوج) مادّه مشتق من أجج والأجيج تلهب النار وصوت النار أو صوت لهبها وصوت ضرامها والتوقّد والاشتعال وأجج بينهم شراً أوقده، وأجيج القوم اختلاط كلامهم مع حفيف مشيهم والقوم في أججه في اختلاط، وأجج يؤجج أججاً أسرع، والأجيج شدّه الحر والأججه شدّه الحر، وتوهجه كأجه الصيف وماء أجج أي ملح مرّ شديد المراره، وقيل شديد الحراره أو شديد الملوحة والمراره والمحرّق من ملوحته، ويأجوج يفعل أو فاعول ومأجوج مفعول<sup>(١)</sup>.

ص: ٢٧٥

---

١- (١) لسان العرب: مادّه أجج: ج ٧٧: ١.

كُلُّ هذه المعانى مُتقاربه لأصل ومعنى واحد وَهُوَ اشتعال صفه شىء فى جهه الشر الشديده المريره وتوقده فى ذلك وَهُوَ مطابق للأوصاف المذكوره فى القرآن لهم. ولعلَّ الوصف بياجوج اسم فاعل ومأجوج اسم مفعول إِنَّ إحدى النمطين أو القبيلتين هُوَ أساس وفاعل الفساد والنمط الثانى مسخر وتابع للأول.

وكذلك قول الراغب الأصفهاني؛ قال تعالى: (هذا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَ هذا مِلْحٌ أُجَاجٌ) (١) شديد الملوحة والحراره مِنْ قولهم أجيح النار وأجتها وقد أجت. واتيح النَّهار ويأجوج ومأجوج منه شبهوا بالنار المضطرمه والمياه المتموجه لكثرة اضطرابهم، وأج الظلم إذا عدا أجيحاً تشبيهاً بأجيح النار(٢).

(٣) اليأجوج والمأجوج كما ذكرهما القرآن فى قوله تعالى: (قَالُوا يَا ذَا الْقُرْآنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُّفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سِدًّا) (٣). وكذلك قوله تعالى: (وَ تَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ) (٤). فهاتان الآيتان مِنْ سوره الكهف تشيران إلى يأجوج ومأجوج طبيعه لا- يمكن معايشتهم لما هم عليه مِنْ الفساد والإفساد فى الأرض والذين شكوا لدى القرنين مِنْ يأجوج ومأجوج نفس أولئك القوم الشاكين هم قوم متخلفون، كما

ص: ٢٧٦

١- (١) المفردات: مادّه أج: ١٤.

٢- (٢) الفتن لابن حمّاد: ج ٥٨٣: ٢ ح ١٦٣١؛ المصنف لابن أبى شييبه: ج ١٩١: ١٥، ح ١٩٤٨٣؛ عقد الدرر: ٣٧٥ ب ١٢ ف ٥، وبنفس النصّ أو المضمون وَرَدَتْ روايات كثيره.

٣- (٣) سوره الكهف: الآيه ٩٤.

٤- (٤) سوره الكهف: الآيه ٩٩.

يصفهم القرآن الكريم: (حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا \* قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ) (١). فرغم إنهم لا يكادون يفقهون قولاً لجهلهم وأميتهم وتخلفهم، ومع ذلك هؤلاء رغم هذه الصفه لا يجرعون تحمّل التعايش مع قوم يأجوج ومأجوج فلا يمكن معاشتهم بحال من الأحوال.

ومن ثمّ ما أن يزول السدّ يصف القرآن هرجهم ومرجهم بتموّج بعضهم فى بعض تبياناً لعدم انضباطهم بمبدأ ولا ناموس ولا قاموس يتعاطى معه فى المعيشه، وإذا كانوا اليهود بنو قريضة وبنو النظير نتيجة غدرهم فى ذمه التعايش المدنى مع مجتمع المسلمين أجلاهم وأبعدهم النبى (صلى الله عليه وآله) عن أرض الحجاز، نتيجة خفرهم لذمه الالتزام والتعهد فى التعايش المدنى أجلاهم النبى (صلى الله عليه وآله)، فكيف بمن يفسدون فى الأرض من كلّ حدب وصوب فهؤلاء لا يكفى فيهم الإجماع والإبعاد عن النسيج المدنى، كما فى اليهود، بل لابد من إقامة سدّ عازل يحول بينهم وبين إنطلاق أمواج فسادهم تجاه المجتمع المدنى الإنسانى الآمن، فضلاً عن المجتمع المؤمن المسالم.

وهذا ما وصفه القرآن: (حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ) (٢). وهو تصوير وإشارة إلى تموّجهم فى الإفساد بنحو متداعى مترامى لا يقف ولا يتوقف.

كما إن تعدد وجهات الإفساد يعطيه عنوان كلّ حدب، كما إن هذا العنوان يعطى محاوله سيطرتهم على المكان المستشرف أى مواقع السيطره فى المجتمع والحياه الأرضيه، كما مرّ فى سورة البقره وسوره مُحَمَّد والجمع بين الصفتين - كلّ

ص: ٢٧٧

١- (١) سورة الكهف: الآيه ٩٣ - ٩٤.

٢- (٢) سورة الأنبياء: الآيه ٩٦.

٤) ولا يتعد مفاد الروايات في وصفهم عَنْ هَذَا الْمُتَحَصِّلِ مِنْ مَفَادِ الْآيَاتِ وَالْمَعْنَى اللَّغَوِيَّةِ. فعن حذيفة اليمان عَنْ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وآله) قال: «أَوَّلُ الْآيَاتِ: الدَّجَالُ، وَنَزُولُ عَيْسَى، وَنَارُ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدْنٍ تَسُوقُ النَّاسَ إِلَى الْمَحْشَرِ تَقِيلُ مَعَهُمْ إِذَا قَالُوا وَالِدَانِ وَالِدَابَهُ، ثُمَّ وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ. قال حذيفة: قلت: يا رسول الله، ما يأجوج ومأجوج؟ قال: يأجوج ومأجوج أمم كُلُّ أُمَّةٍ أَرْبَعِمِائَةِ أَلْفٍ لَا يَمُوتُ الرَّجُلُ مِنْهُمْ حَتَّى يَرَى أَلْفَ عَيْنٍ تَطْرُقُ بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ صِلْبِهِ وَهُمْ وَلَدُ آدَمَ، فَيَسِيرُونَ إِلَى خَرَابِ الدُّنْيَا وَيَكُونُ مَقْدَمَتُهُمْ بِالشَّامِ وَسَاقَتُهُمْ بِالْعِرَاقِ فَيَمْرُونَ بِأَنْهَارِ الدُّنْيَا فَيَشْرَبُونَ الْفِرَاتَ وَدَجْلَهُ وَبَحِيرَهُ طَبْرِيهَ حَتَّى يَأْتُوا بَيْتَ الْمُقَدَّسِ، فَيَقُولُونَ: قَدْ قَتَلْنَا أَهْلَ الدُّنْيَا فَقَاتَلُوا مِنْ فِي السَّمَاءِ فَيَرْمُونَ بِالنَّشَابِ إِلَى السَّمَاءِ فَتَرْجِعُ نَشَابَتُهُمْ مَخْضَبُهُ بِالْدَمِ، فَيَقُولُونَ: قَدْ قَتَلْنَا مَنْ فِي السَّمَاءِ»(١).

حدثنا زيد بن أسلم عَنْ أَبِيهِ عَنْ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وآله) قال: «يَفْتَحُ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ» يَخْرُجُونَ عَلَى النَّاسِ كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: (مَنْ كُفِّرْ حَيْدَبٌ يَنْسَلُونَ) فَيَغْشَوْنَ الْأَرْضَ وَيَنْحَازُ الْمُسْلِمُونَ عَنْهُمْ إِلَى مَدَائِنِهِمْ وَحِصُونِهِمْ وَيَضْمُونَ إِلَيْهِمْ مَوَاشِيَهُمْ وَيَشْرَبُونَ مِيَاهَ الْأَرْضِ حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَمْرُّ بِالنَّهْرِ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهِ حَتَّى يَتْرَكُوهُ يَبْسًا حَتَّى إِنَّ مِنْ بَعْدِهِمْ لَيَمْرُّ بِذَلِكَ النَّهْرِ فَيَقُولُ:

قَدْ كَانَ هَهُنَا مَاءٌ

ص: ٢٧٨

---

١- (١) جامع البيان: ج ١٧، ص ٦٩؛ الدر المنثور: ج ٣٣٧: ٤ عَنْ جَامِعِ الْبَيَانِ؛ كُنز العمال ج ١٤ ح ١٤ ص ٢٥٩ ج ٣٨٦٤٥.

مره، حتّى إذا لم يبق من الناس أحد إلّا فى حصن أو مدينه، قال قائلهم: هؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهم، بقى أهل السماء قال: ثمّ يهزّ أحدهم حربته ثمّ يرمى بها إلى السماء فترجع متخضبه دماً للبلاء والفتنه فيبينما هم على ذلك إذ بعث الله دوداً فى أعناقهم كنفج الجرار الذى يخرج فى أعناقهم فيصبحون موتى...»(١).

حذب ينسلون - يعطى إنّ أواجهم فى الإفساد وإحداثهم الإفساد ينطلق من بعد وصولهم إلى مواقع السيطرة فى المجتمع.

(٥) إنّ مناهج وسلوك ومسار يأجوج ومأجوج هو بعدم التقيد وعدم الالتزام بأى ثابت ونسف الثوابت الدينيه والفطريه المنتشره بصوره ارتكازات عقلائييه، ومن ثمّ يستلزم ذلك الهرج والمرج والانقلاب.

(٦) وهذّا ما نلحظه فى الطابع والنهج الأموى من أنّ نهج ينسف كلّ الثوابت الدينيه وباسم الدّين، فمنّ جهه واقع مناهجه هى اليأجوجيه والمأجوجيه وظاهر شعاره (وا إسلاماه) نظير سير الخلفاء الأمويين سابقاً فإنّ الوليد بن عبد الملك كان يستهدف القرآن بالسهم - كغرض - زندقه ومع ذلك يتشدّق أنّه خليفه المسلميين والراعى الأوّل للإسلام، وهذّا النهج الازدواجى طابع واضح فى النهج الأموى.

ففى الروايه عن عمّار بن أبى الأحوص، وفى ذيلها قوله (عليه السلام) «أمّا علمت إنّ إماره بنى أمّيه كانت بالسيف والعسف والجور وإنّ إمامتنا (إمارتنا) بالرفق والتآلف والوقار والتقويه وحسن الخلطه والورع والاجتهاد، فرغبوا الناس فى دينكم وفيما أنتم فيه»(٢).

ص: ٢٧٩

١- (١) الفتن لابن حماد: ١٦٤؛ مسند أحمد بن حنبل: ج ٧٧: ٣ باختلاف يسير.

٢- (٢) الخصال: ٣٥/٣٥٤؛ وسائل الشيعة: ج ١٦٤: ١٦ ب ١٤ ح ٩.

(٧) هذا ما نلاحظه حالياً طابعاً مُتميّزاً في القاعده المشكله من السلفيه والوهابيه، فإنَّ سفك الدماء الذي يُمارسونه وقتل الأبرياء وخراب الميدين بلا أي رادع ولا وازع، وبلا التزام بثابت من الثوابت ولا تتقيّد بناموس مُقدّس إلّا على مستوى بالشعار كدجل إعلامي وخذاع إعلاني كقناع يلبسونه لتغطيه صفه الياجوجيه والمأجوجيه لديهم.

(٨) ولا يخفى إنَّ البلدان التي ينطلق منها الشفيعاني الطابع الغالب عليها قديماً في التاريخ وحديثاً في الأوزان المعاصر متّصفه بصفات النهج الأموي الياجوجي والمأجوجي فهي بيئه خصبه لترعرع المشروع الشفيعاني.

(٩) من خصائص صفات النهج الأموي وطبيعه الياجوج والمأجوج ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ \* وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ \* وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ) (١).

فالآيه تذكر عدّه صفات منها:

إنَّ هذا البعض من الناس لسانه وشعاره وإعلانه معسول، وفي الباطن هو من النواصب اللدودين في الخصومه والعداء مع من أمر الله بمودتهم.

ومنها قصد هذا البعض للاستيلاء وتقلد الأمور العامه على الناس.

ومنها إفساده في الأرض أي تخريب العمران والطابع المدني والتمدني سواء، في الجانب المادي والعمراني أو طابع التمدن في الأخلاق والإسفاف بها

ص: ٢٨٠

إلى الحالة الوحشية والأوباشية التي هي طبيعه يأجوج ومأجوج المنطبق على طبيعه النهج الأموى.

ومنها: التعصّب الشديد الأعمى فى التمسك بهذه الوحشية الأوباشية من إهلاك الحرث والنسل وبنحو يتعزّز ويفتخر بها، وهذا ما وردَ فى روايات الفريقين من صفه يأجوج ومأجوج إنهم يتباهون بسفك الدماء وتخريب تمدن الأرض ومدنيتها وطابعها المدنى.

وكذلك قوله تعالى: (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ) (١).

وهى وصف للذين فى قلوبهم مرض والذين قال عنهم القرآن أيضاً بعد آيات: (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ) (٢)، أى أنهم يحملون الضغينه تجاه من أمر الله بمودتهم وهو الضغينه لقربى النبى الذى أمر الله بمودتهم، وهذا ما يتّصف به النهج الأموى من البغض والضغينه لأهل البيت (عليهم السلام) بجانب الإفساد فى الأرض ومحاولة المسك بزمام مقاليد الحكم والمراد بتقطيع الأرحام بالدرجة لأنها أعظم رحم أوصى القرآن بصلتها حتى جعل أجر كل الرسالة مودّه ذوى القربى وصلتهم وبرّهم وهى بعينها صفات الياجوج والمأجوج والسفيانى.

ص: ٢٨١

١- (١) سورة مُحَمَّد: الآيه ٢٢.

٢- (٢) سورة مُحَمَّد: الآيه ٢٩.

### هي محور أدوار مسرح أحداث الظهور

إنه قد كتب في ظهور الإمام الثاني عشر المهدي الحجة بن الحسن (عج)، كتاباً ودراسات وبحوث كثيرة، وتمّ بها تنقيح كثير من الأمور وتوضيح الرؤيه وصقلها لجملة من الأحداث إلا أنه يجدر تسجيل الملاحظه عليها بجملة من المؤاخذات والنقود البنويه الرئيسيّه:

١ - إن معرفة حقيقه الظهور وحقيقه دوله العدل للإمام الثاني عشر (عج) لا تتمّ بدون معرفه الغايه من الظهور، والغايه من الدوله أن غايه كلّ شيء هو أبين أمر في تعريف الشيء حتى أنه قيل في علم المنطق أن الأجزاء الركنيه القواميه التي يتكوّن منها الشيء ليست بمثابة من الأهميه في تعريف الشيء بقدر تعريفه بغايته.

وقد دلت الروايات المُستفيضه والمتواتره أن الغايه من ظهوره (عج) وإقامه دولته هو التمهيّد لرجعه آباءه (عليهم السلام)، وأنّ ظهوره ودولته فاتحه لظهور آباءه برجعتهم إلى دار الدنيا مرّه أُخرى، وإقامه دولتهم ذات الشأن العظيم، فإذا تقرّر ذلك فيتبيّن أنّ بحوث الظهور والدراسات حول ظهور ودوله الإمام الثاني عشر غيب فيها ما هو لب لباب معرفتها، وما هو محور كنه حقيقتها، وبسط هذه النقطة بيناها في مباحث كتاب (الرجعه بين الظهور والقيامه) وبسبب هذا التغييب لحقيقه الظهور ودوله الإمام الثاني عشر (عج)، سهل على

كثير من الحركات والتيارات المنحرفة للأدعياء والدجالين، مسخ ماهية الظهور وماهية دوله العدل للإمام الثاني عشر فأخذوا يرسمون لها ماهيات ممسوخه عن أصل حقائق ثوابت الدين بتلاوين مارقه عن صبغه الدين الحنيف.

٢ - إن هذه الدراسات والبحوث جعلت نجوم ومحاور مسرح أحداث سنه الظهور، عباره عن الخراساني واليماني والسُفْياني، بينما الظاهر من روايات مُشْتَفِيضه أن محور محاور أحداث سنه الظهور هو حصول الرجعه في أوائل رجب أي سته أشهر قبل الظهور وإن الذي يرجع عدد غفير من الموتى من المؤمنين، يكون لهم دور بالغ الخطوره في توازن معادلات الأحداث في سنه الظهور لا سيما السبعه والعشرين نفر وفرد من أفراد الحكومه المركزيه لدوله الإمام الثاني عشر وهم الخليه المركزيه في أصحابه الثلاثمائه وثلاثه عشر، ويقومون بدور تمهيدى عظيم رئيسى في العراق، ثم في مكه ومن عظم هذا الدور لهم ورد المقوله المُشْتَفِيضه عن المعصومين (عليهم السلام): «العجب كل العجب ما بين جمادى ورجب»<sup>(١)</sup>، حتى أن أمير المؤمنين (عليه السلام) كان يرددها باستفاضه على منبر الكوفه، وكان الكثير من الجلساء تحت منبره يستحفونه السؤال عن سبب هذا التعجب فيخبرهم بحصول رجعه للمؤمنين في ذلك التوقيت وإنه يكون لهم دور خطير في سنه الظهور في العراق، ثم في مكه، بل لم يأت في كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) ذكر للحسنى والليمانى وللسُفْياني بقدر ما كان يذكر العجب في رجب أو ما بين جمادى ورجب مما يؤثر على مزيد اهتمامه (عليه السلام)، بما لهذه المجموعه الراجعه من دور خطير في مسرح الأحداث لسنه الظهور،

ص: ٢٨٣

---

١- (١) ينابيع الموده: ج ٤٣٤: ٣ ب - ٩٩ ح ٤.

ثم روايات العجب، روايات صحيحه، منها ما عن الأصمغ بن نباته قال: خطب أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) بالكوفه فحمد الله واثنى عليه ثم قال: «...فيا لهفاه على ما أعلم رجب شهر ذكر، رمضان تمام السنين، شوال يشال فيه من القوم، ذو القعدة يقعدون فيه، ذو الحجه الفتح من أول العشر.. ألا أن العجب كل العجب بعد جمادى في - و- رجب، جمع أشتان وبعث أموات وحديثات هونات هونات بينهن موتات، رافعه ذيلها داعيه عولها معلنه قولها، بدجله أو حولها.. ألا أن منا قائماً عفيفه أحسابه، ساده أصحابه، تنادوا عند اصطلام أعداء الله بإسمه وإسم أبيه في شهر رمضان ثلاثاً، بعد هرج وقتال، وضنك وخبال، وقيام من البلاء على ساق واني لأعلم إلى من تخرج الأرض وداعها، ويسلم إليه خزائنها، ولو شئت أن أضرب برجلي فأقول: أخرجوا من ها هنا بيضاً ودروعاً» (١).

وكذلك خطب علي (عليه السلام) بعد انقضاء النهروان، فقال: «ذلك أمر الله وهو كائن وقتاً مريحاً، فيأين خيره الإمام متى تنتظر، أبشر بنصر قريب من حيثئذ ظهورهم، ياعجباً كل العجب بين جمادى ورجب، من جمع شتات، وحصد نبات، ومن أصوات بعد أصوات ثم قال: سبق القضاء سبق» (٢).

٣- إن هذه الدراسات والبحوث تُركّز على شخوص الحسنى واليمانى والسُفيانى والتدقيق فى أشخاصهم وشخصيتهم وخصوصياتهم الشخصيه،

ص: ٢٨٤

١- (١) ملاحم ابن المنادى: ٣٠٤- ٣٠٧، كنز العمال ج ٥٩٢: ١٤ ح ٣٩٦٧٩ بتفاوت يسير.

٢- (٢) ينابيع الموده ج ٤٣٤: ٣ ب ٩٩ ح ٤.

مَعَ أَنَّ الأهم بحسب الروايات فى الأحداث لَيْسَ أشخاص الثلاثة وغيرهم ممن ذكرت أسماءهم فى أحداث سنه الظهور، بل الأهم هُوَ بيان طبيعه المناهج الثلاثة وطبيعه المسار

والمنطلق العقائدى والفكرى والفقهى لكلِّ مِنَ التيارات البشريه الثلاثة - وبيان المنهج لهذه التيارات أعظم فى ميزان البصيره وقواعد صحه الرؤيه مِنَ شخوص الأشخاص فبوصله البحث فى دراسات الظهور أخذت منحىً صورى بدل أن تدخل فى عمق الأسباب المؤثره فى الأحداث وحقيقه القوى الفاعله فى التيارات، وَمِنْ ثَمَّ وَرَدَ فى الروايات أَنَّ الحسنى واليمانى والسُفيانى وإنْ كَانَ مِنَ المحتوم إلَّا أَنَّهُ إمكانيه وقوع البداء فى الثلاثة، وإمكانيه البداء فيها له عِدَّة تفسيرات وتأويلات قد تقدّم بعض منها، إلَّا أننا نضيف فى المقام تأويلاً آخر، وَهُوَ الإشاره إلى ما نحنُ فيه مِنَ أهميه المنهج وخطورته للتيارات الثلاثة بدرجة تفوق شخوص الأشخاص الثلاثة وإنْ أشخاص الثلاثة لا ينحصر بهم وقوع مسرح الأحداث، بل المناهج الثلاثة فى التيارات البشريه هى العُمده فى التأثير فى أحداث سنه الظهور، فالبحث فى المنهج والمسلك وشعارات كُلِّ رايه مِنَ الرايات الثلاث هى أعظم وأخطر بدرجة بالغه عَن الحديث عَن الأشخاص فكم حصل تغيب للباب ويتركز على سطح الأمور، والباب هُوَ التفسير المنطقى العقائدى الفقهى لكلِّ تيار كى يكون المؤمن على بصيره قواعد الموازين ولا- تلبس عليه اللوالبس فى كيفيه تحمل المسؤوليه والوظيفه، وَمِنْ ثَمَّ وقع التركيز على سطح الأمور فى تلك الدراسات والبحوث ممّا مهد الأرضيه لخداع جمله مِنَ الأعداء والدجالين لتقمّص صورهِ هُوَ لاء الثلاثة فغيب الوعى بالمنهج الذى هُوَ قوام البصيره

واستبدل واختزل في هُوَ أسماء لأشخاص وشخص.

٤ - إنَّ بلوره العقيدة المهدويه بالإمام الثاني عشر وظهوره ودولته تَمَّ صياغتها وقولبتها بعيداً أو تغيباً عن ماهيه منهاج آباءه كالمنهاج العلوي والفاطمي والحسني والحسيني وبقية الأئمة، فصار البيان لماهيه الظهور ومشروع الدولة للإمام الثاني عشر - هذا البيان - مبتوراً عن لبه الحقيقي ومجتأ عن جذوره الأصلية وكأنَّما منهج الحسين (عليه السلام) مُغيب لونه في منهج الظهور وإقامه دوله الظهور وكذلك منهج أصحاب الكساء، بلُ الأعظم منهج سيِّد الأنبياء الذي هُوَ السيِّد الأكبر، وإمام الأئمة (صلى الله عليه و آله) وَمِنْ ثَمَّ سهَّل على الأدياء والدجالين المِدعين للمهدويه، إبداء منهج مهدوي مُناقض للمنهج الحسيني ومُغيب فيه منهج أصحاب الكساء وثوابت ومُحكّمات القرآن العظيم كُلِّ ذلك بسبب البلوره المبتوره لحقيقه العقيدة بالإمام الثاني عشر ومشروعه العظيم.

ص: ٢٨٦

وردت روايات كثيرة أُكِّدَت أَنَّ السُّفْيَانِيَّ مِنَ الْمُحْتَمِ وبعضها حدّد وقت خروجه عَنِ مَعْلَى بْنِ خَنِيْسٍ، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «مِنَ الْأَمْرِ مُحْتَمٌ، وَمِنْهُ مَا لَيْسَ بِمُحْتَمٍ، وَمِنَ الْمُحْتَمِ خُرُوجُ السُّفْيَانِيِّ فِي رَجَبٍ» (١)، وكذلك عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَعْيُنٍ، قال: «كُنْتُ عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ (عليه السلام) فَجَرَى ذِكْرُ الْقَائِمِ (عليه السلام) فَقُلْتُ لَهُ: أَرْجُو أَنْ يَكُونَ عَاجِلًا وَلَا يَكُونُ سَفِيَانِيَّ، فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ إِنَّهُ مِنَ الْمُحْتَمِ الَّذِي لَا بَدَّ مِنْهُ» (٢)، وكذلك رواه حمران بن أعين، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ (عليهما السلام) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ) ، فقال: إِنَّهُمَا أَجْلَانِ، أَجَلٌ مُحْتَمٌ، وَأَجَلٌ مَوْقُوفٌ، فَقَالَ لَهُ حَمْرَانٌ: مَا الْمُحْتَمُ، قَالَ: الَّذِي لَلَّهِ فِيهِ الْمَشِيئَةُ، قَالَ حَمْرَانٌ: إِنِّي لَا أَرْجُو أَنْ يَكُونَ أَجَلُ السُّفْيَانِيِّ مِنَ الْمَوْقُوفِ، فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ (عليه السلام): لَا وَاللَّهِ إِنَّهُ لِمِنَ الْمُحْتَمِ» (٣).

وكذلك وردت روايات كثيرة في شأن حركة السُّفْيَانِيَّ وَإِنِّهَا مِنَ الْمُحْتَمِ كما إِنَّهَا فَصَلَتْ فِي الْفِتْرَةِ الَّتِي يَتَحَرَّكُ فِيهَا وَفِي وَقْتِهَا وَمَا هِيَ مَسَاحَةُ سُلْطَانِهِ، وَهَذَا التَّفْضِيلُ إِشَارَةٌ إِلَى إِمْكَانِ الْبَدَاءِ فِي تَفَاصِيلِ حَرَكَتِهِ كَمَا سَنُبَيِّنُ، فَقَدْ وَرَدَ عَنْ عَيْسَى بْنِ أَعْيُنٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام) إِنَّهُ قَالَ: «السُّفْيَانِيُّ

ص: ٢٨٧

١- (١) الغيبة: للنعمان، ٣١٢ ب ١٨ ح ٤.

٢- (٢) سورة الأنعام: الآية ٢.

٣- (٣) غيبة النعماني: ٣١٣، ب ٨ ح ٥.

مِنَ الْمُحْتَمِ، وخروجه في رجب، وَمِنْ أَوَّلِ خُرُوجِهِ إِلَى آخِرِهِ خَمْسَةَ عَشَرَ شَهْرًا سِتَّةَ أَشْهُرٍ يُقَاتَلُ فِيهَا، فَإِذَا مَلَكَ الْكُورَ الْخَمْسَ مَلَكَ تَسْعَةَ أَشْهُرٍ وَلَمْ يَزِدْ عَلَيْهَا يَوْمًا» (١).

وفى تفسير القمى: سئل الإمام أبو جعفر (عليه السلام) قال: سألته عن قوله تعالى: (غَلَبَتِ الرُّومُ \* فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ) (٢).

قال: أبو عبيده: قال (عليه السلام): «إِنَّ لِهَذَا تَأْوِيلًا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنَ الْأُمَّةِ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه و آله) لما هاجر إلى المدينة، وقد ظهر الإسلام كتب إلى ملك الروم كتاباً وبعث إليه رسلاً يدعوهُ إلى الإسلام، وكتب إلى ملك فارس كتاباً وبعث إليه رسلاً يدعوهُ إلى الإسلام، فأما ملك الروم فإنه عظم كتاب رسول الله (صلى الله عليه و آله) وأكرم رسوله، وأما ملك فارس فإنه مزق كتابه واستخف برسول الله (صلى الله عليه و آله) وكان ملك فارس يقاتل يومئذ ملك الروم وكان المُشْرِكُونَ يَهُودُونَ أَنْ يَغْلِبَ مَلِكُ الرُّومِ مَلِكَ فَارِسَ، وكانوا لناحية ملك الروم أرجى منهم لملك فارس، فلما غلب ملك فارس ملك الروم بكى لذلك المُشْرِكُونَ واغتموا فأنزل الله (غَلَبَتِ الرُّومُ \* فِي أَدْنَى) يعنى غلبها فارس فى أدنى الأرض، وهى الشامات وما حولها ثم قال، وفارس من بعد غلبهم الروم سيغلبون فى بضع سنين.

وقوله: (لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ)، أن يقضى بما يشاء، قوله: (وَ يَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ \* بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ).

قلت: أليس الله يقول فى بضع سنين، وقد مضى للمُشْرِكِينَ سنون كثيرة مع رسول الله (صلى الله عليه و آله) وفى إماره أبى بكر وإنما غلبت المؤمنون فارس فى إماره عمر؟

ص: ٢٨٨

١- (١) الغيبة للنعمانى: ٣١٠ ب ١٨ ح ١.

٢- (٢) سورة الروم: الآية ١ - ٣.

فقال: ألم أقل لك إن لهذا تأويلاً وتفسيراً والقرآن يا أبا عبيده ناسخ ومنسوخ، أمّا تسمع قوله: (لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدُ) يعنى المشيه فى القول أن يؤخر ما قدّم ويقدم ما أخر إلى يوم يحتم القضاء بنزول النصر فيه على المؤمنين وذلك قوله (وَ يَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ \* بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ) (١).

والروايه المتقدمه تُشير إلى إن الانتصارات تكون بمشيئه الله وإرادته عزّ وجلّ، وحتّى غلبه الروم فى كُحلّ معاركهم، ومنها معركتهم مع أتباع أهل البيت (عليهم السلام) بواسطه السُفيانى لله فيها الأمر من قبل ومن بعد، أى له فيها البداء.

فى مقابل هذه الروايات هناك بعض الروايات تُصرّح بإمكان البداء فى حركة السُفيانى، حدثنا أبو هاشم داود بن القاسم الجعفرى، قال: «كُنَّا عِنْدَ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الرِّضَا (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) فَجَرَى ذِكْرُ السُّفْيَانِيِّ وَمَا جَاءَ فِي الرِّوَايَةِ مِنْ أَمْرِهِ مِنَ الْمُحْتَمِ، فَقُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) هَلْ يَبْدُو لِلَّهِ فِي الْمُحْتَمِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْنَا لَهُ: فَخَافَ أَنْ يَبْدُو لِلَّهِ فِي الْقَائِمِ فَقَالَ: إِنَّ الْقَائِمَ مِنَ الْمِيْعَادِ: وَاللَّهِ لَا يَخْلِفُ الْمِيْعَادَ» (٢).

ومعنى كونه محتوم لا يعنى عدم تطرق البداء فيه؛ لأن المحتوم ليس الذى وقع ووجد إنما قدر تقديراً باتاً ولما يقع، وقد اكتملت أسباب وقوعه، أى شارفت أسباب وقوعه على الاكتمال ولما يقع وعلى ضوء ذلك فإمكان

ص: ٢٨٩

١- (١) تفسير القمى: ج ١٥٢: ٢؛ بحار الأنوار: ج ١٠٠: ٤.

٢- (٢) غيبه النعمانى: ٣١٥ ب ١٨ ح ١٠؛ بحار الأنوار: ج ٢٥٠: ٥٢.

هيمنه تقدير آخر حاكم ووارد.

وأنما سمي محتوم لان أسباب وقوعه قد تكاملت وشارفت على الاكتمال بخلاف التقدير الذى لما تجمع أسباب وقوعه، لا يسمى تقديراً محتوماً وكذلك الحال بالنسبة للقضاء والقضاء المبرم، ومن ثم ورد عنهم: «فإن الدعاء... يرد البلاء وقد قدر وقضى ولم يبق إلا إمضاءه» (١)، وأن «الدعاء يرد القضاء بعدما أبرم أبراماً» (٢)، كما هو الحال فى قوم يونس (عليه السلام) عندما تحقق جملة من أسباب وقوع العذاب فى المحيط والبيئه خارجاً، حتى أن العذاب أظلمهم، أى قرب من أكنافهم إلا أنهم لما دعوا وتضرعوا وتابوا وأستكانوا كشف عنهم العذاب .

نعم البداء بكل مراتبه حتى الأعظم منه لا يتطرف إحتماله وإمكانه فيما وعد الله لأن الله تعالى لا يخلف الميعاد . كذلك الحال فيما أخبر الله (عز وجل) عنه من أمور مستقبلية تقع لاحقاً فإنه لا يتخلف ما أخبر عنه تعالى - وقد تقدم سابقاً شطر من الكلام فى ذلك فراجع -

### دروس تربويه فى البداء:

من جهة أخرى المعصوم (عليه السلام) يُربى المؤمنين علمياً وعملياً على كيفية التعاطى مع البداء، فعن الإمام أبى جعفر (عليه السلام)، قال: قلت: لهذا الأمر وقت؟.

فقال (عليه السلام) «كذب الوقاتون، كذب الوقاتون، إن موسى (عليه السلام) لما خرج وافداً إلى ربه، وأعدهم ثلاثين يوماً، فلما زاده الله على الثلاثين عشراً، قال قومه: قد أخلفنا موسى فصنعوا ما صنعوا، فإذا حدثناكم الحديث فجاء على ما

ص: ٢٩٠

١- (١) الكافى ج١/ ٤٧٠: ٢.

٢- (٢) نفس المصدر .

حدثناكم به فقولوا: صدق الله، وإذا حدثناكم الحديث فجاء على خلاف ما حدثناكم به فقولوا: صدق الله تؤجروا مرتين»(١).

وفى مُناظره الإمام الرضا(عليه السلام) مع سليمان المروزي: «لَقَدْ أَخْبَرَنِي أَبِي عَنْ آبَائِهِ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَوْحَى إِلَى نَبِيِّ مِنْ أَنْبِيَائِهِ أَنْ أَخْبِرَ فُلَانِ الْمَلِكِ: أَنِّي مِتُّ فِيهِ إِلَى كَذَا وَكَذَا فَأَتَاهُ ذَلِكَ النَّبِيُّ فَأَخْبَرَهُ فَدَعَا اللَّهُ الْمَلِكَ وَهُوَ عَلَى سَرِيرِهِ حَتَّى سَقَطَ مِنَ السَّرِيرِ، وَقَالَ: يَا رَبِّ اجْلِسْ حَتَّى يَشِبَّ طِفْلِي وَأَقْضِيَ أَمْرِي فَأَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى ذَلِكَ النَّبِيِّ أَنْ آتِ فُلَانًا فَأَعْلِمَهُ أَنِّي قَدْ أَنْسَيْتُ أَجْلَهُ وَزَدْتُ فِي عَمْرِهِ إِلَى خَمْسَةِ عَشْرَةِ سَنَةٍ.

فَقَالَ ذَلِكَ النَّبِيُّ: يَا رَبِّ إِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَكْذِبْ قَطُّ؛ فَأَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ: إِنَّمَا أَنْتَ عَبْدٌ مَأْمُورٌ فَأَبْلِغْهُ ذَلِكَ وَاللَّهُ لَا يَسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ»(٢).

وفى تفسير قوله تعالى: (يَسْئَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ) (٣) عَنْ الْإِمَامِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): عَنْ آبَائِهِ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) إِنَّهُ قَالَ: «إِنَّ النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) قَالَ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ) فَإِنَّ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَغْفِرَ ذَنْبًا وَيَفْرَجَ كَرْبًا وَيَرْفَعَ قَوْمًا وَيَضَعِ آخَرِينَ»(٤).

وعن سليمان الطلحي قال: قلت للإمام أبي جعفر(عليه السلام) أخبرني عما أخبرت به الرُّسُلُ عَنْ رَبِّهَا وَأَنْهَتْ ذَلِكَ إِلَى قَوْمِهَا أَيْكُونُ لِلَّهِ الْبَدَاءُ فِيهِ؟

قال:

ص: ٢٩١

١- (١) الكافي: ج ٣٦٨: ١.

٢- (٢) عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ج ١٨٢/١؛ بحار الأنوار: ج ٩٥/٤.

٣- (٣) سورة الرحمن: الآية ٢٩.

٤- (٤) البرهان: ج ٢٦٧/٤.

«أَمَا إِنِّي لَا أَقُولُ لَكَ إِنَّهُ يَفْعَلُ وَلَكِنْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَعَلٌ» (١).

وكذلك عَنْ أَبِي بصير عَنْ أَحدهما: «إِنَّ رَأْسَ المَهْدَى - العباسى يَهْدَى إِلَى موسى بن عيسى عَلَى طبق، قلت: فقد مات هَذَا وَهَذَا؟ قال: فقد قال الله (ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ) ، قال: كتبها لهم ثُمَّ محاهَا، ثُمَّ كتبها لأبنائهم فدخلوها والله يمحو ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب» (٢).

وأيضاً عَنْ ضريس الكناسى قال: كنت عِنْدَ الإمامِ أبى عبد الله (عليه السلام) وعنده أبو بصير، فقال أبو عبد الله (عليه السلام): «إِنَّ داود ورث علم الأنبياء، وَإِنَّ سليمان ورث داود، إِنَّ محمداً (صلى الله عليه وآله) ورث سليمان. وَإِنَّا ورثنا محمداً (صلى الله عليه وآله) وَإِنَّ عندنا صحف إبراهيم وألواح موسى، فقال أبو بصير: إِنَّ هَذَا لهو العلم فقال: يا أبا مُحَمَّدٍ لَيْسَ هَذَا هُوَ العلم، إِنَّمَا العلم ما يحدث بالليل والنهار يوماً بيوماً وساعة بساعة» (٣).

وعن الإمام أبى جعفر (عليه السلام) قال: «إِنَّ الله لَمْ يَدْعُ شيئاً كَانَ أَوْ يكون إِلَّا كتبه فى كتاب فَهُوَ موضوع بين يديه ينظر إليه، فما شاء منه قدم، وما شاء منه أخر، وما شاء منه محاه، وما شاء منه كَانَ وما لَمْ يشأْ لَمْ يكن» (٤).

ص: ٢٩٢

١- (١) بحار الأنوار: ج ١٢٢/٤؛ الأصول الستة عشر: ١١٠.

٢- (٢) المصدر والصفحة.

٣- (٣) الكافي: ج ١/٢٢٥.

٤- (٤) تفسير القمى: ج ٣٦: ١؛ بحار الأنوار: ج ٢٣٧: ٥.

هنا يحسن بنا تطبيق قواعد البحث السابق على مشروع السفيناني المستقبلي، بياناً لآفاق الاختيار والمسؤولية في ظل كونه من المحتوم، إلا أن حتميته لا تفلت من البداء ولم يكن تقريراً ضمن المباحث السابقه.

هناك روايات عديدة بينت أن نفس ظهور حركة السفيناني فيها بشاره حيث إنها علامه من علامات الفرج بظهور صاحب الأمر (عج) ونفس معنى أو عنوان (البشاره) فيه إشاره إلى إمكان البداء في حركة السفيناني تعجياً بالفرج. فعن هشام بن سالم، عن أبي عبدالله جعفر بن محمد (عليهما السلام) أنه قال: «إذا استولى السفيناني على الكور الخمس فعدوا له تسعه أشهر - وزعم هشام إن الكور الخمس: دمشق، وفلسطين، والأردن، وحمص وحلب»<sup>(١)</sup> ومن الواضح هنا إن السفيناني يملك الكور الخمس فتكون منها فلسطين، وهنا إشاره إلى إن إسرائيل قد تكون زائله وإلا فكيف يحكمها أو يسيطر عليها ومن غير المحتمل أن يكون هو الذي أسقطها.

ومن جهة أخرى تبين أن لبنان خارجه عن سيطره السفيناني. مما رواه

ص: ٢٩٣

---

١- (١) الغيبة للطوسي: ٤٥٠ عنه البحار: ج ٢١٥: ٥٢.

الصدوق ... بإسناده عن عبد الله بن أبي منصور البجلي قال: «سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن اسم السفيناني، فقال: وما تصنع باسمه إذا ملك كور الشام الخمس: دمشق، وحمص، وفلسطين والأردن وقنسرين فتوقعوا عند ذلك الفرج، قلت: يملك تسعة أشهر؟ قال لا ولكن يملك ثمانيه أشهر لا يزيد يوماً» (١).

إذن في هذه الروايات إشارات كثيرة لنصر المؤمنين رغم أنها تصوّر لنا شدّة البأس الذي يلقاه المؤمنون من السفيناني، فإنّ زوال إسرائيل بحدّ ذاته نصر عظيم وفرح كبير وفرح عظيم وبشاره كبرى، وحتّى قول الإمام (عليه السلام) إنّ السفيناني يملك ثمانيه أشهر هذا نصر آخر باعتبار أنّ قصر فتره حكمه كاشفه عن شدّة مقاومه المؤمنين لمشروعه، ولذلك الإمام (عليه السلام) يجعل الاستيلاء والسيطره على الكور الخمس بحدّ ذاته علامه ومؤشر لحصول النصر للمؤمنين، حيث يقول فتوقعوا الفرج، نعم هناك روايات ذكرت إنّ مُدّه ملكه تسعة أشهر، وبعضها (حمل جمل) (٢). فقد جاء عن عيسى بن أعين، عن أبي عبد الله (عليه السلام): «السفيناني من المحتوم وخروجه في رجب، ومن أوّل خروجه إلى آخره خمس عشر شهراً، ستة أشهر يقاتل فيها، فإذا ملك الكور الخمس ملك تسعة أشهر ولم يزد عليها يوماً» (٣). ولعلّ هذا التفاوت - الذي ذكرته الروايات - في مُدّه ملكه إشارة لجهه البداء الذي من أسبابه همّة المؤمنين الأبطال الغيارى في مواجهته.

ص: ٢٩٤

١- (١) الغيبة للنعماني: ٣١٦ ب ١٨ ح ١٣؛ بحار الأنوار: ج ٢٥٢: ٥٢ ح ١٤١.

٢- (٢) إكمال الدين: ج ٥٨٥: ٢.

٣- (٣) الغيبة، للنعماني: ٣١٠ ب ١٨ ح ١.

عن المغيرة بن سعيد، عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) أنه قال: «قال أمير المؤمنين (عليه السلام): إذا اختلف الرمحان بالشام لم تنجل إلما عن آيه من آيات الله، قيل وما هي يا أمير المؤمنين؟ قال: رجفه تكون بالشام يهلك فيها أكثر من مائه ألف يجعلها الله رحمه للمؤمنين وعذاباً على الكافرين، فإذا كان ذلك فانظروا إلى أصحاب البراذين الشهب المحذوفه، والرايات الصفر تقبل من المغرب حتى تحل الشام، وذلك عند الجزع الأ-كبر والموت الأ-حمر، فإذا كان ذلك فانظروا خسف قريه من دمشق يقال لها: حرستا، فإذا كان ذلك خرج ابن آكله الأكباد من الوادي اليابس حتى يستوى على منبر دمشق فإذا كان ذلك فانظروا خروج المهدي (عج)» [١].

ومن هذه الروايه يمكن استفاده من أمور عديده:

١) في هذه الروايه يبين أمير المؤمنين (عليه السلام) إن الاختلاف والصراع في الشام هو رحمه للمؤمنين وعذاب للكافرين، أي أن النصر للمؤمنين (إن شاء الله).

٢) إن الرايات الصفر الظاهر أنها كناية عن الغرب حيث يتدخلون بجيوشهم تدخلاً مباشراً بعد أن فشلت مخططاتهم في الشام من خلال إحداث الفتن بين أبناء الإسلام، وبعد أن تفشل مخططاتهم في استئصال أهل الحق.

٣) وقد يستظهر من الروايه إن السفيناني هو الخيار الأخير للغرب الكافر، وهو يأتي بعيد (فشلين) في مرحلتين مرحله الاقتال في الشام

ص: ٢٩٥

ومرحله التدخّل الغربى المباشِر وليس كما يتصوّر إنّه هو الذى يخوض المِعارِك فى الشام، بل هو يسيطر عليها بدعم مباشر من الغرب الكافر، بعد حروب طويله يسيطر على فلسطين فمن البعيد أنه هو الذى يزيل الكيان الصهيونى عنها؛ لأنّه حليف لهم ولعلّ فى ذلك إشاره - وبشاره - بسقوط إسرائيل قبل خروج السفينانى وزوال دولتها، فإذا ظهر سيطر عليها بعد سقوطها فحينها تقول الروايه. عنّ عبد الله بن جعفر ابن منصور البجلي، قال: سألت أبا عبد الله عن اسم السفينانى، فقال: وما تصنع باسمه إذا ملك كور الشام الخمس: دمشق، وحمص، وفلسطين والأردن وقنسرين فتوقعوا عند ذلك الفرج <sup>(١)</sup>. فكونه يسيطر على فلسطين يعنى إنّها خارجه عن سيطره إسرائيل وبالتالى هو نبوءه بسقوط إسرائيل وفشل المشروع الإسرائيلى الغربى فى المنطقه بجهود المؤمنين من أهل الحقّ، وكما قلنا هما فشلين فشل فى جعل المسلمين يأكل بعضهم بعضاً وفشل آخر بالتدخل العسكرى المباشر من قبل الغرب الكافر، حينها يخرجون صنيعتهم وورقتهم الرابعه - كما يتصورون - السفينانى.

### روايات (البداء) بلسان أنالسفينانى نغمه للمؤمنين:

عنّ مُحَمَّد بن مُسَلِّم قال، سمعت أبا جعفر الباقر (عليه السلام) يقول: «اتقوا الله واستعينوا على ما أنتم عليه بالورع والاجتهاد فى طاعه الله فأشد ما يكون أحدكم اغتباطاً، بما هو فيه من الدين لو قد صار فى حدّ الآخره، وانقطعت الدنيا عنه فإذا صار فى ذلك الحدّ عرف إنّهُ قد استقبل النعيم والكرامه من الله والبشرى بالجنه، وأمن ممّا كان يخاف، وأيقن إنّ الذى كان عليه هو الحقّ، وإنّ من خالف دينه على باطل، وإنه هالك فابشروا، ثمّ ابشروا بالذى تريدون،

ص: ٢٩٤

١- (١) إكمال الدين: ج ٢،: ٥٨٥ ح ١١.

أَلَسْتُمْ تَرِيدُونَ أَعْدَائِكُمْ يَقْتُلُونَ فِي مَعْصَى اللَّهِ وَيَقْتُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَلَى الدُّنْيَا دُونَكُمْ وَأَنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ آمِنُونَ فِي عِزْلِهِ عَنْهُمْ وَكَفَى السُّفْيَانِي نَقْمَهُ لَكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَهُوَ مِنَ الْعَلَامَاتِ لَكُمْ مَعَ إِنَّ الْفَاسِقَ لَوْ قَدْ خَرَجَ لِمَكْتَتَمِ شَهْرًا أَوْ شَهْرَيْنِ بَعْدَ خُرُوجِهِ لَمْ يَكُنْ عَلَيْكُمْ بِأَسْ حَتَّى يَقْتُلَ خَلْقًا كَثِيرًا دُونَكُمْ.

فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: فَكَيْفَ نَصْنَعُ بِالْعِيَالِ إِذَا كَانَ ذَلِكَ؟، قَالَ: يَتَعَيَّبُ الرِّجَالُ مِنْكُمْ عَنْهُ فَإِنَّ حَنْقَهُ وَشَرَّهُه (حَرْصَهُ) إِنَّمَا هِيَ عَلَى شِيعَتِنَا، وَأَمَّا النِّسَاءُ فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ بِأَسْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، قِيلَ: فَاذَنْ أَيْنَ مَخْرَجُ الرِّجَالِ وَيَهْرَبُونَ مِنْهُ؟ فَقَالَ: مَنْ أَرَادَ مِنْهُمْ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى الْمَدِينَةِ أَوْ إِلَى مَكَّةَ أَوْ إِلَى بَعْضِ الْبُلْدَانِ. ثُمَّ قَالَ: مَا تَصْنَعُونَ بِالْمَدِينَةِ وَإِنَّمَا يَقْصِدُ جَيْشُ الْفَاسِقِ إِلَيْهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمَكَّةَ فَإِنَّهَا مَجْمَعُكُمْ، وَإِنَّمَا فَتَنَتْهُ حَمَلُ امْرَأَةٍ تَسْعُهُ أَشْهُرًا لَا يَجُوزُهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ»(١).

وهذه الرواية أيضاً من روايات (البداء بلسان البشارة) حيثُ يُبَيِّنُ فِيهَا الْإِمَامَ الْبَاقِرَ (عَلَيْهِ السَّلَام) أَنَّ فِي فَتَنِ آخِرِ الزَّمَانِ رَحْمَهُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَبِشَارَهُ لَهُمْ، إِنَّهُمْ آمِنُونَ فِي بُيُوتِهِمْ وَأَعْدَائِهِمْ يَقْتُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، بَلْ هُوَ (عَلَيْهِ السَّلَام) يَجْعَلُ نَفْسَ السُّفْيَانِي الَّذِي فِيهِ مَا فِيهِ وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْهِ بِشَارَهُ لِأَنَّهُ نَقْمَهُ مِنَ الْأَعْدَاءِ، وَمَعَ ذَلِكَ الْإِمَامَ لَمْ يَنْكُرْ إِنَّهُ يَقْتُلُ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا، بِسَبَبِ تَخَاذُلِهِمْ أَيْ أَنَّهُمْ لَوْ لَمْ يَتَخَاذَلُوا لَكَفُو نَشَاطِهِ.

### الإعلام المزيف للسفياى:

الرواية المُتقدِّمه تبيِّنُ أَنَّ حَرْصَهُ عَلَى قَتْلِ رِجَالِ الشِّيعَةِ وَلَيْسَ عَلَى النِّسَاءِ وَالْأَطْفَالِ مِنْ بِأَسْ، وَقَدْ قَرَأْنَا إِنَّهُ يَبْقَرُ بَطُونَ الْحَوَامِلِ وَيَزْنِي بِالْمَرْأَةِ فِي

ص: ٢٩٧

وسط الطريق، فهل هناك مُنافاه أم هو بيان لشيء آخر.

فنقول: هذه الرواية هي بيان ما يعلنه من شعار وما يحاول أن يمارسه من أعمال، يحاول من خلالها بيان مدى التزامه بالإسلام وتعاليم النبي (صلى الله عليه وآله) حينما يكون أمام الملاء وأمام الرأي العام، أمّا الروايات الأخرى فهي تُبيّن واقعه وما يمارسه بشكل عام من قتل كُذّب مَنْ تبع أهل البيت (عليهم السلام) بل كَلَّ مَنْ يقف في طريقه وإنه لا تُبلّ عنده ولا تُخلق ولا إنسانيه، وكذلك تُبيّن بعض ممارساته التي لا يُريد إظهارها للإعلام والتي تكشف حقيقته وواقعه وتُبيّن زيف شعاراته.

فإذن بعض الروايات تشير إلى واقع وحقيقته الشّيفاني وبعضها تشير إلى الإعلام الذي ينشره الشّيفاني بين الناس، وبالتالي هي ترسم كلا الأمرين حتّى يتمكن المؤمن أن يحتمى من عدوّه، حيث يفهم إنَّ عدوّه بعيداً عن الإعلام كيف يكون فيتصرّف بحسب مُقتضى الحال، وإذا كان عدوه في العلن كيف يكون فيتصرّف بما يُناسب، ثمَّ إنَّ الرواية تُبيّن أين يكون هم الشّيفاني حتّى يلتفت المؤمن كيف وأين تكون نجاته منه.

وفى أمالي الطوسي عن هشام بن سالم، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام) وذكر الشّيفاني، فقال: «أمّا الرجال فتواري وجوهها عنه، وأمّا النساء فليس عليهن بأس» (١)(٢).

ص: ٢٩٨

١- (١) الأمالي للطوسي: ٦٦١؛ البحار: ج ٢٧٥: ٥٢.

٢- (٢) وهذه الروايات وروايات كثيرة لا تتعارض مع ضروره القيام المسؤوليه وأهميه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحمايه الدّين ضد الانحراف والباطل والضلاله، وهذه العناوين على الجملة من ضروريات الدّين ولا يمكن تركها وإهمالها فلا يُدّ أن يكون معنى التواري من الشّيفاني أو معنى الاختباء والاختفاء معانٍ عديده فنقول: (١) معنى أن تتواري الرجال منه، هو أن لا يكونوا صيداً سهلاً ويعطوا أنفسهم له، وهو تنبيه لضروره التدبير وجمع القوه وعلى التدابير والحيله لمواجهة الشّيفاني. (٢) قول الروايه «ليس على النساء بأس»، إشاره على إنَّ الشّيفاني لا يقتل النساء ولا يفجر بهنّ، كما هو في الروايات الأخرى فهل تكون هذه الروايه وأمثالها تعارض تلك، (كلا)، بل هو إشاره إلى أن الاستهداف المباشر للرجال، وأمّا النساء فالاستهداف لهنّ غير مباشر. (٣) الروايه حينما قالت: «ليس عليهنّ بأس» أي ليس عليهنّ بأس وشده بقدر البأس والشده (عليهما السلام) والمعلن والمقرر على الرجال، وليس هو عدم للبأس مُطلقاً من جهة أخرى إنَّ الرجال ينبغي أن تتواري ليس لمجرد حفظ النفس، بل لأجل نصر أكبر أي لا يكونوا صيداً سهلاً للاعتقال أو القتل، بل ليجمعوا قواهم لأجل نصر أكبر وليس - كما لعله يفهم البعض - هو الهروب والتفاعس وترك المسؤوليات، بل هي إشارات أمنيّه واستخباريه لتحمل المسؤوليه.

هذه الروايه وروايات أخرى كثيره هي في صدد المعالجه والإنقاذ والنجاه في البعد الفردي مع لسان روايات أخرى تتعرض لمقتضى القاعده الأوليه من تحمل المسؤوليه في البعد الجماعي من تشكيل مقاومات ومجاميع مواجهه مع مشروع السفيناني وأن التخاذل عن هذه المسؤوليات عصيان كبير، وهذا ما يظهر من الروايه في عقد الدرر: «ثم يدخل الكوفه فيصير أهلها ثلاث فرق، فرقه تلحق به وهم أشر خلق الله وفرقه تقاتله وهم عند الله

شهداء، وفرقه تلحق بالأعراب وهم العصاه ... فيبلغ الخبر أهل البصره فيركبون إليهم في البر والبحر فيستنقذون أولئك النساء من أيديهم»(١). وهذه الروايه حاكم ومحكم على الروايه المتقدمه وبقيه المتشابهات.

### الخسف عنوان للبداء في حركة السفياني:

نقل (النقاش المقرئ) في تفسير قوله تعالى: «ولو ترى...»(٢)، روايه ثم يدخل الكوفه فيصير أهلها ثلاث فرق، فرقه تلحق به وهم أشرف خلق الله تعالى، وفرقه تقاتله وهم عند الله شهداء، وفرقه تلحق الأعراب وهم العصاه، ثم يغلب على الكوفه فيفتض أصحابه ثلاثين ألف عذراء، فإذا أصبحوا كشفوا شعورهن، وأقاموهن في السوق يبيعهن فعند ذلك كم من لاطمه خدّها كاشفه شعرها بدجله أو على شاطئ الفرات، فيبلغ الخبر أهل البصره، فيركبون إليهم في البر والبحر، فيستنقذون أولئك النساء من أيديهم، فيصير أصحاب السفياني ثلاث فرق، فرقه تسيروا نحو الرى، وفرقه تبقى في الكوفه وفرقه تأتي المدينه وعليهم رجل من بنى زهره، فيحاصرون فيقبلون جميعاً، فيقتل بالمدينه مقتله عظيمه حتى يبلغ الدم الرأس المقطوع ويقتل رجل من أهل بيت النبى (صلى الله عليه وآله) وامرأه، واسم الرّجل مُحَمَّد، ويُقال اسمه على، والمرأه فاطمه فيصلبونهما عراه فعند ذلك يشتد غضب الله تعالى عليهم، ويبلغ الخبر إلى ولى الله تعالى، فيخرج من قريه من قري جرش (حرش) في ثلاثين رجلاً فيبلغ المؤمنين خروجه، فيأتونه من كل أرض يحنون إليه كما تحن الناقه إلى فصيلها فيجىء فيدخل مكة فتقام الصلاه

ص: ٣٠٠

١- (١) عقد الدرر: ٧٦: ب ٤ ف ٢.

٢- (٢) سورة سبأ: الآيه ٥١.

يقولون: تقدّم يا ولي الله فيقول: لا أفعل أنتم الذين نكثتم وغدرتم فيصلى بهم (عليهم) رجل، ثمّ يتداعون عليه بالبيعه تداعى الإبل اليهم يوم ورودها حياضها، فيبايعونه، فإذا أفرغ من البيعه تبعه الناس ثمّ يبعث خيلاً إلى المدينة عليهم رجل من أهل بيته ليقاتل الزهري فيقتل من كلا الفريقين مقتله عظيمه، ثمّ يرزق الله تعالى وليه الظفر فيقتل الزهري، ويقتل أصحابه، فالخائب يومئذ من خاب من غنيمه كلب ولو بعقال فإذا بلغ الخبر الشّفياني خرج من الكوفة في سبعين ألفاً حتّى بلغ البيداء وعسكر بها، وهو يريد قتال ولي الله، وخراب بيت الله فينما هم كذلك بالبيداء إذ نفر فرس لرجل من العسكر فيخرج الرّجل في طلبه وبعث اليه جبرائيل فضرب الأرض برجله ضربه، فيخسف الله تعالى بالشّفياني وأصحابه، ويرجع الرّجل ليقود فرسه، فيستقبله جبرائيل (عليه السلام) فيقول: ما هذه الضّجّة في العسكر؟ فيضربه جبرائيل (عليه السلام) بجناحه فيحول وجهه مكان القفا ثمّ يمشى القهقري فهذه الآية نزلت فيهم (وَلَوْ تَرَى إِذِ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ) (١)(٢)».

هذه روايه بيّنت جوانب عديده من حركة الشّفياني يمكن الإشارة إلى بعضها:

(١) يجب تحمّل المسؤوليه أمام حركة الشّفياني؛ لأنّ الروايه وصفت الفرقة التي تواجه حركة الشّفياني بأنّ أصحابها شهداء وفي طريق الحقّ الصحيح، ووصفت الفرقة التي تهرب للأعراب بأنّ تكون عصاه ووصفت الفرقة التي تلحق بأنّها أشر الخلق، وهذا بحدّ ذاته ليس وصفاً لما

ص: ٣٠١

١- (١) سورة سبأ: الآية ٥١.

٢- (٢) عقد الدرر: ٧٦ ب ٤ ف ٢؛ والإمام أبو بكر مُحمّد بن الحسن النقّاش المُقرى في تفسيره.

يحدث وليس هُوَ إخبار بحدوث تاريخه فإنه ليس من دأب المعصوم (عليه السلام) أن يكون قصاصاً، بل هُوَ إشارة إلى مسؤوليه المؤمن في عصر الغيبة وضروره القيام بالمسؤوليه الدينيه؛ ولذلك الروايه صَنَّفَت المواجهين للشُّفِيَانِي مِنْ حيث القيام بالمسؤوليه إلى أصناف عديده.

إذْ الن روابه تحذّر المؤمن إياك أن تكون من الفرقة الأولى التي تلحق به؛ لأنها شرّ الخلق ولذلك تحذر من يترك المسؤوليه - ليس من ينحرف فقط - ويلحق بالأعراب وتمدح الفرقة التي تواجهه وتقول إن أصحابها شهداء.

(٢) إن هذه الروايه تشير إلى مسأله البداء ولكن ليس بالصراحه وبصوره مباشره، بل بالإشاره إلى أن نفس القيام بالمسؤوليه سوف يقلل من النشاط المتزايد للشُّفِيَانِي ويكفكف من توسعته فمثلاً حينما تقول: «فرقه تقاتله وهى عند الله شهداء» إشاره إلى صدّ المؤمنين لتحركاته، كذلك حينما تقول الروايه: «فيلغ الخبر أهل البصره، فيركبون إليهم فى البر والبحر، فيستنقذون أولئك النسوه من أيديهم»، فليس معنى الحتميه فى حركة الشُّفِيَانِي هُوَ الحتم الجبرى أو القسرى، الذى يؤدى إلى ترك المسؤوليات وترك المواجهه - كما بينا ذلك - .

هناك روايات عديدة أشارت إلى أنّ الوظيفة الأولى للمؤمنين هي المقاومة:

روى النقاش المقرئ في تفسير قوله تعالى: (وَلَوْ تَرَىٰ إِذِذْ فَزَعُوا فَلَا قُوَّةَ وَ أَخَذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ) (١).

«ثمّ يدخُل الكوفة فيصير أهلها ثلاث فرق فرقه تلتحق به، وهم أشْر خلق الله وفرقه تقاتله وهم عند الله شهداء، وفرقه تلتحق الأعراب وهم العصاة، ثمّ يغلب على الكوفة فيفتض أصحابه ثلاثين ألف عذراء، فإذا أصبحوا كشفوا شعورهنّ، وأقاموهنّ في السوق يبيعهن فعند ذلك كم من لاطمه خدّها كاشفه شعرها، بدجله أو على شاطئ الفرات، فيبلغ الخبر أهل البصرة، فيركبون إليهم في البر والبحر فيستنقذون أولئك النسوة من أيديهم، فيصير أصحاب السُفّيانى ثلاث فرق، فرقه تسير نحو الرى، وفرقه تبقى في الكوفة، وفرقه تأتي المدينة، وعليهم رجل من بنى زهره...» (٢).

وفي الرواية مواضع دالة على أنّ الوظيفة الأولى والمسؤولية هي المقاومة والمواجهه لمشروع السُفّيانى؛ وذلك عند قوله: «فيصير أهلها ثلاث فرق؛ فرقه تلتحق به وهي أشْر خلق الله» وهو يشير إلى حرمة الانقياد والذوبان مع

ص: ٣٠٣

١- (١) سورة سبأ: الآية ٥١.

٢- (٢) عقد الدرر: ٧٦ ب ٤ ف ٢ / وذكره أيضاً أبو بكر مُحَمَّد بن على النقاش في تفسيره في تفسير الآية (إذ فزعوا) من سورة سبأ.

مشروعه لأنه يوجب الخسران الأبدي ومقتضاه لزوم مقاومته.

ثمّ قوله (عليه السلام): «وفرقه تقاتله وهم عند الله شهداء»: في هذا البيان منه (عليه السلام) دلالة على أنّ القاعده الأوليه والوظيفه والمسؤوليه هي مقاومه مشروعه ومواجهته بلغ ما بلغ ولا-ريب إن هذه الوظيفه ليست مقرره قبل دخوله الكوفه أيضاً من كلّ البلدان حتّى في الشام لأنّ مشروعه كما مرّ إباده للدين باسم الدّين كما هي شاكله النهج الأموى وقوله (عليه السلام): «وفرقه تلحق الأعراب وهم العصاه» وهذا أيضاً بيان منه (عليه السلام) إلى أنّ ترك مقاومه السّفياني والتخاذل عن هذه المسئوله والاهتمام بنجاه النفس معصيه كبيره جداً.

ووجه الدلالة على إنّها كبيره أنّ هذا العنوان (العصاه) والتوصيف قد وردَ نظيره في الذين خالفوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) في مواطن، نظير ما وردَ في الصوم في السفر من جماعه كانوا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) وبقوا صياماً سمّاهم النّبي (صلى الله عليه وآله) العُصاه وبقى ذلك الوصف عليهم.

وقوله (عليه السلام): «ثمّ يغلب على الكوفه» أيضاً دالّ على أنّه ستكوّن مقاومه قويه من المؤمنين ولا يسيطر بسهولة من دون تلك المعمارك وكما لا- يخفى إنّ الكوفه ليس المقصود منها خصوص مدينه الكوفه، بل الفرات الأوسط كلّهُ إلى قرب بغداد وفيها دلالة على أنّ الوظيفه هي مقاومته ومواجهته العسكريه وإذا كانت الوظيفه هي ذلك فاللازم على المؤمن إعداد العِدّه في كلّ العراق، بل الشام وليس في الكوفه فقط لأنّ الفتنه إنّما تخمد وتوآد في

مهدها أصلح وأنجع، وهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مَا قَدَّمْنَاهُ مِنْ تَفْسِيرِ «كُنْ حَلَسًا مِنْ أَحْلَاسِ بِيوتِكَ» (١) إِنَّمَا هُوَ التَّزَامُ مِنْهَا جِ أَهْلِ الْبَيْتِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) وَالْبَقَاءُ وَالثَّبَاتُ عَلَيْهِ لَا الْهَرُوبُ مِنَ الْمَسْئُولِيَةِ الْعَامَّةِ.

وقوله (عليه السلام): «فيلغ الخبر أهل البصره فيركبون إليهم في البر والبحر فيستنقذون أولئك النسوة من أيديهم فيصير أصحاب الشفيعاني ثلاث فرق...».

دَالٌّ هُوَ الْآخِرُ عَلَى أَنَّ الْمَسْئُولِيَةَ هِيَ التَّعَبُّهُ وَالْمُقَاوِمَةُ فِي مَجَامِعِ ضِدِّ عَسْكَرِ الشُّفِيَانِي، وَدَالٌّ أَيْضًا أَنَّهُ يَلْقَى مُقَاوِمَةً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَتَصْيِيهِ إِخْفَاقَاتٍ عَدِيدَةٍ، وَهَذِهِ الظَّاهِرَةُ مُتَكَرِّرَةٌ فِي الرِّوَايَاتِ وَهِيَ: إِنَّ سَيْطِرَهُ جَيْشِ الشُّفِيَانِي عَلَى كُلِّ مَنْطِقَةٍ يَسِيْطِرُ عَلَيْهَا، لَا تَبْقَى ثَابِتَةٌ بَلْ دَوْمًا بَيْنَ كَرْ وَفَرْ، بَلْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَدَنِ يَكُونُ الْفِرَارُ لِأَصْحَابِهِ وَانْحِسَارٌ مِنْ دُونِ كَرٍّ، أَشْبَهَ مَا يَرَى حَالِيًا فِي اقْتِتَالِ سُورِيَا أَوْ الْبُلْدَانِ الَّتِي سَيْطَرَتْ عَلَيْهَا الْقَاعِدَةُ كَالصُّومَاتِ وَأَفْغَانِسْتَانَ. وَلَا يَخْفَى إِنَّ الْمُرَادَ مِنَ الْبَصْرَةِ لَيْسَ خُصُوصَ الْبَصْرَةِ، بَلْ مَدَنَ الْجَنُوبِ كَمَا هُوَ الْإِطْلَاقُ التَّارِيخِيُّ فِي ذَلِكَ الْأَوَانِ.

وقوله (عليه السلام): «فيصير أصحاب الشفيعاني ثلاث فرق»: يدلُّ عَلَى أَنَّ جِيُوبَ الْمُقَاوِمَةِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ تُضْعَفُ عَمَقَ السَيْطِرَةِ بِجَيْشِ الشُّفِيَانِي وَتَبَدُّدِ قَوَاهِ.

الرَّوَايَةُ الثَّانِيَةُ: «وَتَهْرُبُ خَيْلُ السُّفِيَانِي».

عَيْنُ عَلِيٍّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): «إِذَا خَرَجَتْ خَيْلُ الشُّفِيَانِي إِلَى الْكُوفَةِ، بَعَثَ فِي طَلَبِ أَهْلِ خِرَاسَانَ وَيُخْرِجُ أَهْلَ خِرَاسَانَ فِي طَلَبِ الْمَهْدِيِّ فَيَلْتَقِي هُوَ وَالْهَاشِمِيُّ بِرَايَاتِ سُوْدٍ، عَلَى مُقَدَّمَتِهِ شَعِيبُ بْنُ صَالِحٍ، فَيَلْتَقِي هُوَ وَالشُّفِيَانِي بِبَابِ اصْطَخْرِ

ص: ٣٠٥

١- (١) كنز العمال: ج ٢١٤: ١١.

فتكون ملحمة عظيمه، فتظهر الرايات السود وتهرب خيل السُفياني فعند ذلك يتمنى الناس المهدي ويطلبونه»(١).

وموضع الشاهد من الروايه هي:

قوله(عليه السلام): «إذا خرجت خيل السُفياني إلى الكوفه، بعث في طلب أهل خراسان ويخرج أهل خراسان في طلب المهدي فيلتقى هو والهاشمي برايات سود، ... فيلتقى هو والسُفياني بباب اصطرخ فتكون ملحمة عظيمه».

وهذا المقطع يشير إلى شدّه مقاومه جيش السُفياني بباب اصطرخ وهي نقطه التقاء جيش السُفياني مع الحسنى أو الهاشمى وهي نقطه التقاء محافظه خوزستان ومحافظه أصفهان، فتكون نهاوند ثانيه، إلّا أنّ هذه المره تكون الهزيمة لجيش السُفياني، وهذه الروايه تظهر إنّ إنكسار جيش السُفياني فى هذه الملحمة تكسر شوكة السُفياني؛ لقوله(عليه السلام): «فعند ذلك يتمنى الناس المهدي ويطلبونه». وهى ما تشير إليه الروايه الأخرى التى منها هَذَا المقطع «بقتل كُلِّ مَنْ اسمه مُحَمَّدٌ وعلى وحسن وحسين وفاطمه وجعفر وموسى وزينب وخديجه ورقيه بَغْضاً وحقداً لآل مُحَمَّد(صلى الله عليه و آله)، وذلك لما يصنع الهاشمى الذى يخرج على أصحابه من المشرق ويقول - السُفياني - ما هذا البلاء كُلّه وقتل أصحابى إلّا من قبلهم - بنى هاشم -».

الروايه الثالثه: «السُفياني يفشل فى البصره»

فى إلزام الناصب (فى ذيل خطبه البيان): «... فىأتى البصره فيقتل

ص: ٣٠٦

---

١- (١) كنز العمال: ج ١٤، ٥٨٨، ج ٣٩٦٦٧؛ إلزام الناصب: ج ١٧٣: ٢.

ساداتها ويسبى حريمها فإنى لأعرف كم وقعه تحدث بها وبغيرها وتكون بها وقعات بين تلول وأكام فيقتل بها اسم ويتعبد بها صنم ... ألا- وإنَّ السُّفْيَانِيَّ يَدْخُلُ الْبَصْرَةَ ثَلَاثَ دَخَلَاتٍ يَذُلُّ الْعَزِيزَ وَيَسْبِي فِيهَا الْحَرِيمَ»<sup>(١)</sup>. وكذلك في نفس المصدر عن علي (عليه السلام): «ألا وإنَّ السُّفْيَانِيَّ يَدْخُلُ الْبَصْرَةَ ثَلَاثَ دَخَلَاتٍ يَذُلُّ الْعَزِيزَ وَيَسْبِي فِيهَا الْحَرِيمَ، أَلَا يَا وَيْلَ الْمُؤْتَفِكَةِ وَمَا يَحِلُّ مِنْ سَيْفٍ مَسْلُوقٍ وَقَتِيلٍ مَجْذُولٍ وَحَرَمِهِ مَهْتُوكِهِ...».

وتدلُّ هاتان الروايتان على أنَّ السُّفْيَانِيَّ يُلاقِي مُقَاوِمَهُ مَجَامِعَ مُؤْمِنِهِ فَلَا تَسْتَتِبُ لَهُ السَّيْطْرَةُ الْمَنَاطِقَ الَّتِي يَسِيْطِرُ عَلَيْهَا، بَلْ يَكُونُ هُنَاكَ كَرْوَةً وَفَرْوَةً، وَهَذَا يُعْطِي اسْتِرَاطِيَجِيَّهَ ثَانِيَهُ وَهُوَ الرِّفْعُ بَعْدَ الاسْتِرَاطِيَجِيَّهِ الْأَوَّلِيِّ الَّتِي هِيَ الدَّفْعُ أَيْ دَفْعُ سَيْطَرَتِهِ قَبْلَ السَّيْطْرَةِ. فَكَلَّا الاسْتِرَاطِيَجِيَّتَيْنِ دَالَّتَانِ عَلَى لُزُومِ شِدَّةِ الْمَقَاوِمَةِ وَصَلَابَتِهَا حَدُوثًا وَبِقَاءًا، وَفِي كُلِّ الظُّرُوفِ، وَأَنْ لَا تَهْدَأَ مَجَامِعُ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ الْمُقَاوِمَةِ حَتَّى لَوْ تَحَقَّقَ لَجَيْشِ السُّفْيَانِيَّ سَيْطْرَهُ نَسْبِيَهُ فِي بَعْضِ الْمَنَاطِقِ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَعْنِي بَقَاءَ تِلْكَ السَّيْطْرَةِ وَالْقُدْرَةَ لَهُ عَلَى تِلْكَ الْمَنَاطِقِ عَلَى دَرَجَةٍ وَوَتِيرَةٍ وَاحِدَةٍ، بَلْ بِالْإِمْكَانِ إِضْعَافُهَا وَإِزَالَتِهَا، وَهَذِهِ الدَّلَالَةُ نَجْدُهَا فِي رَوَايَاتٍ كَثِيرَةٍ دَالَّةٌ عَلَى هَشَاشَتِهِ بَقَاءَ سَيْطْرِهِ السُّفْيَانِيَّ فِيمَا يَسِيْطِرُ عَلَيْهِ مِنْ مَنَاطِقٍ، وَهَذَا مِفْتَاحُ أَمَلِ لِبَقَاءِ وَمَسْئُولِيَةِ الْمَقَاوِمَةِ وَالْمُوَاجَهَةِ لِمَشْرُوعِهِ.

الرواية الرَّابِعَةُ: «السُّفْيَانِيَّ ضَعِيفٌ فِي عَاصِمَتِهِ»:

عَنْهُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): «إِذَا بَعَثَ السُّفْيَانِيَّ جَيْشًا فَخَسَفَ بِهِمُ الْبِيْدَاءَ وَبَلَغَ ذَلِكَ أَهْلَ الشَّامِ قَالُوا لِخَلِيفَتِهِ: قَدْ خَرَجَ الْمَهْدِيُّ فَبَايَعَهُ وَادْخَلَ فِي طَاعَتِهِ وَإِلَّا

ص: ٣٠٧

قتلناك فيرسل إليه بالبيعة ويسير المهدي حتى ينزل بيت المقدس...»(١).

وهذه الروايات تشير إلى هشاشه سيطره السُفياني وقاعدته حتى في عاصمه دولته فضلاً عن بقية المناطق التي يحاول السيطرة عليها فإنّ تزلزل سيطرته ونفوذه فيها أضعف بكثير حتى بعد سيطرته، وهذا ما أكدنا عليه من وجود دلالة في كثير من الروايات إنّ مشروعه وإن كان في بدو الصخب العسكري له مرعب إلا أنه هشّ ثباتاً، ويتزلزل بسرعه ومسارعه؛ لأنّ طبيعه تمدده وتوسعه من قبيل فوره سرعان ما تتبدد فقاعتها.

الروايه الخامسه: «أهل مكّه يقومون بواجبهم».

عن كعب الأحرار: «... وإذا خرج السُفياني ... ويكثر القتل في الدنيا، فعند ذلك يجتمعون (كذا) أهل مكه إلى السُفياني يخوفونه عقوبه الله عزّ وجلّ فيأمر بقتلهم وقتل العلماء والزهاد في جميع الآفاق. فعند ذلك يجتمعون إلى رجل من قريش له اتصال برسول الله (صلى الله عليه وآله) لهلاك السُفياني ويتصل بمكه، ويكونون على عدد أهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، ثمّ تجتمع إليه المؤمنون عدد أهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ثمّ تجتمع إليه المؤمنون وينكسف القمر ثلاث ليالي متواليات. ثمّ يظهر المهدي بمكه...»(٢).

وفي هذه الروايه إشاره إلى أنّ أهل مكه ضدّ السُفياني وإنّ أغلب أهلها يقومون بمسؤوليه التصديّ لحركه السُفياني، حيث إنّهم يأتونه ويتكلمون بكلمه الحقّ عند السُفياني (الجائر) وينذرونه من عقوبه الله، بل إنّ الهاشميين في مكه والمدينه يقاتلون جيش السُفياني ويهزمون شرّ هزيمه، فعن حنش بن

ص: ٣٠٨

١- (١) كنز العمال: ج ٥٨٩: ١٤ ح ٣٩٦٦٩.

٢- (٢) عقد الدرر: ١٥ ب- ٤ ف ٢.

عبدالله سمع ابن عباس (رضى الله عنه) يقول: «يبعث صاحب المدينة إلى الهاشميين بمكّه جيشاً فيهمزموهم فيسمع بذلك الخليفة بالشام فيقطع إليهم بعثاً فيهم ستمائه عريف فإذا أتوا البيداء فنزلوها في ليله مُقمره أقبّل راعى ينظر إليهم ويعجب ... فينصرف إلى غنمه ثم يرجع فلا يرى أحداً فإذا هم قد خسف بهم...» (١).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): «يَخْرُجُ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: السُّفْيَانِيُّ فِي عَمَقِ دِمَشْقَ، وَعَامَّهُ مَنْ يَتَّبِعُهُ مِنْ كَلْبٍ، فَيَقْتُلُ حَتَّى يَبْقُرَ بَطُونَ النِّسَاءِ، وَيَقْتُلُ الصَّبِيَانَ، فَتَجْمَعُ لَهُمْ قَيْسٌ فَيَقْتُلُهَا حَتَّى لَا يَمْنَعُ ذَنْبٌ تَلْعَهُ، وَيَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي فِي الْحَرَّةِ فَيَبْلُغُ السُّفْيَانِيَّ، فَيَبِيعُ إِلَيْهِ جُنْدًا مِنْ جُنْدِهِ فَيَهْزِمُهُمْ، فَيَسِيرُ إِلَيْهِ السُّفْيَانِيُّ بِمَنْ مَعَهُ حَتَّى إِذَا صَارَ بِبَيْدَاءٍ مِنَ الْأَرْضِ خَسَفَ بِهِمْ، فَلَا يَنْجُو مِنْهُمْ إِلَّا الْمُخْبِرُ عَنْهُمْ» (٢).

والعبارة المُهمّة التي تهّم في هذا المجال: «ويخرج رجل من أهل بيتي في الحرّة فيبلغ السُفياني، فيبعث إليه جنداً من جنده فيهمزموهم» وهي دالّة على أنّ المسؤوليه والفريضه لا تسقط عن بلد من البلدان فالكُلّ مسؤول ومُكلّف بالدّفاع عن حرّات الدّين حيث يستهدفه التّعدي عليها مشروع السُفياني لا أنّه يرفض بالتخاذل والتخلّي والهروب عن المسؤوليه.

الروايه السّادسه: «بطوله أهل الكوفه»:

في تفسير الطبري: حدثنا عصام بن رُوْد بن الجراح قال: ثنا أبي

ص: ٣٠٩

١- (١) الفتن لابن حمّاد: ج ١ ص ٣٢٧ ح ٩٣٤.

٢- (٢) مُستدرّك الحاكم: ج ٢٥٠: ٤، برهان المتقى عن مُستدرّك الحاكم: ١١٣ ب- ٤ ف ٢ ج ١.

قال: ثنا سفيان بن سعيد قال: ثنى منصور بن المعتمر عن ربي بن جراش قال: سمعت حذيفة بن اليمان يقول: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) - وذكر فتنه تكون بين أهل المشرق والمغرب - قال: «فبينما هم كذلك إذ خرج عليهم السفياني من الوادي اليابس ... ثم ينحدرون إلى الكوفة فيخربون ما حولها، ثم يخرجون متوجهين إلى الشام فتخرج رايه هدى من الكوفة فتلحق ذلك الجيش منها على الفئتين فيقتلونهم فلا يفلت منهم مخبر ويستنفذون ما في أيديهم من السبي والغنائم ... (ويحل) جيشه التالي بالمدينة ... يخسف الله بهم فذلك قوله في سورة سبأ: (وَلَوْ تَرَى إِذِ فِرْعَوْنُ فَلَا فَوْتَ ) الآية ...» (١).

وهذه الرواية بهذا المضمون وردت من طرق عديدة مع تغيير في بعض عباراتها وكلها مع ذلك التغيير أوردت لتفسير الآية الكريمة المتقدمه - في تفاسير العامه - وهذه الرواية أيضاً أوردتها مجمع البيان (٢) مرسلاً عن حذيفة بن اليمان وبنفس هذا المضمون وردت روايات كثيرة عن الباقر والصادق (عليهما السلام) .. والذي يهمننا من الرواية عبارتان:

الأولى: «فينحدرون إلى الكوفة فيخربون ما حولها، ثم يخرجون متوجهين إلى الشام».

الثانية: «فتخرج رايه هدى من الكوفة، فتلحق ذلك الجيش منها على الفئتين، فيقتلونهم فلا يفلت منهم مخبر».

ص: ٣١٠

---

١- (١) تفسير الطبري: ج ٢٢، ص ٧٢؛ عقد الدرر: ١١٠ ب- ٤ ف ٢ عن الثعلبي.

٢- (٢) مجمع البيان: ج ٤ ص ٣٩٨، وقال أورده الثعلبي في تفسيره، وروى أصحابنا في أحاديث المهدي عن أبي عبدالله وأبي جعفر (عليهما السلام) مثله.

والعبارة الأولى تدلّ بظاهرها على انكسار جيش السُفياني في العراق قبل دخوله الكوفة، بل ظاهر الرواية إنه ينكفي راجعاً إلى الشام فضلاً عن أن يتوجه إلى المدينة ولا تنافي بين مفاد هذه الرواية وكثير من الروايات الأخرى الدالة على دخول جيش السُفياني الكوفة وتوجهه بعيد ذلك إلى المدينة والبصرة وغيرها كخراسان ووجه عدم المنافاه. إنه تحمل هذه الروايات على اختلاف المقادير والقدر توجه مصير جيش ومشروع السُفياني بحسب تحمّل وقيام المؤمنين بمسؤولياتهم فبقدر ما يقومون به من أداء المسؤولية والواجب، فبقدر ذلك يحصل إخفاق في مشروع السُفياني وإن الإخفاق في مشروعه مُقدّر على تقادير مُختلفة ففي بعضها إنه لا يظفر بعَد الشام إلّا بشمال العراق ثم ينكفي، وفي بعضها بالكوفة فينكفي، ويتجه للمدينة بمقاومه أهل البصرة وجنوب العراق وفي بعضها إلى باب اصطخر أي أصفهان فينكفي ويكسر جيشه وفي بعضها إلى شيراز، وهذه كلها لا تضارب بينها وإنما تُبين مقادير مُختلفة لما يرم الوقوع على أحدها وتنبه على ضروره القيام بالمسؤولية وتحملها وحسن تدبير أدائها بظننه وإن المجال والباب للمقاومه وصدّ مشروع السُفياني على مصراعيه أمام خيارات مُتعدّده.

من جهة أخرى تنصيص وفيه (البداء) يأخذ مساحات مُتحركة وليست جامده ولفظ البداء مفاده إن التقدير مُتحرك غير جامد على حدّ ومدى واحد، إذن فروايتان من روايات البداء في السُفياني حاكمه على طوائف الروايات ومُفسّره لوجه الاختلاف. كما هو الحال في قضية قوم يونس (عليه السلام) أخبره الله بعدابهم ثم بعدما تضرّعوا بدا فيهم وكذلك قوم نوح (عليه السلام)، حيث

حصل فيهم البداء مرّات كثيره قبل زمن حصول الطوفان.

وأما العبارة الثانيه: «فتخرج رايه هدى من الكوفه...»:

فهي صريحه في أنّ أهل الكوفه أو أهل الفرات الأوسط عموماً إذا قاوموا جيش السُفياني قبل وصوله إلى المدينه أو مناطق أخرى ولا تقوم له قائمه، كما تُبين هذه الروايات إنّ الدّفاع عن القباب المُقدسه لا يتمّ عند حدود مُدينها، بل الدّفاع الضامن لأمنها هو بالتقدّم لمواجهه السُفياني في عقر داره، بل إنّ الدّفاع عن الحرمين الشريفين؛ بيت الله الحرام ومسجد وقبر النّبي (صلى الله عليه وآله) وقبر فاطمه الزهراء (عليها السلام) وقبور أئمه البقيع (عليهم السلام) إنّما يتمّ بمقاومه وكسر جيشه في العراق والشام لا بفتح المجال له لينفلت ويتقدّم باتجاه الحجاز ليهتك الحُرّمات وليهدم المُقدسات.

ص: ٣١٢

وحتى أنّ خاتمه السُفياني قابله للبداء ويمكن هنا أن نُورد عدّه مقاطع من عدّه روايات تُشير إلى أنّ خاتمه السُفياني بالقتل مُردّده بين عدّه أماكن، ممّا يدلُّ على إنّ إمكان البداء حتى في مكان قتله وبالتالي هو يُشير إلى ضيق أو سعه حركته، فيبقى أمر السُفياني في تفاصيل حركته قابل للبداء، فتتضيق حركته وتقهر في عقر دارها إذا قام المؤمنون بمسؤولياتهم، ففي الروايه عن النَّبي (صلى الله عليه و آله) قال: «لتركنَّ المدينه أحسن ما كانت حتى يجيء الكلب فيشعر على ساريه المسجد ... ثمّ تسير خيل السُفياني تُريد مكه ... فيخسف بهم ... ويأتي البشير المهدي وهو بمكه فيخرج معه اثنا عشر ألفاً فهم الأبدال والأعلام حتى يأتي المباء (المياه) فيأسر السُفياني ويغير على كلب ...»(١).

وعن مُحَمَّد بن علي (عليهما السلام)، قال: «إذا سمع العائد الذي بمكه بالخسف خرج مع اثني عشر ألفاً فيهم الأبدال حتى ينزلوا إيليا ... ويؤدى إليه السُفياني الطاعه ثمّ يخرج ... فيأتيه إلى إيليا، فيقول: أقلني فيقول: إنني غير فاعل ... فيأمر به عند ذلك فيذبح على بلاطه إيليا ...»(٢).

وكذلك عن جرّاح عن أرطاه، قال: «يدخل الصخرى الكوفه ....

ص: ٣١٣

١- (١) البدء والتاريخ: ج ١٧٨: ٢ - ١٧٩.

٢- (٢) الفتن لأبي حمّاد: ج ١، ٣٧٤ ج ٢١٠٠٢؛ برهان المتقى: ١٢٣ ب-٤ ف ٢ ج ٣٢ عن الفتن. \* الصخرى هو (السُفياني) نسبه إلى صخر جد بني أميه.

فإذا تصافت الخيلان ولّت كلب أديارها وأخذ الصخرى فيذبح على الصفا المُعترضه على وجه الأرض عند الكنيسة التي في بطن الوادي....»(١).

وأيضاً عن أبي هريره عن النبي (صلى الله عليه وآله): «إنَّ المهدي والسُّفَياني وكلبا يقتتلون في بيت المُقدَّس حين يستقبله البيعه فيؤتى بالسُّفَياني أسيراً فيأمر به، فيذبح على باب الرحبه، ثم تُباع نساؤهم على درج دمشق»(٢).

وهذه الروايات الأربعة - التي ذكرنا منها موضع الشاهد - يتضح منها الاختلاف في كيفية خاتمه السُّفَياني وهو إشارة لإمكان البداء فيها.

ص: ٣١٤

---

١- (١) عرف السُّيوطي، الحاوي: ج ٢، عن ابن حمّاد؛ برهان المتقي: ١٢٥ - ١٢٦ ب- ٤ ف ٢ ج ٣٥.

٢- (٢) مسند أحمد: ج ٣٥٦: ٢؛ مُستدرک الحاكم: ج ٤٣١: ٤؛ عقد الدرر: ١٢٠ ب- ٤ ف ٢ عن مُستدرک الحاكم.

فى قِبال أَنهم (عليهم السلام) بالنسبه للانخراط فى بعض الرايات الشيعيه الحَقّه يوجبون الانخراط فيها ومناصرتها وغير ذلك، وحينما تذكر مناصره الحركات المهدويه فى مناطق كثيره لا تركّز على ضروره مناصره رايه الحقّ فيها ولم تصف المتخاذل بأنّه عاصى، عَنْ أبى جعفر (عليه السلام): «كأنى بقوم قد خرجوا بالمشرق يطلبون الحقّ فلا يعطونه قتلاهم شهداء، أمّا إننى لو أدركت ذلك لا بقيت نفسى لصاحب هذا الأمر»<sup>(١)</sup>.

أمّا فى العراق فالأمر عيني تعينى وواجب وفريضه كبرى بحيث يكون التخلف عنها، يوسم المتخاذل بوصف العصاه إلى يوم القيامة ولم يكن التعبير بهذه الشهاده والتأكيد فى الروايات التى ذكرت البلدان الأخرى فى روايه عقد الدرر المتقدّمه: «ثمّ يدخل الكوفه فيصير أهلها ثلاث فرق فرقه تلتحق به وهم أشرّ خلق الله وفرقه تقاتله وهم عند الله شهداء وفرقه تلتحق الأعراب وهم العصاه»<sup>(٢)</sup>. والروايات التى ذكرت إنّه يخفى نفسه إنّما يتوسّل الهروب أو الاختفاء إذا وصلت المرحله إلى دخول جماعات السُفْياني وغلبتهم، حيث

ص: ٣١٥

١- (١) غيبه النعماني: ٢٨٢ ب- ١٤ ج ٥٠.

٢- (٢) البحار: ج ٢٤٣: ٥٢ عَنْ غيبه النعماني؛ عقد الدرر: ٦٧ ب- ٤ ف ٢.

يكون التصدي لهم يعرض المؤمن للهلاك - ك بلا - أدنى فائده تذكر فينبغي التوسل بالهروب لأجل جمع القوى والاصطفاف مع الحركات المحققة، لأجل مواجهه جيش السفيناني، أمّا في غير هذا الفرض فالوظيفه الأصليه هي المقاومه والدفاع.

ص: ٣١٤

فى الروايه عَنْ حذيفه عَنْ النَّبِىِّ (صلى الله عليه و آله) أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ السُّفْيَانِي أَرْضَ مِصْرَ أَقَامَ فِيهَا أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ يَقْتُلُ وَيَسْبِي أَهْلَهَا فَيَوْمئِذٍ تَقُومُ النَّائِحَاتُ، فَبَاكِيَهُ تَبْكِي عَلَى اسْتِحْلَالِ فَرْجِهَا وَبَاكِيَهُ تَبْكِي عَلَى قَتْلِ أَوْلَادِهَا وَبَاكِيَهُ تَبْكِي عَلَى ذَلِكَ بِعِيدِ عَزَّهَا وَبَاكِيَهُ تَبْكِي شَوْقًا إِلَى قُبُورِهَا» (١)، وَكَذَلِكَ عَنْ عَلِيٍّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، قَالَ: «إِذَا خَرَجْتَ خَيْلَ السُّفْيَانِي إِلَى الْكُوفَةِ بَعَثَ فِي طَلَبِ أَهْلِ خُرَاسَانَ وَيُخْرِجُ أَهْلَ خُرَاسَانَ فِي طَلَبِ الْمَهْدِيِّ فَيَلْتَقِي هُوَ وَالْهَاشِمِيُّ بِرَايَاتِ سُودٍ، عَلَى مَقْدَمَتِهِ شَعِيبُ بْنُ صَالِحٍ، فَيَلْتَقِي هُوَ وَالسُّفْيَانِي بِبَابِ اصْطَخْرِ فَتَكُونُ مَلْحَمَةٌ عَظِيمَةٌ، فَتُظْهِرُ الرَّايَاتِ السُّودَ، وَتَهْرَبُ خَيْلُ السُّفْيَانِي فَعِنْدَ ذَلِكَ يَتَمَنَّى النَّاسُ الْمَهْدِيَّ وَيَطْلُبُونَهُ» (٢). وَفِي كَنْزِ الْعَمَالِ قَالَ: «إِذَا بَعَثَ السُّفْيَانِي إِلَى الْمَهْدِيِّ جَيْشًا فَخَسَفَ بِهِمُ الْبَيْدَاءَ وَبَلَغَ ذَلِكَ أَهْلَ الشَّامِ قَالُوا لِخَلِيفَتِهِمْ قَدْ خَرَجَ الْمَهْدِيُّ فَبَايَعَهُ وَادْخَلَ فِي طَاعَتِهِ وَإِلَّا قَتَلْنَاكَ، فَيُرْسَلُ إِلَيْهِ بِالْبَيْعَةِ وَيَسِيرُ الْمَهْدِيُّ حَتَّى يَنْزِلَ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ وَتَنْقَلُ إِلَيْهِ الْخَزَائِنُ...» (٣).

ص: ٣١٧

١- (١) الفتن لابن حمّاد: ١١٨.

٢- (٢) عقد الدرر: ١٢٧؛ كنز العمال: ج ٥٨٨: ٤ ح ٣٩٦٦٧.

٣- (٣) كنز العمال: ج ٥٨٩: ١٤ ح ٣٩٦٦٩.

وهذه الروايات وأمثالها روايات أخرى كثيرة تشير إلى أمور أهمها:

أولاً: إن الميدين العربيه بجملتها ضد السفيناني إلاً قلّه من المؤيدين لحركته لذلك هو يخرب المدن ويقتل الناس. ولو كان الناس معه فلماذا يقتلهم؟ ولماذا يبقى في مصر أربعة أشهر يقتل أهلها ويسبى نساءها، كذلك المدينة المنوره التي يتصور الناس إنها أمويه أو وهابيه ظهر من الروايه المتقدمه أنها ضده لأنه يقتل أهلها، بل حتى أهل الشام ضده لأنهم يتظاهرون ضده أن أدخل في بيعه المهدي (عج) فيبايع مكرهاً، بل يصل الأمر أن يهدد بالقتل من قبلهم، وهذا دليل على عدم سيطرته وضعفه وقله تأييده من قبل الشعوب في المنطقه.

ثانياً: من جهه أخرى بينت عده روايات هزائمه المتكرره؛ ومنها هزيمته أمام رايات أهل خراسان والبصره، وهي مسؤوليه كبرى على عاتق المؤمنين أمام هذه الحركات الضالّه المضلّه الفاسده المفسده القويه ظاهراً، الضعيفه واقعاً، بل أنها مسؤوليه تتحملها حتى ملائكه السماء، كما في الروايات عن أمير المؤمنين (عليه السلام): «ويخرج السفيناني ويبيده حريه ويأمر بالمرأه فيدفعها إلى بعض أصحابه فيقول له: افجر بها في وسط الطريق فيفعل بها ثم يأمر ببقر بطنها ويسقط الجنين من بطن أمه فلا يقدر أحد ينكر عليه ذلك قال: فعندها تضطرب الملائكه في السماوات، ويأذن الله بخروج القائم من ذريتي وهو صاحب الزمان ثم يشيع خبره في كل مكان فينزل حينئذ جبرائيل على صخره بيت المقدس فيصيح في أهل الدنيا قد جاء الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقاً...» (١).

ص: ٣١٨

١- (١) إلزام الناصب: ج ٢، ص ١٩٩.

فيظهر من ذلك إنَّ القضية تتدخل فيها الملائكة وتضجّ إلى الله أو تقف إلى جانب من يُحارب السُّفْياني، وتكون تلك الفتن والإفساد الذي يحدثه اللعين ويهتّر له عرش الرحمن فيكون تعجيباً في خروج مولانا المهدي صاحب العصر والزمان (عج).

ص: ٣١٩

القيام بالمسؤولية:

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، قَالَ: «خُرُوجُ الثَّلَاثَةِ الْخِرَاسَانِيَّ وَالسُّفْيَانِيَّ وَالْيَمَانِيَّ فِي سَنَةِ وَاحِدَةٍ فِي شَهْرٍ وَاحِدٍ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ وَلَيْسَ فِيهَا رَايَةٌ بِأَهْدَى مِنْ رَايَةِ الْيَمَانِيَّ بِهَدْيِ إِلَى الْحَقِّ» (١).

عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) إِنَّهُ قَالَ: «خُرُوجُ السُّفْيَانِيَّ وَالْيَمَانِيَّ وَالْخِرَاسَانِيَّ فِي سَنَةٍ وَاحِدَةٍ وَشَهْرٍ وَاحِدٍ وَفِي يَوْمٍ وَاحِدٍ نِظَامَ كَنْظَامِ الْخُرَزِيِّتِ بَعْضُهُ بَعْضًا فَيَكُونُ الْبَأْسُ مِنْ كُلِّ وَجْهِ وَيَلِمْ نَاوَأَهُمْ» (٢).

عَنْ عُبَيْدِ بْنِ زُرَّارَةَ ذَكَرَ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) السُّفْيَانِيَّ، قَالَ: «أَنْتَى يَخْرُجُ ذَلِكَ وَلَمْ يَخْرُجْ كَاسِرٍ عَيْنَهُ بِصَنْعَاءَ» (٣).

وهذه الروايات بمجموعها تشير إلى أن هناك من يتحمل المسؤولية، نعم هي تُبين إنَّ اليماني رايته أهدى، وبذلك هي تدفع المؤمنين للقيام

ص: ٣٢٠

١- (١) الإرشاد: ٣٦؛ الغيبة للطوسي: ٤٤٣/٤٤٦؛ أعلام الوري: ٤٢٩.

٢- (٢) الغيبة للنعماني: ٢٦٤ ب ١٤ ح ١٣.

٣- (٣) الغيبة للنعماني: ٢٨٦ ب ١٤ ح ٦٠؛ البحار ج ٢٥٤: ٥٢ ح ١٢٣.

بواجباتهم ومسؤولياتهم تجاه الأخطار وحركات الضلال فإنَّ اليمانى لَيْسَ هُوَ مِنَ الملائكة المُقربين ولا الأنبياء والمرسلين، بل هُوَ مؤمن قام بواجبه وتحَمَّل مسؤوليته و بالتالى هُوَ قدوه للآخرين - مِنَ هَذِهِ الجَهِه - حيث لا- ينبغي لهم القعود وترك المسؤوليات، وَمِنْ جَهِه أُخرى هى تَوَكَّدُ إِنَّ حركه السُفيانى رغم قسوتها وشدتها يمكن للمؤمنين أن يقهروها أو يُقلِّلوا مِنْ توسعها فيكفون شرها بالجملة أو فى الجملة، مُضافاً إلى سلامه التوجه الذى يدعو إليه مِنْ مركزيه إمامه الأئمه الاثنى عشر وإمامه الإمام الثانى عشر.

عَنْ جَابِرِ الْجَعْفِيِّ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عَنِ السُّفْيَانِيِّ، فَقَالَ: «وَأَنِّي لَكُمْ بِالسُّفْيَانِيِّ حَتَّى يَخْرُجَ قَبْلَهُ الشَّيْصَبَانِيُّ، يَخْرُجُ مِنْ أَرْضِ كَوْفَانَ، يَنْبَعُ كَمَا يَنْبَعُ الْمَاءُ فَيَقْتُلُ وَفِدَكُمْ، فَتَوَقَّعُوا بَعْدَ ذَلِكَ السُّفْيَانِيَّ وَخُرُوجَ الْقَائِمِ (عج)» (١).

وعن علي بن أبي حمزه، قال: رافقت أبا الحسن موسى بن جعفر (عليهما السلام) بين مكه والمدينه، فقال لي يوماً: «يا علي لو إنَّ أهل السماوات والأرض خرجوا على بني العباس لسقيت دمائهم الأرض حتى يخرج السّفياني، قال قلت أمره من المحتوم؟ قال: نعم، ثمَّ أطرق هنيهة، ثمَّ رفع رأسه، وقال ملك بني العباس مكر وخذاع، يذهب حتى يُقال: لم يبق منه شيء ثمَّ يتجدد حتى يُقال: ما مرَّ به شيء» (٢).

فهذه الروايات وغيرها تؤكد أنَّ قبل حركة السّفياني هناك حركات ضالّه ومضلّه وباطله تفتن المؤمنين وكأنّها تشير إلى أنَّ السّفياني نتيجة سلبه متولّد من سلبه أخرى، وهى عدم قيام المؤمنين بمسؤولياتهم تجاه أنفسهم وتجاه المجتمع بالتصدى لتلك الحركات، ووأدها فى مهدها ولعدم توعيه المجتمع للقيام بمسؤوليته بالتحرك الصحيح والتصرّف المتقن.

ص: ٣٢٢

١- (١) غيبه النعماني: ٣١٤ ب ١٨ ح ٨؛ بحار الأنوار ج ٢٥٠: ٥٢ ح ١٣٦.

٢- (٢) غيبه النعماني: ٣١٤ ب ١٨ ح ٩؛ إثبات الهداه ج ٧٤٠: ٣ ح ١٢٢.

والأوصاف للحركات التي قبل الشفنياني (المعروف) عديده، بعض الحركات يصفها المعصوم (عليه السلام) بحركة الشفنياني، ومن الواضح إنه ليس اسم للشفنياني الذي قبيل ظهور الإمام (عج)، وهناك حركة الأصهب والأبقع وغيرهم.

وأيضاً حركة الشيصباني وهَذَا الوصف لعله - والله العالم - وصف مُرَكَّبٍ مِنْ كَلِمَتَيْنِ دَمَجْتَا فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ وَالْكَلِمَتَانِ هُمَا (شيطان + صبي) فتصير (شيصبان) كما هُوَ موجود في كثير من المصطلحات، فمثلاً يدمجون الزمان مع المكان فتصير (زمكان). فالنتيجة أن حكومه شيصبان حكومه شيطانيه صيبانيه لا تحسن التصرف كالصبي وتنحدر في مهاوى الفسق والفجور والرذيله كالشيطان، وبطابع مُراهق انفلاتي نحو الوجوم، وهذه الحكومه مُقدمه وأرضيه لفجور وفسق ودمار وتقاعس أكبر بواسطة تسلط الشفنياني.

## حكومه بنى العباس:

كذلك حكومه بنى العباس فالإمام موسى بن جعفر (عليهما السلام) يقول في الروايه المُتقدمه إن ملكهم لقائم، ومن الواضح إنه لا يقصد أشخاصهم ولا أولادهم؛ لأنه يقول ملكهم أي حكمهم وسياستهم فحكمهم وسياستهم قد بُنيت وأُسست على (الرضا من آل مُحَمَّد) ولكنه مُجرد شعار ليس فيه إلما الخُداع والتضليل الإعلامي، وكأن كُلمة حكومه تُؤسس بنيانها على ذلك الشعاراتهازاً لغرض الوصول للحكم لأن الأرضيه العامه للمُسلمين تهتف بأهل البيت (عليهم السلام)، لأجل ذلك كله يسميها المعصوم (عليه السلام) حكومه بنى العباس.

فالمُستشعر من لسان الروايات أنّ المؤمنين وجماعتهم إذا لم يقوموا بالمسؤولية المُلقاه على عاتقهم ولم يدركوا بوعى وهمه عاليه ويُعد في النّظر عمق الخطر المُحدق بهم، سوف تستمر حكومات المكر والخداع والتضليل الإعلامي، وكذلك الحكومات الشيطانية التي لا تحسن التصرف بالتسلط عليها وسيذوقون الذلّ والهوان ثمّ يدخلون فيما هو أتعس وهو تسلط الشّيفياني، فهذا لا يكون حتماً عليهم إلّا بتلك المُقدمات المُهيأة لأشْر وأقسى حكومه عرفها تاريخ البشرية، فالمعصوم (عليه السلام) حينما يفصل في تعاقب الحكومات الباطلة (شيصباني، بنى العباس، سفياني)، ليس هو نبوءه فلكيه وهو ما قدّمناه سلفاً أنّه قراءه هدفها التوصيه وإيجاد الوعى فى كفييه تحمّل المسؤوليّه، قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ) (١).

ص: ٣٢٤

١- (١) سورة الرعد: الآية ١١.

نفاق الإيمان - البتريه -

البتريه: هي ظاهره تلفيقيه مزجيه مخلطه؛ لأنهم يخلطون مع ولايه أهل البيت (عليهم السلام) ولايه الشيخين، وأول من سماهم هذا الاسم هو زيد بن علي بن الحسين (عليهما السلام) في محضر أخيه الباقر (عليه السلام).

فَعَنْ سَدِيرٍ، قَالَ: «دَخَلْتُ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَمَعِيَ سَلْمَةُ بْنُ كَهَيْلٍ وَأَبُو الْمُقَدَّامِ ثَابِتُ الْحَدَّادِ وَسَالِمُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ وَكَثِيرُ النَّوَاءِ وَجَمَاعَةٌ مَعَهُمْ، وَعِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أَخُوهُ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، فَقَالُوا لِأَبِي جَعْفَرٍ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): نَتَوَلَّى عَلَيْكَ وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا وَنَتَبَرَّأُ مِنْ أَعْدَائِهِمْ، قَالَ: فَالْتَفَتَ إِلَيْهِمْ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ، قَالَ لَهُمْ: أَتَتَبَرَّأُونَ مِنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ مُحَمَّدٍ أَمْرًا بِتَرْكِ اللَّهِ فَيَوْمئِذٍ سَمُوا الْبَتْرِيَّةَ» (١).

وهناك مللٌ ونحلٌ كثيره شبيهه بمسلك البتريه كالسليمانيه وغيرهم، ولكن ذكرنا البتريه لأهميه هذا العنوان ووضوحه في جهه وسلوك بعض المحسوبين على الشيعة اليوم، هذا المسلك من جهه أخرى، ومن جهه ثالثه إن روايات آخر الزمان تذكر ضمن المحاربين لإمام (عج) فرقه البتريه - كما سنبين -

ص: ٣٢٥

أما أسباب انحراف التبريه فكثير منها:

أ) إنهم فرقه من فرق الزيديه والمعروف إن فرق الزيديه ترى إن الإمامه لمن يقوم بالسيف، وهم حريصون على إنهاض جميع الأمة، ومن هنا تحاول السلطه تفكيكهم بالمكر والحيله، بواسطه إخراجهم حول موقفهم من الشيخين، فإذا قالوا نحن براء من الشيخين ونهج السقيفه، فسوف تضعف شعبيتهم وتصطف جماهير سنه الخلافه مع السلطه القائمه؛ فلذا تركوا البراءه من الشيخين. بل هم روجوا المنهج التلفيقي بين الأمة وهو منهج جامع يجمع بين منهاج أهل البيت (عليهم السلام) وولايه منهاج السقيفه غرضه الحصول على الحوضه الجماهيريّه عند الجميع (شيعه وسنه).

ب) إن البراءه من أعداء آل البيت (عليهم السلام) والتخطئه لمنهج الجمهور عبئ ثقيل لا يمكن لكل أحد تحمله، لارتفاع ضريبتّه فإن سواد الناس الأعظم يميل إلى الدعه والراحه والعود عن تحمّل المسؤوليّه، وبالتالي تصعب ثقل البراءه والتبري وتتولد الانهزاميه والتقهقر النفسى والفكرى وبالتالي التخلّي عن إنكار المنكر وتخطئه الباطل، ويكتفون فى تعذير ذمتهم بالتمسك بولايه أهل البيت (عليهم السلام) ومحبتهم ومودّتهم إرضاءً لمحاسبه الضمير واكتفاءً منهم بعدم التنكر لمقامات أهل البيت (عليهم السلام) فى القرآن والسنه.

### على طرفى تقيض:

إن ظاهره التلفيق بين منهاج أهل البيت (عليهم السلام) والمناهج الأخرى، وعدم التبري والبراءه من تلك المناهج والمدارس المناوئه لأهل البيت (عليهم السلام) هى ظاهره تتكرّر كظاهره المقصّره والمارقه، وهى فى كمال عصر تأخذ ألوان وأشكال ومسميات مختلفه تحت أطر الوحده والتقريب بين المذاهب وتحت

أطر وذرائع مُختلفه أخرى.

في مقابل هَذَا التيار المخلط نرى هُنَاكَ تياراً مصادماً يُشَدِّد عَلَى الفصل والتمييز بين مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) والمدارس الأخرى ويحصر التبعية والمرجعية الشرعيَّة الإلهية بأهل البيت (عليهم السلام) (وهو ما يُعرف بالتولي) وسلبها، ونفى الصلاحيه عَنْ بقية المدارس وتخطئه المسارات المباينه لعتره (وهو ما يعرف بالتبرى) وقد طعن عَلَى هَذَا التيار الثَّانِي بالتشدد والغلو في أهل البيت (عليهم السلام). وهَذَا التجاذب بين الظاهرتين جدليه تتكرَّر في الأزمنة المُختلفه، وهى قائمه في الزمان الحاضر أيضاً، وَرَبَّمَا يُبْرِّر التيار الأوَّل بمنهجه المزجى والتلفيقى بجمله مِنْ الذرائع، كما أَنَّهُ قَدْ تسجل عَلَى التيار الثَّانِي جملة مِنْ المؤاخذات بسبب صراحتة الصارخه وعدم مداراته وعدم اتَّخاذه أسلوب الرُّفق واللين في تبين الحقائق ومفاجأه الوسط العام بخطاب لم تنهياً لها الذهنيه العامه في الوسط الخاص فضلاً عَنْ الوسط العام.

وهُنَاكَ أسباب عديده لتجدد ظاهره البتريه في كُلِّ جيل:

(١) السطحيه وعدم العمق والغور في حقيقه أهل البيت (عليهم السلام).

(٢) روح الانهزاميه أمام سيطره وتسُلُّط المذاهب الإسلاميه الأخرى.

(٣) التأثر أمام السيل الإعلامى السلطوى المُتكرس عبر التاريخ في بطون الكتب وأعماق الأذهاب في الأجيال المُزَيِّفه للحقائق.

ويظهر مِنْ جملة مِنْ النصوص إِنَّ هذه الظاهره - البتريه - تستمر حتى ظهور الإمام المهدي (عج) في الوسط الشيعى كحال نفاه في الإيمان.

فقد روى الطبرسى في دلائل الإمامه في باب وجوب معرفه القائم بإسناده عَنْ الحميرى ... «عَنْ أَبِي الجارود عَنْ أَبِي جعفر (عليه السلام)، قال: سألته:

ص: ٣٢٧

متى يقوم قائمكم؟ قال: يا أبا الجارود لا تدركون - إلى أن قال - ويسير إلى الكوفة فيخرج منها ستة عشر ألفاً من البتريه شاكين في السلاح قراء القرآن، فقهاء في الدين، قد قرحوا جباههم وشمروا ثيابهم وعمهم النفاق، وكلهم يقولون: يا بن فاطمه ارجع لا حاجه لنا فيك فيضع السيف فيهم على ظهر النجف عشيه الاثنين من العصر إلى العشاء، فيقتلهم أسرع من جزر جزور فلا يفوت منهم رجل ولا يصاب من أصحابه أحد دماؤهم قربان إلى الله» (١).

وروى المفيد في الإرشاد بهذا اللفظ، قال: روى أبو الجارود عن أبي جعفر (عليه السلام) - في حديث طويل - «إنه إذا قام القائم (عج) سار إلى الكوفة فيخرج منها بعض - عشر ألف نفس - يدعون البتريه عليهم السلام فيقولون له: ارجع من حيث جئت فلا حاجه لنا في بنى فاطمه فيضع فيهم السيف حتى يأتي على آخرهم ويدخل الكوفة فيقتل بها كل منافق مرتاب» (٢).

وهذا الخبر يُشير إلى تكرّر هذه الظاهره واستمرارها في الوسط الشيعي إلى عام الظهور، وإن أصحاب هذا التيار البتري التوفيقى التلفيقي يعتمدون المسحه العلميه ويتضرعون بالمبررات الفقهيّه لهذا المنهج وندائهم وخطابهم القائم (عج) بنى فاطمه إشاره إلى نهج فاطمه (عليها السلام) في الإنكار على مسار السقيفه والبراءه من الإنحراف، فكأن الميزان المائز لهم رفض التبرى من أعداء فاطمه (عليها السلام) كما إنهم في بدايه أمرهم حيث أنكروا البراءه من الشيخين وأظهروا البراءه من أعدائهما، فالتفت إليهم زيد بن على في محضر أخيه

ص: ٣٢٨

١- (١) دلال الإمامه للطبرى: ٤٥٥.

٢- (٢) الإرشاد: ج ٢/٣٨٤؛ بحار الأنوار: ج ٥/٣٣٨.

الباقر (عليهما السلام) وقال لهم: أتتبرأون من فاطمه: بترتم أمرنا يترككم الله فيومئذ سموا البتريه (1) فعدم المعاداه مع الشيخين يؤول إلى معاداه فاطمه؛ ولذلك يُخاطبون الحجة (عج) «ارجع يا بن فاطمه لا حاجه لنا فيك أى لا حاجه لنا فى النهج الفاطمى الذى ينطلق من البراءه لأعداء آل مُحَمَّد (صلى الله عليه و آله)».

ص: ٣٢٩

---

١- (١) رجال الكشى: ٤٢٩.

سؤال يُطرح بالحاح؛ إنه ما هي الغايه والهدف من بيان الأئمه لتفاصيل مشروع السُفياني ورايته، ثم للرايات المُناهضه (الشيعه) له المُناصره لمشروع الإمام المهدي (عج) بروايات مُستفيضه جداً.

فهل يظن من ذلك إن هذه الروايات لأجل السمر في تاريخ المُستقبل والتفُرُج الجذّاب، للحديث المُثير للمشاهدين لمشهد تصويري، أم إن هناك حكمه وغايه من هذا التأكيد والإصرار في البيان من أئمه أهل البيت (عليهم السلام) بهذه الأحداث الخطيره، الجواب في نقاط:

(١) لیس هي مُجرّد كهانات يتتبعها الكهّان والعياذ بالله ليحوزوا ويكسبوا موقع في قلوب المستمعين والقراء، أو كما يفعله القضاة أو كتنبؤات المنجمين والفلكيين لأجل كسب مودّه ومساحه جمهور لهم، بل إن أئمه أهل البيت (عليهم السلام) أئمه دين ووظيفتهم ومنصبهم الإلهي من الله تعالى هي تعليم الناس وإرشادهم إلى المسؤوليه والوظيفيه المُلقاه على عاتقهم فكل هذه الروايات غايه غاياتها هي بيان وتقرير المسؤوليه والوظيفيه الشرعيه ولزوم الالتزام بموقف وجدوى المنهاج الذي رسموه في ميدان العمل.

(٢) وبعبارة أخرى إن ستر واستعراض هذه الروايات المُستفيضه المُتكاثره لتفاصيل عسكريه وأمنيه وإحداثيات جغرافيه وملفات سياسيه وملفات ومعلومات أمنيه عن طبيعه حركه السُفياني ونقاط الضعف والقوه فيها، وكذلك في الروايات الشيعيه المُناهضه لها، فهل يا ترى كل هذا إنما هو كمعلومات قمر

صناعى عَن المُستقبل؟ كلا، بلْ هُوَ دعوى للمؤمنين بالإطلاع عَلَى هذه المعلومات ليرسموا لأنفسهم إستراتيجيه وبرنامج مقاومه ومواجهه، وهذه القراءه لنصوص علامات الظهور تختلف عَن القراءه السائده لها كتنبؤات فلكيه أو كهانات كهان أو أبراج فلكيه للمنجمين.

٣) إِنَّ فحوى مفاد هذه الروايات الَّتى رُبَّما تكون متواتره حول ملامح آخر الزمان وعلامات الظهور هي كتنبؤات القرآن عَن المعاد والقبر والقيامه لغايه تحشيد الهمهم والإرادات والعزائم للقيام بالمسؤوليه، وتخطيط برنامج يقوم بعبئ ضخامه الحدث «ونصرتى لكم مُعدّه»<sup>(١)</sup> وهذا النص وَرَدَ مُستفيضاً فى زياراتهم - سواء فى جانب الملف الأمنى أو العسكرى أو التعبوى للنفوس ولحماس الهمهم أو فى الملف السِّياسى أو فى الملف العقائدى والفكرى والإيديولوجى فى الملفات الأخرى مِنْ الرعايات الحزميه الَّتى يلزم عَلَى المؤمنين النهوض بها.

٤) سياتى فى الروايات الدعوه الاكيده لجيوب المقاومه فى كُـلِّ المناطق وتشكيل مجاميع مواجهه سواء قبل مجيء عساكر الشُّفَّيانى أو بَعْدَ مجيئها لا سِيَّما أَنَّ الروايات تشير إلى إمكانيه تغيير القضاء والقدر والبداء فى أصل مشروع الشُّفَّيانى أو فى درجه نجاحه أو فى درجه توسعه أو درجات إخفاقه، وَإِنَّ كُـلَّ هذه الخيارات مفتوحه للتغيير بقدر ما يقوم المؤمنون به مِنْ مسؤوليه المقاومه والمواجهه أو إجهاض لمشروعه وَهُوَ إعلاها هممه وأوفائها تعهداً ولا سِيَّما إذا كَانَ فى مهد أراضى الشام.

٥) إِنَّ الروايات تُوَكِّدُ ظاهره مُهممه فى مشروع الشُّفَّيانى، وَهُوَ عدم

ص: ٣٣١

ثبات سيطرته في المناطق التي يتمدد ويتوسّع فيها حتى في مهد عاصمته وهي الشام فضلاً عن المناطق الأخرى؛ وذلك نظراً للفساد والإفساد في البلاد والعباد الذي يحدثه مشروع الشّيفاني.

٦) هُنَاكَ محاور مُهمّة وأخرى عديدة يجب استخراجها واستنباطها من الروايات المُستفيضة عن أهل البيت (عليهم السلام) حول ذلك، واللازم قيام دراسات تخصصيه دقيقه في هذه الملفات والمجالات التي تستعرضها الروايات لتخرج المجاميع المؤمنه برؤى وخيارات عديدة في كيفية مواجهه لمشروع الشّيفاني الذي هو مشروع غربي في الأصل بتحالف أموى ناصبي.

٧) وهذه القراءه لهذه الروايات المُستفيضة والمتواتره حاكمه بياناً ومخطئه للقراءه المعهوده من لسان الروايات المُتقدمه المُتضمّنه لـ «كُنْ جليساً من أحلاس بيتك» (١) بمعنى التفرّج والاستكانه والإحجام والنكول والوهن والاستضعاف بالضراعه.

٨) بل يُؤكّد ما سبق استظهاره من هذا اللسان بمعنى الثبات على منهاج أهل البيت (عليهم السلام) بقوه الحذر وشده الكتمان والإخفاء لآليات النشاط والتحصين عن التأثير بالتيارات المنحرفه عن الولاء لأهل البيت (عليهم السلام) اعتقاداً أو اصطفاً سياسياً أي المنحرفه في الموقف الاعتقادي أو السياسي عن أهل البيت (عليهم السلام) بأن لا يصب مشروع تلك الجماعات في صالح الموالين لآل البيت (عليهم السلام) «ولئلي لمن والاكم وعدوا لمن عاداكم» (٢) وهو بمعنى الولاء السياسي فضلاً عن الولاء القلبي.

ص: ٣٣٢

١- (١) مُستدرِك سفينه البحار للنمازي ج ٣٦٦: ٢؛ كنز العمال ج ٢١٤: ١١.

٢- (٢) كامل الزيارات: ٣٣٠؛ بحار الأنوار ج ٦٥: ٩٩.

إشارة

قد تقدّم روايه خلّاد (الصفّار) عن أبي عبدالله (عليه السلام) أنّه قال: «الشُّفْيَانِي لا بدّ منه، ولا يخرج إلّا في رجب، فقال له رجل: يا أبا عبدالله إذا خرج فما حالنا؟ قال: إذا كان ذلك فإلينا» (١).

وكذلك عن يونس بن أبي يعفور، قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول: «إذا خرج الشُّفْيَانِي يبعث جيشاً إلينا، وجيشاً إليكم فإذا كان كذلك فأتونا على كلّ صعب وذلول» (٢).

وهاتان الروايتان وغيرهما بنفس المضمون، إشارة إلى أمر وعديده:

والظاهر ظهوراً من مفاد هذه الروايات هو الأمر بالمشاركة في المجاميع التي تنطلق من مكّة في ركب ظهور الإمام، وههنا المثال يقرّر مسؤوليه المؤمنين أن لا يتخاذلوا عن الإعداد والتعبئة لتشكيل جيش لنصره الإمام المهدي (عج). في مكّة المكرّمة وههنا المفاد يكرّس المسؤوليه ويلزم بها ولا- يرخّص في التخاذل والسكون وترك الأمور على غاربها، بل يلزم المؤمن بأن يكون له موقف من نصره الحقّ والمشاركة في حمل العبا والمسؤوليه فليس الأمر ب- (إلينا) لأجل الهروب من الشُّفْيَانِي ولكي ينجو كلّ فرد بجلدته، بل خروج الشُّفْيَانِي صفّاره إنذار لبدء التعبئة وتشكيل جيش لنصره الإمام في مكّة، فهذه

ص: ٣٣٣

١- (١) غيبه النعماني: ٣١٣ ب- ١٨ ح ٧؛ وعنه بحار الأنوار: ج ٥٢ ص ٢٤٩، ح ١٣٥.

٢- (٢) غيبه النعماني: ٣١٨ ب- ١٨ ح ٧١؛ دلائل الإمامة: ٢٤١.

الطائفه من الروايات مع الطائفه السابقه الامر بمقاومه الشفيعاني كليهما تصب في مقاومه الشفيعاني وتحمل المسؤوليه، إلا أن أحدهما هي في المقاومه والتصدي المباشر للشفيعاني والثانيه لتشكيل جيش فيكون هو القوه الضاربه القادره على استئصال جيشه.

وما يظهر في بعض الروايات من حث المؤمن على السكون وعدم الحركه فإنه لها تفسيرات متعدده، منها إنها ليس السكون المطلق وترك المسؤوليات التي منها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل إن ذلك لوقت معين وفي وقت معين. عن جابر قال: قال أبو جعفر (عليه السلام): «يا جابر الزم الأرض ولا- تحرك يداً ولا رجلاً حتى ترى علامات أذكرها لك إن أدركتها...» (١).

والواضح من الروايه إن لزوم الأرض وعدم الحركه ليس مطلقاً بل اللزوم هو لوقت معين إلى حين رؤيه بعض العلامات، فإن الحركه قبل ظهور هذه العلامات غير صحيحه؛ لأنها تؤدي إلى إزهاق النفس دون الحصول على النتيجة المرجوه.

وكذلك عن أبي خالد الكابلي، عن أبي جعفر (عليه السلام) أنه قال: «كأنني بقوم قد خرجوا بالمشرق ولا- يدفعونها إلا إلى صاحبكم، قتلهم شهداء، أما إنني لو أدركت ذلك لا بقيت نفسي لصاحب هذا الأمر» (٢).

وهنا الإمام الباقر (عليه السلام) رغم إنه يقول إن تلك الحركه على حق وإن

ص: ٣٣٤

١- (١) غيبه النعماني: ٢٨٩ ب- ١٤ ح ٦٧؛ عنه البحار ج ٢٣٧: ٥٢.

٢- (٢) غيبه النعماني: ٢٨٢ ب- ١٤ ح ٥٠؛ البحار ج ٢٤٣: ٥٢؛ عن غيبه النعماني.

قتلاهم شهداء إلا أنه يقول لو أدركتها لأبقت نفسى للقائم فهو بذلك يدفع المؤمن للبحث عن نصر أكبر وشهاده أعظم لأن القتال بين يدي القائم (عج) والاستشهاد بين يديه أعلى مرتبه من تلك الشهاده رغم إن كلاهما شهادتان.

ونفس الكلام في روايه هشام بن سالم التي تقدمت سابقاً قال: أبو عبدالله (عليه السلام): «وذكر الشَّيفاني، فقال: أمَّا الرجال فتواري وجوها عنهُ، وأمَّا النساء فليس عليهنَّ بأس» (١)(٢). والتواري عن الشَّيفاني ليس هو الهروب، بل

ص: ٣٣٥

١- (١) غيبه النعماني: ٣١٠ ب- ١٨ ح ٣.

٢- (٢) إنَّ قانون الفتنة عام شامل للسابقين واللاحقين للمؤمنين والفاستقين على حد سواء، بل هو حتى للكاملين وحتى للذين استثناءهم الشيطان من غوايته - إلا عبادك من المخلصين - المعصوم (عليه السلام) يصف الفتن إنَّها كقطع الليل المظلم ويصف زماننا بالشده وطول المدَّة وإدبار الزمان، زمان يكون القابض على دينه كالقابض على جمرة من نار، كيف نصنع يا إمامنا؟ قال: (إلينا). وهذه الكلمه - إلينا - تتكرَّر بكثرة في الروايات التي تخبر بظهور الشَّيفاني، وتأمُر المؤمن بالاختباء والاختفاء من الشَّيفاني إلى أن تنتهي حركته، فهذا الكلام وشبهه في الروايات كثير يشيرُ ببدءاً على إنَّ التكليف يتبدل أو يتوقف، حيث أن هذه الروايات لو أخذ بظاهرها البدوي، إنَّه لا أمر بالمعروف ولا نهى عن المنكر ولا جهاد ولا كلمه حق كذلك تشير إلى التخلّي عن كثير من الواجبات الاجتماعيه، فما معنى - إلينا - وما معنى «البدوا ما البدنا» يمكن تفسير ذلك على مستويات عديده منها - وهذه المستويات لا تقاطع بينها وأيضاً لا تتنافى مع ما ذكره سماحه الشَّيخ (دام ظلّه). (١) إنَّ اللجوء إلى أهل البيت (عليهم السلام) على كل حال، وهو الاستمساك واللجوء العقائدي والاستمساك بالعروه الوثقى التي لا انفصام لها. (٢) اللجوء العلمي والعملي من خلال العمل برواياتهم والسير على نهجهم وخطهم. (٣) تطبيق حديث الثقلين وهو التمسك بحبل الله الممدود وهو كتاب الله وعتره النبي (عليهما السلام) لأنَّهما بحسب قول الرسول (عليهما السلام) لَنْ يفترقا حتى يردا عليه الحوض. (٤) إلينا: تعني التوسُّل بنا إلى الله والدعاء وطلب الحاجه بنا، وهذا لا يعني التخلّي عن المسؤوليه وترك الحبل على الغارب. (٥) إلينا: أي بالاعتداء بنا والتصرف كما نتصرف، والعمل بمقتضى تلك الظروف أي إلى حبه الله في أرضه الإمام الغائب (عج) وجعله قدوه وأسوه ونبراس يقتدى به، فكما هو غائب عن الظهور وليس غائب عن الحضور والعمل، فكذلك أنتم اجعلوا غيبتكم عن الظهور للناس والأعداء، لكن لا تغيبوا عن الميدان، لذلك قالت الروايه «البدوا ما البدنا». (٦) إلينا: أي لا تصرفوا تصرفاً إلا بعد مراجعتنا من خلال ما يتوفَّر لديكم من الطرق العديده والوسائل العلميه الصحيحه التي تجعلكم في نجاه إذا ما طبقتموها بالشكل الصحيح. (٧) إلينا: اتخذوا إمامكم قدوه من حيث التريث في العمل والصبر حتى نضوج الأمر وعدم التهور بالشكل الذي يؤدي إلى أن يفقد الإنسان حياته دون أن يتحقَّق أي هدف أو يحقِّق هدفاً بسيطاً لا قيمه له، فالفرد المؤمن ينبغي أن يسعى لتحقيق الأهداف العالیه. (٧) إلينا: أي اتخاذ الإمام المنتظر (عج) قدوه، فكما إنَّه يترقَّب الفرصه الكبرى للظهور وتحقيق نصر أكبر وفتح أعظم فكذلك أنتم تحيّنوا ذلك النصر وتلك الفرصه المناسبه باعتبار إنَّ الجهاد والاستشهاد درجات، وإنَّ العمل لتربيته النفس والمجتمع وتوعيته بعمق مسؤوليته لهي أعظم الجهاد.

هُوَ لجمع القوى لأجل الحصول عَلَى نصر أكبر، لأنَّ كلام الإمام (عليه السلام) لا يُنافى الثوابت والعموميات الَّتِي تأمر المؤمن بمواجهه الباطل وأهله، فيكون الكلام فى خصوص آليات مواجهه وكيفيه مواجهه لأنَّ الشُّفِيعَانِى جِهه باطل يجب عَلَى المؤمن مواجهتها، لكن آليات مواجهه مختلفه.

ص: ٣٣٦

نذكر مقاطع مهمه من روايات التصدي للسفياني وتحمل المسؤوليه نضعها بين يدي القارئ لتكون نبراساً مهماً وواضحاً:

\* «ثمَّ يدخُل الكوفه - السُفياني - فيصير أهلها ثلاث فرق فرقه تلتحق به وَهُوَ أَشْرَ خلق الله وفرقه تقاتله، وهم عِنْدَ الله شُهَداء وفرقه تلتحق الأعراب وَهُمْ العصاه».

\* «فيلبغ الخبر أهل البصره، فيركبون إليهم في البرِّ والبحر فيستنقذون أولئك النساء من أيديهم، فيصير أصحاب السُفياني ثلاث فرق».

\* «فيلتقى هُوَ والهاشمي برايات سود ... فيلتقى هُوَ والسُفياني بباب اصطخر فتكون ملحمة عظيمه».

\* «إذا بعث السُفياني جيشاً فحسب بهم البيداء....».

\* «... وبلغ ذلك أهل الشام قالوا لخليفته: قد خرج المهدي فبايعه وادخل في طاعته وإلّا قتلناك».

\* «... وإذا خرج السُفياني ... ويكثر القتل في الدنيا، فعند ذلك يجتمعون (كذا) أهل مكّه إلى السُفياني يخوفونه عقوبه الله (عزَّ وَجَلَّ) ...».

\* «... ويخرج رجل من أهل بيتي في الحرّه فيلبغ السُفياني، فيبعث إليه جنداً من جنده فيهزمهم ...».

\* «يبعث صاحب المدينه إلى الهاشميين بمكّه جيشاً فيهزموهم ...».

\* «يدخُل الصخرى الكوفه ... فإذا تصافت الخيلان ولّت كلب أديارها وأخذ الصخرى فيذبح على الصفا المعترضه على وجه الأرض ...».

مما تقدّم نخرُج بنقاطٍ عديدةٍ مُهمّة:

أولاً: إنّ الشُّفّيانى ثمره من تلك الشجرة الخبيثة الملعونه.

ثانياً: إنّ الروايات تؤكّد حتميه ظهور حركة الشُّفّيانى.

ثالثاً: إنّ الروايات فى حين تؤكّد فيه الحتميه تؤكّد إنّ فيه البداء.

رابعاً: إنّ الروايات تُشير إلى صعوبه الظروف والتباسها، بلّ وشدّتها فى جملة من الموارد وأنّها تحتاج إلى مزيد من اليقظه والتدبير وزياده فى تحمّل المسؤوليه، وأنّ هذه الأوضاع العصيبه تتطلب المزيد من التخطيط والمراقبه المُستمره وتحمّل العبء وأنّها شبيهه بالإرهاصات الّتى سبقت ثوره الحسين وهى بعينها الّتى تسبب قيام المهدي (عج) بالخروج.

خامساً: إنّ الحركات الضالّه والمُضللّه والحركات المُعاديّه للإسلام والمُعاديّه لأتباع أهل البيت (عليهم السلام) بالخصوص تعلن شىء وتُخفى شىء، تعلن إنّها إسلاميه وتريد تطبيق الإسلام وتُخفى واقعها اللادينى واللادينى.

سادساً: إنّ الشعوب وأهالى البلدان ليست مُنقاديه لحكم الشُّفّيانى الأموى بلّ مناوئه له لما تنطوى عليه من الفساد، بلّ تقدّم بحسب الروايه أنّ الشام مهد قاعدته وأرضيتها تهتف وتميل إلى الإمام المهدي (عج) كما فى الروايه عن عليّ (عليه السلام): «وبلغ ذلك أهل الشام قالوا لخليفتهم قدّ خرج المهدي فبايعه وادخل فى طاعته وإلّا قتلناك فيرسل إليه بالبيعه»<sup>(1)</sup>.

ص: ٣٣٨

سابعاً: إِنَّ الروايات الَّتِي تُحذِّرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْفِتَنِ وَفِتْنَةِ الشُّفِيَانِي بِالْخُصُوصِ، وَتُبَشِّرُ بِرَحْمَةِ الْمُؤْمِنِينَ وَهَلَاكِكَ لِأَعْدَاءِ أَهْلِ الْبَيْتِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) وَأَتْبَاعِهِمْ عَلَى يَدِ الشُّفِيَانِي وَإِنَّهُ سَيَتِمُّ الْقَضَاءُ فِي حَرَكَةِ الشُّفِيَانِي عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْفَاسِدِينَ وَالْمُفْسِدِينَ الضَّلَالِ وَلَكِنْ ذَلِكَ لَا يَقْتَضِي الْقَعُودَ وَتَرْكَ الْمَسْئُولِيَّاتِ، لِأَنَّ تَرْكَ الْمَسْئُولِيَّاتِ يُؤَدِّي لِاسْتِبْدَالِهَا بِحَرَكَةِ بَاطِلِهِ أَشَدُّ غَيًّا.

ثامناً: الروايه الَّتِي تَقَدَّمَتْ عَنْ عَلِيٍّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، تَشِيرُ إِلَى أُمُورٍ عَدِيدَةٍ؛ مِنْهَا: وَعَى الشُّعُوبَ وَإِيمَانَهَا بِمُودَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) وَطَهَارَتِهِمْ وَأَحْقِيَّتِهِمْ بِالْأَمْرِ، وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ هَكَذَا فِي الشَّامِ فَكَيْفَ بِكَ بَبْقِيَةِ الْبُلْدَانِ وَشُعُوبِهَا بِاعْتِبَارِ أَنَّ الشَّامَ أَقْرَبَ لِلشُّفِيَانِي نَهْجاً وَسُلُوكاً لَكِنْ مَعَ ذَلِكَ يَثُورُونَ ضِدَّهُ وَيَطَالِبُونَهُ بِالْبَيْعَةِ لِلْمَهْدِيِّ (عَج) وَهَذِهِ بَشَارَةٌ عَظِيمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ شُعُوبَ الْمَنْطِقَةِ كُلَّهَا - إِلَّا مَا نَدَرَ - تَمِيلُ إِلَى الْحَقِّ الْمُتَمَثِّلِ بِالْحِجَّةِ (عَج)، وَإِنَّ أَرْضِيهِ كَافَهُ الْمُؤْمِنِينَ تَهْتَفُ وَتَتَطَلَّعُ إِلَى الْمَهْدِيِّ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ).

تاسعاً: خُرُوجُ الْخِرَاسَانِيِّ وَالْيَمَانِيِّ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ هُنَاكَ مِنْ يَتَصَدَّى لِلْقِيَامِ بِالْمَسْئُولِيَّةِ، وَهُنَاكَ جِهَةٌ حَقٌّ، بَلْ رَايَاتُ أُخْرَى وَجِهَاتٌ وَجَمَاعَاتٌ عَدِيدَةٌ ذَكَرَتْ فِي تَفَاصِيلِ الرُّوَايَاتِ، وَكُلُّ ذَلِكَ يَصِبُّ فِي تَحْمِيلِ الْمَسْئُولِيَّةِ، كُلٌّ حَسَبَ مَوْقِعِهِ وَقُدْرَتِهِ.

عاشراً: تَقَدَّمَ إِنَّ تَحْمِيلَ الْمَسْئُولِيَّةِ يَكْفِكِفُ مِنْ نَشَاطِ الشُّفِيَانِي، بِعَكْسِهِ تَمَاماً التَّخَلِّيَ عَنْ الْمَسْئُولِيَّةِ وَالْقَعُودَ وَتَرْكَ الْجَبَلِ عَلَى الْغَارِبِ لِأَنَّهُ يُؤَدِّي إِلَى تَفَاقُمِ وَاسْتِدَادِ الْفِتَنِ، فَإِنَّ تَسَلُّطَ الظَّالِمِ لَمْ يَكُنْ حَتْمًا جَبْرِيًّا مِنْ قَبْلِ اللَّهِ بَلْ إِنَّ حَتْمِيَّتَهُ جَاءَتْ نَتِيجَةً تَرْكَ النَّاسِ مَقَاوِمَهُ مَنْ هُوَ أَقْلٌ مِنْهُ فَتْنَهُ وَشِدَّةَ وَهُوَ الشُّيْبَانِيُّ أَوْ غَيْرِ الشُّيْبَانِيِّ مِنْ أَهْلِ الضَّلَالَةِ وَالْفِتْنَةِ كِبْنِي الْعَبَّاسِ.

الحادى عشر: فى روايه ذكرت الخسف بجيش السفينانى، فى عقد الدرر، عَن أبى عبدالله بن الزبير إن عائشه قالت: عبث (أى اضطرب) رسول الله (صلى الله عليه و آله) فى منامه، فقلنا: يا رسول الله: صنعت شيئاً فى منامك لم تكن تفعله؟

فقال: العجب إن ناساً من أمتى يؤمون بالبيت برجل من قريش، قد لجأ بالبيت، حتى إذا كانوا بالبيداء خسف بهم، قلنا يا رسول الله، إن الطريق قد تجمع الناس.

فقال: نعم، فيهم المستبصر والمجبور وابن لاسييل يهلكون مهلكاً واحداً، ويصدرون مصادر شتى بيعثهم الله تعالى على نياتهم»(١).

وكذلك فى عقد الدرر: عَن عبدالله بن القبطيه، قال: دخل الحارث بن أبى ربيعه، وعبدالله بن صفوان، وأنا معهما على أم سلمه أم المؤمنين فسألاها عَن الجيش الذى يخسف به (بهم) وكان ذلك فى أيام ابن الزبير فقالت: قال رسول الله (صلى الله عليه و آله): يعوذ عائذ فيبعث الله إليه بعثاً، فإذا كانوا بالبيداء من الأرض خسف بهم.

فقلت: يا رسول الله، كيف بمن كان كارهاً؟

قال: يخسف بهم معهم، ولكن يبعثه الله «يوم القيامة على نيته»(٢).

وفى روايه أخرى فى تتمتها قال أبو جعفر: (هى بيداء المدينه)(٣)، هاتان الروايتان وروايات أخرى بنفس المضمون،

ص: ٣٤٠

١- (١) صحيح مُسَلِّم: ج ٢٢١٠: ٢: ب ٥٢ ح ٢٨٨٤.

٢- (٢) مسند أحمد: ج ٢ ص ٢٩٠.

٣- (٣) عقد الدرر: ١٠٢ ب ٤ ف ٢ عَن صحيح مُسَلِّم ج ٢٢٠٨: ٤: ب ٥٢ ح ٢٨٨٢.

وقد أوردنا سابقاً هذا المضمون في روايه الخسف إلا أن هنا زياده هُو قوله (صلى الله عليه و آله): «منهم المستبصر والمجبور وابن السبيل» وكذلك في الروايه الأخرى حين سُئِلَ (صلى الله عليه و آله): «كيف بمن كان كارهاً؟ قال: يخسف به معهم، ولكن يبعثه الله يوم القيامة على نيته» (١).

وفي هذا إشارات عديدة:

(١) ليس كل من في جيش السُفياني فاسق أو ظالم، وبالتالي ليس مصير الكل إلى النار، بل يحشرون على نياتهم؛ وذلك لأن في جيش السُفياني من هو مُعادى له إنما ألجأ كما أخرجت قريش عقيل والعباس بن عبدالمطلب حيث أمرهم رسول الله (صلى الله عليه و آله) بعدم التعرض لبنى هاشم لأنهم أخرجوا مُكرهين، كذلك في حرب الجمل هناك من أكره على الخروج من قريش حيث تأسف أمير المؤمنين (عليه السلام) على قتلهم.

(٢) إن في جيش السُفياني من يكون مجبوراً أو ابن سبيل ولعله بجمعهم عنوان الكاره، وبالتالي كُـلُّ كاره بما لديه من درجه الكراهه يحشر على نيته.

(٣) إن في هذا إشاره أمنيّه من المعصوم (عليه السلام) وهي إشاره عمليّه مُهمّه إلى مكان اختراق جيش السُفياني من قبل المؤمنين وبالتالي تصديعه من داخله وإيجاد خروقات أمنيّه، فمكوناته خليط من الناس، ممّا يدلُّ على ضعف وهشاشه هذا الجيش بسبب الضعف الأمني والاستخباري الذي يؤدّي إلى سهوله تفكيك هذا الجيش وهزيمته وهو ليس على نسيج وشاكلة واحده.

ص: ٣٤١

١- (١) وهذا النص وردت فيه روايات عديدة من طرق العامه قد تصل إلى حدّ التواتر أو الاستفاضه، دون الإشاره إلى أن هذا الجيش هو جيش السُفياني، نعم أئمه أهل البيت (عليهم السلام) أشاروا إلى أنه جيش السُفياني.



## الفصل الثالث: خارطة المسؤوليات في النشاط الوظيفي الديني العسكري للمؤمنين ووظيفته تقديس وحمایه المقدسات

اشاره

ص: ٣٤٣



## قواعد أساسيه فى مراتب الجهاد الدفاعى

### وظيفه تقديس المقدسات:

القسم الأول: الدفاع الوقائى الرادع عن عدوان المعتدى:

القسم الثانى: الدفاع العلاجى:

القسم الثالث: الدفاع الاقتصاصى:

القسم الرابع: الجهاد الدفاعى الاستباقى:

القسم الخامس: الجهاد الاقتصاصى فى الدفاع عن المقدسات:

القسم السادس: الجاد الدفاعى الاستباقى عن المقدسات:

القسم السابع: الجهاد الاقتصاصى تعصباً لأهل البيت عليهم السّلام:

القسم الثامن: الجهاد المواساتى:

ص: ٣٤٥



وقد ورد في نهج البلاغه:

«أَمَا بَعِيدٌ، فَإِنَّ الْجِهَادَ يَبْتُ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَتَحَهُ اللَّهُ لِخَاصِّهِ أَوْلِيَائِهِ، وَهُوَ لِبَاسُ التَّقْوَى، وَدَرُوعُ اللَّهِ الْحَصِيَّةَ بَيْنَهُ، وَجَنَّتْهُالْوَثِيقَةُ، فَمَنْ تَرَكَهُ رَغْبَةً عَنْهُمَا لَبَسَهُ اللَّهُ ثُوبَ الدُّلِّ، وَشَمِلَهُ الْبَلَاءُ، وَدَيَّبَتِ الْبَلَاءُ وَالْقَمَاءُ، وَضُرِبَ عَلَى قَلْبِهِ بِالْأَسِيْهَابِ، وَأَدْبِلَ الْحَقُّ مِنْهُبِتَضْيِيعِ الْجِهَادِ، وَسَيِّمَ الْخَسْفَ، وَمُنِعَ النَّصْفَ. أَلَا وَإِنِّي قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى قِتَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَيْلًا وَنَهَارًا، وَسِرًّا وَإِعْلَانًا، وَقُلْتُ لَكُمْ: اغزُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَغزُوَكُمْ، فَوَاللَّهِ مَا غَزَى قَوْمٌ قَطُّ فِي عَقْرِ دَارِهِمْ إِلَّا ذُلُّوا، فَتَوَاكَلْتُمْوَ تَخَاذَلْتُمْ حَتَّى شُنَّتْ عَلَيْكُمْ الْغَارَاتُ، وَمَلَكَتْ عَلَيْكُمْ الْأَوْطَانَ. وَهَذَا أَخُو غَامِدٍ قَدْ وَرَدَتْ خَيْلُهُ الْأَنْبَارَ، وَقَدْ قَتَلَ حَسَانَ بْنَ حَسَّانَ الْبَكْرِيَّ، وَأَزَالَ خَيْلَكُمْ عَنْ مَسَالِحِهَا، وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ، وَالْآخَرَى الْمُعَاهِدَةَ، فَيَنْتَزِعُ حِجْلَيْهَا وَقَلْبَيْهَا وَقَلَانِدَهَا، وَرِعَانَيْهَا، مَا تَمْتَنِعُ مِنْهُ إِلَّا بِالْإِسْتِزْجَاعِ وَالْإِسْتِزْحَامِ، ثُمَّ انصَبَ رُفُوعًا وَافْرِينَ، مَا نَالَ رَجُلًا مِنْهُمْ كَلِمًا، وَلَا أَرِيقَ لَهُمْ دَمًا، فَلَوْ أَنَّ امْرَأً مُسْلِمًا مَاتَ مِنْ بَعْدِ هَذَا أَسْفًا، مَا كَانَ بِهِ مَلُومًا، بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيرًا. فَيَا عَجَبًا! عَجَبًا - وَاللَّهِ - يُمِيتُ الْقَلْبَ وَيَجْلِبُ الْهَمَّ مِنْ اجْتِمَاعِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ عَلَى بَاطِلِهِمْ، وَتَفَرُّقِكُمْ عَنِ حَقِّكُمْ! فَقُبْحًا لَكُمْ وَتَرْحًا، حِينَ صَرْتُمْ غَرَضًا يَرْمَى: يُعَارُ عَلَيْكُمْ وَلَا- تُعِيرُونَ، وَتَغزُونَ وَلَا- تَغزُونَ، وَيُعَصِي اللهُ وَتَرْضُونَ!» (١).

ص: ٣٤٧

#### إشاره

ينقسم الجهاد الدفاعي فقهيًا بحسب الأدله إلى أقسام أربعه:

#### القسم الأول: الدفاع الوقائي الرادع عن عدوان المعتدي:

وهو مضمون القاعده في الآيه الكريمه: (وَ أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسِيَّطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَ مِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ ) (١). وهذنا النوع من الجهاد الباب مفتوح على مصراعيه لإعداد المجتمع للقوه، أمام عدوان المعتدي وليس هناك سقف معين يقف عنده ذلك الإعداد، وهو نحو من القوه الناعمه - في الاصطلاح الاستراتيجي الحديث - لأنه لا تُراق فيه محجمه دم ولا تنشب فيه نار تشتعل بل قوه ردع واقيه عن العدوان، ومن خصائص هذنا القسم أنه لا يعطل في حال من الأحوال كما أنه عني على الجميع استغراقاً كل بحسب قدرته وطاقته فضلاً عن كفايته بحسب مراتب الإعداد.

#### القسم الثاني: الدفاع العلاجي:

وهذنا القسم يُقرّر أنّ الدفاع بعيد وقوع الاعتداء لرفع العدوان والغزو وطرده من بقاع الإيمان مكانيه كانت أو جغرافيه أو غيرها، وهو المعهود في الأذهان والثقافه الفقيهيه.

ص: ٣٤٨

وهذا القسم غايته الردع عن تكرّر العدوان، وهو مفاد قاعده (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ) (١). ومن الواضح إنَّ عدّه مضامين قرآنيه تصبُّ في هذا المفاد، وهي:

قوله تعالى: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرِّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعِيدٌ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ \* وَلكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (٢).

وكذلك قوله تعالى: (الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) (٣).

وأيضاً قوله تعالى: (وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ \* وَ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ \* وَ لَمَنِ اتَّبَعَ بَعْدَ ظَلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ \* إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ \* وَ لَمَنِ صَبَرَ وَ عَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) (٤).

في خطبه المخزون لأمير المؤمنين (عليه السلام): «... فابشروا بنصر من الله عاجل وفتح يسير يقرّ الله به أعينكم ويذهب بحزنكم كفوا ما تناهى الناس عنكم فإنّ ذلك لا يخفى عليكم إنّ لكم عند كلّ طلعه عوناً من الله يقول على الألسن

١- (١) سورة البقره: الآيه ١٧٩.

٢- (٢) سورة البقره: الآيه ١٧٨ - ١٧٩.

٣- (٣) سورة البقره: الآيه ١٩٤.

٤- (٤) سورة الشورى: الآيه ٣٩ - ٤٣.

ويثبت على الأئمة وذلك عون الله لأوليائه يظهر في خفي نعمته لطيفاً وقد أثمرت لأهل التقوى أغصان شجره الحياه وإن فرقاناً من الله بين أوليائه وأعدائه فيه شفاء للصدور وظهور للنور يعز الله به أهل طاعته ويذل به أهل معصيته، فليعد أمرء لذلك عدته ولا عدّه له إلّا بسبب بصيره وصدق نيه...»(١).

فقوله (عليه السلام): «كفواً ما تنهى الناس عنكم» مفاده ولسانه، لسان الروايات المُستفيضه في الهدنه مع المخالفين ولفظ الناس مُستعمل في الروايات كناية عنهم، وهو مُطابق للسان «الزم بيتك وكن حلساً من أحلاسه...»(٢).

ورغم ذلك فقد قيد أمير المؤمنين هَذَا الكفّ «الأمر بالهدنه» بالكف ما لم يكن هناك عدوان منهم علينا وإلّا فالدفاع لا يعطل في حال من الأحوال، وهَذَا ما عليه إجماع وتسلم علماء الإماميه من وجوب الجهاد الدفاعي، وإن بنو على تعليق بقيه أبواب الجهاد ومن ثم هذه الروايه وأمثالها كالمفسر الحاكم لمستفيض روایات الهدنه والروایات الأمره بالكون حلساً من أحلاس البيت، وإذا تقرّر وجوب الجهاد الدفاعي، فهَذَا يقرّر ما أسلفناه من قاعده وجوب إعداد القوه والعده والعده على الدوام وباستمرار من دون توقّف، ومدح الانتصار بعِد الظلم كما في قوله تعالى: (وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ) (٣) - كما هو مفاد الآيات التي أوردناها في القسم

ص: ٣٥٠

١- (١) مختصر بصائر الدرجات: ١٩٦؛ بحار الأنوار: ج ٥٣ ص ٧٨.

٢- (٢) الكافي: ج ٢٦٤: ٢؛ وسائل الشيعة: ج ٥١: ١٥.

٣- (٣) سورة الشورى: الآية ٤١.

الثالث - حكمه وغايته في الاقتصاص الرادع عن تكرار العدوان فيدخل الاقتصاص في الدفاع الوقائي بنمط آخر كما إن ذلك مفاد الحفاظ على الحياة كفلسفه وحكمه للقصاص، كما إن الآية الثانية من سورة البقره - ولكم في القصاص - تبين إن حكمه وغايه القصاص أيضاً هو الوقايه. وإن القصاص هو مقتضى التقوى ولا يخفى إن أعظم أقسام الجهاد الدفاعي هو القسم الأولى الوقائي «الوقايه خير من العلاج» ومن ثم أكدت الآية على وجوب الاستعداد والتعبئه وتنامي القوه على نحو الدوام والاستمرار، وأن يكون بقدر الاستطاعه لا بقدر العاده ولا بقدر الراحة، بل بتمام وكمال الاستطاعه أى استفراغ الوسع، ثم تبين الآية إن فلسفه هَذَا النمط من الإعداد هو الدفاع وقايه وردعاً لقوله تعالى: (تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ) (١).

كما إن القسم الثاني في جملة من الموارد وإن كان هو المعروف المعهود من الجهاد الدفاعي إلا أن من الواضح بحسب الأدلة المتقدمه أنه لا يختص به، بل يشمل الأول والثالث، بل في جملة من الموارد، لو اقتصر عليه - الثاني - فإنه لا يحصل غايه الدفع وهو تحصيل الأمن، إلا من القسم الثالث نظير ما يفصل في قتال البغاه بين من لهم فئه يرجعون إليها فيجوز الإجهاز على جريحهم وإتباع مدبرهم، وقتل أسيرهم وبين من ليس لهم فئه فلا يتبع لهم مدبر ولا يجهز على جريحهم ولا يقتل لهم مأسور فإن حكمه التفصيل هو (تكثُر البغي) أو في من لهم فئه فيكون الإجهاز على الجريح وقتل الأسير والمدبر قطعاً عن استمرار البغي وتكرره.

ص: ٣٥١

وَهُوَ يَقَامُ بِهِ فِي الْمَوْرَدِ الَّذِي يَعْلَمُ أَنَّ الْعَدُوَّ مُتْرَبِّصٌ لَشَنِّ عَدْوَانٍ قَرِيبٍ قَدْ أَخَذَ أَهْبَتَهُ فِي ذَلِكَ وَبَدَتْ عِلَامَاتٌ وَلَوَائِحٌ ذَلِكَ شَاهِرَةٌ ظَاهِرَةٌ، وَالْقَدْرُ الْمُتَيَقِّنُ مِنْ مَشْرُوعِيَةِ هَذَا الْقِسْمِ مَا إِذَا كَانَ عَدَمُ الْإِسْتِبَاقِ بِالْحَرْبِ وَالتَّوَانِي عَنِ الْمُبَادَرَةِ يَسْتَلْزِمُ عَدَمَ الْقُدْرَةِ عَلَى الْجِهَادِ الدِّفَاعِيِّ مِنَ الْقِسْمِ الثَّانِي وَهُوَ الْعِلَاجِيُّ أَوْ أَنَّهُ سَيَكْبِدُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ خَسَائِرَ كَبِيرَةً فِي الْأَرْوَاحِ وَالثَّرَوَاتِ، وَيَشِيرُ إِلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ) (١).

وَالِإِشَارَةُ فِي الْآيَاتِ وَالرُّوَايَاتِ كَثِيرَةٌ مِنْهَا: دُعَاءُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) كَمَا أَنْ يَدْعُو بِهِ وَهُوَ أَيْضًا مِنْ أَدْعِيَةِ الصَّحِيفَةِ السَّجَّادِيَّةِ، قَالَ: «وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَنَّ عَلَيْنَا بِمُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ - (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) - دُونَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ ... كَمَا نَصَبَ لِأَمْرِكِ نَفْسَهُ وَعَرَضَ فِيكَ لِلْمَكْرُوهِ بَدَنَهُ، وَكَاشَفَ فِي الدُّعَاءِ إِلَيْكَ حَامَتَهُ، وَحَارَبَ فِي رِضَاكَ أَسْرَتَهُ، وَقَطَعَ فِي إِحْيَاءِ دِينِكَ رَحْمَهُ، وَأَقْصَى الْأَدْنِيْنَ عَلَى جُحُودِهِمْ، وَقَرَّبَ الْأَقْصِيْنَ عَلَى اسْتِجَابَتِهِمْ لَكَ، وَوَالَى فِيكَ الْأَبْعَدِيْنَ وَعَادَى فِيكَ الْأَقْرَبِيْنَ، وَهَاجَرَ إِلَى بِلَادِ الْغَرْبِ وَمَحَلَّ النَّأْيِ عَنِ مَوْطِنِ رَحْلِهِ، وَمَوْضِعِ رِجْلِهِ، وَمَسْقَطِ رَأْسِهِ، وَمَأْنَسِ نَفْسِهِ، إِرَادَةً مِنْهُ لِإِعْزَازِ دِينِكَ، وَاسْتِنْصَارًا عَلَى أَهْلِ الْكُفْرِ بِكَ، حَتَّى اسْتَتَبَ لَهُ مَا حَاوَلَ فِي أَعْدَائِكَ وَاسْتَتَمَ لَهُ مَا دَبَّرَ فِي أَوْلِيَائِكَ، فَنَهَدَ إِلَيْهِمْ مَسْتَفْتَحًا بِعَوْنِكَ، وَمَتَّقِيًّا عَلَى ضَعْفِهِ بِنَصْرِكَ، فَغَزَاهُمْ فِي عَقْرِ دِيَارِهِمْ، وَهَجَمَ عَلَيْهِمْ فِي بَحْبُوحِهِ قَرَارِهِمْ، حَتَّى ظَهَرَ أَمْرُكَ، وَعَلَتْ كَلِمَتُكَ،

ص: ٣٥٢

وموضع الشاهد المُناسب للقسم الرَّابِع مِنْ أقسام الجهاد الدفاعي هُوَ قوله (عليه السلام): «فنهذ إليهم مستفتحاً بعونك، ومتقوياً عَلَى ضعفه بنصرك، فغزاهم فِي عقر ديارهم، وهجم عليهم فِي بحبوحه قرارهم، حتَّى ظهر أمرك، وعلت كلمتك، ولو كره المشركون». أَيْ أَنَّ رسول الله (صلى الله عليه و آله) نهض إلى المشركين الذين كانوا يعدّون العِدَّة ويتربصون الدوائر بالنبي (صلى الله عليه و آله) وبالمسلمين، بصوره سريعه ومباغتته بلا توائٍ أو كسلٍ رغمٍ إِنَّ العدو أقوى وأكثر عِدَّةً وعدد منه، لكنه مَعَ ذلك بادرهم حتَّى لا تكون الخساره أكبر ... معتمداً عَلَى الله وحده ومتقوياً به لنصره فغزاهم فِي عقر ديارهم وهجم عليهم فِي بحبوحه قرارهم حتَّى ظهر أمره، وعلت كلمته، ولو كره المشركون.

إشاره

ثم إنَّها هُنَا أقساماً أُخرى مِنْ أقسام الدِّفاع، وهى كالأقسام السابقه إلاَّ أنَّها أعظم منها؛ لأنَّ هذه الأقسام للدِّفاع عَنِ الأراضى المُقدَّسه أَى البلاد الَّتى فيها مراقده المعصومين (عليهم السلام) وفيها المساجد المشرفه، فالحرم المكى أرض مُقدَّسه والحرم المدينى كذلك، بل يشمل ما هُوَ أوسع مِنْ الحرم المكى والمدينى فيشمل أرض الحجاز كُلِّها، فهذه الأرض ينبغى تطهيرها مِنْ دنس المنتهكين لقدسيَّتها وحرمتها، كذلك النجف و كربلاء والكاظميه وخراسان وسامراء، مدنٌ يجب الدِّفاع عنها وحمايتها وقطع أيدي الباطل عنها إنَّ كانت فى أيديهم، بل حمايه المقدسات توجب حمايه كُلِّ أرض العراق، وهَذَا حال وحكم كُلِّ البلدان الَّتى فيها المقدسات.

فهناك واجبان واجب للدِّفاع عَنِ عموم كُلِّ بلاد المُسلمين، وواجب آخر هُوَ لخصوص الأراضى المُقدَّسه وهُوَ أعظم مِنْ الواجب الأوَّل، ونفس الضوابط الَّتى ذكرت فى الأقسام السابقه مِنْ الجهاد الدفاعى، تذكر هُنَا.

نظام تعدد مراتب الدِّفاع طويلاً متعكس مع قاعده الرفق المرن:

وإنَّ مراتب الدِّفاع عَنِ الأراضى المُقدَّسه، وباقى الأقسام السابقه كمراتب الأمر بالمعروف والنهى عَنِ المنكر لا تجوز المرتبه اللاحقه إلاَّ بَعِيدَ العجز عَنِ السابقه، فكما إنَّ مراتب الأمر بالمعروف والنهى عَنِ المنكر تبدأ مِنْ اليد وتنتهى بالقلب، كذلك فى مراتب الجهاد الدفاعى، كما فى الحديث عَنِ

أبى سعيد الخدرى أنه سمع رسول الله، يقول: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مَنْكَرَ فَاسْتَطَاعَ أَنْ يَغَيِّرَهُ بِيَدِهِ فَلْيَفْعَلْ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أضعف الإيمان»(١).

وهذا عين ما رسمه سيد الشهداء (عليه السلام)؛ لأنه وصف جهاده لأهل الباطل بأنه أمرٌ بالمعروف ونهْيٌ عن المنكر، حيث يقول: «ما خرجت أشراً ولا بطراً ولا ظالماً ولا مفسداً إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي رسول الله (صلى الله عليه وآله) أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيره جدي وأبي، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق ومن رد عليّ أصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين»(٢)، فالشارع المقدس لا يسمح للمكلف مع توفر ظروف الردع باليد أن يردع بلسانه، بل قيد مرتبه ردع المنكر باللسان بعدم الاستطاعة لمرتبه اليد.

أمّا قاعده الرفق المرن فهى قاعده إعداديه تبدأ من الدرجه البسيطة ثم تتصاعد إلى الدرجات العليا.

### القسم الخامس: الجهاد الاقتصاصى فى الدفاع عن المقدسات:

سبق وإن تكلمنا عن الجهاد الدفاعى الاقتصاصى، وكان الكلام فيه بشكل عام شامل لكل حُمى ومعاقل وأراضى المسلمين سواء كان فيها المقدسات أو ليس فيها، بينما الكلام فى هذه القاعده فى خصوص الجهاد الدفاعى الاقتصاصى، وفى الدفاع عن المقدسات أو البلدان التى فيها المقدسات.

ص: ٣٥٥

١- (١) الخلاف للطوسى: ج ٦٦٣: ٢؛ مسند أحمد ج ١٠: ٣.

٢- (٢) مناقب آل أبى طالب: ج ٨٩: ٤.

ونفس الآيات التي ذكرت في الجهاد الدفاعي الاقتصاصي تذكر هنا، فإن الاقتصاص عام وهو إن شمل غير المقدسات فإنه يشمل المقدسات بطريق آكد وأشدّ مضافاً إلى الآيات الخاصه بأراضى المقدسات، فراجع ما ذكرنا هناك.

### **القسم السادس: الجاد الدفاعي الاستباقي عن المقدسات:**

ثم أنّها هنا قسماً سادساً وهو متولد من القسم الرابع ومتفرّع عليه، ولكنه أعظم منه ونفس المراتبيه التي ذكرناها هناك تأتي هنا أي أنّ وجوب الجهاد الدفاعي الاستباقي عن المقدسات الذي هو القسم السادس ينضبط بالمراتب، فكما لا يصح القسم الثاني وهو الجهاد العلاجي إلا بعد العجز عن القسم الرابع مع توفر شروط القسم الرابع (الاستباقي) والقسم الأول لا يصح إلا بعد العجز عن القسم الثاني والرابع. والقسم الأول لا يمكن بحال من الأحوال التنازل عنه لأنه لا سقف له وفتح فيه الباب على مصراعيه لإعداد المجتمع للقوه أمام عدوان المعتدى، وليس هناك سقف يقف عنده ذلك الإعداد كما هو مفاد الآية الكريمة: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ ..).

فتحصّل ممّا تقدّم إنّ الدّفاع عن المقدّسات هو من أمّهات الواجبات ولا محيص عن الدّفاع عن تلك المقدّسات، ولكن آليات الدّفاع مُختلفه من حيث الزمان والمكان والأفراد ... الخ.

### **القسم السابع: الجهاد الاقتصاصي تعصباً لأهل البيت عليهم السلام**

هناك أدله عديده تشير إلى أنّ مشروع أهل البيت (عليهم السلام) كان بعيداً شهاده الحسين (عليه السلام) هو الانتقام له من أعداءه، وهذه القاعده من أقسام الجهاد

الدفاعي تختلف عَن القاعدة السابِقة (الجهاد الاقتصاصى فى الدَّفَاع عَن المقدسات) وَإِنْ كَانَ كِلَاهِما اقتصاصاً؛ لِأَنَّ الاقتصاص هُنَا لِأَجْلِ ذَاتِ المَعصومِ وِلَيْسَ لِأَجْلِ الأَرْضِ المُقدَّسه أَوِ المقدسات الأخرى.

### أهميه ذات المعصوم كركن من أركان الدين:

وهذه القاعدة لها أدلّه وشواهد كثيره، فى روايات أهل البيت (عليهم السلام) وزياراتهم وأدعتهم، وهُنَا ابتداءً نبيّن أهميه ذات المعصوم (عليه السلام) كركن من أركان الدين:

(١) إجعل أفئده من الناس تهوى إليهم:

هُنَاك آيات كثيره تشير إلى أهميه ذات المعصوم وأنّ ذاته تمثّل الدّين قال تعالى: (وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ) (١).

هُنَا القرآن يجعل الهجره إلى الله مقرونه بالهجره إلى النّبي (صلى الله عليه وآله) وكان من لم يقرب مع هجرته لله الهجره للرسول (صلى الله عليه وآله)، فهجرته باطله كمن لا يتشهد الشهاده الثّانيه مُبيناً أهميه ذات المعصوم كأساس فى الدّين، لذلك فإنّ القرآن حكايه عن إبراهيم (عليه السلام) يقول: (فَاجْعَلْ أَفئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ) (٢).

فإنّ أهميه ذات المعصوم بيّنها الوحى فى القرآن على لسان إبراهيم بأن تهوى القلوب لهم ولا تهوى إلى بيت الله أى ذات المعصوم أكثر قدسيه من نفس الأرض المُقدَّسه، بل أنّ قدسيه الأرض كانت من قدسيتهم ولعلّ فى سورة يوسف إشارات كثيره منها: (يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا

ص: ٣٥٧

١- (١) سورة النساء: الآية ١٠٠.

٢- (٢) سورة إبراهيم: الآية ٣٧.

تَيَّأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَتَيَّأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ (١) وهُنَا قَرْنُ الْيَأْسِ مِنَ الْمَعْصُومِ بِالْيَأْسِ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ وَهُوَ الْكُفْرُ، وَهُنَا مِنَ الْمُحْتَمَلِ جَدًّا أَنَّهُ لَيْسَ الْبَحْثُ عَنِ جَسَدِ الْمَعْصُومِ بِمَا هُوَ، بَلْ بِمَا هُوَ زَعِيمُ الدِّينِ وَلِذَا فَإِنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ يَأْسٌ مِنْ أَخِ يُوسُفَ مِنْ حَيْثُ جَسَدُهُ لِأَنَّ مَكَانَهُ مَعْرُوفٌ فِي مِصْرَ وَلَيْسَ هُوَ خَفِيَ حَتَّى يَحْصَلَ الْيَأْسُ مِنْهُ، فَيَكُونُ الْمَقْصُودُ مِنَ التَّحْسِيْسِ هُوَ التَّحْسِيْسِ فِي الْبَحْثِ عَنِ الْمَعْصُومِ (عَلَيْهِ السَّلَام) الَّذِي يَمِثِلُ الدِّينَ لِذَلِكَ قَالَ «مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ» لِأَنَّ الْبَحْثَ أَوَّلًا وَبِالذَّاتِ عَنِ يُوسُفَ (عَلَيْهِ السَّلَام) وَبِالْعَرَضِ عَنِ أَخِيهِ.

(٢) فِي رَوَايِهِ مَرَّتْ فِي قَوَاعِدِ دِفَاعِيهِ سَابِقَهُ، نَرَى فِيهَا التَّخَاذُلَ عَنِ دُخُولِ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ يُفَسِّرُهُ الْإِمَامُ (عَلَيْهِ السَّلَام) بِالتَّخَاذُلِ عَنِ عَلِيٍّ (عَلَيْهِ السَّلَام) بِاعْتِبَارِ تَكَرُّرِ السَّنَنِ الْإِلَهِيَّةِ، فَعَيْنُ حَرِيْزِ عَيْنِ بَعْضِ أَصْحَابِهِ، عَنِ أَبِي جَعْفَرٍ (عَلَيْهِ السَّلَام) قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُرَكِبَنَّ سَنَةً مِنْ قَبْلِكُمْ حَذُوا النِّعْلَ بِالنِّعْلِ وَالْقَدَّهَ بِالْقَدَّهَ، حَتَّى لَا تَخْطُونَ طَرِيقَهُمْ، وَلَا يَخْطُوكُمْ سَنَةَ بَنِي إِسْرَائِيلَ»، ثُمَّ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ (عَلَيْهِ السَّلَام): «قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ: يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ فَردُوا عَلَيْهِ ... فَتَاهُو أَرْبَعِينَ سَنَةً لِأَنَّهُمْ عَصَوْا فَكَانَ حَذُوا النِّعْلَ بِالنِّعْلِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لَمَّا قَبِضَ لَمْ يَكُنْ عَلَيَّ أَمْرُ اللَّهِ إِلَّا عَلَيَّ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَسُلْمَانُ وَالْمَقْدَادُ وَأَبُو ذَرٍّ فَمَكَثُوا أَرْبَعِينَ سَنَةً حَتَّى قَامَ عَلِيٌّ (عَلَيْهِ السَّلَام) فَقَاتَلَ مِنْ خَالَفَهُ» (٢).

ص: ٣٥٨

١- (١) سورة يوسف: الآية ٨٧.

٢- (٢) تفسير العياشي: ٣٠٣؛ البحار: ج ٢٥٦: ٥.

نلاحظ هنا أن الدِّفاعَ عَنِ الأَرْضِ المُقَدَّسَةِ متولده أساساً مِنْ نصره المعصوم (عليه السلام) فبالأساس النصره كانت للمعصوم (عليه السلام) والدِّفاعَ المذكور متفرِّعَ عليها، فيظهر هنا سوء عاقبه مِنْ يتخاذل عَنِ نصره المعصوم (عليه السلام)، وبالمقابل نعرف حسن عاقبه مِنْ ينصر المعصوم (عليه السلام).

فإنَّ سببَ قدسيه الأرض المُقَدَّسَةِ هُوَ الأنبياء، فإنَّ تقديسها بسبب الإشعاع الذي لدى الأنبياء، فكيف بنفس الأنبياء، فالأصل هُوَ المعصوم وهدايتَه، والتيه عَنِ الأرض المُقَدَّسَةِ هُوَ بلحاظ التيه عَنِ المعصوم وهدايتَه، لذلك وَرَدَ: «إنما أمروا أن يطوفوا بها ثمَّ ينفروا إلينا فيعلمون ولايتهم» (١).

بلْ وَأَنَّ القُرْآنَ يُؤكِّدُ هَذَا المعنى في قوله تعالى: (فَجَعَلْ أَرْضَهُ مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ) (٢) فتكون الغايه مِنْ الأَرْضِ المُقَدَّسَةِ والوفود عليها هُوَ الوفود عَلَى المعصوم، فالوفود عَلَى بيت الله الحرام والحج غايته هوى القلوب إليهم، لأنهم الباب الأقصد، وقوله تعالى - كَمَا فِي الروايه المُتقدمه :-

(يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ وَلا تَزِدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خاسِرِينَ \* قالوا يا موسى إِنَّ فِيها قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإنَّا لَنْ نَدْخُلها حَتَّى يَخْرُجوا مِنْها فَإِن يَخْرُجوا مِنْها فَإِنَّا داخِلُونَ \* قال رَجُلانِ مِنَ الَّذِينَ يَخافُونَ أَنَّهم لَنْ يَدْخُلها أَدْخُلوا عَلَيْهِمُ البابَ فَإِذا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غالِبُونَ وَ عَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ \* قالوا يا موسى إِنَّا لَنْ نَدْخُلها أَبَداً ما داموا فِيها فَادْهَبْ أَنْتَ وَ رَبُّكَ فَقاتِلا إِنَّا هاهنا قاعدُونَ \* قال رَبِّ إِنِّي لا أملكُ إِلَّا نَفْسِي وَ أَخِي فَأفِرُقْ بَيْننا وَ بَيْنَ القَوْمِ الفاسِقِينَ) (٣).

ص: ٣٥٩

١- (١) الكافي: ج ٣٩٢: ١.

٢- (٢) سورة إبراهيم: الآيه ٣٧.

٣- (٣) سورة المائدة: الآيه ٢١ - ٢٦.

فالأيات تشير إلى أن وجوب الدِّفاع وتحرير الأراضى المُقدَّسه الذى هُوَ مِنَ الجهاد الدِّفاعى وَهُوَ نوعٌ مِنَ الاقتصاص واسترداد الأرض أن لا تكون تَحْتِ هيمنه وسلطه الجبارين، بل تَحْتِ ولايه الأولياء المصطفين كُلِّ هَذَا الحما والدِّفاع عَنِ الأرض المُقدَّسه إِنَّمَا هُوَ بلحاظ الصفوه المعصومه مِنَ الأنبياء والأوصياء والحجج.

والروايات الَّتِي تشير إلى أَنَّ ذات المعصوم (عليه السلام) هِى الأصل الذى يتفرَّع عليه قدسيه الأراضى المُقدَّسه، وبالتالي يكون وجوب الدِّفاع عَنِ الأراضى المُقدَّسه مُتفرَّعَ عَلى وجوب الدِّفاع عَنِ ذات المعصوم (عليه السلام).

مِنْ هذه الروايات، عَنِ أبى عبدالله الصنابحى، عَنِ عَلِيٍّ (عليه السلام) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله): «يَا عَلِيُّ أَنْتَ بِمَنْزِلَةِ الكعبه يَأْتِي إِلَيْهَا وَلَا تَأْتِي» (١).

كذلك عَنِ أبى ذر قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله): «مِثْلَ عَلِيٍّ فِيكُمْ كَمِثْلِ الكعبه المستوره - أو المشهوره - النَّظَرُ إِلَيْهَا عِبَادَهُ وَالحجَّ إِلَيْهَا فَرِيضُهُ» (٢).

(٣) عَنِ عَلِيٍّ بن الحسين (عليهما السلام) قَالَ: «لَمْ يَدْخُلِ الجنه حميه غَيْرِ حميه حمزه بن عبد المطلب وذلك حين أسلم غضباً للنبي (صلى الله عليه وآله)، فى حديث السلا الذى ألقى عَلِيٌّ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وآله)» (٣)، وَمِنْ الواضح أَنَّ الحميه تبقى حميه وَمَعَ ذلك تدخل الجنه

ص: ٣٦٠

---

١- (١) المسترشد للطبرى الشيعى: ٣٨٩، وكذلك ذكر نفس الحديث فى احتجاج الإمام عَلِيٍّ الخوارج فى صفحه: ٢٩٤؛ بحار الأنوار: ج ٧٩: ٤٠.

٢- (٢) مناقب عَلِيٍّ ابن أبى طالب (عليه السلام) للمغازلى: ١١١، مناقب آل أبى طالب: ج ٦: ٣؛ تاريخ دمشق لابن عساكر: ج ٣٥٦: ٤٣.

٣- (٣) الكافى: ج ٣٢٣: ٢.

والسبب في ذلك، أنها أضيفت لذات المعصوم (عليه السلام)، - تعصباً لذات المعصوم أ، بل أن الكثير من الماهيات السيئة ظاهراً هكذا تتبدل إلى حسن وحسنه، بإضافتها إلى المعصوم (عليه السلام).

وهذا المضمون له إشارات قرآنية وروائية عديدة، تشير إلى أن هنا ماهيات سيئة تتبدل إلى حسنة، بإضافتها إلى المعصوم، كما في قول يعقوب (عليه السلام) معللاً شدة جزعه على يوسف (عليه السلام) وذهاب عينيه من الحزن فهو كظيم، قال تعالى: (إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَ أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) (١)، كذلك قول أمير المؤمنين (عليه السلام) - ساعه دفن النبي (صلى الله عليه وآله) -: «إِنَّ الصبر لجميل إلّا عنك وإنّ الجزع لقيح إلّا عليك» (٢) فإنّ الجزع رغم أنّه قبيح، ولكنه على المعصوم (عليه السلام) يكون جميلاً.

### بيت المقدس قُدس لوجود الأنبياء فيه:

بيت المقدس إنّما صار قبله وقُدس لعباده الأنبياء فيه ولقدسيتهم، كما في الرواية عن ابن عباس (رض): «فسار بهم إلى الأرض المُقدّسه وهي فلسطين، وإنّما قدّسها لأنّ يعقوب (عليه السلام) ولد بها، وكانت مسكن أبيه إسحاق (عليه السلام)، ويوسف (عليه السلام) ونقلوا كلّهم بعد الموت إلى أرض فلسطين» (٣).

ومن هنا يظهر وجه كون الكعبه مُقدّسه وأنّها كانت قبله لآدم حسب

ص: ٣٤١

١- (١) سورة يوسف: الآية ٨٤.

٢- (٢) نهج البلاغه لابن أبي الحديد: ج ١٩٥: ١٩؛ بحار الأنوار: ج ١٣٤: ٧٩.

٣- (٣) قصص الراوندى: ١٢٧ ح ١٩٩.

الروايات وقد وَرَدَ أَنَّ جميع الأنبياء قد حجّوا بيت الله في مكّة المُكْرَمَة ولعلّ تحوّل القبلة إلى بيت المُقَدَّس في شريعته النَّبِيّ موسى وشريعته النَّبِيّ عيسى نظراً لتحوّل مكّة إلى عبادة الأوثان من جهة وانقطاعها عن تولى وولايه الأنبياء والأوصياء بينما بيت المُقَدَّس صار مركزاً وقطباً رحى لتواجد الأنبياء والأوصياء. فصارت القبلة إليه فلما بعث سيّد الأنبياء استعادت مكّة المكرمه استحقات الاتّجاه الاستقبال لها، بعدما بعث سيّد الأنبياء فيها وأهل بيته (عليهم السلام) وشارف الأمر على تولى النَّبِيّ (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) على المسجد الحرام بفتح مكّة وإن كان تغيير القبلة في السنه الثانيه للهجره.

وَمِنْ ذَلِكَ يَظْهَرُ أَنَّ الْقِبْلَةَ فِي الْأَرْضِ وَالْبَقْعَةَ الْمُقَدَّسَةَ، إِنَّمَا هُوَ بِلِحَازِ الْإِتِّجَاهِ إِلَى هِدَايَةِ الْمَعْصُومِ (عَلَيْهَا السَّلَام) مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْصِيَاءِ.

وَمِنْ هُنَا، قَالَ تَعَالَى: (وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنُعَلِّمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَيَّ عَقْبَيْهِ) (١)، فغايبه القبلة وحققتها إتباع الرسول (صلى الله عليه وآله).

كذلك ما أوحى الله لموسى وهارون (عليه السلام) قَالَ تَعَالَى: (وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) (٢).

لا ترفعوا أصواتكم ....

قَالَ تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْصِدُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ \* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ \* إِنَّ الَّذِينَ

ص: ٣٤٢

١- (١) سورة البقره : الآيه ١٤٣.

٢- (٢) سورة يونس : الآيه ٨٧.

يُغْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (١).

في هذه الآيات أحكام عديدة كلها تشير إلى أهميه تعظيم و قدسيه ذات النبي (صلى الله عليه و آله) و أنه يحرم هتك هذه القدسيه، في قبال ذلك تعتبر الآيات الكريمات من يقدرس النبي و يراعى حرمة أنه ممتحن للتقوى:

(١) (لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ) ، قَالَ الْمَفْسُرُونَ أَنَّ أَحَدَ تَفَاسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ هُوَ «عَدَمُ تَقْدِيمِ شَيْءٍ مَا مِنْ الْحُكْمِ قِبَالَ حُكْمِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ» (٢)، فَكَانَ حُكْمُ الرَّسُولِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لَهُ مِنْ الْهَيْبَةِ وَالْإِحْتِرَامِ وَالْقُدْسِيَةِ وَالطَّاعَةِ مَا يُؤَدِّي لِلْمَنْعِ مِنْ إِبْدَاءِ الْمُقْتَرِحَاتِ أَوْ الرِّغْبَاتِ الشَّخْصِيَةِ أَوْ الْفُتْوِيِّهِ، بَلْ مُطْلَقًا لِأَنَّ إِحَاطَتَهُ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أَكْبَرَ وَأَوْسَعَ مِنْ إِحَاطَةِ كُلِّ الْمَخْلُوقَاتِ، فَإِذَا كَانَتِ الْقُدْسِيَةُ لِحُكْمِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فَقُدْسِيَةُ ذَاتِهِ أَعْلَى وَأَوْلَى بِالْإِحْتِرَامِ وَالتَّقْدِيسِ.

(٢) الْآيَةُ الثَّانِيَةُ جَعَلَتْ رَفْعَ الصَّوْتِ (مُجَرَّدَ رَفْعِهِ) فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، يُؤَدِّي إِلَى حَبْطِ الْأَعْمَالِ، دُونَ أَنْ يَشْعُرَ الْمُؤْمِنُ بِذَلِكَ، بَلْ حَتَّى الْجَهْرَ لَهُ بِالْقَوْلِ، فَيَكُونُ مُجَرَّدَ إِسَاءَةِ الْأَدَبِ فِي التَّعَامُلِ مَعَ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) يُؤَدِّي إِلَى ذَلِكَ فَكَيْفَ بِكَ بِقُدْسِيَةِ وَاحْتِرَامِ ذَاتِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أَوْ الْمَعْصُومِينَ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ الَّذِينَ هُمْ أَمْتِدَادُ لِنُورِهِ وَقُدْسِيَتِهِ.

(٣) فِي قِبَالَ ذَلِكَ فَإِنَّ مَنْ يَعْظُمُ النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَيَقْدِسُ ذَاتَهُ يَكُونُ نَاجِحًا فِي الْإِمْتِحَانِ الْإِلَهِيِّ، بَلْ هُوَ مِنَ الْمُتَّقِينَ وَلَهُ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ، وَهَذَا الْمَعْنَى عَظِيمٌ فَإِذَا مَنْ يَنْتَهِكُ الْقُدْسِيَةَ وَيَسْتَهِينُ بِعَمَلِهِ وَيَعْتَبِرُهُ بَسِيطًا يَحْبِطُ عَمَلُهُ

ص: ٣٤٣

١- (١) سورة الحجرات: الآية ١ - ٣.

٢- (٢) الميزان للطباطبائي: ج ٢٤٩: ١٨.

العظيم وَمَنْ يَعْظُم النَّبِيَّ يَأْتِيهِ عَظِيمُ الْأَجْرِ وَلَعَلَّهُ لَا يَعْلَمُ وَتَكُونُ لَهُ الْمَفْجَأُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا يَفْجَأُ الطَّرْفَ الْآخِرَ بَأَنَّ لَا عَمَلَ لَهُ.

### المعصوم عليه السَّلامِ مقدسات الدِّين

وَرَدَتْ رَوَايَاتٌ كَثِيرَةٌ تُشِيرُ إِلَى أَنَّ مَنْ سَبَّ أَحَدَ الْمَعْصُومِينَ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) - النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أَوْ أَحَدَ أَهْلِ بَيْتِهِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) - قَتَلَ وَهَذَا إِشَارَةٌ إِلَى أَهْمِيَّةِ ذَاتِ الْمَعْصُومِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَقُدْسِيَّتِهَا، وَأَنَّهَا مِنْ أَهَمِّ مُقَدَّسَاتِ الدِّينِ الَّتِي لَا يَجُوزُ انْتِهَاكُهَا كَمَا فِي صَحِيحِهِ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ، قَالَ قَتَلَ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): «مَا تَقُولُ فِي رَجُلٍ سَبَّاهُ لَعَلِّي (عَلَيْهِ السَّلَامُ)؟» قَالَ: فَقَالَ لِي: حَلَالَ الدَّمِ وَاللَّهِ لَوْلَا أَنَّ تَعَمَّ بَرِيئاً...» (١).

كَذَلِكَ عِنْدَ عُبَيْدِ بْنِ زُرَّارَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قَالَ: «مَنْ قَعَدَ فِي مَجْلِسٍ يَسُبُّ فِيهِ إِمَامًا مِنْ الْأَئِمَّةِ يَقْدِرُ عَلَى الْإِنْتِصَافِ مِنْهُ فَلَمْ يَفْعَلْ أَلْبَسَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الذِّلَّ فِي الدُّنْيَا، وَعَذَبَهُ فِي الْآخِرَةِ وَسَلَبَهُ صَالِحَ مَا مَنَّ بِهِ عَلَيْهِ مِنْ مَعْرِفَتِنَا» (٢).

كَذَلِكَ مَعْتَبَرَهُ عَلِيُّ بْنُ هَدِيرٍ، قَالَ سَمِعْتُ مَنْ سَأَلَهُ أَبَا الْحَسَنِ الْأَوَّلَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ بَشِيرٍ يَقُولُ: إِنَّكَ لَسْتَ مُوسَى بْنَ جَعْفَرِ الذِّي أَنْتَ إِمَامُنَا وَحِجَّتُنَا فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ اللَّهِ، قَالَ: فَقَالَ: «لَعَنَهُ اللَّهُ - ثَلَاثًا - أَذَاقَهُ اللَّهُ حَرَّ الْحَدِيدِ، قَتَلَهُ اللَّهُ أَخْبَثَ مَا يَكُونُ مِنْ قَتْلِهِ، فَقُلْتُ لَهُ: إِذَا سَمِعْتَ ذَلِكَ مِنْهُ أَوْ لَيْسَ حَلَالَ لِي دَمُهُ؟ مَبَاحٌ كَمَا أُبَيِّحُ دَمَ السَّابِّ لِرَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَالْإِمَامِ؟ قَالَ: نَعَمْ حَلَّ وَاللَّهِ، حَلَّ وَاللَّهُ دَمَهُ، وَأَبَاحَهُ لَكَ وَلِمَنْ سَمِعَ ذَلِكَ مِنْهُ، قُلْتُ: أَوْلَيْسَ

ص: ٣٦٤

١- (١) الكافي: ج ٢٦٩: ٤٤٧؛ التهذيب: ج ٨٦: ٣٣٦/١٠.

٢- (٢) الكافي: ج ٢٣٥: ٣١٥/٨؛ وسائل الشيعة: ج ٢٨ ب ٢١٧: ٢٧ ح ٣.

ذلك سبب لك؟ قَالَ هَذَا سَبَابُ اللَّهِ، وَسَبَابُ لِرَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، وَسَبَابُ لِآبَائِي وَسَبَابِي، وَأَيُّ سَبِّ لَيْسَ يَقْصُرُ عَنْ هَذَا وَلَا يَفُوقُهُ هَذَا الْقَوْلُ، فَقُلْتُ أَرَأَيْتَ إِذَا أَنَا لَمْ أَخْفِ أَنْ أَعْمُرَ بِذَلِكَ بَرِيئاً ثُمَّ لَمْ أَفْعَلْ وَلَمْ أَقْتُلْهُ، مَا عَلَيَّ مِنَ الْوِزْرِ؟ فَقَالَ: يَكُونُ عَلَيْكَ وَزْرُهُ أضعاف مضاعفه مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ وَزْرِهِ شَيْءٌ، أَمَّا عَلِمْتَ أَنَّ أَفْضَلَ الشُّهَدَاءِ دَرَجَةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ نَصَرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ، وَرَدَّ عَنْ اللَّهِ وَعَنْ رَسُولِهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) «(١)».

يُظْهِرُ مِنْ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ الْمُتَّفِقِ عَلَيْهَا فَتَوَى عِنْدَ الْأَصْحَابِ وَرَوَايَاتٍ كَثِيرَةٍ - لَمْ نوردَهَا اختصاراً - عَقُوبَهُ مِنْ يَسْبِ الْمَعْصُومِ وَشِدَّةِ وَعَقُوبِهِ مِنْ يَسَكْتِ عَمَّنْ يَسْبِ الْمَعْصُومِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى رَدِّهِ فِي الرِّوَايَةِ - الْمُتَّقَدِّمَةِ - أَحْكَامٌ عَدِيدَةٌ بَيْنَهَا الْإِمَامُ مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ (عَلَيْهِ السَّلَامُ):

١- أَنَّهُ لَعَنَ ثَلَاثًا مِنْ أَنْكَرِ حُجَّتَيْهِ وَعَصْمَتِهِ.

٢- دَعَا (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عَلَيْهِ بِأَنْ يَمُوتَ قَتْلًا وَبِأَخْبَثِ مَا يَكُونُ مِنَ الْقَتْلِ.

٣- إِنَّهُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أَبَاحَ دَمَهُ وَأَلْحَقَهُ بِمَنْ يَبَاحُ دَمَهُ لِأَجْلِ سَبِّ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أَوْ أَحَدِ الْمَعْصُومِينَ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)، بَلْ جَعَلَ سَبَّهُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) سَبًّا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَلِآبَائِهِ.

٤- إِنَّهُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) جَعَلَ مِنْ يَسْتِطِيعُ قَتْلَ السَّابِّ وَلَا يَقْتُلُهُ إِنَّهُ يَلْحَقُهُ مِنَ الْوِزْرِ أضعافاً مُضاعِفه مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَهُ مِنْ وَزْرِهِ شَيْءٌ.

٥- جَعَلَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) النَّاصِرَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بِظَهْرِ الْغَيْبِ مِنْ أَفْضَلِ الشُّهَدَاءِ دَرَجَةَ عِنْدَ اللَّهِ، بَلْ فِي الرِّوَايَةِ الْمُتَّقَدِّمَةِ، نَرَى أَنَّ مَنْ يَتَخَاذَلُ عَنْ الْمَعْصُومِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لَهُ عَقُوبَةٌ دُنْيَوِيَّةٌ وَيَسْلُبُهُ اللَّهُ صَالِحَ مَعْرِفَتِهِمْ.

ص: ٣٦٥

١- (١) رجال الكشي: ج ٤٨٢: ٩٠٨/٢؛ وسائل الشيعة: ج ٢١٧: ٢٨: ب ٢٧: ح ٦.

وأما أقوال العلماء في ذلك:

١ - الجواهر، قَالَ بالإجماع عَلَى قتل مَنْ سَبَّ النَّبِيَّ (صلى الله عليه و آله) أو أحد الأئمة (عليهم السلام)، بَلْ هُوَ يَنْقَلُ عِبَارَهُ الْمَسَالِكُ «فِي إِحْقَاقِ بَاقِي الْأَنْبِيَاءِ بِذَلِكَ قُوَّةً، لِأَنَّ كَمَالَهُمْ وَتَعْظِيمَهُمْ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ ضَرُورَةٌ فَسَبُّهُمْ ارْتِدَادٌ وَتَبَعَهُ عَلَيْهِ غَيْرٌ وَاحِدٌ» (١).

٢- بَلْ فِي الرِّيَاضِ مِنَ الْمَغْنِيَةِ الْإِجْمَاعُ عَلَيْهِ (٢).

٣ - الشَّهِيدُ الثَّانِي فِي الْمَسَالِكِ يَقُولُ: مِنْ سَبَّ النَّبِيَّ (صلى الله عليه و آله) جَازَ لِسَامِعِهِ قَتْلَهُ، مَا لَمْ يَخْفِ الضَّرْرَ عَلَى نَفْسِهِ أَوْ مَالِهِ أَوْ غَيْرِهِ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ، وَكَذَا مِنْ سَبَّ أَحَدِ الْأَئِمَّةِ (عليهم السلام) (٣).

٤ - قَالَ السَّيِّدُ الْخُوئي فِي مَسْأَلِهِ (٢١٤): يَجِبُ قَتْلُ مَنْ سَبَّ النَّبِيَّ (صلى الله عليه و آله) عَلَى سَامِعِهِ مَا لَمْ يَخْفِ الضَّرْرَ عَلَى نَفْسِهِ أَوْ عَرْضِهِ أَوْ مَالِهِ الْخَطِيرِ وَيَلْحَقُ بِهِ سَبُّ الْأَئِمَّةِ (عليهم السلام) وَسَبُّ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ (عليها السلام)، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى الْإِذْنِ مِنَ الْحَاكِمِ الشَّرْعِيِّ (٤).

يُظْهِرُ مِنَ الرِّوَايَاتِ الْمُتَقَدِّمَةِ الَّتِي تُشِيرُ إِلَى أَنَّ سَبَّ الْمَعْصُومِ (عليه السلام)، هُوَ سَبُّ اللَّهِ وَلِرَسُولِهِ (صلى الله عليه و آله) وَهَتَكَ لِحْرَمَةِ الْإِسْلَامِ، بَلْ حَكَمَ بَعْضُ الْفُقَهَاءِ عَلَى مَنْ يَفْعَلُ

ص: ٣٦٦

١- (١) جواهر الكلام: ج ٤٣٦: ٤١.

٢- (٢) مسالك الإفهام للشَّهِيدِ الثَّانِي: ج ٤٥٢: ١٤.

٣- (٣) مباني تكمله المنهاج: ج ٢٦٤: ١.

٤- (٤) الكافي: ج ١٧٥: ٧- ١٨٥؛ وسائل الشيعه: ج ١٣: ٢٨.

ذلك بالارتداد عن الدين، وبالقتل، باعتباره هتك لأعلى وأعظم المقدسات.

وإذا كَانَ الشَّارِع يَحْتَاط فِي الدَّمَاءِ وَالْفُرُوجِ وَالْأَمْوَالِ، وَيَجْعَلُ لَهَا حَرَمَهُ وَكِرَامَتَهُ لِكِرَامَةِ الْمُؤْمِنِ، فَإِنَّ كِرَامَتَهُ وَحَرَمَهُ الْمَعْصُومِ (عَلَيْهِ السَّلَام) أَعْلَى لِأَنَّهَا حَرَمَةٌ لِلدِّينِ وَصِيَانَتُهَا صِيَانَةٌ لِلدِّينِ وَالْمَقْدَسَاتِ، وَإِذَا كَانَتِ الدَّمَاءُ وَالْفُرُوجُ وَالْأَمْوَالُ لَهَا حَرَمَةٌ وَكِرَامَةٌ عَلَى الْمَسْتَوَى الْفَرْدِيِّ، فَإِنَّ هَتَكَ حَرَمَهُ الْمَعْصُومِ (عَلَيْهِ السَّلَام) هَتَكَ لِحَرَمِهِ مِنَ الْحَرَمَاتِ وَالْحَقُوقِ الْعَامَّةِ، فَهُوَ انْتِهَاكٌ لِحَرَمِهِ كُلِّ الْمُؤْمِنِينَ، بَلْ وَلِكُلِّ حَرَمَاتِ اللَّهِ وَالِدِّينِ.

### تعطيل الحدود يؤثر في التكوين والتشريع:

(١) مَا وَرَدَ مِنْ أَنْ تَعَطِيلَ حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ هُوَ عِنَادٌ لِلَّهِ، وَكَذَلِكَ إِقَامَةُ الْحَدِّ أَفْضَلُ مِنْ مَطْرِ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ (عَلَيْهِ السَّلَام): «حَدٌّ يَقَامُ فِي الْأَرْضِ أَزْكَى فِيهَا مِنْ مَطْرِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَأَيَّامَهَا» (١).

(٢) فَإِذَا كَانَ حَدٌّ يَسِيرٌ لِمُخَالَفَتِهِ جُنَائِهِ يَسِيرٌ لِفِرْدِ إِعْتِيَادِي غَرَضِ الشَّارِعِ فِيهِ قَائِمٌ بِهَذَا الْمَسْتَوَى، وَتَأْثِيرُهُ فِي التَّكْوِينِ هَكَذَا فَكَيْفَ بِأَمْرٍ وَحَدٍّ مَرْتَبُطٍ بِأَعْظَمِ مُقْدَسَاتِ الدِّينِ وَهُوَ الْمَعْصُومُ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ (عَلَيْهِمُ السَّلَام)، وَالَّذِي عَظَّمَ الْقُرْآنُ مِنْ شَأْنِهِمْ.

(٣) وَمِنْ تَمَّ وَرَدَ فِي سَابِّ الْمَعْصُومِ حَدُّ الْقَتْلِ فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فِي سَابِّ الْمَعْصُومِ، فَكَيْفَ بِقَاتِلِ الْمَعْصُومِ، وَكَيْفَ إِذَا كَانَ الْقَاتِلُ فَتَهُ مِنَ النَّاسِ وَجَمَاعِهِ كَثِيرًا.

(٤) فَكَيْفَ بِسَبِي عَرَضِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، وَقَدْ اشْتَرَكْتَ فِي ذَلِكَ فِرْقَهُ مِنْ

ص: ٣٦٧

(٥) ومما يُبيّن مدى خطوره هذا الأمر فى الدّين وعند الشّارع ما جرى مِنْ ظواهر كونه وبروز الدم تَحْتَ كُلِّ حجر ومدبر بَعْدَ قتل أمير المؤمنين (عليه السلام)، وقتل الحسين (عليه السلام).

(٦) ما وَرَدَ فى الفقيه عَن أبى عبدالله (عليه السلام): «إِنَّ مِنْ بَالِ فى الكعبه مُعاندًا أُخرج منها وَمِنْ الحرم وضربت عنقه»<sup>(١)</sup>.

وَمِنْ الواضح أَنَّ قول الإمام (عليه السلام) «ضربت عنقه»، أئى لَأَنَّهُ انتهك قدسيه الكعبه، فما بالك بِمَنْ هتك ما هُوَ أعظم حرمة وقدسيه مِنْ الكعبه وَهُوَ المعصوم (عليه السلام)، بل ما بالك بِمَنْ قتل المعصوم (عليه السلام).

(٧) كذلك ما وَرَدَ عَن سداد بن أوس - بَعِيدَ أَنْ شارك فى معركة الجمل إلى جنب أمير المؤمنين (عليه السلام)، قَالَ: لما كَانَ يوم الجمل ... فدخلت عَلَى أم سلمه ... قالت: نِعْمَ ما عملت، لَقَدْ سمعت رسول الله (صلى الله عليه و آله) يقول: «مَنْ حارب علياً فقد حاربنى وَمَنْ حاربنى فقد حارب الله»<sup>(٢)</sup>.

فيظهر مِنْ هذه الروايه، أَنَّ الحرب لأحد المعصومين (عليهم السلام) هى حرب لرسول الله (صلى الله عليه و آله) والله تعالى، فيكون الطلب بئار المعصوم (عليه السلام) والدِّفاع عَن المعصوم (عليه السلام) هُوَ دفاع عَن الله وَعَن دين الله ورسوله، ويكون التخاذل عَن ذلك تخاذل عَن الله ورسوله (صلى الله عليه و آله). كَمَا وَرَدَ ذلك (فى مستفيض الزيارات (ثار الله) و (وتر الله الموتور).

(٨) عَن عليّ بن الحسين (عليه السلام): خرجنا مَعَ الحسين (عليه السلام) فما نزل منزلاً ولا

١- (١) مَنْ لا يحضره الفقيه: ج ٢٥١: ٢ ح ٢٣٢٦.

٢- (٢) كفايه الأثر للقمى: ١٨٠.

إرتحل عنه إلهما وذكر يحيى بن زكريا ... ثم ذكر قصه قتل يحيى (عليه السلام)، وكيف خسف الله الأرض بتلك المرأة التي حرّضت الملك على قتل يحيى (عليه السلام)، وسلط الله عليهم بخت نصر، فجعل يرمى عليهم بالمجانيق ولا يعمل شيئاً، فخرجت عليه عجوز من المدينة فقالت: إن هذه مدينة الأنبياء - أي أنها مقدسه قدّست لوجود الأنبياء فيها - لا تفتح إلا بما أدلك عليه، قال: لك ما سألت، قالت: ارمها بالخبث والعذرة، ففعل فتقطعت فدخلها فقال: عليّ بالعجوز، فقال لها: ما حاجتك؟ قالت: في المدينة دم يغلى فاقتل عليه حتى يسكن، فقتل عليه سبعين ألفاً حتى سكن.

يا ولدي يا عليّ والله لا يسكن دمي حتى يبعث الله المهدي (عج)، فيقتل عليّ دمي من المنافقين الكفرة الفسقه سبعين ألفاً (١).

٩) في قوله تعالى: (وَإِنْ كَادُوا لَيْسَ يَفْزُوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبُثُونَ خِلافَكَ إِلَّا قَلِيلًا \* سَيِّئَةٌ مِمَّنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا) (٢).

جاء في تفسير الآيتين أن الاستفزاز لرسول الله (صلى الله عليه وآله) ليخرجوه من مكة، أنهم لو أخرجوه من مكة لما لبثوا - أقاموا - فيها إلا قليلاً، وقال عباس والضحاك: المدة التي لبثوا بعده هو ما بين خروج النبي من مكة، وقتلهم يوم بدر.

وقوله تعالى: (سَيِّئَةٌ مِمَّنْ قَدْ أَرْسَلْنَا...) أي أن عدم لبثهم خلاف خروج النبي (صلى الله عليه وآله) وهلاكهم بعد خروجه هو سنة في كل الأنبياء الذين كانوا قبله (٣).

ص: ٣٦٩

١- (١) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ج ٢٣٨: ٣؛ بحار الأنوار: ج ٢٩٩: ٤٥.

٢- (٢) سورة الإسراء: الآية ٧٦ - ٧٧.

٣- (٣) التبيان للطوسي: ج ٥٠٨: ٦ بتصرف.

وَمِنْ هُنَا تَظْهَرُ أَنَّ قَدْسِيهِ ذَاتَ الْمُعْصُومِ (عَلَيْهِ السَّلَام) وَحَرَمَهُ ذَاتَهُ الْمُقَدَّسَهُ مِنْ الْأَهْمِيَةِ حَيْثُ تُعْجَلُ لِمَنْ يَنْتَهِكُهَا الْعُقُوبَاتُ الدُّنْيَوِيَّةُ قَبْلَ الْعُقُوبَاتِ الْآخِرَوِيَّةِ.

### موقف زينب العقبلة عليها السلام وجوب الثأر:

مَا وَرَدَ فِي الْأَخْبَارِ، عَنْ ابْنِ زَيْنَبٍ (عَلَيْهَا السَّلَام) كَانَتْ كَأُمَّهَا الزَّهْرَاءَ (عَلَيْهَا السَّلَام) فِي اتِّخَاذِ أُسْلُوبِ الْحَرْبِ السَّاخِنَةِ، فَكَانَتْ تَحْرُسُ النَّاسَ فِي الْمَدِينَةِ عَلَى الثَّأْرِ مِنْ قَتْلِ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَام).

فَقَدْ رَوَى فِي الْخَبَرِ مُسْنَدًا عَنْ مُصْعَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: كَانَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ عَلِيٍّ وَهِيَ بِالْمَدِينَةِ تَوْلِبُ النَّاسَ عَلَى الْقِيَامِ بِأَخْذِ ثَأْرِ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَام) (١).

وَهَيْذَا بَعَيْنَهُ مَوْقِفَ الزَّهْرَاءَ (عَلَيْهَا السَّلَام) حِينَ كَانَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَام) فِي حَرْبِ بَارِدِهِ وَعَدَمِ مُوَاجَهَةِ مَعَ الطَّرْفِ الْآخَرِ، فِي حِينَ كَانَتْ الزَّهْرَاءَ (عَلَيْهَا السَّلَام) تَحْرُسُ الْأَنْصَارَ عَلَى الْقِتَالِ، كَذَلِكَ زَيْنُ الْعَابِدِينَ (عَلَيْهِ السَّلَام) يَخْتَارُ الْحَرْبَ الْبَارِدَةَ فِي حِينَ تَخْتَارُ زَيْنَبُ وَهِيَ الْعَالِمَةُ غَيْرَ الْمَعْلَمَةِ وَالْفَهْمَةُ غَيْرَ الْمَفْهُمَةِ، كَمَا وَصَفَهَا الْإِمَامُ زَيْنُ الْعَابِدِينَ (عَلَيْهِ السَّلَام) لَمْ تَكُنْ لِتَتَصَرَّفَ إِلَّا فِيمَا يَأْمُرُ بِهِ الشَّرْعُ وَتَحْتَ نَظَرِ الْإِمَامِ (عَلَيْهِ السَّلَام).

فَهُنَا نَهَجِينَ يَسِيرَانِ فِي عَرْضِ بَعْضِهِمَا - وَكِلَاهُمَا تَحْتَ نَظَرِ وَرَعَايَةِ الْإِمَامِ السَّجَّادِ (عَلَيْهِ السَّلَام) -، بِإِخْتِلَافِ وَبِلَا تَقَاطَعِ، بَلْ كَمَالِ الْوَتَامِ وَالْوَتَاقِ، وَبِسَبَبِ ذَلِكَ السَّلُوكِ الزَّيْنَبِيِّ - أُسْلُوبِ الْحَرْبِ السَّاخِنَةِ - اضْطُرَّ الْوَالِي إِلَى إِخْرَاجِ زَيْنَبٍ إِلَى مِصْرَ، كَمَا فِي تَمَتِّتِ الْخَبَرِ الَّذِي أوردناه، فَخَطَبَتْ فِيهِمْ زَيْنَبُ (عَلَيْهَا السَّلَام) وَصَارَتْ تَوْلِبُهُمْ عَلَى الْقِيَامِ لِلْأَخْذِ بِالثَّأْرِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عَمْرَ بْنَ سَعِيدٍ، فَكَتَبَ إِلَى يَزِيدَ يَعْلَمُهُ الْخَبَرُ «فَكُتِبَ إِلَيْهِ: أَنْ فَرِّقَ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُمْ، فَأَمْرٌ أَنْ يُنَادَى عَلَيْهَا بِالْخُرُوجِ مِنَ الْمَدِينَةِ وَالْإِقَامَةَ حَيْثُ تَشَاءُ، فَقَالَتْ: «قَدْ عَلِمَ اللَّهُ مَا صَارَ

ص: ٣٧٠

إلينا، قتل خيرنا، وانسقتنا كما تساق الأنعام، وحملنا على الأقتاب، فوالله لاخرجنا وأن أهرىقت دماؤنا...»(١).

وهذا يشير إشاره قويه إلى الثوره والتأثر وضروره المطالبه بثار الحسين (عليه السلام) من أعدائه مهما كانت الظروف ومهما كلف الأمر، كما قد كلف زينب الخروج من المدينة، نعم، قد تختلف الآليات فمره تكون الآليه بارده ومره تكون ساخنه، بل أنه حسب ما تذكر نفس القصة أنها رفضت الخروج لولا إلحاح الهاشميات، قال: «فأبت الخروج، ثم اجتمع عليها نساء بنى هاشم وتلفن معها فى الكلام، فاخترت مصر»(٢).

وفى هذا إشاره إلى أن زينب (عليها السلام) كانت مُصره على الاستمرار فى الثوره لولا إلحاح الهاشميات، وكذلك يشير إلى أن حكومه بنى أميه لم تستطع مواجهه الثوره الزينبيه إلا بالأساليب القدره فى الضغط على بنى هاشم، وهذا أمر بالغ الأهميه أغفله الكثير.

### استمرار برنامج الثار والثوره:

قوله فى الزياره: «السّلام عليك يا ثار الله وابن ثاره والوتر الموتور»(٣).

الثوره والثار للإمام الحسين (عليه السلام) مُستمر إلى يومنا هذا وإلى يوم الظهور وما بعده بل حتى فى الرجعه التي هى بعد الظهور، كما فى الدعاء.

«فاخرجنى

ص: ٣٧١

١- (١) المصدر السابق.

٢- (٢) المصدر السابق.

٣- (٣) المزمار للمشهدى: ٤٣٠؛ بحار الأنوار: ج ٢٢٣: ٩٨.

مِنْ قَبْرِ مُؤْتَرّاً كَفَنِي شَاهِراً سِيفِي مَجْرَداً قَنَاتِي مُلَبِّياً دَعْوَةَ الدَّاعِي» (١).

وَهَذَا يَشِيرُ إِلَى أَنَّ بَرْنَامَجَ الثَّارِ وَالثَّورَةَ مُسْتَمِرٌّ.

وَهُوَ فِرْعَ التَّعَصُّبِ لِدَاتِ المَعصُومِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، فَلَيسَ التَّعَصُّبُ مَخْتَصِصٌ بِحَيَاةِ المَعصُومِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بَلْ لَمَّا بَعِيدَ حَيَاةِ الإِمَامِ المَعصُومِ، كَمَا يَظْهَرُ مِنْ قَوْلِهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): «لَوْ أَنَّ عَبْداً زَنْجِيّاً تَعَصَّبَ لَنَا»، فَيَكُونُ التَّعَصُّبُ غَيْرَ مَقْتَدٍ بِزَمَانٍ أَوْ مَكَانٍ مَا دَامَ يَصَبُّ فِي نَصْرَتِهِمْ وَيُضَافُ نَسَبَتُهُ إِلَيْهِمْ وَإِذَا كُنَّا نَقُولُ فِي زِيَارَةِ أَبِي الفَضْلِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) «انْتَهَكْتَ بِقَتْلِكَ حَرَمَهُ الإِسْلَامَ» (٢)، فَكَيْفَ يَكُ بَمَنْ هُوَ أَعْظَمُ حَرَمِهِ وَقَدْسِيهِ مِنَ المَعصُومِينَ كَالنَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَأَهْلِ البَيْتِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ).

### مَا وَرَدَ فِي الإِذْنِ بَلِّ وَالحَتِّ عَلَى الأَخْذِ بِنَأْرِ الحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

قَالَ جَعْفَرُ بْنُ نَمَا... فَقَدْ رَوَيْتَ عَنْ وَالِدِي أَنَّهُ قَالَ لَهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ الحَنْفِيَّةِ: قَوْمُوا بِنَا إِلَى إِمَامِي وَإِمَامِكُمْ عَلِيِّ بْنِ الحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، فَلَمَّا دَخَلَ وَدَخَلُوا عَلَيْهِ، خَبَرَهُ بِخَبْرِهِمُ الَّذِي جَاءُوا لِأَجْلِهِ، قَالَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): «يَا عَمُّ، لَوْ أَنَّ عَبْداً زَنْجِيّاً تَعَصَّبَ لَنَا أَهْلَ البَيْتِ، لَوَجِبَ عَلَى النَّاسِ مُؤَازَرَتَهُ وَقَدْ وَلَيْتُكَ هَذَا الأَمْرَ فَاصْنَعِ مَا شِئْتَ» (٣).

فَخَرَجُوا، وَقَدْ سَمِعُوا كَلَامَهُ وَهُمْ يَقُولُونَ: أَذْنُ لَنَا زَيْنِ العَابِدِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَمُحَمَّدُ بْنُ الحَنْفِيَّةِ (٤).

ص: ٣٧٢

١- (١) المزار للمشهدى: ٤٣٠؛ بحار الأنوار: ج ٢٢٣: ٩٨؛ رجال الكشي: ١٢٧.

٢- (٢) المزار للمشهدى: ٦٦٤؛ المصباح للكفعمي: ٥٥١.

٣- (٣) المزار للشهيد الأول: ١٧٧؛ بحار الأنوار: ج ٢١٩: ٩٨.

٤- (٤) ذوب النصار لابن نما الحلبي: ٩٧ وعنه بحار الأنوار: ج ٣٦٥: ٤٥.

وهذه الروايه وَرَدَتْ فِي جماعه كَمَا نَ لَهُم اِرتِباب فِي حركه المِختار وكانوا قد سألوا مُحَمَّدَ بن الحنفِيه، فأجابهم ثمَّ جاء بهم للإمام زين العابدين (عليه السلام) يسألونه، فالإمام (عليه السلام) يعطيهم ضابطه عامه مُهمه وهى أَنَّ التعصب لذات المعصوم (عليه السلام)، مِنْ أعظم مواطن النُصره الَّتِى لا تحتاج إلى ضمِّ قرائن أُخرى للثأر - وهذه الروايه مِنْ أهم المستندات لقاعدتنا - .

كذلك ما وَرَدَ عَنْ الإمام أبى عبدالله (عليه السلام): «ما امتشطت فينا هاشميه ولا اختضبت حتى بعث إلينا المختار برؤوس الذين قتلوا الحسين (عليه السلام)» (١).

كذلك ما وَرَدَ عَنْ الإمام الباقر (عليه السلام): «لا تسبوا المختار، فإنه قتل قتلنا وطلب بئارنا، وزوج أراملنا، وقسم فينا المال على العُسر» (٢).

كذلك قول السَّجَّاد (عليه السلام): «الحمد لله الذى أدرك ثارى مِنْ أعدائى، وجزى الله المختار» (٣).

نلاحظ مِنْ الروايات أمور:

أولاً: إِنَّ الدعاء للمختار إشاره إلى أهميه وعظمه ما فعله المختار مِنْ الثأر لأهل البيت (عليهم السلام).

ثانياً: إِنَّ دعاء الإمام (عليه السلام) للمختار إشاره إلى ضروره تحمُّل المؤمنين مسؤوليه الدِّفاع عَنْ ذات المعصوم (عليه السلام) والتعصُّب له، وليس هُوَ مُجرَّد وصف لحاله تأريخيه وقعت، بل هُوَ رسم لمنهاج عمل ودعوه للمؤمنين للسير فى ذلك الطريق؛ لأنَّ لازم الدعاء هُوَ كون ما أتى به المختار على السنن الشرعيه

ص: ٣٧٣

١- (١) رجال الكشي: ١٢٧.

٢- (٢) المصدر نفسه.

٣- (٣) المصدر نفسه.

والمنهاج الدينى اللازم الأخذ به، ويشير إلى أهميه ما فعله المختار بالتعصب لأهل البيت (عليهم السلام)، وهُو بالتالى دعوه للسير فى مسيره طلب الثأر للحسين (عليه السلام) مِنْ أعدائه.

ثالثاً: أَنَّهُ قَدْ استفيض فى الزيارات للحسين (عليه السلام)، ولعموم أهل البيت (عليهم السلام) الحث عَلَى توطين النفس والعزم عَلَى الأخذ بثأرهم وطلب وترهم كتعاليم مكرره لترسيخها لدى المؤمن الزائر لمراقدهم.

### طلب الثأر لآل مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وسلم:

وَرَدَ فى دعاء التُّدْبِه: «أين الطالب بدم المقتول بكر بلاء»<sup>(١)</sup> مِنْ شعارات مشروع الحجّه هُو (طل الثأر لآل مُحَمَّد صلى الله عليه وآله).

عَنْ عبد الله بن القاسم البطل، عَنْ أبى عبد الله (عليه السلام) فى تفسير قوله تعالى: (بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ) <sup>(٢)</sup>، قَالَ: «قوم يبعثهم الله قبل خروج القائم (عج)، لا يدعون لآل مُحَمَّد وترّاً إلّا أخذوه وَكَانَ وَعِداً مَفْعُولاً»<sup>(٣)</sup>: وتقريب دلالة الروايه إِنَّ ما تقوم به تلك الجماعة المؤمنه هُو مِنْ الأغراض الدينيه والشَّرعيّه البالغه الأهميه وَمِنْ ثَمَّ كَانَ لسان الروايه المدح والمديح لهم وَقَدْ ذكر فى صدر الروايه قتل أمير المؤمنين (عليه السلام) وطعن الحسن والحسين (عليهما السلام).

ص: ٣٧٤

١- (١) المزار للمشهدى: ٥٧٩؛ إقبال الأعمال لابن طاووس: ٥٠٩.

٢- (٢) سورة الإسراء: الآيه ٥.

٣- (٣) الكافى: ج ٢٠٦: ٨؛ بصائر الدرجات: ٤٨.

وهناك روايات أخرى تشير إلى نفس المضمون الذي أوردناه أعلاه: «ونزول أربعة آلاف ملك لنصرته فوجدوه قد قتل، فهم عند قبره شعث غير إلى أن يقوم القائم فيكون من أنصاره وشعارهم يالثرات الحسين»<sup>(١)</sup>، وكذلك عن الصادق (عليه السلام) في وصف أصحاب الحجّة (عج) «ويتمنون أن يقتلوا في سبيل الله شعارهم يالثرات الحسين (عليه السلام) إذا ساروا يسير الرعب أمامهم مسيره شهر يمشون إلى المولى إرسالاً- بهم ينصر الله دين الحق»<sup>(٢)</sup>، وكذلك ما رواه المشهدى في أحد زيارات الإمام (عج) «السلام على الإمام العالم الغائب عن الأبصار والحاضر في الأمصار الغائب عن العيون الحاضر في الأفكار بقيه الأخبار الوارث ذا الفقاء الذي يظهر في بيت الله ذي الأستار الذي ينادى بشعار يالثرات الحسين أين الطالب بالأوتار»<sup>(٣)</sup>.

## القسم الثامن: الجهاد المواساتي:

### إشاره

من أقسام الجهاد (الجهاد للمواساه) وهو يغير الجهاد لأجل الدفاع أو للدعوه حيث أن غايته ليس حصول الدفاع والنجاه ولا الدعوه واستجابته الطرف و الخصم، بل مواساه المعصوم (عليه السلام) في القتل والقتال، فهو وان تحقق منه التحامى والذب والدفع، لكنه لا يصل إلى نتيجة إنقاذ حياه المعصوم (عليه السلام)، كما هو الحال في مشهد كربلاء سواء بلحاظ ليله العاشر عندما أعطاهم الرخصه وأذن لهم الحسين (عليه السلام) في الذهاب عندما بان انقطاع المدد للنصر أن يأتيه (عليه السلام) أو بلحاظ

ص: ٣٧٥

١- (١) عيون أخبار الرضا: ج ٢٦٨: ١؛ الأمالى للصدوق: ١٩٢؛ المزار للمشهدى: ٢٩٣.

٢- (٢) بحار الأنوار: ج ٣٠٨: ٥٢.

٣- (٣) المزار للمشهدى: ١٠٧.

وسط المعركة نهار العاشر فإن قتال الأصحاب وأهل البيت (عليهم السلام) عنه لم يكن إلا مواساه له في القتل كما ورد ذلك لاسيما في أبي الفضل العباس (عليه السلام).

وهذا القسم - الثامن - متفرع عن القسم السابع من أقسام الجهاد قسم آخر وهو (الجهاد المواساتي) .

وهو أن كان يتفق من حيث الموضوع مع القسم السابع إلا أنه قسم مستقل برأسه وهو عبارته عن الجهاد الذي يكون من أجل ذات المعصوم (عليه السلام) في حياته مع رجاء إنقاذ حياته بل للمواساه فقط فقط .

والجهاد الذي مر سابقا بغض النظر عن حياة المعصوم (عليه السلام) بل هو يدافع عن مقام الذات المقدسه وبكل ما يتصل بها من شؤونات وحشيات وبعبارة أخرى أن الدفاع من أجل ذات المعصوم (عليه السلام) في حياة المعصوم (عليه السلام) يكون لأجل إنقاذ حياة المعصوم (عليه السلام). أما مع اليقين بالمصير المحتوم للمعصوم (عليه السلام) - بقطع النظر عن فكره الإيمان بالبداء - يكون القتال لأجل جهه أخرى غير الجبهه التي ينزع إليها فكر الأفراد العاديين، وهي جهه المواساه . فكما أن الجود، كذلك بالمال قد يكون بالنفس والجود بالنفس أقصى غاية الجود، كذلك المواساه قد تكون بالمال أو بالجاه أو بالنفس وهي أعلى وأنبل أنواع المواساه .

وقد يستغرب البعض من هذا العنوان لعدم وجوده في البحوث الفقيهيه، وفي الثقافة الفقيهيه لدى المشرعه بل أن البعض يرفض وجود هكذا قسم، وعلى أحسن الأحوال يرجعه القسم السابق - الجهاد تعصباً لذات المعصوم (عليه السلام) - وكيف كان فنحن سنحاول أن نشير إلى وجود هذا العنوان الثقافي في جملة التراث الحديثي والروايات وفي ارتكاز المشرعه وفي الثقافة الفقيهيه الجهاديه العامه التي كانت في زمن المعصوم (عليه السلام) والتي أصبحت نسيا منسيا - هذا اليوم -

كما أنا سنحاول إيجاد الفرق بين هذا القسم والقسم السابق وان هناك تغييرا بين القسمين:

### أولاً: التغير الثبوتى - الماهوى - :

يمكن القول أن عنوان الجهاد المواساتى مغير لعنوان الجهاد الذى من اجل ذات المعصوم (عليه السلام) من جهه خاص بحياه المعصوم (عليه السلام) وليس دفاع عن مطلق مقام ذات المعصوم (عليه السلام) كالقسم السابق .

ومن جهه أخرى هو لايتغى من حيث الغايه الحفاظ على حياه المعصوم (عليه السلام) بعد يقينه بشهاده المعصوم (عليه السلام) وشهادته، ولكنه يقاتل ويقتل موساه مع المعصوم (عليه السلام).

### ثانياً: التغير الإبتاتى:

هناك شواهد عديده فى معركه الطف تشير إلى أن جهاد المواساه مرتكز من حيث الثقافه العامه وكان مقررراً لكنه من حيث الظهور الجلى - بلوره - لم يظهر بصورته الواضحه إلا- فى ساحه الطف حيث كان أصحاب الحسين (عليه السلام) يتسابقون للشهاده بين يديه مع يقينهم بشهادته (عليه السلام) وشهادتهم.

فهذا حبيب بن مظاهر الاسدى يقول لمسلم بن عوسجه حين صرع «عز على مصرعك يا مسلم أبشر بالجنه» فقال له مسلم قولاً ضعيفاً «بشرك الله بخير» فقال له حبيب «لولا- أنى اعلم أنى فى أثرك لاحق بك من ساعتى هذه لأحببت أن توصينى بكل ما أهمك، حتى أحفظك فى كل ذلك بما أنت أهل له فى القرابه والدين».

فقال مسلم بل أنا أوصيك بهذا رحمك الله وأهوى بيده نحو الحسين (عليه السلام) أن تموت دونه (1).

ص: ٣٧٧

والحسين (عليه السلام) مشى إلى مسلم قبل حبيب وهو يؤكد هذا المعنى بقوله (عليه السلام): «رحمك ربك يا مسلم بن عوسجه! فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً» (١).

وقد كان من قبل يقول الحبيب (رض): «حسبك يا أبا أسد، فقد قضى القضاء وجف القلم، والله بالغ أمره والله إنى لأشوق إلى جدى وأبى وأخى وأسلافى من يعقوب إلى يوسف وأخيه! ولى مصرع أنا لاقية» (٢).

وحبيب يبين معنى جهاد المواساه بشكل واضح وجلى حين يخاطب الإمام (عليه السلام) قائلاً: «يا أبا عبد الله نفسى لك الفداء إنى أرى هؤلاء قد اقتربوا منك، ولا والله لا تقتل حتى تقتل دونك أن شاء الله، وأحب أن ألقى ربي وقد صليت هذه الصلاة التى قد دنا وقتها» (٣).

بل أن إرتكاز باب ومنهاج المواساه - العظيمة - كانت حتى عند أم وهب النصرانى حيث جاء فى الإرشاد: «فأخذت أم وهب إمرأته عموداً ثم أقبلت نحو زوجها تقول له: فداك أبى وأمى، قاتل دون الطيبين ذريه محمد، فأقبل إليها يردّها نحو النساء، فأخذت تجاذب ثوبه، ثم قالت: إنى لن أدعك دون أن أموت معك» (٤). فهنا نرى أم وهب تحت أبا وهب على مواساه الحسين (عليه السلام) بنفسه وتوطن نفسها على مواساه زوجها لأنه يواسى ذريه محمد (صلى الله عليه وآله).

ص: ٣٧٨

١- (١) المصدر والصفحة.

٢- (٢) مقتل الحسين للخوارزمى ج ٣٥٦: ١- ٣٥٨.

٣- (٣) تاريخ الطبرى ج ٣٢٦: ٣.

٤- (٤) الارشاد للمفيد ج ١٠٢: ٢، تاريخ الطبرى ج ٣٢٣: ٣.

والأخرى التي أخذت عمود الخيمه وهى تقول:

أنا عجوز فى النسا ضعيفه باليه خاويه نحيفه

أضربكم بضربه عنيفه دون بنى فاطمه الشريفه(١)

وفى رجز الحجاج الجعفى (رض) حين برز جواب الحسين (عليه السلام) له، يتضح المعنى أكثر قال الحجاج الجعفى (رض):

فدتك نفسى هادياً مهدياً اليوم ألقى جدك النبيا

ثم أباك ذا النداء عليا ذاك الذى نعرفه الوصيا

فقال له الحسين (عليه السلام): نعم، وأنا ألقاهما على أثرك فرجع يقاتل حتى قتل رضى الله عنه.

كذلك الطبرى حين يروى قصه الغفاريان لم يغفل عن مفهوم المواساه قال: «فلما رأى أصحاب الحسين أنهم قد كثروا وأنهم لا يقدرّون على أن يمنعوا حسيناً ولا أنفسهم تنافسوا أن يقتلوا بين يديه»(٢).

وأوضح الشواهد رثاء الإمام الحجة (عج) فى الزيارة المعروفة بزياره الناحيه المقدسه حيث رثى أصحاب الحسين (عليه السلام) واحد بعد واحد مشيراً إلى مفهوم (الجهاد المواساتى).

قال (عج): «السلام على مسلم بن عوسجه الاسدى، القائل للحسين وقد أذن له فى الانصراف انحن نخلى عنك؟! وبم نعتذر عند الله من أداء

ص: ٣٧٩

١- (١) مقتل الحسين للخوارزمى ج ٢٥: ١-٢٦.

٢- (٢) تاريخ الطبرى: ج ٣٢٨: ٣..

حقك؟ لا والله حتى أكسر في صدورهم رمحي هذا واضربهم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي ولا أفارقك، ولو لم يكن معي سلاح أقاتلهم به لقدفتهم بالحجاره ولم أفارقك حتى أموت معك وكنت أول من شرى نفسه وأول شهيد شهد الله وقضى نحبه ففزت ورب الكعبه شكر الله استقدامك و مواساتك إمامك إذا مشى إليك وأنت صريع فقال: يرحمك الله يا مسلم بن عوسجه و قراء فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا

كذلك في سلامه على سعد الحنفي (رض): (السلام على سعد بن عبد الله الحنفي القائل للحسين وقد أذن له في الانصراف: لا والله لا نخليك حتى يعلم الله أن قد حفظنا غيبه رسول الله(صلى الله عليه و آله) والله لو اعلم إنى اقتل ثم أحيى ثم احرق ثم أذرى ويفعل ذلك بى سبعين مره ما فارقتك حتى ألقى حمامى دونك وكيف افعل ذلك وإنما هى موته أو قتله واحده!؟ ثم هى بعدها الكرامه التى لا انقضاء لها أبدا، فقد لقيت حمامك وواسيت إمامك ولقيت من الله الكرامه فى المقامه حشرنا الله معكم فى المستشهدين ورزقنا مرافقتكم فى أعلى عليين .

### **أعظم المواساه مواساه أبى الفضل عليه السلام:**

وبما تقدم تتضح عظمه الشهاده بجهاد المواساه التى شهدها المعصوم(عليه السلام) لأبى الفضل(عليه السلام).

فقد ورد معنى المواساه فى زياره أبى الفضل(عليه السلام) التى رواها - بسند معتبر - أبى حمزه الشمالى عن الإمام الصادق(عليه السلام) قال: «...اشهد لك بالتعليم والتصديق والوفاء و النصيحه لخلف النبى(صلى الله عليه و آله)...»

أشهد لقد نصت لله ولرسوله فنعم الأخ المواسي»(١).

فما معنى المواساه الذى كان أبى الفضل (عليه السلام) والذى يشهد به المعصوم (عليه السلام)؟! كما أنه يشهد له بالتسليم والتصديق والوفاء والنصيحه لأبى الفضل (عليه السلام)، فالإمام الصادق يشهد بأن أحد أوصاف أبى الفضل هو بذله لنفسه مواساه لأخيه الحسين فما هو هذا المعنى العظيم الذى يسجل المعصوم شهادته له عند الله وهو عنوان وباب المواساه.

ص: ٣٨١

---

١- (١) المزار للمفيد: ١٢٤؛ المزار للمشهدى: ٣٩١.

إِنَّ الْآلِيَةَ الَّتِي اتَّفَقَ عَلَيْهَا جَمِيعُ الْفُقَهَاءِ وَلَمْ يَشْكُوكَ فِيهَا أَحَدٌ مِنْهُمْ هِيَ قَاعِدُهُ (إِعْدَادُ الْقُوَّةِ). وَاسْتَدَلَّ لِهَذِهِ الْقَاعِدَةِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَاعِدُّوا لَهُمْ مَا اسِيْتَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ وَعِدُّوا لِلَّهِ وَعِدُّوْكُمْ وَآخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ) (١). فَهَذَا نَرَى الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ تُبَيِّنُ لَنَا أَنَّ قَاعِدَةَ الْإِعْدَادِ مُطْلَقَةٌ عَنِ الزَّمَانِ وَعَنِ الْمَكَانِ وَلَمْ تَخْصِصْ بِفَرْدٍ أَوْ مَجْتَمَعٍ أَوْ رَئِيسٍ أَوْ مَرُؤُوسٍ أَوْ شَابٍ أَوْ شَيْخٍ رَجُلٍ أَوْ امْرَأَةٍ كُلِّ بِحَسَبِهِ تَحْتَ ضَابِطِهِ «كَلِمَتُكُمْ رَاعٍ وَكَلِمَتُكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» (٢) وَهِيَ ضَابِطَةٌ نَفْسِيَّةٌ مِنْ جَوَامِعِ الْكَلِمِ، حَيْثُ تُبَيِّنُ أَنَّ الْكُلَّ رَاعٍ الْكُلِّ فِي حِينِ الْفَرْدِ رَاعٍ لِلْفَرْدِ وَالْآيَةَ الْكَرِيمَةَ أَيْضًا لَمْ تَخْصِصْ الْقُوَّةَ بِنَوْعٍ مَعِيْنٍ مِنَ السَّلَاحِ، بَلْ إِعْدَادُ مُطْلَقٌ الْقُوَّةَ وَالْمُسَاعَدَةَ عَلَى ذَلِكَ الْإِعْدَادِ الْعَالِي بِالْجَهْدِ وَالْمَالِ وَبِكُلِّ أَنْوَاعِ الطَّاقَاتِ وَالْقُدْرَاتِ، فَفِي ذَلِكَ سَعَادَةٌ وَعِزٌّ وَأَمْنٌ وَأَمَانٌ لِلْمُؤْمِنِينَ، كَمَا أَنَّ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ تُبَيِّنُ أَنَّ ذَلِكَ يَجْعَلُ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ فِي خَوْفٍ وَرَعْبٍ مِنْكُمْ، بَلْ حَتَّى بَعْضَ الْأَعْدَاءِ الَّذِينَ أَنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ عَنْهُمْ، وَلَعَلَّهُمْ يَعِيشُونَ

ص: ٣٨٢

١- (١) سورة الأنفال: الآية ٦٠.

٢- (٢) روضه المتقين للمجلسي الأول ج ٥١٤: ٥؛ صحيح البخاري ج ١٤٦: ٦.

بينكم أيضاً تدخلهم الرهبة وتحققون الانتصارات الداخليه والخارجيه بمُجَرَّد إعداد القوه والاستعداد واليقظه؛ لأنَّ العدو الداخلي لا يواجه بالسلح إنَّما باليقظه والحسَّ الاستخبارى العالى والحيطه والحذر وعدم التهاون والضعف.

ونفس هذا المنطق (منطق أعدوا) موجود فى كثير من مضمين الآيات والروايات، بلْ هُوَ عرف عقلائى ومنطق إنسانى موجود فى كُلى الدول والمجتمعات، ويقرُّ به جميع العقلاء، وهى آليه أمنيّه نظيفه توفّر الحمايه والدِّفاع بلا دم.

### سلح السّلام لا الاستسلام:

وهذا المُقدار المُتفق عَلَيْهِ دينياً وشرعياً وعقلائياً، العدو يرفضه ويتهموننا بالأوباشيه ويحاولون قصّ أظافرنا وأجنحتنا بحجّه إنَّها مخالِب عدوانيه، نقول لهم إنَّها ليست للعدوان؛ بلْ للدِّفاع عَن أنفسنا، نُريدُ حمايه أنفسنا، لمْ وَلَنْ نبدأ الآخرين بعدوان، هذا هُوَ منطق ديننا ومنطق قادتنا

المعصومين (عليهم السلام) ولكن أنتم الذين بدأت الحرب وأججتم نار الفتنة في مجتمعنا.

مَنْ الذى أوجج الحرب العالميه الأولى والثانيه وغيرها. بل يكرهون حتى تديننا لأثمتنا ومواساتنا لهم، كذلك هم عن شعائنا إنها صراخ وضجيج وإرهاب ولسان حالهم، لسان حال أسلافهم قال تعالى: (وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ (١). شعاراتنا هي إرخاص النفوس واسترخاض الموت لأجل ديننا ومذهبنا وقادتنا المعصومين (عليهم السلام)، وليس الخلود للدينيا وحربهم مفتوحه ضد ديننا وضد شعائنا بالإعلام والشعارات، بل بعض المحسوبين علينا يتهمونا إن بعض الشعائر أنها توهن المذهب، نعم هي توهن مذهب الدنيويين الوادعين الفاكهين، والمهم في هذا الكلام إننا إذا تركنا هذه المرتبه والنوع من الدفاع من إعداد القوه والقدرة، فلن تقوم لنا قائمه ولن نشارك.

ص: ٣٨٤

---

١- (١) سورة البقره: الآية ١٢٠.

إشاره

الدِّينُ مِنَ الْأُمُورِ ذَاتِ الْمَرَاتِبِ، فَهُنَاكَ مَرْتَبَةُ الْعُقَايِدِ وَهِيَ أَعْلَى مَرَاتِبِ الدِّينِ، ثُمَّ تَأْتِي مَرْتَبَةُ الْأَخْلَاقِ، ثُمَّ مَرْتَبَةُ فُرُوعِ الدِّينِ، كَمَا يَبَيِّنُهَا الْحَدِيثُ النَّبَوِيُّ الَّذِي هُوَ مِنْ جَوَامِعِ الْكَلِمِ، فَعَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): «الْعِلْمُ ثَلَاثَةٌ آيَةٌ مُحْكَمَةٌ أَوْ فَرِيضَةٌ عَادِلَةٌ أَوْ سُنَّةٌ قَائِمَةٌ» (١). وَمِنْ الْوَاضِحِ أَنَّ هَذِهِ الْمَرَاتِبَ رُتِبَتْ مِنْ حَيْثُ الْأَهْمِيَّةِ، وَبِالتَّالِيِ يَكُونُ الْوَاجِبُ فِي كُلِّ مَرْتَبَةٍ أَوْجِبَ مِنَ الْوَاجِبِ فِي الْمَرْتَبَةِ الْأُخْرَى، فَمِثْلًا الصَّلَاةُ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ فُرُوعِ الدِّينِ لَكِنْ لَا تَقَاسُ بِوَاجِبِ رُكْنِيٍّ اِعْتِقَادِيٍّ رَغْمَ رُكْنِيَّتِهَا فَضْلًا عَنْ أَنْ تُقَاسَ بِأَصْلِ مِنْ أَصُولِ اِلْتِقَادِ كَالْوَلَايَةِ.

وَهَذَا مَا تَبَيَّنَ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ الشَّرِيفَةِ فِي مَوَاطِنَ عَدِيدَةٍ، مِنْهَا:

١- قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَ مَا كَانَ صِيَالَتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَ تَصِيَةً بِدِيَةٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ) (٢). فَالصَّلَاةُ رَغْمَ عِظَمَتِهَا حَالِهَا بَدُونَ وَلَايَةِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَأُولَى الْأَمْرِ حَرَكَاتٍ ضَوْضَائِيَّةٍ كَالْتَصْفِيْقِ وَالصَّفِيرِ، وَهَذِهِ الصَّلَاةُ مُكَاءً وَتَصِيدِيَةً حَتَّى لَوْ كَانَتْ بِزَعْمِ وَلَايَةِ اللهِ وَحْدَهُ دُونَ نَبِيِّهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)

ص: ٣٨٥

١- (١) رَوَاهُ الْمُتَقِينُ ج ١٥٨: ١٢؛ الْمَغْنَى لِابْنِ قَدَامَةَ ج ٢: ٧.

٢- (٢) سُورَةُ الْأَنْفَالِ: الْآيَةُ ٣٥.

ولذلك رغم أنهم يؤمنون بالله أى يقرون بالشهادة الأولى ولا- يقرون بالشهادة الثانية للرسول يعد ويعتبر الله سُبْحَانَهُ وتعالى طوافهم وحجهم وعبادتهم وتقربهم إليه بعداً عنه ونجاسه ينبغي إزالتها وإبعادها عن المسجد الحرام، قال تعالى: (إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا) (١).

فتحصّل إن الولايه ركن والأصول والصلاه ركن الفروع والركن الفرعى متقوم بالركن الأصولى (الاعتقادى) ولا ينفع الفرع بلا أصل يقومه.

٢ - والولايه التى لم يناد بشيء كما نودى بها ... لها وجه وعنوان آخر وَهُوَ الموده (موده الله ورسوله، أهل بيته صلى الله عليه وآله). (وقد عظم الله سُبْحَانَهُ وتعالى فى القرآن الموده، حيث قال تعالى: (قُلْ لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) (٢). فجعل أجر الرساله، بالرساله كلها فى هذه الموده، كما فى آيه أخرى أيضاً حيث ربطت الولايه بالرساله، حيث كانت هى الرساله، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) (٣). فإذا كانت الموده أجر الرساله، وإذا كانت الموده وكل الموده تجعل فى ذى القربى أى لا موده إلا مودتهم فلا آباء ولا أبناء، ولا زوجه ولا- بيت ولا- أى عنوان دنيوى إلا عنوان مودتهم، لذلك ننادى المعصوم (عليه السلام) «بأبى أنت وأمى يا بن رسول الله» (٤) بل ولا حتى موده الصلاه

ص: ٣٨٤

- ١- (١) سورة التوبه: الآيه ٢٨.
- ٢- (٢) سورة الشورى: الآيه ٢٤.
- ٣- (٣) سورة المائده: الآيه ٦٧.
- ٤- (٤) مصباح المتهجد للطوسى: ٧٢١.

تعديل مودتهم وإذا كنت تودّ الصّلاه وتحب الصّلاه دون مودّتهم، عملك باطل وحبك أبطل.

٣ - والمودّه لها أشكال مُختلفه وممارسات منها تعظيم شعائرهم والتي عظّمها الله في القرآن (ذَلِكَ وَ مَنْ يُعَظِّمُ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ) (١). منها تعاهد قبورهم بالزياره والفرح لفرحهم والحزن لحزنهم؛ ولذلك قضيه مودّتهم وولايتهم والبراءه مِنْ أعدائهم قضيه لا تقبل المزياده، وكذلك تعميق تلك المودّه بالأشكال المختلفه أيضاً وَهُوَ أمر لا يقبل المزياده.

وَمِنْ العجيب أَنَّ بعض مَنْ أوساطنا الشيعيه مِنْ يقول إِنَّ أَى شىء يمسّ حجاب المرأه ولو مِنْ بعيد مرفوض ولا تقاس به الزياره لأنّها مستحبه، وَهَذَا خلط وخبط وعدم تمييز ومعرفه بمراتب الدّين، فأَيُّهُمَا هُوَ المُستحبّ وَأَيُّهُمَا هُوَ الواجب؟؟ بلّ الزياره تتضمن عِدّه واجبات كفائيه واجبات عينيه مِنْها: ترويج الدّين وإرشاد وتعاهد المؤمن لولايه أهل البيت (عليهم السلام) وعماره المُقدّسات وغيرها مِنْ العناوين الواجبه المُنطبقه.

نعم، الزياره على المستوى الفردى كعمل فردى مستحبه، ولكن إذا كَانَ عنوان الزياره عنوان لتعاهد الدّين وعنوان لتعظيم الشعائر، وعنوان للمودّه التي جعلت أجراً للرساله فلا يُقاس بها مِنْ هذه الناحيه فرع مِنْ فرع الدّين لا حجاب ولا صلاه.

٤ - لا بُدَّ مِنْ ضابطه لِمَنْ يُريد أَنْ يتكلّم حول نقد الشعائر حتّى لا يصبح خلط وخبط وتخبّط يوُلّد اشتباهات لدى عامّه المُكلّفين، والضابطه هي كما بيّناها ملخصها: (إنّ مودّه أهل البيت وولايتهم (عليهم السلام) والبراءه مِنْ

ص: ٣٨٧

أعدائهم مِنْ أصول الدِّين ويجب حفظها وتعاهدها؛ لأنَّ حفظها هُوَ حفظ لإيمان المؤمن وبدونها لا تنفع صلاه ولا صوم ولا أى فرع مِنْ فروع الدِّين مِنْ الأركان أو الواجبات فضلاً عَن المُستحبات).

٥ - تبيّن أنّ موقعه مودّه أهل البيت (عليهم السلام) مِنْ حيث كونها أجراً لكلّ الرساله وَمَنْ لَمْ يعطِ أجيراً أجرته فَهُوَ ملعون عِنْدَ الله ورسوله كما فى حديث النَّبى (صلى الله عليه و آله): «ألا- مَنْ عَقَّ والديه فلعهن الله عليه إلّما مِنْ أبق مِنْ مواليه فلعهن الله عليه، الأَمَنْ ظلم أجيراً أجرته فلعهن الله عليه...» (١) فينبغى أن يكون الدِّفاع عَن هذه المودّه بمُقَدَّار وحجم تلك المودّه فى الدِّين وفى الحديث «مَنْ مات دون ماله فَهُوَ شهيد» (٢). وبما أنّ المودّه فيها حفظ الدِّين فيكون فى الدِّفاع عَن المقدّسات حفظ الدِّين والشهاده فى سبيله أعظم شهاده.

### بِشَارَةٌ وَنَذَارَةٌ:

وَرَدَ فى الروايه عَن يعقوب بن السّراج، قال: «قُلْتُ لأبى عَبدِ الله (عليه السلام) مَتَى فَرُجَ شَيْعَتُكُمْ؟ قَالَ: فَقَالَ: إِذَا اخْتَلَفَ وُلْدُ الْعَبَّاسِ وَوَهَى سُلْطَانُهُمْ وَطَمِعَ فِيهِمْ مَنْ لَمْ يَكُنْ يَطْمَعُ فِيهِمْ وَخَلَعَتِ الْعَرَبُ أَعْتَتَهَا وَرَفَعَ كُلُّ ذِي صِيصِيهِ صِيصِيَّتَهُ وَظَهَرَ الشَّامِيُّ وَاقْبَلَ الْيَمَانِيُّ وَتَحَرَّكَ الْحَسِيُّ...» (٣). والروايه أعتتها هنا تشير إلى بشاره لأنّها تبشّر الشّيعه عِنْدَ اختلاف بنى العباس وضعف سلطانهم وتبيّن إنّ الناس تتجه نحو الإسلام وبالخصوص نحو نهج أهل البيت (عليهم السلام) كما فى روايات أُخرى، ولكن هى تُعطى نذاره مِنْ جهه

ص: ٣٨٨

١- (١) بحار الأنوار: ج ٤٥: ٤٠.

٢- (٢) المُعجم الأوسط ج ٩٣: ٨.

٣- (٣) بحار الأنوار: ج ٢٤٢: ٥٢.

أخرى لأنَّ أبواب الشرِّ ستفتح على مصراعيها، وينبغي من هذه الناحية على الجميع تحمّل كامل المسؤوليه في مواجهتها، بعدم ترك الاستعداد ولا-قطع استمراره والمواجهه بمختلف الطرق وبكُلّ الإمكانيات، بجهود مُتظافره ومُتعاضده. وتؤكد من جديد أهميه الوقايه، فالوقايه خير من العلاج، لأنها دائماً أسهل وأقلّ مؤنه، ولا بدّ أن يكون زمام المُبادره بيّد المؤمنين الواعين الحركيين، وعلى الجميع التظافر لأجل جعل القيادة بأيديهم، لا بأيادي غير المؤمنين.

قَالَ تَعَالَى: (يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ \* قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَرِينَ وَإِنَّا لَنَ نَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ \* قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنَّ اللَّهَ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ \* قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَنَ نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِ مَدُونَ \* قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ \* قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ) (١).

فَهُنَا دَعُوهُ مِنَ الْقُرْآنِ عَلَى لِسَانِ مُوسَى بِدُخُولِ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَهُمْ دُخُولَهَا، فَعَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَحَدِهِمَا: «إِنَّ رَأْسَ الْمَهْدِيِّ - الْعَبَّاسِيِّ يُهْدَى إِلَى مُوسَى بْنِ عِيسَى عَلَى طَلِقٍ، قُلْتُ: فَقَدْ مَاتَ هَذَا وَهَذَا؟ قَالَ: فَقَدْ قَالَ اللَّهُ (ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ فَلَمْ يَدْخُلُوهَا وَدَخَلَهَا الْأَبْنَاءُ أَوْ قَالَ: أَبْنَاءُ الْأَبْنَاءِ)».

وَكذَلِكَ عَنْ حَرِيزٍ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قَالَ: قَالَ

رسول الله (صلى الله عليه وآله): والذى نفسى بيده لتركبن ست سنن من قبلكم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة، حتى لا تخطئون طريقهم، ولا يخطئكم سنه بنى إسرائيل، ثم قال أبو جعفر (عليه السلام): «قال موسى لقومه: (يا قوم اذخلوا الأرض المقدسة التى كتبت الله لكم) فردوا عليه وكانوا ستمائة ألف، فقالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين وإننا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإننا داخلون، قال رجلان من الذين يخافون الله عليها: (أحدهما يوشع بن نون والآخر كالب بن يافنا، قال وهما ابنا عمه، فقال: (اذخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه) ... إلى قوله (إننا هاهنا قاعدون) قال: فعصى أربعون ألف وسلم هارون وابناه ويوشع بن نون وكالب بن يافنا فسماهم الله فاسقين، فقال: لا تأس على القوم الفاسقين فتأهوا أربعين سنة لأنهم عصوا فكان حذوا النعل بالنعل، إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لما قبض لم يكن على أمر الله إلا على والحسن والحسين وسلمان والمقداد وأبو ذر فمكثوا أربعين سنة (١) حتى قام على (عليه السلام) فقاتل من خلفه» (٢).

عن مسعده بن صدقه عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه سئل عن قوله تعالى: (اذخلوا الأرض المقدسة التى كتبت الله لكم) ، قال: كتبها لهم ثم محاهها، ثم كتبها لأبنائهم فدخلوها والله يمحو ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب» (٣).

ص: ٣٩١

١- (١) هنا يُعَلَّقُ البحار عن الأربعين سنه: (ولعله حسب الأربعين من زمان؟ هار النبي خلفه أمير المؤمنين (عليه السلام) وإنكار المنافقين ذلك بقولهم حتى أظهروه وبعد وفاته (عليهما السلام).

٢- (٢) المصدر السابق.

٣- (٣) المصدر السابق.

والإشارات القرآنية واضحة بضروره دخول المؤمنين الأرض المقدَّسه وبالتالي ضروره إخراج الكفار والفساق والمنحرفين منها وإلا سيكون المؤمن الذي كتب الله له أن يدخل الأرض هو الفاسق وسيشمله عنوان الفسق، فهو تعالى: (يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) وَهُوَ تَعَالَى: (لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) ، فَإِنَّ الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ كَمَا يَقُولُ الْإِمَامُ فِي الرَّوَايَةِ الْأَخِيرَةِ عَنْ مَسْعَدَةَ بْنِ صَدَقَةَ كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُمْ ثُمَّ مَحَاهَا عَنْهُمْ ثُمَّ كَتَبَهَا لِلْأَنْبَاءِ فَدَخَلُوهَا، وَالرَّوَايَةُ الَّتِي قَبْلَ الْأَخِيرِ تَخْبِرَانِ الْأُمَّةَ ابْتَلَيْتَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بِنَصْرِهِ الْبُيُوتَ الْمُقَدَّسَةَ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا فَتَاهُو أَرْبَعِينَ سَنَةً.

وسنبتلى بمثلها إن تخاذلنا ودخول الأراضى المقدَّسه فَرُضَ عَيْنَ كُلِّ الْمُؤْمِنِينَ وَلَيْسَتْ الْقَضِيَّةُ مَخْتَصِيَةً بِزَمَنِ النَّبِيِّ مُوسَى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَهَذَا مَا أَرَادَ الْإِمَامُ الْإِشَارَةَ إِلَيْهِ حَيْثُ أُرُوِدَ حَدِيثُ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): «لَتَرْكَبَنَّ سِتَّ سَنِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ حَذُوا النَّعْلَ بِالنَّعْلِ وَالْقَدَّهَ بِالْقَدَّه» وَطَبَقَهُ عَلَيَّ قَوْلُ الْقُرْآنِ: (ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ) وَأَكْثَرُ أَنَّ الْأُمَّةَ تَتَخَاذَلُ عَنْ عَلِيٍّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَلَا تَنْصُرُهُ فَيَصِيبُهَا اللَّهُ التِّيَهُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَمَا دَامَتْ سَنَةٌ إِلَهِيَةً فِي كُلِّ الْأُمَّةِ السَّابِقَةِ، فَيَنْبَغِي بِنَا أَنْ نَعَى خَطُورَهُ مَا يَجْرِي وَعَظَمَ الْمَسْئُولِيَةَ الْمُلْقَاهُ عَلَيَّ عَوَاتِقُنَا، وَإِلَّا فَسَوْفَ نَبْتَلِي بِالتِّيَهُ أَرْبَعِينَ عَامًا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤَخَّرِينَ لِلظُّهُورِ وَلَيْسَ الْمُعْجَلِينَ).

١- الآيات الكريمة تُبيِّن أنَّ جملة من الفروض المرتبطه بالأراضى المُقدَّسه والتي من أعظمها بالإضافه إلى الحرمين الشريفين المكي والمدنى مراقد أهل البيت (عليهم السلام) أهل آيه التطهير، وهى قبر علي وفاطمه وأئمه البقيع والكاظمين والرضا والعسكريين (عليهم السلام) بنصوص عدّه من آيات القرآن والأحاديث النبويه كما سيأتى، والفروض هى:

الفرض الأوّل: تحرير هذه الأراضى المُقدَّسه من تسلط الظالمين والعتاه الجبارين.

الفرض الثانى: عماره هذه الأراضى بالتواجد فيها والمجاوره لها وزيارتها وبقية أنحاء العماره.

وسياتى أنّ الجوار للمراقد المُقدَّسه من الجهاد كما ورد فى الروايه.

الفرض الثالث: الاهتداء والاستبصار بهذه الأراضى المُقدَّسه بالوفود عليها والاستغفار وعباده الله فيها فإنّها أبواب الآخره كما فى قوله تعالى: (فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ) (١) وورد فى ذيلها الآيه من طريق الفريقين أنّها بيوت الأنبياء بيوت النبى (صلى الله عليه وآله) وأنّ من أفاضلها بيت علي وفاطمه (عليهما السلام).

فلاحظ: تعليل الأمر فى الآيه (ادخلوا الأرض المقدسه) ب- (التي كتب

اللَّهُ لَكُمْ ) فَكَمَا كَتَبَ الصَّلَاةَ وَالصِّيَامَ وَالْجِهَادَ فَقَدْ كَتَبَ دُخُولَ وَإِحْيَاءَ وَتَعْظِيمَ وَعِمَارَهُ وَالْعِبَادَةَ فِي الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ وَالْعِبَادَةَ فِيهَا.

٢ - أَنَّ عَدَمَ الْقِيَامِ بِهَذِهِ الْفُرُوضِ الْمُرْتَبِطُهُ بِالْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ ارْتِدَادٌ عَلَى الْأَدْبَارِ (وَلَا تَزْتَدُوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ ) ، وَأَنَّهُ خُسْرَانٌ (فَتَنَقَّبُوا خَاسِرِينَ ) فَيَتَبَدَّلُ حَالُهُمْ إِلَى الْخُسْرَانِ.

٣ - أَنَّ هَذِهِ الْفُرُوضُ لَوْ تَوَقَّفَتْ عَلَى الْقِتَالِ فَالْإِجْرَامُ بِالْقِيَامِ بِهِ (فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ ) .

٤ - إِنَّ عَصِيَانَ هَذِهِ الْفُرُوضِ يَنْدَرُجُ الْعَاصِي فِي عِنْوَانِ الْفَاسِقِينَ (فَأَفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ) .

٥ - إِنَّ الْأَعْرَاضَ عَنِ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ وَعَنْ حِمَايَتِهَا وَعَنْ التَّوَافُقِ إِلَيْهَا يَسْبَبُ التِّيَهُ وَالضَّلَالَةَ وَأَنَّ الْهَدَايَةَ وَالِاسْتِقَامَةَ مُتَقَدِّمَةٌ عَلَى الْإِرْتِبَاطِ بِهَا وَالتَّوَاجُدِ فِيهَا.

أَوَّلًا: وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ ) وَهِيَ أَرِيحَا مِنْ بِلَادِ الشَّامِ وَادْخُلُوا لِبَابِ الْقَرْيَةِ سُبْحَانَ اللَّهِ تَعْظِيمًا لِمِثَالِ مُحَمَّدٍ وَعَلَى، مِثْلَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْبَابِ مِثَالِ مُحَمَّدٍ وَعَلَى وَأَمْرُهُمْ أَنْ يَسْجُدُوا تَعْظِيمًا لِذَلِكَ الْمِثَالِ وَأَنْ يَجِدُّوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِيَعْتَهَا وَذَكَرَ مَوَالِيَهُمَا وَلِيَذْكُرُوا الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ الْمَأْخُودَ عَلَيْهِمْ (وَقُولُوا حِطَّةً ) أَيْ قُولُوا إِنَّ سَجُودَنَا لِلَّهِ تَعْظِيمًا لِمِثَالِ مُحَمَّدٍ وَعَلَى وَاعْتِقَادَنَا لَوْلَايَتِهِمَا حِطَّةً لِدُنُوبِنَا وَمَحْوًى لِسَيِّئَاتِنَا (فَيَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ) أَيْ لَمْ يَسْجُدُوا كَمَا أُمِرُوا وَقَالُوا كَمَا أُمِرُوا وَلَكِنْ دَخَلُوا مِنْ مَنقَلِبِهَا بِاسْتِخْفَائِهِمْ، وَقَالُوا هُنَا سَمَقَانَا - أَيْ حَنْظَلَهُ حَمْرَاءُ يَنْقُونَهَا أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ هَذَا الْفِعْلِ -، وَهَذَا الْقَوْلُ «فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ غَيَّرُوا أَيْ بَدَلُوا

ما قيل لهم» ولم ينقادوا لولايه مُحَمَّد وعلي وآلهما الطيبين (رَجْزاً مِنَ السَّمَاءِ) والرجز الذي أصابهم أنه ملأت منهم بالطاعون في بعض يوم مائه وعشرون ألفاً كلهم مِنْ علم الله أنهم لا يؤمنون ولا يتوبون(١).

ثانياً: عَنْ ابن عباس (رضى الله عنه)، قال: قال بنو إسرائيل لموسى (عليه السلام) حين جاز بهم البحر: خَبَرْنَا يَا مُوسَى بِأَيِّ قُوَّةٍ وَبَأَيِّ عَدَّةٍ تَبْلُغُ الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ وَمَعَكَ الذَّرِيَّةُ وَالنِّسَاءُ وَالزَّمَنِيُّ، فَقَالَ مُوسَى (عليه السلام): «مَا أَعْلَمُ قَوْمًا وَرَثَهُمُ اللَّهُ مِنْ عَرْضِ الدُّنْيَا مَا وَرَثَكُمْ، وَسَيَجْعَلُ اللَّهُ لَكُمْ مَخْرَجًا، قَالُوا: فَادْعُهُ يَطْعَمَنَا وَيَسْقِينَا وَيُظِلُّنَا اللَّهُ تَعَالَى إِلَى مُوسَى: قَدْ أَمَرَتِ السَّمَاءُ أَنْ تَمْطُرَ عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّيْلُومَى، وَأَمَرَتِ الرِّيحُ أَنْ تَشْوَى لَهُمُ السَّيْلُومَى، وَأَمَرَتِ الْحِجَارَةُ أَنْ تَنْفَجِرَ، وَأَمَرَتِ الْغَمَامُ أَنْ تَظْلَهُمْ، وَسَخَّرَتِ ثِيَابَهُمْ أَنْ تَثْبِتَ بِقَدْرِ مَا يَثْبِتُونَ، فَلَمَّا قَالَ لَهُمْ مُوسَى ذَلِكَ سَكَنُوا، فَسَارَ بِهِمْ إِلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ وَهِيَ فِلَسْطِينَ، وَإِنَّمَا قَدَّسَهَا لِأَنَّ يَعْقُوبَ (عليه السلام) وَلَدَ بِهَا، وَكَانَتْ مَسْكَنَ أَبِيهِ إِسْحَاقَ (عليه السلام)، وَيُوسُفَ (عليه السلام) وَنَقَلُوا كُلَّهُمْ بَعْدَ الْمَوْتِ إِلَى أَرْضِ فِلَسْطِينَ»(٢).

### الدَّفَاعُ عَنِ الْمُقَدَّسَاتِ بِتَعْظِيمِ بَابِ حَطِّهِ:

يُظْهِرُ مِنَ الرَّوَايَاتِ الْمُتَقَدِّمَاتِ أَنَّ الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ قُدِّسَتْ لَوْلَا دُهُ يَعْقُوبَ (عليه السلام)، وَلَكُونَهَا مَسْكَنَ أَبِيهِ إِسْحَاقَ وَوَلَدِهِ يُوسُفَ (عليه السلام) وَأَنَّ سَجُودَ بَنِي إِسْرَائِيلَ هُوَ تَعْظِيمٌ لِمُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ (عليهما السلام) وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَإِنَّ بَيْوتَ الْمُعْصُومِينَ (مَرَاقِدَهُمُ الْمُقَدَّسَةَ) أُحْرِي بِالسَّجُودِ لِلَّهِ وَالتَّوَجُّهِ إِلَيْهِ فِيهَا وَالتَّوَجُّهُ فِيهَا وَبِهَا

ص: ٣٩٥

١- (١) التفسير المنسوب للإمام العسكري ١٠٢-١٠٤.

٢- (٢) قصص الراوندى: ١٢٧ ح ١٩٩.

إليه تعالى والخضوع والتفديس له جلَّ جَلَّالَهُ.

قَالَ تَعَالَى: (وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَ سَنَزِلُ الدُّمُومَ مِنَ السَّمَاءِ لِكُلِّ ذَلِيلٍ) (١).

وقوله تعالى: (وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِلُ الدُّمُومَ مِنَ السَّمَاءِ لِكُلِّ ذَلِيلٍ) (٢).

وقد وردَ مُستفيضاً لدى الفريقين أَنَّ باب حطّه في هذه الأُمَّة - كَمَا قَالَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وآله) - هُمْ أَهْلُ الْبَيْتِ (عليهم السلام) بَلْ أَنَّ بَابَ حَطِّهِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ لِأَنَّ أَسْمَاءَ النَّبِيِّ وَأَهْلَ بَيْتِهِ مَكْتُوبَةٌ عَلَيْهِ اسْتِشْفَاعًا بِهِمْ كَمَا وَرَدَ فِي الرَّوَايَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ، وَتَفِيدُ الْآيَتَيْنِ حَيْثُ:

١ - افتراض دخول باب حطّه افتراض سكنى القرية المُقدَّسه عماره وإحياء لها.

٢ - افتراض التوسُّل والاستشفاع لغفران الذنوب بباب حطّه في الأراضى المُقدَّسه وهم أهل البيت (عليهم السلام).

٣ - لزوم الخضوع والسجود لله تعالى فيها والعبادة له بالتوجّه بها إليه تعالى.

٤ - إِنَّ الإِعْرَاضَ عَنِ التَّوَجُّهِ وَالتَّوَسُّلِ بِبَابِ حَطِّ (صلى الله عليه وآله) عَقُوبَتُهُ دُنُوبِهِ عَاجِلُهُ قَبْلَ الأَخْرُوبِ وَبَنْزُولِ الرِّجْزِ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى الْعِصَاةِ لِذَلِكَ.

ص: ٣٩٤

١- (١) سورة البقرة: الآيه ٥٨ - ٥٩.

٢- (٢) سورة الأعراف: الآيه ١٦١ - ١٦٢.

## منهجه تربويه يرسمها رسول الله (صلى الله عليه وآله):

فى حديث الباقر (عليه السلام) مع قتاده البصرى نقله ابن حمزه الثمالى: «قال قتاده والله لو جلست بين يدى الفقهاء وقدام ابن عباس من اضطراب قلبى قدام واحد منهم ما اضطربت قدامك، قال له أبو جعفر (عليه السلام): أتدرى أين أنت؟ أنت بين يدى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه» (١).

ففى الراويه عن ابن عباس، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من دان بدينى وسلك منهاجى واتبع سنتى فليدن بتفضيل الأئمة من أهل بيتى على جميع أمتى فإن مثلهم فى هذه الأمة مثل باب حطه فى بنى إسرائيل» (٢).

وهذه منهجه تربويه فى القرآن الكريم والسنة النبويه لبيان أن موده ومحبه والاعتقاد بأفضيله أهل البيت (عليهم السلام) من الدين من تفاصيل فروع الشريعة قال تعالى: (فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) (٣).

يذكر السيوطى وهو من أهل السنه فى كتاب الدر المنثور أخرج ابن مردويه عن أنس بن مالك وبريده قال: قرأ رسول الله (صلى الله عليه وآله) هذه الآية: (فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه) فقام إليه رجل فقال: أى بيوت هذه يا رسول الله؟ قال (صلى الله عليه وآله) «بيوت الأنبياء» فقام إليه أبو بكر فقال: يا

ص: ٣٩٧

١- (١) الكافى: ج ٢٥٦: ٢؛ روضه المتقين: ج ٤٧٦: ٧.

٢- (٢) الأمالى للصدوق: ١٣٣؛ بحار الأنوار: ج ١١٩: ٣، ح ٣٩.

٣- (٣) سوره النور: الآية ٣٦، ٣٧.

رسول الله هَذَا البيت منها - بيت علي وفاطمة (عليهما السلام) - ، قال (صلى الله عليه وآله) «نَعَمْ مِنْ أَفْضَلِهَا» (١).

فالنبي (صلى الله عليه وآله) لم يقل: (نَعَمْ مِنْهَا) بل قال: «مِنْ أَفْضَلِهَا»، والملفت للانتباه أَنَّ عَلِيًّا وفاطمة لم يتوهم متوهم أَنَّهُمَا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ، فما الذى دعا أبو بكر أَنْ يسأل هَذَا السُّؤال؟ وما العلقه بين بيت علي وفاطمة وبين بيت الأنبياء؟ وما ذلك إِلَّا كاشف ودالٌّ عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ وَالرَّسُولَ (صلى الله عليه وآله) لَهُمْ تَرْبِيَةٌ خَاصَّةٌ لِلْمَجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ وَلَوْسَطِ الْمُسْلِمِينَ، بِأَنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ (عليهم السلام) حَجَجَ مَعْصُومُونَ، فَبِالتَّالِي هُنَاكَ مَنَاسِبُهُ أَنَّهُ إِذَا قِيلَ شَيْءٌ فِي الْأَنْبِيَاءِ قِيلَ شَيْءٌ أَيْضًا فِي الْأَوْصِيَاءِ.

فَهَذَا الْحَدِيثُ دَالٌّ عَلَى الْمُرْتَكِزِ فِي عَقْلِيَةِ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ بَيْتَ عَلِيًّا وفاطمة أَفْضَلُ مِنْ بَيْتِ الْأَنْبِيَاءِ؟

وعليه فَإِنَّ بَيْتَ أَهْلِ الْبَيْتِ (عليهم السلام) بِيوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيَذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ، فَهِيَ لَيْسَتْ مَسَاجِدَ فَقَطْ، بَلْ مِنْ الْمَشَاعِرِ الَّتِي شَعَرَهَا اللَّهُ تَعَالَى فَإِنَّ مَرَاقِدَهُمْ (عليهم السلام) مِنْ الْمَشَاعِرِ بِرَوَايَاتِ أَهْلِ السَّنَةِ فَضْلًا عَنْ رَوَايَاتِنَا، وَالْمَشَاعِرِ أَعْظَمُ مِنْ الْمَسَاجِدِ، إِذْ الْمَسْجِدُ رُبَّمَا تَنْتَهَى وَقْفِيَّتُهُ أَوْ يَزَالُ لِسَبَبِ مَا كَضُرُورِهِ إِقَامَهُ شَارِعٌ وَنَحْوُهُ، فَإِنَّ الضَّرُورَاتِ تَقْدَرُ بِقُدْرَتِهَا، أَمَّا الْمَشْعَرُ فَلَا فَإِنَّهُ كَالْمَزْدَلْفَةِ وَمُنَى وَغَيْرِهَا مِنْ مَنَاسِكِ الْحَجِّ.

يقول الشَّيْخُ كَاشِفُ الْغَطَاءِ: «هَذِهِ بِيوتِ شَعَرَهَا اللَّهُ فَهِيَ أَعْظَمُ مِنْ الْمَسَاجِدِ» (٢).

فهذه المراقد الشريفه يجب أن تُعْمَرَ وتُعْظَمَ بِنَصِّ كُلِّ الْمُسْلِمِينَ، وكذا

ص: ٣٩٨

١- (١) الدرّ المنثور: ٥٠: ٥٠؛ تفسير سورة النور.

٢- (٢) كشف الغطاء: ٥٤.

أفضليتهم على الأنبياء بنص الرواية عند المسلمين وهذه من الدين.

فإذن يظهر من ذلك إن البيوت التي أمر الله أن تُرفع وتُعظم هي بيوت المعصومين ومراقدهم المُقدَّسه، إن الأرض التي فيها قبورهم هي أراضى مُقدَّسه أخذت قُدسيتها وشرفيتها من وجودهم الشريف.

### كيف نقدهم

مع ملاحظه تلك الآيات التي وردت من بنى إسرائيل وأمرهم بدخول الأرض المُقدَّسه وتعظيمها وأن يدخلوا الباب سُجداً ويقولوا (حطه) أنها خصائص خص بها أهل البيت (عليهم السلام)، يَل بما يفوق ذلك بحسب الروايات، وتعظيم أهل البيت (عليهم السلام) بما عظمهم القرآن به ليس لهم فقط، بل للمدن التي هم فيها، فينبغي أن نحفظ قُدسيتهم وقُدسيه بيوتهم ومُدنهم وذلك ب:-

أولاً: السكن فيها مع مراعاة الاحترام والحُرمة والتقديس.

ثانياً: الالتزام بالشريعة المُقدَّسه أكثر من الأماكن الأخرى والمُدين الأخرى، كما قال الله تعالى: (وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ) (١). حيثُ اعتبروا الظلم البسيط عند البيت الحرام إلهاداً.

ثالثاً: يجب طرد أهل الباطل وتطهيرها من أسر واستحواذ أهل الشر.

رابعاً: حفظ الأمن فيها وهَذَا له لوازم عديده من أهمها وجوب الدِّفاع عن تلك المدن من الاعتداء الخارجي، ومن التخريب والفساد الداخلي.

خامساً: إن موسى أمر قومه أن يدخلوا الأرض المُقدَّسه، ولو كان فيها الجبارون ولو استلزم ذلك التضحيات الكثيره، فيجب أن ندخل (نزور) البيوت المُقدَّسه - أضرحة المعصومين (عليهم السلام) - ولو كان في ذلك تضحيات.

ص: ٣٩٩

سادساً: إِنَّ المقدسات تمثل الإسلام وحفظها حفظ الإسلام، ولا يشكل هنا إِنَّ حرمة المؤمن وحرمة دم المؤمن أعظم مِنْ حرمة الكعبة، فَإِنَّ تعظيم الأراضى المُقدَّسه هُوَ فريضه فى الآيات المُتقدِّمه كركن فى الدِّين وتعظيم للإسلام والتضحيه فى سبيل رفعتها تضحيه فى سبيل الإسلام الذى ضحى مِنْ أجله الحسين (عليه السلام).

سابعاً: عمارتها المعنويه بالإضافه إلى السكن فيها وعمارتها الماديه وتشيد بناؤها وتوسعه عمارتها المعنويه بكثره الزياره عَنْ سكنها أو لم يسكنها وشدّ الرحال إليها وعدم تركها لخوف الظالمين والجبارين لكن مَعَ الأسف الكثير فى غفله عَنْ هذه الفروض الإسلاميه العظيمه ولسان حال الناس كلسان حال قوم موسى إِنَّ فيها قوم جبارين وإِنَّا لَنُ ندخلها ما داموا فيها فالناس بالأمس القريب يقولون إِنَّ فيها قوماً جبارين (صدام والبعث) وإِنَّا لَنُ ندخلها ما داموا فيها ومسلطون عليها، أمَّا اليوم فيقولون إِنَّ فيها الوهابيه الجبارين، فاذهب أنت وربك يا موسى!؟

ثامناً: كُلُّ مراقد أهل البيت (عليهم السلام) مشاعر إلهيه وَكُلُّ واحد منها حرم الله وحرَم رسوله وأهل بيته (صلى الله عليه و آله) كربلاء وحرَم الله وحرَم رسوله، وحرَم أهل بيته (عليهم السلام) وهكذا النجف والكاظميه، وكذلك مشهدو سامراء وباقي مشاهد المعصومين (عليهم السلام). فيكون مِنْ التعظيم والتكريم نتعاهد بها بالعمران بأسمى وأعظم ما يُمكن، ففى منهاج الرشاد للشيخ جعفر كاشف الغطاء+ ينقل روايه بعدم جواز أخذ زينه الكعبه ففى الخبر: قِيلَ لعمر: لو أخذت حلَى الكعبه فجهزت به جيوش المُشِلمين كَانَ أعظم الأجر، وما تصنع الكعبه بالحلى فهَمَ بذلك، فسأل علياً (عليه السلام) قال: إِنَّ القُرآن أنزل عَلَى النَّبى (صلى الله عليه و آله)

والأموال أربعة: أموال المُسْلِمِينَ فقَسَمَهَا بَيْنَ الْوَرِثَةِ فِي الْفَرَايِضِ وَالْفِيءِ فَقَسَمَهَا عَلَيَّ مُسْتَحْقِيهِ، وَالْخُمْسَ، فَوَضَعَهُ اللَّهُ حَيْثُ وَضَعَهُ، وَالصَّدَقَاتِ فَجَعَلَهَا اللَّهُ حَيْثُ جَعَلَهَا، وَكَانَ حَلِيَّ الْكَعْبَةِ فِيهَا يَوْمَئِذٍ فَتَرَكَهُ اللَّهُ عَلَيَّ حَالَهُ، وَلَمْ يَتْرَكْهُ نَسِيَانًا وَلَمْ يَخْفَفْ عَلَيْهِ مَكَانًا فَأَقْرَهُ حَيْثُ أَقْرَهُ اللَّهُ وَرَسُولَهُ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: لَوْلَاكَ لَأَفْتَضَحْنَا وَتَرَكْنَا (١) فَعِمَارَتَهَا كَرَكْنٍ فِي الدِّينِ لَا يَقْدَمُ عَلَيْهَا فَرُوضٌ أُخْرَى رَكْنِيهِ.

كذلك ما رواه البنانى واعظ أهل الحجاز عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده الحسين بن علي، عن علي أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال له: «والله لتقتلن في أرض العراق، فتدفن بها.

فقلت: يا رسول الله ما لمن زار قبورنا وعمرها وتعاهدها؟

قال أبا الحسن: إن الله جعل قبرك وقبر ولديك بقاعاً من بقاع الجنة وإن الله جعل قلوب نجباء من خلقه وصفوه من عباده تحن إليكم، يعمرون قبوركم، ويكثرون زيارتها، تقرباً إلى الله تعالى، ومودّة منهم لرسوله يا علي من عمّر قبوركم وتعاهدها فكأنما أعان سليمان بن داود (عليه السلام) على بناء بيت المقدس. ومن زار قبوركم عدل ذلك ثواب سبعين حجّة بعد حجّة الإسلام، وخرج من ذنوبه حتى يرجع من زيارتكم كيوم ولدته أمه» (٢).

تاسعاً: ملا أحمد النراقى: فى كتابه (المعاد) (٣) يذكر بدليل نقلى وعقلى

ص: ٤٠١

١- (١) منهاج الإرشاد: ١٥٥ عن إحقاق الحقّ ج ٢٠٣: ٨ عن ربيع الأبرار للزمخشري، وراجع المطالب للدستري: ١٢٢.

٢- (٢) فرحه الغرى: ٧٧؛ وعنه بحار الأنوار: ج ١٠٠ ص ١٢٠ - ٢١ ح ٢٢.

٣- (٣) كتاب فارسى طبع أخيراً.

أن قبر أمير المؤمنين (عليه السلام) وقبور أهل البيت (عليهم السلام) أعظم من الجنان وليس فقط من المساجد، والشَّيخ جعفر كاشف الغطاء يعتبرها مشاعر إلهية وكثير من العلماء يقول: هي أفضل من المساجد (١).

عاشراً: (تطاول الوهايه على المقدسات):

الوهايه إلى الآن طبقت ثلاث كتب لتشريع وجوب هدم قبة النبي (صلى الله عليه و آله) جهاراً نهاراً بل هم ينون - كما أسلفنا - هدم كل المراقد المقدسه بل وهدم البيت الحرام استناداً لبعض التأويلات والتحريفات فيما ورد عن النبي أنه (صلى الله عليه و آله) سيهدم الكعبة تاركين بذلك تتمه الحديث. «لنقضت البيت فبنيته على أساس إبراهيم» (٢) وفي الحقيقة إن هذه السياسة ليس هي لتخريب المراقد والمساجد فقط بل لتخريب الدين والدنيا والسلم والأمن المدني كما أسلفنا.

الحادى عشر: عماره قبورهم واجب عقائدى وليس مستحب شرعى:

إن نظام تعظيم

ص: ٤٠٢

١- (١) المستمسك: ج ٥١٩: ٥.

٢- (٢) السنن الكبرى للنسائي ج ٢٩٢: ٢ ح ٣٨٨٦٥؛ كنز العمال للمتقى الهندي: ج ٢٠٢: ١٢ ح ٣٤٦٦٧.

المُقدسات كقبور المعصومين (عليهم السلام) التي هي مشاعر مُقدَّسه إلهيه، لا- ينبغي أن يكون عملاً- فقط فردياً بل هو عمل جماعي اجتماعي وعلم مؤسساتي، بل هو عمل الدول وهو نظام أعلى من الأنظمة التي تحكم الدول والمجتمعات ولو جعلت الدول تلك المقدسات وصيانتها وتعظيمها وعمارته المعنوية والماديّة وحمايتها في مبادئها الدستورية لأكلت من فوقها ومن تحته، ولنعمت بحياه فيها خير الدنيا والآخرة، فإنّ نظام تعظيم المُقدسات أعلى من كلّ نظام به تحفظ كرامه الدول والمجتمعات والنّاس وكلّ البشر على وجه الأرض وعلى أرض المعاد.

الثاني عشر: الملائكة تُدافع عن الأراضى المُقدَّسه وتدافع عليها:

وردّ في كامل الزيارات، عن ابن سنان، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: «سمعتة يقول: قبر الحسين بن علي (عليهما السلام) عشرون ذراعاً في عشرين ذراعاً مكسراً روضه من رياض الجنّه، وفيه معراج الملائكة إلى السماء وليس من ملك مقرب ولا نبي مرسل إلّا وهو يسأل الله أن يزوره، ففوج يهبط وفوج يصعد» (١).

فإذن مراقد المعصومين عروش إلهيه وهي ليس فقط نظام أعلى من أنظمه الدنيا يجب أن تنتظم به الدول والمجتمعات والأفراد، بل هو نظام أُخروي تحتاجه الملائكة وتنتظم به أفواج الملائكة وأرواح الأنبياء فتكون زياده المراقد من الدّين لذلك تزورها الملائكة وأرواح الأنبياء، وليس هي فقط من الشّريعه، بل إنّ الدّفاع عنها من الدّين، ومكان تقدسه الملائكة وتدافع عنه وتنتظم به في تلك النشأه هي وأرواح الأنبياء ترفض أن يدنسه أو يهتك حرمة أحد من الناس؛ لأنّ ذلك بمثابة قتل لنفس المعصوم (عليه السلام) الذي ضجّت وبكت له ملائكة السماء، فعن سدير قال: قال أبو عبدالله (عليه السلام): «يا سدير ما أجفاكم بالحسين (عليه السلام) أمّا علمت إنّ لله ألف ألف ملك شعثاً غبراً يكونه ويرثونه لا- يفترون، زواراً لقبر الحسين وثوابهم لمن زاره...» (٢).

ص: ٤٠٣

١- (١) كامل الزيارات: ٢٢٢، وعنه البحار: ج ١٠١ ص ٦.

٢- (٢) كامل الزيارات: ٢٨٧، عنه البحار ج ٢٦٦: ٩٨.

كونهم ييكونه ويرثونه يشير إنَّ نفس البكاء والرثاء علم وكمال لهم وكونهم شعث غير كذلك يشير لنفس المطلب.

الثالثة عشر: سبق أن عرفنا أن مركز القدسيه والأساس الذي كسبت منه هذه الأرض القدسيه دون غيرها هو وجود المعصوم سواء ولادته أو حياته أو مدفنه وقد ذكرنا سابقاً أن الأرض المُقدَّسه قدست لولاده يعقوب فيها ولكونها مسكن أبيه إسحاق وولده يوسف (عليهم السلام) وهذه المركزيه وقطب الرحي، تشير إليه آيات عديده وروايات عديده أيضاً، كما في قوله تعالى: (وَ أَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ) (١). في هذه الآية إشاره واضحه أن غايه الحج هو إبراهيم لأنها قالت «يأتوك» ولم تقل يأتوني أو يأتوا البيت في إشاره لأهميه الولايه وأنها مفتاح قبول الأعمال.

وكذلك قوله تعالى: (وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُضَمًّا) (٢) وقوله: (فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا) (٣)، هذه الآية جعلت المركزيه لمقام إبراهيم حيث لا تقبل صلاه الطائف إلا بالصلاه خلف المقام وأيضاً جعلت المركزيه للآيات مقام إبراهيم.

الرابعة عشر: إنَّ الجهاد الدفاعي المُقدَّس عن الأرض المُقدَّسه وتخليصها من براثن الفساد والتجبر، فرع وجوب تعاهدها بالزياره؛ لأنَّ التعاهد ينتج ضروره عمرانها وتأمينها وبالتالي ضروره الدفاع عنها.

الخامسه عشر: قال تعالى: (وَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَ الْمَشْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي

ص: ٤٠٤

١- (١) كامل الزيارات : ٤٨٧؛ و عنه البحار: ج ١٠١، ص ٦.

٢- (٢) سورة الحج: الآية ٢٧.

٣- (٣) سورة البقره : الآية ١٢٥.

جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سِوَاءَ الْعَاكِفِ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُدِقُهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ (١).

الآية تدمّ الذين يصدّون عن سبيل الله عموماً، وعن المسجد الحرام بالخصوص، وتجعل الظلم البسيط عظيمًا بمنزله الإلحاد، ففي صحيح الحلبي، قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله عزّ وجلّ: (وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُدِقُهُ مِنْ عَذَابِ) (٢).

فَقَالَ (عليه السلام) كُلُّ الظلم فيه إلحاد، حتّى لو ضربت خادمت خشيت أن يكون إلحاداً) فلذلك كان الفقهاء يكرهون سكنى مكّه» (٣).

السّادسه عشر: استفاد جملة من الفقهاء من الآية المتقدمه «... الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد...» على حرمة تملك أراضى مكّه وحرمة إجارتها لاستواء استحقاق الناس لها بمقتضى الآية، وأنّه لا ينبغى أن يمنع الحاج شيئاً من دور مكّه ومنازلها، وههنا ما تؤكد الروايه عن الصادق (عليه السلام): «فكانت مكّه ليس على شىء منها باب وكان أوّل من علّق على بابها المصرعين معاويه بن أبى سفيان، وليس ينبغى لأحد أن يمنع الحاج شيئاً من الدور ومنازلها» (٤).

السّابعه عشر: حفظ الأمن فى البقاع المقدّسه وتأمينها واجب، كذلك تأمين الطريق للوصول إليها، لأنّ (مقدمه الواجب واجبه)، كذلك ينبغى تسهيل أداء

ص: ٤٠٥

١- (١) سورة آل عمران: الآية ٩٦ - ٩٧.

٢- (٢) التهذيب: ج ٥/٢٥٠٦.

٣- (٣) التهذيب: ج ٥، ٤٢٠/ح ١.

٤- (٤) الخلاف للطوسى: ج ١٨٩: ٣، مسأله المهذب لابن بزّاج، ج ٢٧٣: ١؛ فى أحكام الحرم؛ السرائر لابن إدريس: ج ١، ٦٤٤؛ تذكره الفقهاء ج ٤٤٢: ١٨ - ج ٣٩: ١٠؛ المٌختلف: ج ٤، ٣٦٧ - ج ٥: ٦٠.

العبادة فيها وإقامه الصَّلاه وكافه الممارسات الدينيه كالشعائر وغيرها.

الثامنه عشر: بما أنَّ عماره البيت الحرام متولَّده مِنْ وجوب زيارته فإنَّ تعاهد المساجد المُكْرَمه والمشاهد المُشْرِفه تتولد منه ضروره عمارتها، بل أنَّ عَلِيَّ الوالى إيجارهم إذا تركوا الحج، ففي صحيح الفضلاء، عَنْ أَبِي عبدالله (عليه السلام) قال: «لو أنَّ الناس أنْ تركوا زياره النَّبِيِّ لكان عَلِيَّ الوالى أنْ يجبرهم عَلِيَّ ذلك، أو عَلِيَّ المقام عنده، فإنَّ لَمْ يكن لهم أموال أنفقت عليهم مِنْ بيت مال المُسلمين»(١).

التاسعه عشر: قوله تعالى: (فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُزْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ) (٢).

إنَّ هذه البيوت رفعها الله وأوجب بذلك عَلِيَّ المؤمنين رفعها، وأنَّ يذكر فيها اسمه، فهذا تشعير لها لجعلها مشاعر مقدسه، ثمَّ قَمَالَ بَعِيدَ ذلك يسبِّح له فيها، أى التسييح جاء بَعِيدَ مفروغيه رفعها (تشعيرها وتقديسها)، وأنَّ لانزم رفعها وتعظيمها القنوت والإخبات والضعه والتواضع فيها.

العشرون: كما فى روايه عَنْ الحسن بن العباس بن الجريش عَنْ أَبِي جعفر الثَّانِي (عليه السلام) فى حديث طويل فى شأن «إنَّا أنزلناه»، قَالَ (عليه السلام): «ولا أعلم فى هذا الزمان جهاداً إلَّا الحج والعمره والجوار» (٣) ومفادها تنزيل الجوار للمشاهد المُشْرِفه منزل الجهاد.

ص: ٤٠٦

١- (١) وسائل الشيعه، أبواب وجوب الحج: ب ٥ ح ٢.

٢- (٢) سوره النور: الآيه ٣٦.

٣- (٣) الكافى ج ١٩٤: ١ ح ٧؛ وسائل الشيعه ج ٤٧: ١٥ ب ١٢ ح ١٩٩٥٧.

ولكن بنظره أخرى وبفهم أعمق ولما قرر في العلوم الروحية وعلوم النفس والاجتماع من وجود الطاقات الغيبية التي تكون كأموال روحية مرسله، وهي بحسب من أرسلت منه فإن كان صالحاً كانت، وبالعكس إن كان طالحاً، كما أن هناك إشارة أخرى تشير إلى المعاناه التي يعانها المجاور لهم والزائر من قبل الظالمين على مر العصور، كما أن الزائر حين الزيارة يستلهم معاني الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل وكل العقائد الحقه.

الواحد والعشرون: قال تعالى: (أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (١).

في الآيه الكريمه إشاره إلى أن عماره بيت الله الحرام سقايه (خدمه) زوار بيت الله شىء عظيم، كذلك سقايه (خدمه) زوار البيوت التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه وعمارتها شىء عظيم، ولكن الجهاد أعظم من سقايه وخدمه الحجاج والزوار، وكذلك أعظم من العماره، فيكون الجهاد فى الدفاع عن المقدسات عظيم وأعظم لأنه يجمع بين عنوان الجهاد وعنوان العماره والسقايه؛ لأنه مقدمه لبقائها وعمارتها وخدمه الزائر بها.

الثانيه والعشرون: قال تعالى: (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسَيْنِ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ \* لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٍ أُسَسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ) (٢).

ص: ٤٠٧

١- (١) سورة التوبه: الآيه ١٩.

٢- (٢) سورة التوبه: الآيه ١٠٧ - ١٠٨.

فى قفه معروفه حاول فىها المنافقون احتواء الناس واحتواء القىاده الدينيه وذلك ببناء مسجد (ضرار) الذى وصفه القرآن الكريم أنه كفر ورصد ضد المؤمنى فالقرآن يأمر بعدم الصلاه فىه أبداً وىطلب القيام فى مسجد له صفتان أنه أسس على التقوى وأن فىه رجال فىبون أن ىتطهروا.

فاذا كان القرآن ىشيد بالتأسيس لذلك المسجد، لأنه أسس على التقوى سواء أسسه النبى أو أسسه المسلمون بأمر النبى (صلى الله علىه وآله)، فكىف بك بىوت هى أعظم من المساجد؛ لأن المؤسس لها هو الله؛ لأنه رفعها وعظمها، وإذا كان المسجد عظيم لأنه أسس على التقوى، فكىف بنفس التقوى ومعدن التقوى؟؟.

الثالسه والعشرون: مشهور فقهاء الإماميه أن المسافر فىخىر بىن القصر والتمام فى أربعه أماكن فى المسجد الحرام ومسجد النبى (صلى الله علىه وآله) والحائر الحسىنى ومسجد الكوفه، وذهب الكثر إلى أن التخىير المذكور هو فى مدن تلك المقدسات على سعتها وبعضهم قال بالتخىير فى كل مرقد المعصومىن (علىهم السلام) وكان الشرىعه فىن شعرت هذه الأماكن جعلتها بمثابه وطن عالمى لكل الناس.

إشاره

هناك عناوين أخرى لنفس هذا العنوان، تمثل جوانب وزوايا في نفس العنوان:

خارطة المسير والمسار الصحيح في العصر الراهن.

خارطة وظائف المؤمنين في الظرف المعاصر.

دور الرعايه للمؤمنين في العصر الحاضر.

كيفية التعاطي مع لغه المرحله الراهنه.

الإصرار في تحمل المضي بإداره المسؤوليه.

التخطيط الممنهج في تطبيق المسؤوليات.

برمجه المسارات الصحيحه الوصول إلى الهدف المنشود.

الصمود في تذليل العقبات لتحقيق الهدف المنشود.

فيما يلي قواعد تمثل عناصر مشتركه أو عمومات فوقانيه لكل القواعد التي ذكرنا والتي لم نذكر، من القواعد التي تمثل مناهج للنشاط الديني والسياسي والإجتماعي والعسكري، فهي قواعد لتلك القواعد.

قاعده: إعداد القوه:

قال تعالى: (وَ أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَ مِنْ رِباطِ الْخَيْلِ ...) (1) وهذه الفريضة القرآنيه العظيمه ليست مختصه بباب الجهاد وحال مناجزه العدو،

ص: ٤٠٩

بل هي مطلقه على الدوام أن يبنى المؤمنون أنفسهم وقوتهم صرحاً يهابه العدو رادعاً له عن التناول.

### قاعده: (كلكم راع) وعموم المسؤوليه على الجميع:

مع - عدم سقوطها ولو تقاعس الأغلب.

- عدم عذريه ترك المسؤوليه لو تخاذل الأكثر.

قال النبي (صلى الله عليه و آله): «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»<sup>(١)</sup>.

وهذه الوصيه النبويه الخطيره لم تقتصر المسؤوليه على بعض دون البعض، ولا على النخب دون عامه آحاد الأمم، بل كل من موقعه يتحمل الثقل والعبء، سواء قام الآخرون بمسؤولياتهم أم تخلوا عنها .

فإذن أنت مسؤول عن أعداد القوه وأنت مسؤول عن رعايتها ولو تخاذل الأغلب، ولا عذر لك ولو تخاذل الأكثر .

### قاعده: الصبر لايعنى الجمود:

أن الصبر والتصبر لا- يعنى الجمود بل الإندفاع فى النشاط والفاعليه والرعايه اللطيف والتدابير المتعدده الواسعه، كما أن للصبر مواضع ومواطن يمدح فيها وأخرى يذم .

### قاعده: للوفاء مواطن:

قال أمير المؤمنين (عليه السلام):«الوفاء لأهل الغدر غدر عند الله والغدر بأهل الغدر وفاء عند الله»<sup>(٢)</sup>.

ص: ٤١٠

١- (١) بحار الأنوار ج ٣٨: ٧٢.

٢- (٢) نهج البلاغه ج ٤٠: ٤٠، بحار الأنوار ج ٩٧: ٧٢.

وهذا البيان العلوى المحكم أشاره أن الالتزام مع الفاتك والهاتك للحرمت شراكه معه فى أفساده فى الأرض، بل اللازم المناوره للتخلص من خداعه ودجله والأعيه وهذه الوصيه أصل كبير فى التعاطى مع تحايل العدو ومراوغته .

### **قاعده: ضروره توازن القوى مع العدو:**

فى وسط مواجهه سيد الشهداء (عليه السلام) مع المارد الأموى فى الطف، أراد أحد الأنصار وعظ العدو فأجابه (عليه السلام) -  
بما مضمونه -

أن المرحله التى وصل لها العدو فى عتوه وطغيانه ليست تعالج بوعظ ونصح، بل بتجاذب القوه معه ومناوره الشده، وهذا أصل هام فى تشخيص لغه المرحله ونمط المكافحه مع العدو.

### **المعصوم لنا قدوه:**

أن لنا قدوه عظيمه بإمام عصرنا صاحب العصر والزمان المهدي (عج)، حيث أن تناول الدهور والعصور على الظهور بمشروعه الإلهى بإقامه دوله العدل والقسط فى سائر أرجاء الأرض لم يثنه عن الاستقامه والرباط والمرابطه على الطريق لتحقيق الهدف ولا زعزع طول المده من أمله ورجاءه بالله تعالى فى تقدير وتدبير الفتح والنصر، فكم هائل وعظيم هذا الإصرار من التحمل لا داره المضى بالمسؤوليه والتخطيط عبر عشره قرون .

ص: ٤١١



مقاطع مختاره

اشاره

ص: ۴۱۳



هذه مقاطع مختاره من البحوث المتقدمه بمثابه خلاصه فى نقاط:

١. إن نشاط الحسين عليه السلام عبارته عن رجاء، و تعطيل شىء من النشاط يعنى تعطيلاً لعنوان الرجاء، فلا بد أن يبقى عنوان الرجاء مع بقاء عنوان الخوف بموازاته كموازته بين الخوف و الرجاء كما نصت الروايات.

٢. أعطى الحسين عليه السلام درسا من خلال عمله يقتدى به، شعاره: أنا أتحرّك فى إرادته الله و ليس تجاوزا على إرادته الله، بل ضمن إرادته (من الإرادة و ليس على الإرادة).

٣. الحسين عليه السلام لم يتجاوز قانون الأسباب و المسببات من خلال نشاطه و حركته الدؤويه فى الطّف، بل كان يرجو- بمكابده التدبير و التوكّل سببا فوق الأسباب و سببا مسببا من قبل مسبب الأسباب.

٤. منهاج كربلاء يرفض المسلك الجبرى الذى يحدّد و يقيد قدره الله.

٥. إن مسألة الأمر بين الأمرين ليست محتصه بأفعال المخلوقين، بل هو قاعده و نظام وجودى فى كلّ علاقه بين الخالق و المخلوق، و فى كلّ وجوده و شؤونات وجوده المتّصله بخالقه هى أمر بين أمرين، و هذا هو دين التوحيد الخالص الذى رسمه لنا أهل البيت عليهم السلام.

٦. الجزع الممدوح فى الروايات التى أوردناها- بمعنى الإلحاح فى الرجاء و الدعاء و الطلب من الله تعالى، و هذا ميزان لموضع الحراك و الفعاليه و النشاط لإرادته التغيير قبل نزول

أمر الله و قبل وقوع القضاء، أمّا بعد وقوع أمر الله و وقوع القضاء، فهنا موطن التسليم و الرضا بما ثبت حصوله و لا يرغب في غيره.

٧. الحركة و الحراك ليس اعتراضا على قضاء الله و قدره، بل استمطارا من سعه بحر المشيئه، و من طمطامه الزخار للعلم الإلهي.

٨. إنّ يونس عليه السلام كان مسلما لأمر الله، راضيا متفائلا بسعه رحمه الله، و لكن الفرق أنّه تحرّك إلى خارج معركة الهدايه، إذ ذهب مغاضبا. فالآيه القرآنيه تصف يونس أنّه ظن أن لن يضيق الله عليه في المسؤوليه.

٩. العذاب رفع عن قوم يونس و قد أبرم إبراهيم إراما، حيث أظلمهم قريبا منهم، لأنهم تضرّعوا و دعوا ربّهم دعاء المضطر، و الله يجيب المضطر إذا دعاه و يكشف السوء، و هو إيمان عظيم بعظمه تدابير الله، و بالتالي هو إيمان بعظمه الله، و السبب أنّ التعظيم خلق عظيم ينحدر عن عقيدته صحيحه، و عظمه ذلك أنّهم عندما نظروا مقدّمات العذاب و قد تحقّقت أجزاء منها، و إنّ المخبر بالعذاب صادق، لأنّه نبي من الأنبياء، مع ذلك ظنوا أنّ الله أعظم من ذلك و من الأسباب الطبيعيه.

١٠. إنّ لحسم و الحتم في أصل الحدث الشهاده و التقدير الكليّ و العنوان الكليّ لما يحدث لا يعنى الحسم و الحتم في العنوان الجزئي، أي: في التفاصيل الجزئيه لملازمات الحدث و الواقعه، فيمكن الحركة و الحراك و النشاط في صياغه وقوع التفاصيل للحدث، بنحو تقلّل من نتائج الخساره، و تصاعد أرقام الفتح و الكيفيات الإيجابيه في الظروف المحيطه بالواقع، و هذه معرفه عميقه و قراءه ثاقبه لمعنى التوكّل على الله تعالى و الرجاء لرحمته تفوق الإيمان بالقضاء و القدر.

١١. هناك حقيقته أخرى و نظره ثالثه بين الحتميه الجبريه من جهه، و التفويضيه من جهه أخرى، و هي حتميه البداء و بدائيه الحتم.

و هنا نكته لطيفه ينبغى الالتفات إليها: فتحتميه البداء لا ترى حتما و حتما في شىء إلّا للبداء، فيكون كل شىء خاضعا لحتميه البداء، فلا حتميه إلّا له، أو قل - بعبارة أخرى -: إنّ الحتميات الصغرى تنصهر في الحتميه الكبرى (حتميه البداء).

١٢. إنّ الله تبارك و تعالى يعمل بسجود الملائكه و امتناع إبليس، و لكن (لا قصاص قبل الجريمه)، فالله لا - و لن يطرد إبليس من رحمته قبل صدور العصيان، و إن كان يعمل بصدور العصيان منه، و هذا أصل عظيم و قاعده أساسيه و من محكمات المنظومه الخلقيه التأديبيه الإلهيه فى تعامل البعض مع البعض الاخر، مؤسسه على أساس عقيدته البداء.

١٣. بعد أن أسس عليه السلام (هيئات منّا الذّله) طلب الموت الذى هو حياه، حيث قال عليه السلام إنّى لا أرى الموت إلّا سعادته و الحياه مع الظالمين إلّا برما. (١)

### عقيدته البداء أهم مقومات النشاط الدينى و السياسى و الاجتماعى للأئمه عليهم السلام.

١٤. إنّ الأساليب التى اتخذها أئمه أهل البيت عليهم السّلام فى مواجهه أعدائهم عديده و أغلبها كانت عبارة عن حرب بارده، و هذه الحرب لا تنافى إيمانهم بسعه الرحمه و سعه البداء و حتميه القضاء، و قد خفى على كثير من

ص: ٤١٧

---

١- (١). ابن شهر اشوب، محمد بن على، مناقب ال أبى طالب: ج ٣، ص ٢٢٤. الهيثمى، على بن أبى بكر، مجمع الزوائد: ج ٩، ص ١٩٣. الطبرانى، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير: ج ٣، ص ١١٥.

السطحيين الأساليب المتنوّعه العديده و الكثيره- التي كان يواجه بها الأئمّه عليهم السلام أعداءهم.

١٥. كانت أكبر دوله إسلاميه تنخوّف و تتحسس من الإمامين الباقر و الصادق عليهما السلام، كما تبين مواقفهما عليهما السلام توازن مسيرهما السياسي، فلم يكونا في الانتماء المعلن موالين للسلطه، بحيث يغيب صراط الشرعيه عن و عى الأئمّه.

١٦. رسم الإمام الصادق عليه السلام للؤمن منهاجا حياتيا بقول له: إنك إنسان صغير و الدّين إنسان كبير، و المهم هو الحفاظ على الإنسان الكبير، و تكون المحافظه على الإنسان الصغير بالتبع، أى: بتبع محافظته على الإنسان الكبير.

١٧. إنّ الإمام الصادق عليه السلام لم يترك الخيارات الأخرى مع تمسّكه بخيارات معيّنه، ففي حين كانت الظروف مؤاتيه لتأسيس الحوزات، لم يغفل عليه السلام جوانب الجهاد و الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر باليات متكثّره، فكان يواجه أعداء، بحرب بارده مباشره أو غير مباشره بواسطه أتباعه كلّما سنحت الفرصه و توفّر الظرف.

١٨. مشهد الغيبه غيبه الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف- مشهد عكس مشهد سيّد الشهداء عليه السلام، ففي المشهد الحالى رغم حتميه النصر فلا يدعو عجل الله تعالى فرجه الشريف ذلك إلى السكون عن النشاط، و هذا من بديع معرفه الأئمّه بالقضاء و القدر و علمهم بالبداء الإلهي الأعظم.

١٩. التلطف هو فى الكلام بقدر السؤال مع عدم الزيادة، و الكلام بشكل إجمالى و مقتضب، أو بشكل بسيط و سلس و غير معقد لأنّ التعقيد يزيد السؤال، فالتلطف و عدم إشعار الآخرين هو إشاره للحسّ الأمنى العالى

الذى مارسه أصحاب الكهف، كذلك الخضر عليه السلام حينما جاء إليه موسى عليه السلام يتعلم منه.

٢٠. تلاقى موسى و الخضر عليهما السلام و إنّ كان و عدا إلهيا و قدرا محتما و قضاء مبرما، إلّا أنّ ذلك لم يدع موسى و الخضر عليهما السلام بيتوانيان عن نحمّل أعلى المسؤوليه و إتيان قّمه النشاط، و مراعاة أشدّ الحذر و أدقّ الترقّب، مع أنّ الخضر قد رب من عين الحياه و المضمون البقاء إلى يوم الظهور المقدّس للإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف إلّا أنّ حذره متصاعد حتّى مع مثل موسى نبي من أولى العزم.

٢١. هذه التقيّه من الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف و أصحابه، و البرنامج الأمنى المكثّف ليس تشكيكا فى وعد الله المحتوم بالنصر و العياذ بالله، و لا تشكيكا فى قدره الله، بل هو على العكس تماما زياده فى الإيمان بمدى سعه القدره و المشيئه الإلهيه، و زياده فى المعرفة بمشيئه الله وسعه قدرته التى هى البداء.

٢٢. لذلك المخلصون على خطر عظيم و وجل كبير لتهيّبهم من سعه المشيئه و العلم و القدره و البداء، فبقدر ما لديهم من رجاء و معرفه بالجمال لديهم خوف و معرفه بالجلال، و هو ما يشير إليه سيّد الشهداء فى دعاء عرفه: إلهي، إن اختلاف تدبيرك و سرعه طواء مقاديرك منعا عبادك العارفين بك عن السكون إلى عطاء و اليأس منك فى بلاء(١)

٢٣. قد جذّر ثقافه الأمل و النشاط ما ورد فى زياره الحسين عليه السلام أنّه كان أسير الكربات (٢) أى: إنّ تعقيد الظروف كان يحبط به من كلّ جانب،

ص: ٤١٩

١- (١). المجلسي، محمد باقر، بحار الانوار ج ٩٥ ص ٢٢٥.

٢- (٢). اثر: الطوسى، محمد بن الحسن، مصباح المتعجب: ص ٧٨٨، المشهدى، محمد بن جعفر(رحمه الله)المزار: ص ٥١٤.

و يرغم كل ذلك لم يكن عليه السلام مستسلما لتلك الظروف، بل كان في قمه الحيويه و النشاط.

### الإيمان بالبداء في النتائج و التداعيات المترتبه على الحدث

٢٤. إن النتائج و التداعيات المترتبه على الحدث غير محسومه سلفا و مسبقا، و التفاصيل الأخرى المتولده من الحدث الخارجه عن حاق الواقعة كذلك المجال فيها ممكن للحركه و الحراك و السعى بلحاظها لإنجاز أكبر قدر من الاهداف العالیه، فلا یأس و لا إياس، بل عنفوان رجاء ملؤه تفاؤل بالخير و الأمل، و هذه معرفه غائره بالتوكل على الله تعالى و الرجاء لرحمته تفوق الإيمان بالقضاء و القدر.

٢٥. التفاصيل ممتا يتطرق إليها البداء و التغيير، فلا بد من الخوف و اليقظه و الحذر، و هذا ممتا يوجب الحيويه و النشاط في الحراك رغم أن الظفر و النصر محتوم، إلا أنه لا يوجب ترك تحمّل المسؤليه، و هذا معنى ظريف تفسيري لقاعده جبر و لا تفويض، أي «لا جبر في التفاصيل، رغم أنه لا تفويض في أصل الحدث و أصل و أصل الوقوع و الوقعه.

٢٦. هذا المعنى تفسير توحیدی لقاعده الزهد التي قال عنها أمير المؤمنين عليه السلام: إنها مشروحه في قوله تعالى: ( لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَ لَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَ اللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ) (١) أي: لا تفرحوا بحتميه النصر و تتركوا الخوف و الحذر و اليقظه، كما لا تأسوا من حتميه البلاء فتركوا و الحراك و الرجاء في تحسين النتائج و التفاصيل.

ص: ٤٢٠

٢٧. أحد أهم تفاسير قول النبي صلى الله عليه وسلم: تفاءلوا بالخير تجدوه (١) هو إيجاد الخير بواطه التفاؤل، فيصبح المعنى واضحاً (تفاءلوا بالخير توجدوه). فالتفاؤل حاله تكويته تعيشها النفس والروح، تصنع المعجزات في عالم تدبير وإداره الحدث في التكوين الخارجى، كما صنعته في عالم التكوين الباطنى للنفس، وليس الأمر مختصاً بالأفراد، بل هو حتى على صعيد المجتمعات وعلى صعيد الدول والحكومات.

٢٨. ليس التفاؤل على إطلاقه ممدوحاً، فهناك مواطن يذم فيها التفاؤل، وهى المواطن التى ينبغى فيها لحذر والخوف من سخطه تعالى - مثلاً - ونحوها، فينبغى التعرف على تلك المواطن، فإنّ مواضع العفو والرحمة تغاير مواضع النكال والنقمة الإلهية، وهى مواقع تكويته لا- يمكن أن يمتزج بعضها ببعض الآخر، كما فى دعاء الافتتاح: أيقنت أنّك أنت أرحم الراحمين فى موضع العفو والرحمة، وأشدّ المعاقبين فى موضع النكال والنقمة.... (٢).

٢٩. تبليغ الولاية رغم عظمتها وخطورتها فى الأمر الإلهى النازل على النبي صلى الله عليه واله، إلّا أنّ ذلك لم يدفع بالنبي صلى الله عليه واله إلى الاندفاع فى الحركة والحراك من دون تدبير وتخطيط فى توخى الأفضل فى المساحة المفتوحة، بعد أن لم يكن الأمر مضيقاً موسعاً، حتى جاء الأمر مرّه أخرى بالفوريّه والتضييق، فترك

ص: ٤٢١

- 
- ١- (١) الطباطبائى، محمد حسين، الميزان فى تفسير القرآن: ج ١٩، ص ٧٧. الريشهري، محمد، ميزان الحكمه: ج ٣، ص ٢٣٥٣، كما ورد فى قصه الحديدية وكذلك فى قصه كتابه صلى الله عليه واله الى خسرو برويز.
- ٢- (٢). الطوسى، محمد بن الحسن، مصباح المتهدد: ص ٥٧٨.

التأخير بسبب التروى و التحزى إلى المبادره و الإسرع.

٣٠. ورد النهى الشديد فى السنّه الإلهيه عن التضييق بكثره السؤال، كما فى بنى إسرائيل ضيقوا على أنفسهم الأوامر الإلهيه المتسعه ذات العموم بسبب كثره السؤال عن التفاصيل و القيود، كما فى أمره تعالى لهم يذبح البقره فكان المجال فى البدء متسعا لهم فى التفاصيل و الحركه فيها، إلّا أنّهم أكثروا السؤال عن القيود فى التفاصيل ليحتموها على أنفسهم، مع أنّها لم تكن مبرمه بالقيود مضيقه عليهم رغم إبرام أصل الأمر.

٣١. الهدهد فى قصه سليمان عليه السلام قد يبدو منه التكبر على سليمان عليه السلام حين قال: فكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنيايقين (١) فهو تصوّر- كما هو حال بعض مدعى المعرفة- أنّ ما علم به كلّ الحقيقه، مع أنّه جهل ما عدا ذلك، و من ثمّ وقعت فى صفه غير محموده بسبب الجهل و اختلاطه مع مرتبه العلم لديه.

### الفتح الحسينى

٣٢. لم تكن شجاعه الحسين عليه السلام شجاعه فرد أو شجاعه فرديه فحسب، بل كانت شجاعه فى التدبير و شجاعه فى الحكمه و فى التخطيط و التقدير، و هى ما يسمّى: (بشجاعه القيادة و شجاعه إداره الأزمات و إمامه الأمه).

٣٣. هناك نفوس واسعه الأمل و الرجاء تستطيع أنّ تحوّل الهزيمه إلى نصر، تحوّل الغصه إلى فرصه.

٣٤. إنّ الحسين عليه السلام و إن كان يبحث عن الفتح الذى هو أعظم من

ص: ٤٢٢

النصر، لكن ذلك لا- يعنى مطلقا التفريط بالجوانب الأخرى و عدم البحث عن الانتصارات فيها- الجوانب الأخرى- فيما هو ممكن و مقدور.

٣٥. كثير من الانتصارات التي انتصر فيها النبي صلى الله عليه و اله رغم ذلك أنّ القرآن لم يسمّها فتحاً، فما هي الأبعاد التي حملها صلح الحديبيه حتّى سمّاه القرآن (فتحا)؟ بل و زاد في وصفه فسّمّاه (فتحا مينا) رغم أنّ الكثير من المسلمين و خصوصا المشكّكين و المرجفين يرونها هزيمه و فشلا.

٣٦. في قّمه الضيق و المضيق الذي يمرّ به النهر يفتح على البحار و المحيطات العظيمة، هكذا كان الحسين عليه السلام يؤسس لبناء معرفي و يوصل رساله للناس، في أنّ الفتح غير النصر، و النصر العسكري الخارجى قد يكون مخالفا للفتح، فتصبح خساره فتحا و إن لم تكن نصرا، قال عليه السلام: «من لحق بي استشهد، و من لم يلحق بي لم يدرك الفتح». (١)

٣٧. كان المسلمون ينتظرون كلمه تشيد بالانتصار بعد المعركه، فإذا بأمر المؤمنين عليه السلام يشير إلى الفتح بقوله: «أنا فقأت عين الفتنة، و لم يكن ليجرأ عليها أحد غيري» (٢) ليقول عليه السلام لكلّ مؤمن: لا تنظر إلى ما تحت قدميك من الانتصارات، بل أنظر إلى ما هو الأهم، و هو تغيير المعادلات بظهور الحقّ و انقشاع الفكر الباطل، بسقوط قاد، الباطل من النفوس، فإنّ البصيره المعرفيه في متشابه المفاهيم الدينيه المفاهيم الدينيه كموقعيه أزواج النبي صلى الله عليه و اله و موقعيه صحابته

ص: ٤٢٣

١- (١) القمّي، جعفر بن محمّد، كامل الزيارات: ص ١٥٧. الحلّي، حسن بن سليمان مختصر البصائر: ص ٦. باختلاف يسير.

٢- (٢) خطب أمير المؤمنين على عليه السلام، ج ١، ص ١٨٢، الهاللي، سليم بن قيس، كتاب سليم بن قيس: ص ٢٥٦.

و موقعيّه المصحف و موقعيّه الرايه و الشعار بكملة حقّ توّظف لغايه باطله أعظم من النصر العسكري.

## في معنى الحلس

٣٨. إنّ قول أبي عبد الله عليه السلام: «فكونوا أحلاس بيوتكم» (١) أي: استقم على ما أنت عليه من الإيمان و يشه المؤمنين، و التزام جماعه الإيمان و بنمط و رويه الخفاء و كتمان موضع القوه و الضعف في المؤمنين عن الأعداء و المخالفين، و المواصله في مشروع أهل البيت عليهم السلام بدون صخب في العلانيه تثير الأعداء و تعرقل مسيره الإيمان.

٣٩. إنّ المقصود من كلمه (حلس) في الروايه و أمثالها ليس هو الجمود و الخمول، بل المراد من (البيوت) هو تشبيه المؤمن في بيت العقيدته المستقيمه بالمتاع الذي في البيت يظنّ الداخل أنّه لا قيمه له، في حين أنّه من الأشياء و البالغه الأهمّيّه و القيمه و الفائده الكبيره، و أنّه لا يفارق البيت أبداً، أي: ف حين أنّ له أهمّيته و دورا كبيرا في البيت إلّا أنّه في غطاء أمني و احتراس خفي عن أن يفظ إليه العدو.

٤٠. فالمراد من أحلاس بيوتكم، أي: لا بدّ من تصاعد الحسّ الأمني في طبعكم و سيرتكم كيلا يفتن و لا يطمع بكم العدو في حين كونكم سببا فاعلا- كبيرا في نفع و فائده بيت العقيدته، ملازمين له لا تفارقوه و لا تتأثروا بفتن الموجات الفكرية المختلفه عن بيت منهاج العقيدته الحقّه من تيارات فكرية

ص: ٤٢٤

---

١- (١). النعماني، محمد الغيبه: ص ٢٠٠ و قد نقل نفخس المضمون في روايات أخرى من طرق الشيعة و السنه، حيث نقل في سنن أبي داود- و هو من مصادر السنه- عنوان (الأحلاس) أنظر: أبود داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود: ج ٢، ص ٣٠٥.

منحرفه و ضالاه، و قولهم عليهم السلام: «فاسكنوا ما سكنت السماء و الأرض» (١) أى: اثبتوا ما كنتم عليه من الحق قبل أن تعصف بكم الفتن، و لذلك فلسان هذه الروايات القيام بالواجب لحماية الدين و العقيدة بقوه الثبات العقائدى، لا التخاذل و التفرج عن حمايه بيت العقيدة.

٤١. النشاط و تحمّل المسؤليه لا يعنى الضجيج و الصخب و إعلان الأسرار للأعداء فى العلانيه، و كذلك الخفاء و الكتمان لا يعنى الجمود و الانعزال و التفرج من بعيد، و لنا فى الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف فى قمه الخفاء مع قمه تحمّل كافه المسؤليات فى كلّ الساحات و الميادين الساخنه و الباردة.

٤٢. لا بدّ أن تكون وسطيا فى الحدث، فإنّ الوسطيه بمعنى المعادل الموضوعى و العامل المتشرك الذى لا غنى عنه لكثير من العمليات التديريّه الحسايه.

٤٣. التمرکز لا يعنى التوقع الجغرافى ما هو تمرکز الاستراتيجيه.

٤٤. هذا المعنى لا يعنى السكون و الركود و النكول عن هدف الانتظار، بل يعنى دوام استهدافه فى السعى و النشاط و الحركه و الحراك، و السكون و السكوت عن بقيه الأهداف الأخرى الدنيويّه، و كذلك هو بتوظيف الأهداف المتوسطه لذلك الانتظار و الظهور من دون الاغترار بتلك الأهداف لنفسها بنظره موضوعيه لها- تطبيق لقوله تعالى: (فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَ لَا يَسْتَحْفَنُكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ) (٢)

ص: ٤٢٥

١- (١) المجلسى، محمد باقر، بحار الانوار: ج ٤٧، ص ٢٧٤.

٢- (٢) الروم: ايه ٦٠.

٤٥. الانتظار من مادّة الناظر، أى: المتطلّع لشيء ات، حيث يجعل مركز كلّ برامجّه و تخطيطه و خطاه و خططه السعى لذلك الهدف، و الدوران حول تلك النقطة المركزيّه من دون رسم هدف مغاير لذلك الفرج الحقيقى، و ذلك بعدم الاغترار و الفرح بالانفراج النسبى الضئيل، و بذلك يكون السعى والعمل و النشاط أكبر من الأهداف المتوسطة، فضلا عن الأهداف المقطعيّه الشخصيه.

### قاعده إعداد القوّه

٤٦. قال تعالى: (وَ أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ) (١)(٢) النعمانى، محمد، الغيبه: ص ٢٠٠.

### برنامج التقيّه الأمنيّه و الإعداد الخفيّ (الذكيّ)

٤٩. من الطريف أنّ قاعده الإعداد الأمنىّ متمازجه و متداخله مع أقسام الجهاد الدفاعى التى ستأتى و مع ذلك هى متعاكسه معها، و ليس

ص: ٤٢٤

---

١- (١) انفال: آيه ٦٠. هذه الايه ترسم أصلا محكما و قاعده خطيره استراتيجيه ألا و هى: ( إنّ بناء القوه ليس له سقف يقف عند، بل هو أفق مفتوح لا يتناهى). ٤٧. بناء القدره و القوه ليس له سقف فى دعوه القران، نعم استخدام القوه تجاه الاخرين و لو كانوا من الأعداء المعتدين له سقف و حدّ محدود، كما أنّ استخدام القوه تجاه الاخرين حاله استثنائيه و اضطراريّه و ليست حاله أوليه فى منطق القران و مدرسه أهل البيت عليهم السلام. ٤٨. فبين بناء القوه و إعدادها و استخدام القوه و استعمالها بون شاسع، و من ذلك تفهم التوصيه ب «فكونوا أحلاس بيوتكم».

معنى التعاكس هو التضاد، بل هو تعاكس السير المنطومي لتنامي هذه القاعده مع تلك الأقسام.

فينبغي بالمؤمن أن يعى بذكاء ذلك السير العكسى و يستثمره بشكل صحيح.

٥٠. إنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ أَهْلَ بَيْتِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَ سَعَوْا عَنَّا إِلَى التَّقِيَّةِ إِلَى التَّقِيَّةِ التَّعْلِيمِيَّةِ ( الأَمْنِ التَّعْلِيمِيِّ أَوْ المَعْلُومَاتِيِّ ) وَ التَّقِيَّةِ المَدَارَاتِيَّةِ.

## الحذر أنواع و مراتب

٥١. ينبغي بالإنسان أن يخطط بخفاء لمواجهه مستوى الخداع أو الجهل الموجود فى النفس الأماره بالسوء، أو عند الأزواج أو الأولاد أو الأعداء الحقيقين، و هذا يحتاج إلى ضابط و ميزان لا يسقط فيه التدبير إلى الازدواجيه، بل يبقى عل الاستقامه بتدبير خفى يحرس فيه الأمن، و لذلك حذر المعصوم عليه السلام المؤمنين من استخدام التقية فى غير موطنها، كما فى احتجاج الحسن العسكرى عليه السلام فى حديث - أن الرضا عليه السلام جفا جماعه من الشيعة، فقال لهم: «و تَقُون حَيْث لَا تَدْجِبُ التَّقِيَّةَ، وَ تَتْرَكُونَ التَّقِيَّةَ حَيْث لَا بَدَّ مِنَ التَّقِيَّةِ».(١)

٥٢. كتمان الإيمان دور عظيم و هو المحافظه بالتقيه على النفس أو على جماعه الإيمان، و لكن هناك ما هو أعظم، و هى قاعده أخرى ملازمه لقاعده (الكتمان الذكى)، و هى قاعده (اصطناع الكفر تقيه و خداعا للعدو)، و كلا الدورين مارسهما أبو طالب عليه السلام، فهناك روايه شَبَّهَتْهُ بِمُؤْمِنِ الْفِرْعَوْنِ، وَ أُخْرَى تَشَبَّهَتْهُ بِأَصْحَابِ الْكُهْفِ وَ هُوَ دُورٌ ثَنَائِيٌّ مَزْدُوجٌ أَعْظَمُ مِنَ الدُّورِ الْأَوَّلِ.

ص: ٤٢٧

١- (١). الطبرسى، احمد بن على، الاحتجاج، ج ٢، ص ٢٣٧. الحر العاملى، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ١٦، ص ٢١٧.

٥٣. قول أمير المؤمنين عليه السلام: «فأما السبّ فسبوني، فإنه لي زكاه و لكم نجاه، و أمّا البراءة فلا- تتبرأ و منّي...» (١) هذه الرواية المستفيضه هي تحديد لأمد التقيّه بأن لا- تصل بالإنسان في ذوبان هويته في نهج الباطل و انسلاخه عن هويه منهاج الإيمان، إذ ليس المراد البراءة اللفظيّه في مقابل تجويز السبّ لفظاً- و هذا ما كذّبه الإيمان الصادق عليه السلام في نسيه ذلك لأمير المؤمنين عليه السلام- بل المراد بالبراءة كسيره و منهاج عمل ينسلخ فيه عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٥٤. إنّ سبب عدم استمرار النبيّ موسى عليه السلام في مصاحبه الخضر عليه السلام هو عدم صبره على الصرامه- انضباطا- في إنفاذ الأمور بلاد تتعتع سؤال و تلكؤ استنكار، مما يفشى سرّ المهمات.

٥٥. إنّ أحد تفاسير: «لولا- الحجّه لساخت الأرض بأهلها»، ليس أن تسيخ الأرض فقط بأهلها تكويننا بسبب الملكوت بالقضاء و القدر الإلهي، بل أيضا بحسب الأسباب الطبيعيّه، أي: لولا رعايه الإمام عجل الله فرجه شريف و فعل الإنسان الكامل بالأسباب الطبيعيّه الإداريّه و التدبيريه و التنظيميّه- بإحداث الموازنات و المعالجات السياسيّه و الأمّيه و الاجتماعيّه الظاهريّه و الخفيّه و كلّ المجالات المعيشيّه الأخرى لساخت الأرض بأهلها.

### جدليّه حفظ النظام الثابت و الإصلاح المتغير

٥٦. لعلّ البعض ينظر إلى الإمام الحسن عليه السلام بأنّه تحرك في صلحه مع معاويه على أساس البراغماتيه، و كان في منتهى الواقعيّه ( البراغماتيه) و لم يكن مثاليّا، تطبيقا بحسب زعمهم- لأسس أساس مبادئ السياسه (لا توجد عداوه دائمه و لا صداقه دائمه، و إنّما توجد مصلحه دائمه).

ص: ٤٢٨

٥٧. و لكن هذا الكلام غير صحيح، لأنّه عليه السلام تحرّك على أساس (المبدأيه و الواقعيه)، مزجا بين الواقعيه التي تتحرّك على أساس النفع، و المبدأيه التي تسير وفق ثوابت الدّين، بابتكار سلوكي لم يسبقه أحد من الأنبياء و الأولياء، نستطيع أن نسميه- كاصطلاح بين المبدأيه (المبدأيه النفعيه)، و هي علاقه متوازنه بين النفع التفويضي و الجبريه المبدأيه (لا جبر و لا تفويض و لكن أمر بين أمرين)، و بالتالي يكون الإمام الحسن قد وّفّق بين النزعتين، أي: إنّه لم يخسر أيّ ورقه إيجابيه في هذا الطرف مع تفادي الطعون على الطرف المقابل.

٥٨. البراغماتي يطالب بالانعطاف مع الواقع مرونه التعاطي- و الإمام الحسن عليه السلام ينعطف مع الواقع مع عدم التفريط بأيّ مبدأ من المبادئ، و عدم خسران أيّ ورقه من الأوراق، حيث يمكن استثمار بدائل اليه للحفاظ على المبدأ.

٥٩. إنّ كلمه عبد المطلب عليه السلام لإبرهه: «و للبيت ربّ هو أمنع له من الخلق كلّهم و أولى به منهم» (١) هي كلمه تحدّد و تهديد، و قوه و قدره في مناوره العدو للحصول على مكاسب أخرى من خلال المناوره في المسير و المسار، و فعلا حصل على ما يريد.

٦٠. و الدرس المهم الذي نبع من صلح الإمام الحسن عليه السلام و مناوره جدّه عبد المطلب عليه السلام، هو أنّ الإنسان إذا كان في معركه و يتوقّع الخسران من جهه فلا ينبغي أن يفترط في كلّ شيء، بل يتوخّى من خلال محاورته و مناورته الإبقاء على بقيه القدرات.

ص: ٤٢٩

---

١- (١) المفيد، محمّد بن محمّد، الأمالي: ص ٣٢٣. المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج ١٥، ص ١٣١.

٦١.الوسطية قد تكون بالمناورة التي تحافظ على الثابت التوليقي الذي يوازن بين النهج التقليدي و النهج الحديث العصري.

و بعبارة: هو. استخراج للّب الثابت في النهج التقليدي عن القشور القديمه و تليس اليات عصريه.

٦٢.الناس بين الإفراط في التغيير بإبصاله للّب الثابت، و بين التفريط و تضييع الأمور بحجّه الثبات فيصاعدون بالثابت إلى الاليه، بلا موازنه بين الثابت و المتحرّك، بين الاليه المتغيره و بين اللّب الثابت.

٦٣.الدّين و سيع و متين، و الشّريعه سمحه سهله ليّنه، و هي من الدّين، و من أصعب الصعاب الذي حارت فيه الألباب، هو التوفيق بين ما هو ثابت و متين و بين ما هو سهل لّين هيّن، فالليونه و السهوله في الاليه تعني التغيير، و تغيير الاليه لا يعنى تغيير الدّين الثابت.

٦٤.قال تعالى: (وَ الصُّلْحُ خَيْرٌ) (١) هناك قاعده يبنى عليها الفقهاء و هي أنّ (الصلح أعظم من القضاء)- أي: الصلح بحق و ليس بباطل- باعتبار أنّ القضاء يكون فيه طرف خاسر و طرف رابح، و كأنّ هناك نوعا من القهر و الإلجاء للطرف الاخر، و لنفس السبب هو أفضل من الحرب.

### معنى نسبيّه الحقيقه

٦٥. الحقيق نسبيّه، بمعنى أنّها ذات مراتب لا متناهيه و ليست نسبيّه سفسطيّه، يختلط فيها السراب مع الحقيقه، فهي نسبيّه في نفس الحقيقه، و ليس

ص: ٤٣٠

فى الحق المختلط بالبطل و الوهم و السراب، لأن هذا يؤدى إلى أن أى شىء يساوى أى شىء.

## الوفاء مع أهل الغدر عند الله

٦٦. إن غدر العدو إذا قوبل بسلمية و بوداعه و حسن ظنّ فهو غدر عند الله، فيصبح المؤمن - المغدور - غادرا عند الله، لأنه أحسن الظنّ بأهل الغدر، فتخطط لمواجهه غدره من حيث هو غادر و قد ظهرت منه بوادر الغدر، و هذا أصل عظيم فى التعاطى مع تحايل العدو و خدعه و مراوغته.

## نظريه تخدام القواعد

### اشاره

٦٧. لا شكّ فى أنّ بين جميع القواعد الدينيه تعاون بترابط منظومى نظامى متّصل و متواصل بين القواعد كلحقات فى سلسله و سلاسل و طبقات، كنظام الولايه للمحكمات.

و كمثال للتخدام: فإنّ قاعده الرعايه و قاعده الإعداد أحدهما أكبر من الأخرى من جهه، فقاعده الرعايه المستقاه من قول النبى صلى الله عليه و اله: «كلّكم راع و كلّكم مسؤول عن رعيته» (١) تمنهيج و تمنطق قاعده إعداد القوّه المأخوذه من قوله تعالى: (وَ أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ) (٢) من جهه أنّ الإعداد يحتاج إلى رعايه، فليس الإعداد كيفما اتّفق، و ليس هو بشكل عشوائى ينفرد و ينفلت فيه الأمر، فيمكن للمؤمنين فى الساحات العلميه أو العمليه أن يمازجوا و يزاوجوا بين القواعد لاستيضاح بعض التكاليف و الواجبات، أو لاستكشاف تكاليف جديده.

ص: ٤٣١

١- (١) المجلسى، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٣٨.

٢- (٢) الأنفال: آيه ٦٠.

٦٨. ينبغي أن يفهم المؤمن أنه الآن يعيش كفرد في مجتمع دولة الإمام عجل الله تعالى فرجه شريف الخفيته، فكيف يتعامل معها؟ وكيف يبنيتها؟ وهذه النظره هي شكل اخر غير التعبد الديني المحض و غير فكره إسقاط الواجب الديني التعبدى بل بفكره استثمار الواجب التعبدى.

٦٩. عن أبي عبد الله عليه السلام: «يا عمّار، الصدقه والله- في السرّ (في دولة الباطل) أفضل من الصدقه في العلانيه، و كذلك عبادتكم في السرّ مع إمامكم المستتر في دولة الباطل أفضل، لخوفكم من عدوكم في دولة الباطل و حال الهدنه....»(١)

٧٠. المنهج الصحيح الواقعي لقراءه أحداث مسرح الظهور و لعلامات الظهور و لشخصيات الظهور، هو منهج (الأمر بين الأمرين)، فلا تفويضيه بجعل المحور هو العلامات، أو بيد شخصيات مسرح الظهور، و لا جبريه مطلقه لا ترى أهميه لأى دور و شخصيه في مسرح الظهور، بل إنمّا أمر بين أمرين، و ذلك بالالتفات إلى المناهج الذى يتبعها هؤلاء الثلاثة (اليمانى و الخراسانى و السفينانى) و غيرهم.

٧١. لا- جبر و لا- حتميه مطلقه للأسباب الغيبيه و الإعجاز الغيبى و الإدارة الغيبيه بمعزل عن الأسباب الطبيعيه فى تعجيل الظهور، كما أنه لا تفويضيه بجعل كل الأسباب بيد المؤمنين فى إداره و تنامى الحكومه الخفيه للإمام عجل الله تعالى فرجه شريف.

٧٢. ما ذكرناه من منعج سوف يبطل منهج من يجعل العلامه بمثابه

ص: ٤٣٢

العلة إذا حدث حدث الظهور، وإذا لم تحدث سوف لا- يحدث الظهور، و كدته يعلق ظهور الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف على ظهور هذه العلامات، فهو في الحقيقه منتظر للعلامات- كاليماني و الخراساني و السفيناني و غيرهم برؤيه جبريه للظهور لا رؤيه مسؤوله- و ليس منتظرا انتظار نصره و عون للمهدي عجل الله تعالى فرجه شريف، و سيكون من الفاشلين في الامتحان لأنّ كلّ العلامات قابله للبداء كما فشل المنتظرون في زمن نوح عليه السلام، حيث علّقوا انتظارهم على العلامات (نوى التمر).

٧٣. كذلك يبطل منهج من يعلق أمله و عمله فقط على حدوث البداء في كلّ العلامات و هذا مسلك جبري- لأنّه يقول: ما دامت العلامه يمكن فيها البداء و لا يرتبط بها الظهور فلماذا أنظر إليها؟ و بما أنّ الله ناصر وليه و مظهر دينه على الدين كلّه، فما الداعي للبحث وراء العلامات و متابعه الأحداث تسارعت أم تباطأت؟

والمنهج الصحيح يتّضح بضوابط ثلاث:

(أ) ضابطه معرفه المنهج:

إنّ معرفه منهاج هؤلاء الثلاثة (اليماني و الخراساني و السفيناني) في سنه الظهور أهمّ من معرفه أشخاصهم، لأنّ الميران هو على المنهج لا- على الشخص، و البصيره هي على الحقّ لا على الرجال، و من ثمّ فمن أخطاء ثقافه التعليم لعلامات الظهور شخصنه البصيره بأشخاص، بينما لا بصيره مرهونه بالمنهج و الميزان.

(ب) ضابطه النظره المجموعيه:

و هي ضابطه خطيره أيضا في قراءه علامات الظهور، و هي أنّ الثقافه و المعرفه بالمشروع المهدويّ مبتورا عن الثقافه و المعرفه بأصحاب الكساء، بدءا بالمعرفه النبويه و معرفه المنهاج العلويّ و الفاطميّ و الحسنّيّ و الحسينيّ فضلا

عن التوحيد، و ثمره ذلك هيمنه ثوابت الدين العليا في قراءه المشروع المهدوي.

(ج) ضابطه في كيفية قراءه روايات علامات الظهور بالعلامه المركزيه (محوريه الرجعه):

\* إن روايات علامات الظهور هي في الحقيقه إحدائيات و معلومات استطلاعيه بغيه التحفيز للقيام بالممانعه عن وقوع مخططات العدو، و الوقايه عن حصول الإخفاقات و الدعوه إلى إطلاق مبادرات استباقيه تستهدف أو كار و معاقل العدو، و رسم خارطه سياسيه و عسكريه أمميّه و اجتماعيه لسنين أو لسنه الظهور، و أنّها تقرير يرسم الوظيفه الاستراتيجيه و التكتيكيه و التقنيه و اللوجستيه للمؤمنين فيما ينبغي عليهم القيام به و الحذر منه و يقظه تجاهه، لا أنّها أبناء عن مقدرات لا بديه الغرض منها التفرج و الخروج عن الخوض مع اللاعبين في لعبه المواجهه.

\* إن معرفه حقيقه الظهور و حقيقه دوله العدل للإمام الثاني عشر عجل الله تعالى فرجه شريف

لا تتم بدون معرفه الغايه من الظهور، و الغايه من الدوله، فإنّ غايه كلّ شيء هو أبين أمر في تعريف الشيء حتّى أنّه قيل في علم المنطق: إنّ الأجزاء الركيته القواميه التي يتكوّن منها الشيء ليست بمثابه من الأهميه في تعريف الشيء بقدر تعريفه بغايته.

\* إنّ هذه الدراسات و البحوث جعلت نجوم و محاور مسرح أحداث سنه الظهور، عباره عن الخراساني و اليماني و السيفياني، بينما الظاهر في روايات مستفيضه أنّ محور محاور أحداث سنه الظهور هو حصول الرجعه لثله من الأموات في الكوفه هم سبعة و عشرون نفرا، و هم الدائره المركزيه من ال(٣١٣)

أعضاء الحكومه المركزيه لدوله المهدي عجل الله تعالى فرجه شريف.

\*إذا، هؤلاء الراجعين دور بالغ الخطوره فى توازن معادلات الأحداث، و من عظم هذا الدور لهم وردت المقوله المستفيضه عن المعصومين عليهم السلام: «العجب كلّ العجب ما بين جمادى و رجب».(1)

\*من غير الصحيح بلوره العقيدته المهدويّه بالإمام الثّانى عشر و ظهوره و دولته بصياغتها و قولبتها بعيدا عن ماهيته منهاج ابائه، كالمناهج العلويّ و الفاطميّ و الحسينيّ و الحسينيّ و بقيه الأئمّه عليهم السلام، فصار البيان لماهيّه الظهور و مشروع الدوله للإمام الثّانى عشر- هذا البيان- مبتورا عن لثبه الحقيقى و مجتثا عن جذوره الأصليّه.

\*و بهذه الضوابط يقطع الطريق على الأديعاء، و يكون التمحور بهذه الضوابط تمحورا حول منهج الإمام عجل الله تعالى فرجه شريف، لأنّ تلك المحاور مساوات و خطوط هم عليهم السلام رسموها لنا.

ص: ٤٣٥

---

١- (١) القندوزى، سليمان بن إبراهيم، ينابيع المودّه: ج ٣، س ٤٣٤، باب ٩٩، ح ٤.

٧٤. عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «خروج الثلاثة (الخراساني و السِّفِينَانِي و اليماني) في سنه واحده في شهر واحد في يوم واحد، و ليس فيها رايه بأهدى من رايه اليماني يهدى إلى الحق». (١)

٧٥. اليماني يتحمّل المسؤولية: و هذه الروايات بمجموعها تشير إلى أنّ هناك من يتحمّل المسؤولية، نعم هي تبين أنّ اليماني رايته أهدى، و بذلك هي تدفع المؤمنين للقيام بواجباتهم و مسؤولياتهم تجاه الأخطار و حركات الضلال، فإنّ اليماني ليس هو من الملائكة المقرّبين و لا من المعصومين عليهم السلام، بل هو مؤمن قام بواجبه و تحمّل مسؤوليته، و بالتالي هو قدوه للآخرين من هذه الجهة - حيث لا ينبغي لهم القعود و ترك المسؤوليات.

٧٦. السفيناني حركة مقهوره، إنّ حركة السفيناني رغم قسوتها و شدّتها يمكن للمؤمنين أن يقهروها أو يقللوا من توسّعها، فيكفون شرّها بالجملة أو في الجملة، مضافا إلى سلامه التوجّه الذي يدعو إليه من مركزه إمامه الأئمة الاثنى عشر و إمامه الإمام الثاني عشر.

ص: ٤٣٦

---

١- (١) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ٣٧٥. الطوسي، محمد بن الحسن، الغيبة: ص ٤٤٦ - ٤٤٣. إعلام الوري بأعلام الهدى، الفضل بن الحسن الطبرسي: ج ٢، ص ٢٨٤.

٧٧. الأوصاف للحركات التي قبل السّفياني عديده، بعض الحركات يصفها المعصوم عليه السلام بحركه السّفياني، و من الواضح أنّه ليس للسّفياني - الذي قبيل ظهور الإمام عجل الله تعالى فرجه شريف اسم فهناك حركه الأصهب و الأبقع و غيرهما.

٧٨. السّفياني نتيجته لتعاقس المؤمنين: هذه الروايات و غيرها تؤكّد أنّ قبل حركاً السّفياني هناك حركات ضالّه و مضلّه و باطله تفتن المؤمنين، و كأنّها تشير إلى أنّ السّفياني نتيجته سلبيه متولّده من سلبيه أخرى، و هي عدم قيام المؤمنين بمسؤولياتهم تجاه أنفسهم و تجاه المجتمع بالتصدّي لتلك الحركات، و أدها في مهدها و لعدم توعيه المجتمع للقيام بمسؤوليته بالتحرك الصحيح و التصرف المتقن.

## الشيصباني

٧٩. هذا الوصف (الشيصباني) لعلّه - و الله العالم - وصف مركّب من كلمتين دمجتا في كلمه واحده، و الكلمتان هما (شيطان و صبي)، فتصير (شيصبان) كما هو موجود في كثير من المصطلحات، فمثلا يدمجون الزمان مع المكان فتصير (زيمان).

٨٠. فالنتيجه: أنّ حكومه شيصبان حكومه شيطانيه صبيانيه لا تحسن التصرف كالصبي، و تنحدر في مهاوى الفسق و الفجور و الرذيله كالشيطان، و يطابعمرهق انفلاتي نحو الوجوم، و هذه الحكومه مقدّمه و أرضيه لفجور و فسق و دمار و تعاقس أكبر بواسطه تسلط السّفياني.

## حكومه بني العباس

٨١. الروايات تؤكّد أنّ ملكهم بني العباس - لقائم، و من الواضح أنّه لا

يقصد أشخاصهم و لا اولادهم، لأنه يقول (ملكهم)، أى: حكمهم و سياتهم، فحكمهم و سياستهم قد بنيت و أسست على (الرضا من ال محمد صلى الله عليه و اله)، و لكنّه مجرد شعار ليس فيه إلّا الخداع و التضليل الإعلامى، و كأنّ كلّ حكومه تؤسس بنيانها على ذلك الشعار انتهازا لغرض الوصول للحكم- لأنّ الأرضيه العامه للمسلمين تهتف بأهل البيت عليهم السلام يسميها المعصوم حكومه بنى العباس، و لو كانت فى هذا الزمن!

٨٢. حكومه المكر و الخداع: المستشعر من لسان الروايات أنّ المؤمنين و جماعتهم إذا لم يقوموا بالمسؤوليه الملقاه على عاتقهم و لم يدركوا- بوعى و همّه عاليه و بعد فى النظر- عمق الخطر المحقق بهم سوف تستمرّ حكومات المكر و الخداع و التضليل الإعلامى، و كذلك الحكومات الشيطانيه التى لا تحسن التصرف بالتسلط عليها، و سيدوقون الذلّ و الهوان، ثمّ يدخلون فيما هو أتعس و هو تسلط السفينانى، فهذا لا يكون حتما عليهم إلّا بتلك المقدمات المهيأ لأشّر و أقسى حكومه عرفها تاريخ البشريه، فالمعصوم عليه السلام حينما يفصل فى تعاقب الحكومات الباطله (شيبباني، بنى العباس، سفينانى)، ليس هو نبوءه فلكيه، بل هى قراءه هدفها التوصيه و إيجاد الوعى فى كيفيه تحمّل المسؤوليه، قال تعالى: (لَهُ مَعْقَبَاتٌ مِّن بَيْن يَدَيْهِ وَ مِّن خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِّن أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُعَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَ مَا لَهُمْ مِّن دُونِهِ مِّن وَّالٍ) . (١)

### السفينانى و داعشى و بأجوجو مأجوج و جوه لعمله واحده

(٢)

٨٣. إنّ خراب العمران و الطابع المدنى و الإفساد و سفك الدماء و الهرج

ص: ٤٣٨

١- (١) الرعد: ايه ١١.

٢- (٢) هذا لامصطلح هو عباره عن حروف برمزبها إلى (الدوله الإسلاميه فى العراق و الشام).

و المرج هي صفة ياجوج و ماجوج التي ذكرها القران الكريم، و قد ذكر في جملة من الروايات الواردة في ملاحم الزمان نبوءه ن خروج ياجوج و ماجوج في اخر الزمان، و الظاهر أن المراد به عنوان وصفى، لا أنه عنوان و اسم علم لجنس مخلوق، و إن كان المعنى الوصفى لأول للمعنى الثاني من الحقيقة النوعية، و ذلك بناء على تجسم الأعمال و تجوهر الذات بسنخ الأعمال، أى: إن الذات و الروح و النفس و ما لها من أبدان تنسخ و يتكون بها جوهر مسانخ لطبيعته العمل، فالصوره صورته إنسان، و أما الروح فقد تبدلت إلى جنس ياجوج و ماجوج.

٨٤. لا ناموس و لا قاموس لهم: يصف القران هرجهم و مرجهم بتموج بعضهم في بعض عندما يزول السدّ- المعنوى تبياناً لعدم انضباطهم بمبدأ، و لا ناموس و لا قاموس يتعاطى معه في المعيشة بشكل لا يطاق حيث لم يتحمّله أولئك الأقوام البدائيين رغم جهلهم و أميتهم و تخلفهم، و إذا كان يهود (بنو قريظة و بنو النضير) نتيجة غدرهم في ذمّه التعايش المدني مع مجتمع المسلمين أجلاهم و أبعدهم النبي صلى الله عليه و اله عن أرض الحجاز، فكيف بمن يفسدون في الأرض من كلّ حدب و صوب؟ فهؤلاء لا- يكفي فيهم الإجماع و الإبعاد عن النسيج المدني- كما في اليهود- بل لا بدّ من إقامة سدّ عازل يحول بينهم و بين انطلاق أمواج فسادهم تجاه المجتمع المدني الإنساني الامن، فضلاً عن المجتمع المؤمن المسالم.

٨٥. هذا ما نلاحظه حالياً طابعا متميزاً في القاعده المشكّله من السلفيّة و الوهاية و داعش، فإنّ سفك الدماء الذي يمارسونه و قتل الأبرياء و خراب المدن بلا أى رادع و لا وازع، و بلا التزام بثابت من الثوابت، و لا تنقيّد

بناموس مقدّس إلّما على مستوى الشعار كدجل إعلاميّ و خداع إعلاني، كقناع يلبسونه لتغطّيّه صفه الياجوجيه و الماوجوجيه لديهم.

### شخصيات في مسرح الظهور نفاق الإيمان (البترية)

البترية: هي ظاهره تلفيقية مزجيه مخلّطه، لأنهم يخلطون مع ولايه أهل البيت عليهم السلام ولايه الشيخين.

٨٦. الروايات تشير إلى تكرّر هذه الظاهره و استمرارها في الوسط الشيعي إلى عام الظهور كحاله نفاقيه في الإيمان، و إنّ أصحاب هذا التيار البترى التوفيقى التلفيقى يعتمدون المسحه العلميه، و يتضرّعون بالمبررات الفقيهأ لهذا المنهج، و نداؤهم و خطابهم القائم بنبي فاطمه إشاره إلى نهج فاطمه عليها السلام في الإنكار على مسار السقيفه و البراءه من الانحراف، فكأنّ الميزان المائز لهم هو رفض التبري من أعداء فاطمه عليها السلام، كما أنّهم في بدايه أمرهم حيث أنكروا البراءه من الشيخين و أظهروا البراءه من أعدائهما، «فالتفت إليهم زيد بن عليّ في محضر أخيه الباقر عليه السلام، و قال لهم: أتتبر أون من فاطمه؟ بترتم أمرنا بتركم الله. فيومئذ سمّوا البترية»<sup>(١)</sup> فعدم المعاداه مع الشيخين يأول إلى معاداه فاطمه و لذلك يخاطبون الحجّه عجل الله تعالى فرجه شريف: «ارجع يا بن فاطمه، لا- حاجه لنا فيك.» أي: لا حاجه لنا في النهج الفاطمي الذي ينطلق من البراءه لأعداء ل محمد عليهم السلام.

### على طرفي نقيض

٨٧. إنّ ظاهره التلفيق بين منهاج هل البيت عليهم السلام و المناهج الأخرى- و عدم التبري و البراءه من تلك المناهج و المدارس المناوئه لأهل البيت عليهم السلام كظاهره

ص: ٤٤٠

١- (١) الصدوق، محمد بن علي، من لا يحضره الفقيه: ج ٤، ص ٥٤٤.

المقَصِّره و المرقه- هى ظاهره تتكرر فى كلِّ عصر، تأخذ ألوانا و أشكالا و مسَمِّيات مختلفه، تحت أطر الوحده و التقريب بين المذاهب، و تحت أطر و ذرائع مختلفه أخرى.

٨٨. التَّيار المصادم: فى مقابل هذا التَّيار المخلط نرى هناك تيارا مصادما يشدّد على الفصل و التمييز بين مدرسه أهل البيت عليهم السلام و المدارس الأخرى، و يحصر التبعيّه و المرجعيّه الشرعيّه الإلهيه بأهل البيت عليهم السلام، و هو ما يعرف ب (الولّى)، و سلبها و نفى الصلاحيه عن بقية المدارس، و تخطئه المسارات المباينه للعترة، و هو ما يعرف ب (التبرى)، و قد طعن على هذا التيار الثّانى بالتشّدّد و الغلو فى أهل البيت عليهم السلام.

و هذا التجاذب بين الظاهرتين جدليّه تتكرّر فى الأزمنه المختلفه، و هى قائمه فى الزمان الحاضر أيضا، و ربّما يبرّر التيار الأوّل بمنهجه المزجى و التلفيقى بجمله من الذرائع، كما أنّه قد تسجّل على التيار الثّانى جملة من المؤاخذات بسبب صراحتة الصارخه و عدم مداراته و عدم اتّخاذه أسلوب الرّفق و اللين فى تبين الحقائق، و مفاجأه الوسط العام بخطاب لم تنهيا لها الذهنيّه فى الوسط الخاص، فضلا عن الوسط العام.

٨٩. إنّ سرّ استعراض هذه الروايات المستفيضه المتكاثره لتفاصيل عسكريه و أمّتيه، و إحدائيات جغرافيه، و ملفات سياسيه، و ملفات و معلومات أمّتيه عن طبيعه حركة السّيفيانى و نقاط الضعف و القوّه فيها، و كذلك فى الروايات الشيعيه المناهضه لها، فهل يا ترى كلّ هذا إنّما هو كمعلومات قمر صناعى عن المستقبل؟ كلا، بل هو دعوه للمؤمنين بالاطّلاع على هذه المعلومات ليرسموا لأنفسهم استراتيجيّه و برنامج مقاومه و مواجهه،

و هذه القراءه لنصوص علامات الظهور تختلف عن القراءه- الخاطئه- السائده، كتنبؤات فلكيه أو كهانات

ص: ٤٤٢

٩٤. فى عقد الدرر: «ثم يدخل الكوفه فيصير أهلها ثلاث فرق: فرقه تلحق به و هم أشر خلق الله، و فرقه، تقاتله و هم عند الله شهداء، و فرقه تخلق بالأعراب و هم العصاه... فيبلغ الخبر أهل البصره، فيركبون إليهم فى البرّ و البحر، فيستنقذون أولئك النساء من أيديهم» (١).

الروايه- حاكم و محكم- و فيها مواضع داله على أنّ الوظيفه الأوليه و المسؤوليه هى المقاومه و المواجهه.

لمشروع السّفيانى:

أ) حرمة الخضوع للسّفيانى: ذلك عند قوله: «فيصير أهلها ثلاث فرق: فرقه تلحق به و هى أشر خلق الله»، و هو يشير إلى حرمة الانقياد و الذوبان مع مشروع، لأنّه يوجب الخسران الأبدى و مقتضاه لزوم مقاومته.

ب) ثمّ قوله عليه السلام: «و فرقه تقاتله و هم عند الله شهداء»، فى هذا البيان منه عليه السلام دلالة على أنّ القاعده الأوليه و الوظيفه و المسؤوليه هى مقاومه مشروع و مواجهته بلغ ما بلغ، و لا ريب فى أنّ هذه الوظيفه ليست مقرّره- قبل دخوله الكوفه أيضا- من كلّ البلدان حتّى فى الشام، لأنّ مشروع- كما مرّ- إبادته للدين باسم الدّين، كما هى شاكلة النهج الأموىّ.

ج) و قوله: عليه السلام: «و فرقه تلحق الأعراب و هم العصاه»، و هذا أيضا بيان منه عليه السلام إلى أنّ ترك مقاومه السّفيانى و التخاذل عن هذه المسؤوليه و الاهتمام بنجاه النفس معصيه كبيره جدّا، و وجه الدلالة على أنّها كبيره أنّ هذا العنوان (العصاه) و التوصيف قد ورد نظيره فى الذين خالفوا رسول الله صلى الله عليه و اله فى موطن، نظير ما ورد فى الصوم فى السفر من جماعه كانوا مع الرسول الله صلى الله عليه و اله

ص: ٤٤٣

و بقوا صياما سَمَّاهم النَّبى صلى الله عليه و اله العصاه و بقى ذلك الوصف عليهم.

٩٥. خصوصيه أهل العراق: ذكر عليه السلام البصره و الكوفه (١) إشاره لخصوصيه خاصه- لأهل العراق، فالأمر- بالنسبه إليهم- عيني تعينى و واجب و فريضه كبرى، بحيث يكون التخلف عنها معصيه، و يوسم المتخاذل بوصف العصاه إلى يوم القيامه، و لم يكن التعبير بهذه الشهاده و التأكيد فى الروايات التى ذكرت البلدان الأخرى.

ص: ٤٤٤

---

١- (١) من المعروف بحسب النقول التاريخيه أنّ البصره تشمل الجنوب، و الكوفه تشمل الفرات و بعض مناطق الوسط.

ينقسم الجهاد الدفاعي فقهيًا بحسب الأدلّه إلى أقسام أربعة:

القسم الأوّل: الدّفاع الوقائي الرّداع عن عدوان المعتدى:

و هو مضمون القاعده في الايه الكريمه: (وَاعِدُّوا لَهُمْ مِمَّا اسْتِطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ) (١) و هذا النوع من الجهاد الباب مفتوح على مصراعيه لإعداد المجتمع للقوّه أمام عدوان المعتدى، و ليس هناك سقف معين يقف عنده ذلك الإعداد، و هو نحو من القوّه الناعمه في الاصطلاح الاستراتيجي الحديث- لأنّه لا- تراق يه محجمه دم و لا- تنشب فيه نار تشتعل، بل قوّه ردع واقية عن العدوان، و من خصائص هذا القسم أنّه لا يعطل في حال من الأحوال، كما أنّه عيني على الجميع استغراقا كلّ بحسب قدرته و طاقته، فضلا عن كفايته بحسب مراتب الإعداد.

القسم الثاني: الدّفاع العلاجي:

و هذا القسم يقوّر أنّ الدّفاع بعد وقوع الاعتداء لرفع العدوان و الغزو، و طرده من بقاع لإيمان مكائيه كانت أو جغرافيه أو غيرهما، و هو المعهود في الأذهان و الثقافه الفقهيّه.

القسم الثالث: الدّفاع الاقتصادي:

و هذا القسم غايته الردع عن تكرر العدوان، و هو مفاد قاعده: (وَ لَكُمْ

ص: ٤٤٥

فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١) و من الواضح أنّ عدّه مضامين قرآنيه تصبّ في هذا المفاد.

القسم الرابع: الجهاد الدفاعي الاستباقي:

و هو يقام به في المورد الذي يعلم بأنّ العدو متربّص لشنّ عدوان قريب قد أخذ أهبطه في ذلك، و بدت علامات و لوائح ذلك شاهره ظاهره، و القدر المتيقّن من مشروعيته هذا القسم ما إذا كان عدم الاستباق بالحرب و التواني عن المبادره يستلزم عدم القدره على الجهاد الدفاعي من القسم الثاني- و هو العلاجي- أو أنّه سيكيد المؤمنين و المسلمين خسائر كبيره في الأرواح و الثروات، و يشير إلى ذلك قوله تعالى: (وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ) (٢)

ثمّ إنّ هاهنا أقساماً أخرى من أقسام الدفاع و هي:

القسم الخامس و السادس: الجهاد الاستباقي و الاقتصاصي للدفاع عن المقدّسات:

و هذه الأقسام أعظم من الأقسام السابقه، لأنّ هذه الأقسام للدفاع عن الأراضي المقدّسه، أي: البلاد التي فيها مراقد المعصومين عليهم السلام و فيها المساجد المشرفه، فالحرم المكيّ أرض مقدّسه و الحرم المدني كذلك، بل يشمل ما هو أوسع من الحرم المكيّ و المدني فيشمل أرض الحجاز كلّها، فهذه الأرض ينبغي تطهيرها من دنس المنتهكين لقدسيّتها و حرمتها، كذلك النجف و كربلاء و الكاظميه و خراسان و سامراء، مدن يجب الدفاع عنها و حمايتها و قطع أيدي

ص: ٤٤٦

١- (١) البقره: ايه ١٧٩.

٢- (٢) الأنفال: ايه ٥٨.

الباطل عنها إن كانت في أيديهم، بل حمايه المقدّسات توجب حمايه كلّ أرض العراق، و هذا حال وحكم كلّ البلدان التي فيها المقدّسات، و هذا يشير إلى أنّ برنامج الثأر و الثوره مستمر.

القسم السابع: الجهاد تعصبا لأهل البيت عليهم السلام.

بين المقدس إنّما صار قبله و قدّس لعباده الأنبياء فيه و لقدسيّتهم، كما في الروايه عن ابن عباس: «فسار بهم موسى فانطلقوا يؤمّون الأرض المقدّسه و هي فلسطين، و إنّما قدّسها لأنّ يعقوب عليه السلام ولد بها، و كانت مسكن أبيه إسحاق عليه السلام، و يوسف عليه السلام و نقلوا كلّهم بعد الموت إلى أرض فلسطين.»<sup>(١)</sup> إذا كان الدفاع عن الأرض المقدّسه أعظم من الدفاع عن باقي الأراضي، فبالأولى الدفاع تعصبا لذات المعصوم عليه السلام يكون أعظم، فليس التعصب مختصا بحياه المعصوم عليه السلام، بل لما بعد حياه الإمام المعصوم، كما يظهر من قول السجاد عليه السلام: «لو أنّ عبدا زنجيا تعصّب لنا أهل البيت لوجب على الناس مؤازرته»<sup>(٢)</sup> فيكون التعصب غير مقيّد بزمان أو مكان ما دام يصبّ في نصرتهم، و يضاف نسبته إليهم و إذا كنّا نقول في زياره أبي الفضل عليه السلام: «انتهكت بقتلك حرمة الإسلام.»<sup>(٣)</sup>

٩٦. حرب بارده و حرب ساخنه: بعد معركة الطف يختار الإمام زين العابدين عليه السلام الحرب البارده، في حين تختار زينب عليها السلام و هي العالمه غير المعلّمه

ص: ٤٤٧

١- (١) قطب الدين الرواندي، سعيد بن هبه الله، قصص الأنبياء: ص ١٧٦، ح ٢٠٠.

٢- (٢) الحلبي، ابن نما، ذوب النصار: ص ٩٧. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٣٦٥.

٣- (٣) المشهدي، محمّد بن جعفر، المزار: ص ٣٩١: الكفعمي، إبراهيم بن عليّ، المصباح: ص ٥٥١.

و الفهمه غير المفهمه- كما وصفها الإمام زين العابدين عليه السلام- نهجا اخر، و هي لم تكن لتتصر إلّا فيما يأمر به الشرع و تحت نظر الإمام عليه السلام، فهنا نهجان يسيران في عرض بعضها، و كلاهما تحت نظر و رعايه الإمام السّجاد عليه السلام.

٩٧. و هذا بعينه موقف الزهراء عليها السلام حين كان أمير المؤمنين عليه السلام في حرب بارده و عدم مواجهه مع الطرف الاخر، في حين كانت الزهراء عليها السلام تحرّض الأنصار على القتال، فقد روى في الخبر مسندا عن مصعب بن عبد الله، قال: «كانت رينب بنت عليّ و هي بالمدينه تؤلّب الناس على القيام بأخذ ثار الحسين عليه السلام» (١) فبلغ ذلك عمر بن سعيد، فكتب إلى يزيد يعلمه الخبر، فكتب إليه: أن فرّق بينها و بينهم، فأمر أن ينادى عليها بالخروج من المدينه و الإقامه حيث تشاء، فقالت: «قد علم الله ما صار إلينا، قد علم الله ما صار إلينا، قتل خيرنا، و انسقنا كما تساق الأنعام، و حملنا على الأقتاب، فو الله، لا خرجنا و إن أهرقت دماؤنا...» (٢)

٩٨. استمرار الثأر و الثوره: و هذا يشير إشاره قويّه إلى الثوره و الثأر و ضروره المطالبه بثأر الحسين عليه السلام من أعدائه مهما كانت الظروف و مهما كلّف الأمر، كما قد كلّف زينب الخروج من المدينه نعم قد تختلف الاليات فمّرّه تكون الاليه بارده و مّرّه تكون ساخنه بل إنّه حسب ما تذكر نفس نفس القصّه أنّها رفضت الخروج لولا- إلحال الهاشميّات، قال: «أبّت الخروج، ثمّ اجتمع عليها نساء بنى هاشم و تظفن معها في الكلام، فاختارت مصر» (٣)

ص: ٤٤٨

١- (١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم و الملوك: ج ٥، ص ٤٦٥.

٢- (٢) المصدر نفسه.

٣- (٣) المصدر نفسه.

٩٩. وفي هذا إشارة إلى أنّ زينب عليها السلام كانت مصرّه على الاستمرار في الثورة لولا إلهام الهاشميات، وكذلك يشير إلى أنّ حكومه بنى أميه لم تستطع مواجهه الثورة الزينبيه إلّا بالأساليب القذره في الضغط على بنى هاشم، وهذا أمر بالغ الأهميه أغفله الكثير.

١٠٠. من أقسام الجهاد (الجهاد للمواساه). وهو يغير الجهاد لأجل الدفاع أو للدعوه، حيث إن غايته ليس حصول الدفاع و النجاه و لا- الدعوه و استجابته الطرف و الخصم، بل مواساه المعصوم عليه السلام في القتل و القتال، و هو و إن كان يتفق من حيث الموضوع مع القسم السابق إلّا أنّه قسم مستقل برأسه، و هو عبارته عن الجهاد الذي يكون من أجل ذات المعصوم عليه السلام في حياته بلا رجاء إنقاذ حياته، بل للمواساه فقط.

و هذا القسم كان واضحا في الثقافه الإسلاميه في زمن المعصوم عليه السلام و إن أغفلته ثقافتنا اليوم، و في زياده الناحيه المقدسه يشير الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف إلى هذا القسم:

١٠١. قال: «السلام على مسلم بن عوسجه الأسدی، القائل للحسين - و قد أذن له في الانصراف -: نحن نخلى عنك؟! و بم نعتذر عند الله من أداء حقك؟... و كنت أول من شرى نفسه و أول شهيد شهد الله و قضى نحبه، ففرت و ربّ الكعبه، شكر الله استقدامك و مواساتك إمامك...» (١)

١٠٢. و كذلك في سلامه عجل الله تعالى فرجه الشريف على سعد: «السلام على سعد بن عبد الله الحنفی، القائل للحسين - و قد أذن له في الانصراف -: لا و الله، لا نخليک حتى يعلم الله أن قد حفظنا غيبه رسول الله صلى الله عليه و اله... ثم هي بعدها الكرامه التي

ص: ٤٤٩

لا انقضاء لها أبدا، فقد لقيت حمامك و واسيت إمامك...»(١)

١٠٣. أعظم المواساه مواساه أبى الفضل عليه السلام : و بما تقدم تتضح عظمه الشهاده بجهاد المواساه التى شهدها المعصوم عليه السلام لأبيس الفضل عليه السلام، فقد ورد معنى المواساه فى زياره أبى الفضل عليه السلام التى رواها- بسند معتبر- أبو حمزه الثمالى عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «أشهد لك بالتسليم و التصديق و الوفاء و النصيحة لخلف النبى صلى الله عليه و اله...أشهد لقد نصحت لله و لرسوله، فنعم الأخ المواسى»(٢).

١٠٤. سلاح للسلام لا لل استسلام:

إنّ الآليه التى اتفق عليها جميع الفقهاء، و لم يشكك فيها أحد منهم هى قاعده (إعداد القوّه)، و استدللّ لهذه القاعده من قوله تعالى: (وَاعْتَدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ) (٣) و هذا المقدار المتفق علىه دينيا و شرعيا و عقلايا، العدو يرفضه و يتهمونا بالأوباشيه، و يحاولون قصّ أظافرنا و أجنحتنا بحجّه أنّها مخالبا عدوانيه، نقول لهم: إنّها ليست للعدوان، بل للدفاع عن أنفسنا، نريد حمايه أنفسنا، لم و لن نبدأ الاخرين بعدوان، هذا هو منطق ديننا و منطق قادتنا المعصومين عليهم السلام، و لكن هم من بدأ الحرب و أجاج نار الفتنة فى مجتمعنا.

### ركنيه الأراضى المقدسه

١٠٥. الدّين من الأمور ذات المراتب: فهناك مرتبه العقائد و هى أعلى مراتب الدّين، ثم تأتي مرتبه الأخلاق، ثم مرتبه فروع الدّين، كما بيّنها

ص: ٤٥٠

١- (١) المصدر نفسه: ج ٤٥، ص ٧٠.

٢- (٢) المفيد، محمد بن محمد، المزار،: ص ١٢١. المشهدى،

٣- (٣) الانفال: ايه ٦٠.

الحديث النبوي الذي هو من جوامع الكلم، فعن النبي صلى الله عليه و اله: «العلم ثلاثة: ايه محكمه، أو فريضه عادله، أو سنّه قائمه»<sup>(١)</sup> و من الواضح أنّ هذه المرتب رتبت من حيث الأهميه و بالتالي يكون الواجب في كلّ مرتبه أوجب من الواجب في المرتبه الأخرى، فمثلا الصلاه ركن من أهم أركان فروع الدين، لكن لا تقاس بواجب ركني اعتقادي رغم ركنيتها، فضلا عن أن تقاس بأصل من أصول الاعتقاد، كالولاية.

١٠٦. لا قيمه للصلاه بلا ولايه: قوله تعالى: (وَ مَا كَانَ صِدِّيقُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَ تَصَدِيغُهُ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ )<sup>(٢)</sup> فالصلاه رغم عظمتها حالها بدون ولايه الله و رسوله و أولى الأمر حركات ضوضائيه كالتصفيق و الصفير، و هذه الصلاه مكاء و تصديقه حتى لو كانت بزعم ولايه الله، و لذلك رغم أنهم يؤمنون بالله، أى: يقرون بالشهاده الأولى، و لكن لعدم إقرارهم بالشهاده الثانيه للرسول صلى الله عليه و اله يعد و يعتبر الله سبحانه و تعالى طوافهم و حجهم و عبادتهم و تقربهم إليه بعدا عنه و نجاسه ينبغى إزالتها و إبعادها عن المسجد الحرام، قال تعالى: ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ )<sup>(٣)</sup>

١٠٧. الزياره أعظم: و من العجيب أنّ بعضا من أوساطنا الشيعيه يقايس حجاب المرأه - مثلا - بالزياره لأنها مستحبه.

ص: ٤٥١

- 
- ١- (١) المجلسى، محمد تقى، روضه المتقين: ج ١٢، ص ١٥٨. اين قدامه، عبد الله بن أحمد، المغنى: ج ٧، ص ٢.
  - ٢- (٢) الأنفال: ايه ٣٥.
  - ٣- (٣) التوبه: ايه ٢٨.

و هذا خلط و خبط و عدم تمييز و معرفه بمراتب الدين، فأيهما هو المستحب؟ و أيهما هو الواجب؟ فالزياره تتضمن عدّه واجبات كفائيه و أخرى عيئيه، منها: ترويح الدين و أرشاد و تعاهد المؤمن لولايه أهل البيت عليهم السلام و عماره المقدّسات و غيرها من العناوين الواجبه المنطبقه.

١٠٨. لتركن سنن من قبلكم: كذلك عن حريز، عن بعض أصحابه، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه و اله: و الذى نفسى بيده، لتركن سنن من قبلكم حذوا النعل بالنعل والقذّه بالقذّه حتى لا تخطئون طريقهم و لا يخطئكم سنّه بنى إسرائيل، ثم قال أبو جعفر عليه السلام: قال: موسى لقومه: (يا قوم ادخلوا الأرض المقدّسه التى كتب الله لكم) فردّوا عليه و اكانوا ستمائه ألف (قالوا يا موسى إنّ فيها قوماً جبارين و إنّنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإننا داخلون قال رجلاين من الذين يخافون أنعم الله عليهما)، أحدهما يوشع بن نون و الآخر كالب بن يافنا، قال: و هما ابنا عمّه، فقال: (ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه) إلى قوله: (إننا هاهنا قاعدون). قال: فعصى أربعون ألف و سلم هارون و ابنه و يوشع بن نون و كالب بن يافنا فسماهم الله فاسقين، فقال: لا تأس على القوم الفاسقين، فتاهوا أربعين سنه لأنهم عصوا فكان حذو النعل بالنعل، إنّ رسول الله صلى الله عليه و اله لما قبض لم يكن على أمر الله إلّا علىّ و احسن والحسين و سلمان و المقداد و أبو ذر، فمكتوا أربعين حتى قام علىّ عليه السلام فقاتل من خالفه» (١).

١٠٩. أدخلوا الأرض المقدّسه: الإشارات القرانيه و الروائيه واضحه بضروره دخول المؤمنين الأرض المقدّسه، و بالتالى ضروره إخراج الكفار

ص: ٤٥٢

---

١- (١) العياشى، محمّد بن مسعود، تفسير العياشى، ج ١، ص ٣٠٣.

و الفساق و المنحرفين منها و إلاً سيكون المؤمن الذي كتب الله له أن يدخل الأرض هو الفاسق، إذا امتنع عن الدخول، و سيشمله عنوانا الفسق، فهو تعالى: (يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَ يُثَبِّتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ) ، و هو تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) فَإِنَّ الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ كَمَا يَقُولُ الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الرَّوَايَةِ الْأَخِيرَةِ عَنْ مَسْعُودِ بْنِ صَدْقَةَ: «كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُمْ ثُمَّ مَحَاهَا عَنْهُمْ، ثُمَّ كَتَبَهَا لِلْأَبْنَاءِ فَدَخَلُوهَا.» و الرواية تخبر أن الأئمة ابتليت بعد رسول الله صلى الله عليه و اله. بنصره البيوت المقدسة، فلم يستجيبوا فتاهوا أربعين سنة، و سنبتلى بمثلها إن تخاذلنا.

١١٠. التيه في أمه محمد صلى الله عليه و اله دخلوا الأراضي المقدسة فرض عين على كل المؤمنين، و ليست القضية مختصة بزمن النبي موسى عليه لاسلام وهذا ما أراد الإمام الإرشاد إليه حيث أورد حديث النبي صلى الله عليه و اله «لتركن سنن من قبلكم حذوا النعل بالنعل و القذة بالقذة»، و طبقه على قول القرآن: (ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ ) ، و أكد أن الأئمة تتخاذل عن علي عليه لاسلامو لا تنصره فيصيبها الله التيه أربعين سنة، و ما دامت سنه إلهيه في كل الأمم السابقة، فينبغي بنا أن نعي خطوره ما يجرى و عظم المسؤولية الملقاه على عواتقنا، و إلاً فسوف نبتلى بالتية أربعين عاماً، و نكون من المؤخرين للظهور و ليس المعجلين.

### باب حطه

\*قال تعالى: ( وَ إِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَ قُولُوا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ \* فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١) )

\* و قوله تعالى: (وَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَ كُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَ قُولُوا

ص: ٤٥٣

حِطَّةً وَ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ \*فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ. (١)

١١١. قد ورد مستفيضا لدى الفريقين أنّ باب حطّه في هذه الأئمّه - كما قال النبي صلى الله عليه و اله - هم أهل البيت عليهم السلام بل إنّ باب حطّه في بنى إسرائيل كان لأنّ أسماء النبي و هل بيته مكتوبه عليه استشفاعا بهم، كما ورد في الروايه المتقدّمه، و تفيد الايتين حينئذ:

أ) افتراض دخول باب حطّه افتراض سكنى القرية المقدّسه عماره و إحياء لها.

ب) افتراض التوسّل و الاستشفاع لغفران الذنوب بباب حطّه في الأراضى المقدّسه و هم أهل البيت عليهم السلام.

ج) لزوم الخضوع و السجود لله تعالى فيها، و العباده له بالتوجه بها إليه تعالى.

د) إنّ الإعراض عن التوجه و التوسّل بباب حطّه عبويته دنيويّه عاجله قبل الأخرويّه، و بنزول الرجز من السماء على العصاه لذلك.

#### كيف تقدّسهم

١١٢. حفظ الأمن في البقاع المقدّسه و تأمينها واجب، كذلك تأمين الطريق للوصول إليها، لأنّ (مقدّمه الواجب واجبه)، كذلك ينبغي تسهيل أداء العباده فيها و إقامة الصلاه و كافه الممارسات الدينيه كالشعائر و غيرها.

ص: ٤٥٤

١١٣. عماره البيوت المقدّسه: بما أنّ عماره البيت الحرام متولّده من وجوب زيارته، فإنّ تعاهد المساجد المكرّمه و المشاهد المشرفه تتولّد منه ضروره عمارتها، بل إنّ على الوالى إجبارهم إذا تركوا الحجّ، ففى صحيح الفضلاء، عن أبى عبد الله عليه السلام قال: «...و لو تركوا زياره النّبى لكان على الوالى أن يجبرهم على ذلك، أو على المقام عنده، فإن لم يكن لهم أموال أنفقت عليهم من بيت مال المسلمين.» (١)

١١٤. التشعير و التقديس: قوله تعالى: (فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ) (٢)

إنّ هذه البيوت رفعها الله و أوجب بذلك على المؤمنين رفعها، و أن يذكر فيها اسمه، فهذا تشعير لها لجعلها مشاعر مقدسه، ثمّ قال بعد ذلك: يسبح له فيها، أى: التسبيح جاء بعد مفروغيه رفعها (تشعيرها و تقديسها)، و أنّ لازم رفعها و تعظيمها القنوت و الإخبات و الضعه و التواضع فيها.

١١٥. الزياره و الجوار جهاد: كما فى روايه عن الحسن بن العباس بن الجريش، عن أبى جعفر الثانى عليه السلام فى حديث طويل فى شأن (إنا أنزلناه)، قال عليه السلام: «و لا أعلم فى هذا الزمان جهادا إلّا الحجّ و العمره و الجوار» (٣) و مفادها تنزيل الجوار للمشاهد المشرفه منزل الجهاد.

و لكن بنظره أخرى و بفهم أعمق، و لما قرّر فى العلوم الروحانيه و علوم

ص: ٤٥٥

١- (١) الحر العاملى، محمد بن الحسن، وسائل الشيعه: ج ١١، ص ٢٤.

٢- (٢) النور: ايه ٣٦.

٣- (٣) الكلينى، محمد بن يعقوب، الكافى: ج ١، ص ٢٥١ ك الحجّ العاملى، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعه: ج ١٥، ص ٤٧.

النفس والاجتماع من وجود الطاقات الغيبية التي تكون كأموج روحية مرسله، وهي بحسب من أرسلت منه، فإما كان صالحاً كانت، وبالعكس إن كان طالحاً، كما أن هناك إشارة أخرى تشير إلى المعاناه التي يعانها المجاور لهم والزائر من قبل الظالمين على مرّ العصور، كما أن الزائر حين الزيارة يستلهم معاني الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل وكل العقائد الحقّة.

١١٦. الجهاد عماره للمقدّسات: قال تعالى: ( أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ ) (١)

في الآية الكريمة إشارة إلى أن عماره بيت الله الحرام سقايه (خدمه) زوّار البيوت التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه وعمارته شيء عظيم، ولكن الجهاد أعظم من سقايه وخدمه الحجاج والزوّار، وكذلك أعظم من العماره، فيكون الجهاد في الدفاع عن المقدّسات عظيماً وأعظماً، لأنّه يجمع بين عنوان الجهاد وعنوان العماره والسقايه، لأنّه مقدّمه لبقائها وعمارته وخدمه الزائرين بها.

١١٧. أسس على التقوى: قال تعالى: ( الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضَرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِزْوَاداً لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفْنَ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ \* لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ) (٢)

في قصه معروفه حاول فيها المنافقون احتواء الناس و احتواء القيادة

ص: ٤٥٦

١- (١) التوبه: ايه ١٩.

٢- (٢) التوبه: ايه ١٠٧-١٠٨

الدينيّه، و ذلك ببناء مسجد ( ضرار) الذي و صفه القران الكريم أنّه كفر و رصد ضد المؤمنين، فالقران يأمر بعدم الصّلاه فيه أبدا و يطلب القيام في مسجد له صفتان أنّه أسس على التقوى، و أنّه فيه رجال يحبّون أن يتطهروا.

١١٨. معدن التقوى أعظم: فإذا كان القران يشيد بالتأسيس لذلك المسجد، لأنّه أسّس على التقوى، سواء أسّسه النبيّ أو أسّسه المسلمون بأمر النبيّ صلى الله عليه و اله فكيف بك بيوت هي أعظم من المساجد، لأنّ المؤسس لها هو الله، لأنّه رفعها و عظّمها، و إذا كان المسجد عظيما لأنّه أسّس على التقوى، فكيف بنفس التقوى و معدن التقوى

١١٩. مشهور فقهاء الأماميه أنّ المسافر يختير بين القصر و التمام في أربعة أماكن: المسجد الحرام و مسجد النبيّ صلى الله عليه و اله و الحائر الحسيني و مسجد الكوفه. و ذهب الكثير إلى أنّ التخيير المذكور هو في مدن تلك المقدّسات على سعتها، و بعضم قال بالتخيير في كلّ مرافد المعصومين عليهم السلام، و كأنّ الشريعة حين شعرت هذه الأماكن جعلتها بمثابة وطن عالمي لكلّ الناس.

ص: ٤٥٧

نحن لسنا في صدد قرح أو مدح الكتاب، و لا في صدد نقد أو تقييم الكتاب، فهذا أمر متروك للقارى اللبيب و لباحث النيقد، و إنما نحن في صدد وصف للكتاب زياده في تنوير القارى الكريم إلى بعض ميزات هذا الكتاب حتى يسهل عليه خارطه السير في قراءه و فهم الكتاب.

فمن حيث الصفات الفتيه و الصياغيه:

أولا: الميل غالبا إلى صياغه الموضوعات على شكل نقاط، فبدل أن يتم سرد الموضوع بالشكل المتعارف يسرد بشكل نقاط.

ثانيا: الميل غالبا إلى ذكر أكثر من عنوان للموضوع الواحد و ذلك لأسباب منها:

(أ) إفهام القارى أن للموضوع زوايا عديده يمكن أن يقرأ من خلالها.

(ب) إن كثره العناوين ليست كثره ترفييه و بلا فائده، بل لها جلّ الفائده في وضع القارى الكريم بالصوره المرجوه من البحث.

(ج) أن كثره العناوين أحيانا تكون بسبب تعدد القراءات للعنوان الواحد، و كلّها تعبر عن نفس العنوان، و ليست تعبر عن جانب من العنوان و زاويه منه.

ثالثا: أحيانا يذكر العنوان و تذكر تحته كتابه بأسطر قليله قد تصل إلى خمسه أسطر و بشكل أنصاف سطور، تكون بمثابة مقدمه تنويريّه كإضاءه

لعناوين الفصل إن كانت لعنوانه أو للموضوع كذلك.

رابعاً: إنّ العناوين المتعدّده هي قراءه علميّه عمليه تجعل القارى يقرأ الموضوع من خلال العنوان الأول، فيطبقه في حياته اليوميّه حينما يكون ظرفه مناسباً و متناسباً مع هذا العنوان، و يقرأ الموضوع من خلال العنوان الثانى - كقراءه ثانيه - ليطبقه في حياته اليوميّه حينما يكون الظرف مناسباً و متناسباً مع القراءه الثانيه للموضوع، و هكذا لو كان هناك عنوان ثالث أو رابع.

و أما من حيث الماده العلميّه:

إنّ قراءه المشهد الحسينى كقراءه توحيديه من خلال البداء الذى ما عظم و ما عبد الله بمثله كما فى الروايات - ليس هو محضاً فى القراءه العقديّه الفكرية التى قد تكون فى أكثر أحيانها ترفيه أو عمليّه و نافع، و لكن لفئه محدوده من المثقفين أو الباحثين، و يبقى بالنسبه لعامه المؤمنين أمراً مطلسماً و مرّماً، و لذلك أشرنا بين شارحتين تحت العنوان أنّها مباحث فى العقيدّه الفقهيّه، إشاره إلى الجانب العلمىّ و العملىّ فى حياه الأفراد كافه، لأنّ العقيدّه تمثّل تصحيح الجانب الفكرىّ العقديّ، و الفقه يصحح المسار العملىّ فى الوظيفه العمليّه فى الحياه اليوميّه.

فإذن، نقرأ المشهد الحسينىّ لنصح مشهدنا الحياتى، لأنّ مشهد الطفّ لم يقتصر على بعد واحد، بل شمل كلّ أبعاد الحياه: سياسياً و اجتماعياً و اقتصادياً و عسكرياً، و هكذا.

و لذلك يرى القارى الكريم فى طيات بحث التوحيد كلاماً عن حياه رسول الله صلى الله عليه و اله، أو كلاماً عن حياه أمير المؤمنين عليه السلام أو عن حياه الإمام الصادق عليه السلام، و هكذا بقيه المعصومين عليهم السلام، و ذلك إشاره إلى:

إنَّ المعصومين عليهم السلام نور واحد، فكُلُّهم: (مهدي، و صادق، و باقر، و رضا، و كاظم، و جواد...و هكذا).

\*إنَّ الوقائع الجزئيه لحياتيه للمعصومين عليهم السلام يمكن من خلالها أن نقرأ الطّف، و يمكن من خلال الطّف أن نقرأها، فأحدها يحكى الاخر، فمرّه نسير بطريق (الإن)-حكايه- من خلال المفردات الجزئيه الحياتيه، التي تكون كمعولات تشير إلى علّه واحده، و تقرأ جزئيه فارده، و أخرى بالعكس نقرأ المعصومين عليهم السلام من خلال المشهد الحسيني، أى: بطريق (اللم) من العله إلى المعلول، و بالتالي تكون هكذا رؤى متبادله متكامله، لأنّه ليس كلّ رؤيه متبادله فى متكامله.

\*إنَّ الكثير من المثقفين \* بل المختصّين فى البحوث الفقهيّه أو العقائديّه- يرون أنّ من غير الصحيح عند البحث عن الإمام الحسين عليه السلام- مثلاً- فى أىّ جانب من جوانب حياته المباركه جرجر البحث للكلام عن موضوع اخر، و لو كان هو الحديث عن رسول الله صلى الله عليه و الهأ و أحد المعصومين عليهم السلام، لأنّ ذلك يبعد القارى عن بوصله البحث الأساسيه و يشتت ذهنه. لكن نحن نقول: إن الأمر على العكس، فهو لا يبعد، بل يفصل، و لا يشتت بل يوسّع، لأنّ البحوث الدقيقه المعتمده من الضرورى أن ترى النور باليات عديده موسّعه و مفضّله، و من الضرورى أن تكون تلك القراءه باليات مناسبه، كأن يقرأ الحسين عليه السلام من خلال سيره النبي صلى الله عليه و اله و صفاته، أوسيره أحد المعصومين عليهم السلام.

\*و هذا الأسلوب و هذه الطريقه- المفصّله الموسّعه بالاليات المناسبه- قد يلحظ كطريقه من طرق القران الكريم، بل و من طرق أهل البيت عليهم السلام، و هذا واضح لمن قرأ خطب أمير المؤمنين عليه السلام، فالقران عندما يتحدّث فى

مبحث عقائدى أو عن مبحث أخلاقى، فإنه يأتي بمصداق للصدق، كقوله تعالى: (وَ اذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَ كَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ) (١) و من جهة أخرى نرى الايات القرانية تتحدّث فى موضوع معين، ثم تنتقل فجأه و بلا سابق إلى موضوع اخر كأنه لا صلة له بالايات السابقه، و أمّا الشواهد فى كلام المعصومين عليهم السلام و امير المومنين عليه السلام فى نهج البلاغه فكثيره لا حاجه لاستعراضها.

\*ثم استعراض وظائف أخرى عقائديّة لم تبسط فى أبحاث العقيدة الفقهيّة، كالجبر والاختيار و غيرهما.

\*إنّ هذا الكتاب يحتوى على أكثر من سبعة قواعد منهجيّة، و هذه القواعد السبعة هى: فى النشاط الدينى الفقهيّ السياسى و الاجتماعى، و هذا ما يعطى القاعده الواحده مرونة فى الاستعمال فى أكثر من مكان واحد.

\*ثم فى هذا الكتاب بحث بعض الوظائف الواجبات التى قلّ البحث عنها فى الكتب التخصصيّة، أو بحثت بشكل مقتضب و بسيط، فمثلا التقيّه وظيفه فقهيّه لها مستويات بحسب الأحكام الفقهيّه الخمسه- و قد بحثت بشكل مفصّل - و لكنّها لم تتناول إلّا الجانب الفردى، أمّا بعدها الاجتماعى فلعلّه يندر البحث عنه، و أمّا فى هذ الكتاب، فإنّ سماحه الأستاذ (دام ظلّه) تناول البعد الفردى و الاجتماعى و السياسى أيضا، بل و الاستراتيجى، و بمعالجه موضوعيه ميدانيّه من خلال ذكر مصاديق جليّه و واضحه، مارسها الأنبياء و الأئمّه و مارسها أصحابهم أيضا، هذا مضافا إلى تصحيح المسار الفكرى الخاطى فى فهم التقيّه، حيث كان يفهم منها مجرد

ص: ٤٤١

الإحجام و الاحتياط و الحذر بلا أن تكون برنامج عمل مختلف الأبعاد و المستويات. و نفس السير الفكرى الخاطى ارتكب فى فهم الحلس، فإن الحلس كما هو الظاهر أشد إيماما من التقيّه، لأنّه ظاهر فى ضروره السكون و مسك الأرض و عدم الحركه، و الذى بدا لنا بعد التحقيق هو العكس تماما.

\*قد يصعب على الفهم أن المؤمن هل يمكن أن يناور؟ و أنه كيف يمكن المحافظه على المبادئ و رعايه الثوابت؟ و أنه أساسا: هل يجوز للمؤمن ذلك؟ و كيف يمكن تصوره للمعصوم عليه السلام؟ قاعده المرونه و المناوره فى المسير و المسار تجيب على ذلك بإجابه بسيطه، و لكنّها عميقه و دقيقه بفكره جعل المرونه فى الاليات و القشور مع الحفاظ على اللب الثابت، و تبين كيف أنّ الإمام الحسن عليه السلام استطاع فى ذلك الظرف العصيب الجمع بين البراغماتيه و المبدأيه كما تبين بعض ما مارسه المعصومون عليهم السلام.

\*كذلك هناك تكاليف خاصه فى أوقات معينه من زوايا معينه، و لكن خصوصيتها لا تعنى فرديتها، و هذا أمر بالغ الأهميته، فإن الكثير يتصور أنّ الخصوصيه تعنى الفرديه، و البعد الفردى و التكليف على مستوى خاص و فردى، و هذه قراءه مغلوطة، لأنّ البعد الفردى جانب متدنّ من المسؤوليه. و من تلك الأمور الخاصه بسمؤوليات العصر الراهن- و التى كما بينا لا تقتصر مسؤوليتها على البعد الفردى، بل على المستوى الاجتماعى و السياسى و الاقتصادى و العسكرى وغيرها- هو تكليف المؤمنين فى عصر الغيبه، و منها التكليف فى مواجهه حركات الانحراف، و خصوصا حركه السفينانى، و أمّا كيفيه مواجهه فرى أنّها مواجهه التى تنعكس من سلوك الحسين عليه السلام يوم الطفّ، فرغم ذلك الوعد الإلهى الجازم بشهادته الحسين عليه السلام فقد كان يقوم

بواجهه قيام الواثق بالنصر و النجاه بنظر إلى البداء الأعظم و البداء الإلهي.

فهل ينعكس ذلك على مواجهتنا لحركة السفيناني؟ التي قد وردت فيها روايات تشير بالصراحة أو بالمضمون إلى إمكان حصول ابداء. فإذا لم تك لدينا تلك القراءه للمشهد الحسيني، لم ينعكس على سلوكنا في مواجهه السفيناني أمل ملؤه الرجاء بالنصر المتولد من معرفتنا بالبداء.

و البداء الذي نريده ليس البداء التكويني، فحن لا نريد أن نبين البداء من الوجهه العقائديّه المحضه، أو قل: لا نريد بيان البداء من جهه الرب. بل نريد- و هو المهم- أن نبين كيف مارس الحسين عليه السلام البداء كحقيقه عقائديّه و فكريّه في سلوكه في ساحه الطفّ، بل كيف مارس المعصومون عليهم السلام ذلك في ساحات طفوفهم، سواء مع الأبعد أو الأرقاب، و كذلك نريد- و هو الأهم- أن نبين كيف ينعكس ذلك كلّ على خارطه مسؤوليات المؤمنين في العصر الراه كعقيدته فقهيه.

فإنّ الحسين عليه السلام كان موعودا بالشهاده، و مع ذلك كان ينظّم معسكره، بل و يقاتل قتال من لا يقين له بالشهاده- رغم يقينه بالشهاده- و مقابل ذلك الإمام صاحب العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف مهذب خائف، رغم كونه موعودا بالنصر، و رغم يقينه بالنصر، و هو خوف يوازن شدّه الرجاء التي يعيشها عجل الله تعالى فرجه الشريف كما أنّ تفاؤل رسول الله صلى الله عليه و اله و تفاؤل باقى أهل البيت عليهم السلام سواء في تجاربهم الحياتيه أو ما تعكسه سلوكيات الاخرين بالنسبه إليهم هو ترجمه للأمل الذي يقابل الحذر- الذي هو ترجمه للخوف الموازن للرجاء- فقد كان صلى الله عليه و اله أحذر الناس من الناس، فلم يأخذه التفاؤل إلى الإفراط، و لم يجزّه الحذر إلى الأحجام عن العطاء و الدعوه إلى الخير، فلا إفراط تفاؤلي و لا تفريط حذري، و لكن أمر بين أمرين.

\* كذلك فى الفصل الثالث من القسم الثانى ثمانىة أقسام من أقسام الجهاد، و هذه الأقسام تبين وظيفه المؤمن فى النشاط العسكرى و وظيفه تقديس المقدسات، و لم يخالف سماحه الشيخ ( دام ظلّه ) مشهور فقهاء الإمامية ففى مسأله الجهاد، و لكنّه فصل ما لم يفصله الآخرون بما لا يخرج عن ظهور عموم الآيات و الروايات فى ذلك.

فإن الجهاد الدفاعى كما هو مقرّر يكون ردعا للعدوان، و لكن اليه الجهاد الدفاعى لتحقيق ذلك الردع تختلف شدّه و ضعفا بشكل متناسب مع حجم و شدّه العدوان.

فالجهاد الدفاعى الوقائى يكون من باب الوقايه خير من العلاج، و الجهاد الدفاعى العلاجى يكون من العلاج بعد وقوع الاعتداء و بقدر العدوان فإنّ قوله تعالى: ( وَ لَكُمْ فِى الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِى الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ) (١) إشاره إلى أنّ القصاص لا يقتصر على البعد الفردى، أو البعد الاجتماعى، بل فى البد السياسى و العسكرى لأجل حياه الأُمّه و سعاده أُمّه الإيمان و الإسلام، كما أنّ الجهاد دفاعا عن المقدسات هو الآخر قسم برأسه، بل أقسام عديده تدور حول تقديس من قدّسهم الله تعالى، فإنّ الدفاع عن بلد فيه مقدّسات أنبل و أشرف من الدفاع عن الأراضى التى لا مقدّسات فيها.

و بما أنّ هذه الأراضى و بحسب الآيات و الروايت قدّست لوجود المعصومين عليهم السلام فيها فيكون الدفاع عن ذات المعصوم عليه السلام نفسه - أعلى و أقدس و أشرف من الدفاع عن الأراضى المقدّسه، و بذلك يتنقّح لنا القسم السابع من أقسام الجهاد، و هو الجهاد تعصّبا لذات المعصوم عليه السلام المقدّسه،

ص: ٤٦٤

و الذى يتفرّع عليه جهاد آخر- و لكنّه فسم مستقلّ برأسه- و هو الجهاد المواساتى، و الذى يك.ون فقط من أجل مواساه المعصوم عليه السلام.

\*كما و تمّ فى هذا الكتاب تصحيح بعض المسارات الخاطئه فى فهم كثير من الألفاظ التى وردت فى الروايات، و التى لعلّه بنيت عليها مناهج و مدارس معرفيه، و منها:

معنى (الحلس) الذى فهم لدى الكثيرين بشكل خاطيء و مخالف تماما لما هو المراد فى الروايات، و كذلك معنى التقيّه و أبعادها و أقسامها المختلفه و أنّ معنى التقيّه المعروف جزء من المعنى الصحيح- الوسيح- الذى جعل دينا و منهاجا حياتيا، كما فى الحديث الشريف: «التقيّه من دينى و دين ابائى، و لا- دين لمن لا- تقيّه له» (1) كذلك اللين و الرفق والمرونه و اللطف له الأهميه العظمى، و لكن فى أبوابه الصحيحه، بل الوفاء الذى هو أشرف و أنبل من هذه المعانى له مواطن، و لا يصح فى كلّ المواطن، فإنّ الوفاء مع أهل الغدر غدر عند الله، كما يقول أمير المؤمنين عليه لاسلام كما و قد بيّن الكتاب نظريّه تخادم العلوم التى تبين أهميه العلاقه بين العلوم المختلفه، أهم جانب فى تطور و تكامل العلوم هو ذاك.

\*و الشىء الأهمّ و الحيوى الأساسى- المنهجى فى هذا الكتاب، هو وضع ضوابط و مناهج لدراسه روايات زمن الغيبه و روايات و أشخاص هذه الفتره الحسيّاسه و المهمّه فى حياه المؤمنين، و أنّ الدراسات الكثيره فى هذا الزمن مع شديد الأسف- تجعل محاورها الأساسيه شخصيات و شخوص زمن الغيبه و تحاول معالجه الروايات على أساس ذلك المحور، و هذا مسار مغلوط يحرف

ص: ٤٦٥

النظره المجموعيه التي ترمى إليها تلك الروايات، و هذا التأسيس بحسب نظري القاصر- فتح عظم و تشييد لمنهج جديد في قراءه روايات زمن الغيبه و سنه الظهور.

\*و بعد ذلك لكه ذكرنا مقاطع مختاره- مهمه من الكتاب لأجل أن تبقى في الذاكره.

ص: ٤٦٦

مقدمه الطبعه الثانيه..... ٢

مقدمه الطبعه الأولى..... ٧

مقدمه المقرر..... ٩

تمهيد..... ١٥

القسم الأول: التوحيد فى المشهد الحسينى ( مباحث فى العقيدته)

وفيه ثلاثه فصول:

القضاء و القدر فى المشهد الحسينى ..... ٢١

المدخل..... ٢١

الفصل الأول: البداء الأعظم

البداء الأعظم..... ٢٧

نتائج امهمه فى الجبر والاختيار..... ٣١

جدليته

العلاقه بين الإرام و البداء..... ٣٣

قوم يونس..... ٣٥

الفصل الثانى: حتميه القضاء و القدر فى مفهوم النهضه الحسينيه

حتميه القضاء و القدر فى مفهوم النهضه الحسينيه..... ٤١

ص: ٤٤٧

حتميه البداء ..... ٤٢

البداء و ليله القدر ..... ٤٣

صور البداء فى القضيه الحسينى ..... ٤٦

إحسان التقدير و إحكام التدبير ..... ٤٩

أديب الله ..... ٤٩

أدبنى ربى ..... ٥٠

سعه البداء فى سلوك النبى صلى الله عليه و اله ..... ٥١

الحسين أمه ..... ٥٣

مطمئنه بقدرك ..... ٥٣

إنها شقشقه ..... ٥٥

ضابطه جعفرىه فى القضاء و القدر ..... ٥٩

حرب بارده لا تنافى حتميه القضاء ..... ٦١

عبر و دروس من حياه الإمام الصادق عليه السلام ..... ٦٢

تناسب التقدير بين الإنسان الصغير و الكبير ..... ٦٩

مهذب خائف رغم حتميه النصر ..... ٧١

المهذب الخائف ..... ٧١

شجاعه التدبير لا تنافى الحذر ..... ٧٤

خفاء التدبير بلا خفاء للمدبر ..... ٧٦

كمال التدبير اليقظه و الحذر ..... ٧٩

أحلاس البيوت ..... ٧٩



الفصل الثالث: لا حسم سابق و لا حتم فى التدايعات بدون إمكانية البداء

لا حسم سابق و لا حتم فى التدايعات بدون إمكانية البداء ٨٣

التفاؤل فى ميزان القضا و القدر ٨٥

تفاءلوا بالخير ٨٥

تدبير الخير لمستقبل الأمة ٨٦

قمة النشاط مع حتمية الشهاده ٩٠

تفاؤل الحسين عليه السلام ٩٠

التفاؤل المعاكس (المذموم) ٩٢

معالم أخرى للأمل فى تدبيره عليه السلام ٩٤

الإغراق فى لطافه و إتقان التدبير ٩٤

تدبيره صلى الله عليه و اله الخير لأمة ٩٧

المبالغه فى المداراه مع قمة الحذر و اليقظه ٩٨

لنت لهم ٩٨

الانفتاح التفاعلى مع المجتمع مع الحفاظ على سرية الحقيق الخطيره ١٠٠

أعداء ما جهلوا ١٠٠

تبدل الهزيمة إلى نصر ١٠٢

تدبير عظيم فى ظرف عسير ١٠٦

المضائق ١٠٦

مضائق عسيره و مواطن خطيره ١٠٨

يوم حنين ١١١



المعلم الجبري من جديد ١١٣

غلت أيديهم ١١٣

المسلك الجبري أنواع وأنماط ١١٦

الجبرية الصوفية ١١٦

المنطب الحسيني يحاكم الجبرية ١١٧

مراتب النجاح في الابتلاء الإلهي ١١٨

النشاط و الحركة الحسينية ١٢١

النشاط و الحركة اليونسية ١٢٣

شجاعه إداره الأزمات و إمامه الأمة ١٢٥

شجاعه التدبير ١٢٥

الغصه و الفرصه ١٢٦

حتمية عدم النصر لا تنافي إمكانية الفتح ١٢٩

شهادته الفتح ١٢٩

فتح الحسين أم حسين الفتح ١٣١

القسم الثاني: خارطة مسؤوليات العصر الراهن

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: خارطة المسؤوليات في النشاط الوظيفي الديني و السياسي و الاجتماعي

سبع قواعد منهجية و خاتمه ١٣٩

مقدمه ١٤١

ص: ٤٧٠

القاعده الأولى: (كن حلسا) و الأاحلاس فى البيوت ١٤٢

(كن حلسا من أاحلاس بيتك) ١٤٢

المعانى اللغويه للحلس ١٤٤

نتائج مهمه من معنى الحلس ١٤٤

ما هو معنى (البيت) الذى ورد فى الروايه ١٤٧

موسى عليه السلام حلس البيوت ١٥٣

فهم جديد لمعنى (حين) التى وردت فى الزياره ١٥٥

القضيه الحياتيه ١٥٥

الوسطيه فى ميزان العمل ١٥٥

الدور المنقذ لتوازن سفينه المؤمنين و المسلمين عن الغرق المتطرف ١٥٥

الوسطيه فى قوام العمل حين عجز الأمه ١٥٦

المعادل الموضوعى ١٥٦

العامل المشترك الأكبر ١٥٦

الوسطيه بمعنى (بيضه القبان) ١٥٦

أيها المؤمن ١٥٧

الصبر والتصبر ١٥٧

القاعده الثانيه: إعداد القوه ١٥٩

و أعدوا ١٥٩

القاعده الثالثه: طلب العلم و نشره ١٦٥

القاعده الرابعه: (كلكم راع) ١٦٦

القاعده الخامسه: التقية الذكيه و ترقية تنامي الحس الأمنى ١٦٨

ص: ٤٧١

الإعداد الأمنى ١٦٩

التقىه و الكتمان حارس الإعداد ١٧٠

تقىه الكتمان مراتب و درجات ١٧٤

التقىه من الجهلاء أشد من الأعداء ١٧٦

المذيع جاحد ١٧٨

الكتمان و الإذاعه...المذيع سّرنا كقاتلنا عمدا ١٨٠

الجندى الخفى (المجهول) ١٨٣

يكتّم إيمانه ١٨٣

أصحاب الكهف ١٨٥

قاعده أخرى (تقىه الاصطناع) ملازمه لقاعده (التقىه الذكىه) ١٨٧

الخضر عليه السلام و التقىه الذكىه ١٨٨

المنهج أهمّ و أولى ١٨٩

خفاء أم اختفاء ١٩٠

التقىه الذكىه عند الإمام الصادق عليه السلام ١٩١

التقىه الذكىه فى سلوك إبراهيم عليه لاسلام ١٩٢

القران يكشف عن أربع مهام سّرّيه لأهل الكهف عليهم السلام ١٩٣

أسرار (التقىه التدبيريه) فى سوره الكهف ١٩٤

برنامج أمنى للإمام الصادق عليه السلام ١٩٧

كيف يتعامل الإمام مع من يكشف الأسرار ١٩٧

دور المؤمن في الحكومه الخفيّه اعظم ٢٠١

ص: ٤٧٢

أطروحه جديده فى معنى الظهور بعد الغيبه ٢٠١

دوله الخفاء و خفاء الدوله ٢٠١

دوله الغيبه و غيبه الدوله ٢٠١

القاعده السادسه: المرونه و المناوره فى المسير و المسار ٢٠٨

سعه الحكمه فى صيرفه تدبير و إداره الأمور ٢١٠

جدليّه العلاقه بين البراغماتيه و المبدأيه ٢١٥

جدليّه الثابت و المتغير ٢١٥

تغيير الواقع بين الإفراط و التفريط ٢١٥

جدليّه حفظ النظام الثابت و الإصلاح المتغير ٢١٥

المناوره بين الواقعيه الراهنه و القيم الشعاريه ٢١٥

الثابت النظامى و المتغير الإصلاحى ٢١٦

للبيت ربّ يحميه ٢١٧

دروس فى مناوره عبد المطلب عليه السلام ٢١٨

مناوره حسبيته فى قوالب زينبيه ٢٢٠

مناوره و مران الخيارات و الأساليب فى النهضه الحسينيه فى موكب السبى ٢٢٠

همزه الوصل ٢٢٣

هل الوصيله ثابتة أم متغيره ٢٢٣

تصريف الكلام ٢٢٥

و ينتصر علىّ عليه السلام ٢٢٥

متانه الدين و سماحه الشريعه ٢٢٦

الصلح خير ٢٢٧

ص: ٤٧٣

تعدد الخيارات ٢٢٨

تعدد السيناريو ٢٢٨

تصريف الكلام ٢٢٩

تغيّر اللفظ لا يعنى تبدل المعنى ٢٢٩

الغايه لا تبرّر الوسيله ٢٣٢

الوسيله لا تصحّح الغايه ٢٣٢

المحبّجه الصحيحه مراتب ٢٣٤

للوفااء مواطن ٢٣٥

هل الحقيقه مطلقه أم نسبيّه؟ ..... ٢٣٧

القاعده السابعه ..... ٢٣٩

ضروره توازن القوى مع العدو ..... ٢٣٩

خاتمه نفيسه فى تخادم العلوم ..... ٢٤١

نظريه ترابط و تعاون و تخادم العلوم ..... ٢٤١

الفصل الثانى: خارطه المسؤوليات فى النشاط الوظيفى الدينى للمؤمنين تجاه حركات الانحراف الدينى

مقدمه ..... ٢٤٧

السفيانى بين الحتم و البداء ..... ٢٤٧

أهميه الموضوع ..... ٢٤٩

قبل البداء: قاعده علويه بصياغه رضويّه ..... ٢٥٢

قاعده منهجيّه فى المنهج ..... ٢٥٢

ص: ٤٧٤

- مسالك الانتظار..... ٢٥٤
- الشجره الملعونه..... ٢٥٧
- خطوره المنهج..... ٢٥٩
- النقطه الاولى: (الشجره الخيئه) ..... ٢٥٩
- النقطه الثانيه: (لا يذكرون الله) ..... ٢٥٩
- النقطه الثالثه: (بنو أميّه نهج و سلوك) ..... ٢٥٩
- النقطه الرابعه: (سعد الخير) ..... ٢٦٠
- النقطه الخامسه: (اللّعن للمؤسسين أشدّ) ..... ٢٦٠
- النقطه السادسه: (أخطر المناهج) ..... ٢٦٢
- النقطه السابعه: (إسلام و أصنام) ..... ٢٦٢
- النقطه الثامنه: (بنو العباس) ..... ٢٦٢
- من هو السفيناني؟ ..... ٢٦٤
- حادثه مثيره..... ٢٦٨
- معالم مشروع السفيناني ..... ٢٧٢
- السفيناني و يأجوج و مأجوج..... ٢٧٥
- الرجعه قبيل الظهور..... ٢٨٢
- هي محور أوار مسرح أحداث الظهور..... ٢٨٢
- السفيناني بين المحتوم و الموقوف..... ٢٨٧
- دروس تربويّه في البداء..... ٢٩٠
- البداء و إخفاق مشروع السفيناني..... ٢٩٣

روايات البدء بلسان البشاره..... ٢٩٣

ص: ٤٧٥

- رجفه الشام..... ٢٩٥
- روايات (البداء) بلسان أن السفيناني نقمه للمؤمنين..... ٢٩٦
- الإعلام المزيف للسفيناني..... ٢٩٧
- الخسف عنوان للبداء في حركة السفيناني..... ٣٠٠
- الوظيفة الأولى للمؤمنين هي المقاومة..... ٣٠٣
- البداء في خاتمه السفيناني..... ٣١٣
- أمرهم عليهم السلام بالوجوب العيني و التعيني ٣١٥
- لتصدي شيعه العراق بالخصوص للسفيناني بقوه و حزم ٣١٥
- الشعوب كلها ضد السفيناني..... ٣١٧
- الرايات المناهضه لمشروع السفيناني..... ٣٢٠
- القيام بالمسؤوليه..... ٣٢٠
- الرايات الممهده للسفيناني..... ٣٢٢
- الشيصباني..... ٣٢٣
- حكومه بنى العباس..... ٣٢٣
- شخصيات فى مسرح الظهور..... ٣٢٥
- نفاق الايمان (البتريه) ..... ٣٢٥
- على طرفى نقيض..... ٣٢٦
- الغايه من استعراض روايات سنه الظهور..... ٣٣٠
- دور المؤمن فى عصر الفتن و خصوصا فتنه السفيناني.... ٣٣٣
- مقاطع مختاره..... ٣٣٧

خلاصه الفصل الثاني..... ٣٣٨

ص: ٤٧٦

الفصل الثالث : خارطة المسؤوليات فى النشاط الوظيفى الدينى العسكرى للمؤمنين و وظيفه تقديس و حمايه المقدّسات

قواعد أساسيه فى مراتب الجهاد الدفاعى..... ٣٤٥

وظيفه تقديس المقدّسات..... ٣٤٥

مقدمه..... ٣٤٧

الجهاد الدفاعى..... ٣٤٨

قواعد أساسيه فى مراتب الجهاد الدفاعى..... ٣٤٨

القسم الأوّل: الدفاع الوقائى الرادع عن عدوان المعتدى..... ٣٤٨

القسم الثانى: الدفاع العلاجى..... ٣٤٨

القسم الثالث: الدفاع الاقتصاصى..... ٣٤٩

القسم الرابع: الجهاد الدفاعى الاستباقى..... ٣٥٢

قواعد لا محيص عنها فى الدفاع عن المقدّسات ٣٥٤

نظام تعدد مراتب الدفاع طوليا متعاكسا مع قاعده الرفق المرن ٣٥٤

القسم الخامس: الجهاد الاقتصاصى فى الدفاع عن المقدّسات ٣٥٥

القسم السادس: الجهاد الدفاعى الاستباقى عن المقدّسات ٣٥٦

القسم السابع: الجهاد الاقتصاصى تعصبا لأهل البيت عليه السلام ٣٥٦

أهمّيه ذات المعصوم كركن من أركان الدين..... ٣٥٧

بيت المقدس قدّس لوجود الأنبياء فيه..... ٣٦١

المعصوم عليه السلام من مقدّسات الدّين..... ٣٦٤

سب المعصوم عليه السلام ارتداد عن الدين كما عن جماعه من الأصحاب..... ٣٦٦

تعطيل الحدود يؤثر في التكوين و التشريع..... ٣٦٧

موقف زينب العقيله عليها السلام من وجوب أخذ الثأر.. ٣٧٠

استمرار برنامج الثأر و الثوره..... ٣٧١

ما ورد فى الإذن و الحثّ على الأخذ بثأر الحسين عليه السلام..... ٣٧٢

طلب الثأر لال محمّد صلى الله عليه و اله..... ٣٧٤

القسم لاثامن: الجهاد المواساتى.... ٣٧٥

أوّلاً: التغيرات الثبوتى (الماهى) ... ٣٧٧

ثانياً: التغيرات الإثباتى..... ٣٧٧

أعظم المواساه مواساه أبى الفضل عليه السلام..... ٣٨٠

المقدّسات ركن الدين..... ٣٨٢

جهاد بلا دم..... ٣٨٢

سلاح السلام لا الاستسلام..... ٣٨٣

الدفاع عن المقدّسات واجب من أصول الاعتقاد..... ٣٨٥

و ليس من مستحبات الشّريعته..... ٣٨٥

بشاره و نذاره..... ٣٨٨

ركنّيه الأراضى المقدّسه..... ٣٩٠

الأرض المقدّسه..... ٣٩٠

نتائج مهمّه من الايات المتقدّمه.. ٣٩٣

الدفاع عن المقدّسات بتعظيم باب حطّه..... ٣٩٥

منهجّيه تربويه يرسمها رسول الله صلى الله عليه و اله..... ٣٩٧

كيف نقادسهم ..... ٣٩٩

ص: ٤٧٨

العناصر الكليّة لخاطرطه مسؤوليات العصر الراهن..... ٤٠٩

قاعده: إعداد القوه..... ٤٠٩

قاعده: (كلّكم راع) و عموم المسؤوليه على الجميع.... ٤١٠

قاعده: الصبر لا يعنى الجمود..... ٤١٠

قاعده: للوفاء مواطن..... ٤١٠

قاعده: ضروره توازن القوى مع العدو... ٤١١

المعصوم لنا قدوه..... ٤١١

مقاطع مختاره

عقيده البدء أهم مقومات النشاط الديني والسياسي والاجتماعي للأئمه ٤١٧

الإيمان بالبدء في النتائج و التداعيات المترتبه على الحدث..... ٤٢٠

التفاؤل رجاء بسعه البدء..... ٤٢١

الفتح الحسيني..... ٤٢٢

في معنى المجلس..... ٤٢٤

قاعده إعداد القوه..... ٤٢٦

بنامج التقيه الأمتيه و الإعداد الخفي (الذكي)..... ٤٢٦

الحذر أنواع و مراتب..... ٤٢٧

جدليّه حفظ النظام الثابت و الإصلاح المتغير..... ٤٢٨

الوسيطه في المسير والمسار..... ٤٣٠

معنى نسيته الحقيقه..... ٤٣٠

الوفاء مع أهل الغدر غدر عند الله..... ٤٣١

نظريه تخادم القواعد..... ٤٣١

ص: ٤٧٩

- المعنى الصحيح لمفهوم الانتظار..... ٤٣٢
- إرهاصات الظهور..... ٤٣٦
- الرايات المناهضة لمشروع السفينانى..... ٤٣٦
- (القيام بالمسؤولية) ..... ٤٣٦
- الرايات الممهّده للسفينانى..... ٤٣٧
- الشيصبانى..... ٤٣٧
- حكومه بنى العباس..... ٤٣٧
- السفينانى و داعش و يأجوج و مأجوج وجوه لعمله واحده..... ٤٣٨
- شخصيات فى مسرح الظهور نفاق الإيمان (البترية) ..... ٤٤٠
- على طرفى نقيض..... ٤٤٠
- صور عديده للبداء فى مشروع السفينانى..... ٤٤٢
- الجهاد الدفاعى..... ٤٤٥
- ركنيه الأراضى المقدسه.... ٤٥٠
- باب حطّه..... ٤٥٣
- كيف نقدّسهم..... ٤٥٤
- أخيرا هذا الكتاب..... ٤٥٨
- فهرس الكتاب..... ٤٦٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام  
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية  
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب  
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات  
توسيع عام لفكرة المطالعة  
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية  
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة  
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة  
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات  
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : [www.ghaemiyeh.com](http://www.ghaemiyeh.com)

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ( sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : [www.ghbook.ir](http://www.ghbook.ir)

البريد الإلكتروني : [Info@ghbook.ir](mailto:Info@ghbook.ir)

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز  
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية  
اصبهان  
الغمامية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى  
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم  
**www.Ghaemiyeh.com**

[www.Ghaemiyeh.net](http://www.Ghaemiyeh.net)

[www.Ghaemiyeh.org](http://www.Ghaemiyeh.org)

[www.Ghaemiyeh.ir](http://www.Ghaemiyeh.ir)

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

